سلسلة المدن الفلسطينية

٥

صفد

في عهد الانتداب البريطاني
١٩١٧ - ١٩٤٨
دراسة اجتماعية وسياسية

مصطفى العباسي

مؤسسة الدراسات الفلسطينية مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية مؤسسة الدراسات المقدسية

مؤسسة الدراسات الفلسطينية
Institute for Palestine Studies
www.palestine-studies.org

صفد
في عهد الانتداب البريطاني
1917 – 1948

المحتويات

	صفحة
قائمة الجداول	**XVII**
شكر وعرفان	**XIX**
مقدمة	**XXI**
الفصل الأول: صفد في أواخر العهد العثماني، 1840 – 1918	**1**
أولاً: تحولات في مكانة صفد الإدارية	1
أ) مؤسسات الإدارة العثمانية	4
1. القائمقامية	4
2. مجلس إدارة القضاء	4
3. المحكمة النظامية	6
4. دائرة المعارف	6
5. المجلس البلدي	6
ب) العائلات البارزة في عهد التنظيمات ودورها	7
ثانياً: المبنى الديموغرافي والاجتماعي في أواخر العهد العثماني	12
أ) المسلمون	18
ب) المسيحيون	22
ج) اليهود	24
ثالثاً: مصادر الاقتصاد والعلاقات التجارية	29
رابعاً: صفد في إبان الحرب العالمية الأولى، أعوام الضائقة والجوع	34
الفصل الثاني: الاستمرارية والتغيير في الجهاز الإداري والمؤسسات المحلية في عهد الانتداب	**39**
أولاً: جهاز إدارة الألوية والأقضية	39
ثانياً: جهاز الإدارة المحلية ومؤسساتها	45

سلسلة المدن الفلسطينية

٥

صفد

في عهد الانتداب البريطاني
١٩١٧ - ١٩٤٨
دراسة اجتماعية وسياسية

مصطفى العباسي

مؤسسة الدراسات الفلسطينية مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية مؤسسة الدراسات المقدسية

INSTITUTE FOR PALESTINE STUDIES
Anis Nsouli Street, Verdun
P.O.Box: 11-7164
Postal Code: 11072230
Beirut - Lebanon
Tel.: 804959. Fax: 814193
Tel. & Fax: 868387
E-mail: ipsbrt@palestine-studies.org
http://www.palestine-studies.org

مؤسسة الدراسات الفلسطينية

مؤسسة عربية مستقلة تأسست عام ١٩٦٣ غايتها البحث العلمي حول مختلف جوانب القضية الفلسطينية والصراع العربي ـ الصهيوني. وليس للمؤسسة أي ارتباط حكومي أو تنظيمي، وهي هيئة لا تتوخى الربح التجاري.

وتعبِّر دراسات المؤسسة عن آراء مؤلفيها، وهي لا تعكس بالضرورة رأي المؤسسة أو وجهة نظرها.

شارع أنيس النصولي ـ متفرع من شارع فردان
ص. ب.: ٧١٦٤ ـ ١١
الرمز البريدي: ١١٠٧٢٢٣٠
بيروت ـ لبنان
هاتف: ٨٠٤٩٥٩. فاكس: ٨١٤١٩٣
هاتف/ فاكس: ٨٦٨٣٨٧
E-mail: ipsbrt@palestine-studies.org
http://www.palestine-studies.org

مؤسسة الدراسات الفلسطينية

مؤسسة عربية مستقلة تأسست عام ١٩٦٣ غايتها البحث العلمي حول مختلف جوانب القضية الفلسطينية والصراع العربي ـ الصهيوني. وليس للمؤسسة أي ارتباط حكومي أو تنظيمي، وهي هيئة لا تتوخى الربح التجاري.

وتعبِّر دراسات المؤسسة عن آراء مؤلفيها، وهي لا تعكس بالضرورة رأي المؤسسة أو وجهة نظرها.

شارع أنيس النصولي ـ متفرع من شارع فردان
ص. ب.: ٧١٦٤ ـ ١١
الرمز البريدي: ١١٠٧٢٢٣٠
بيروت ـ لبنان
هاتف: ٨٠٤٩٥٩. فاكس: ٨١٤١٩٣
هاتف/ فاكس: ٨٦٨٣٨٧
E-mail: ipsbrt@palestine-studies.org
http://www.palestine-studies.org

INSTITUTE FOR PALESTINE STUDIES
Anis Nsouli Street, Verdun
P.O.Box: 11-7164
Postal Code: 11072230
Beirut - Lebanon
Tel.: 804959. Fax: 814193
Tel. & Fax: 868387
E-mail: ipsbrt@palestine-studies.org
http://www.palestine-studies.org

إلى أستاذي
البروفسور بطرس أبو منّه
أهدي هذا الكتاب

تصدر سلسلة المدن الفلسطينية عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية في بيروت. وقد صدر منها:

١ - «حيفا العربية، ١٩١٨ - ١٩٣٩»؛

٢ - «اللد في عهدي الانتداب والاحتلال»؛

٣ - «إعادة اكتشاف فلسطين: أهالي جبل نابلس، ١٧٠٠ - ١٩٠٠»؛

٤ - «لواء عكا في عهد التنظيمات العثمانية».

وهذا الكتاب، الخامس في السلسلة، يصدر بالاشتراك مع مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية؛ ومع مؤسسة الدراسات المقدسية.

صفد

في عهد الانتداب البريطاني ١٩١٧ - ١٩٤٨

دراسة اجتماعية وسياسية

سلسلة المدن الفلسطينية ـ ٥

صفد

في عهد الانتداب البريطاني
١٩١٧ - ١٩٤٨
دراسة اجتماعية وسياسية

مصطفى العباسي

مؤسسة الدراسات الفلسطينية
بيروت

مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية
رام الله

مؤسسة الدراسات المقدسية
القدس

Ṣafad fī ʻahd al-intidāb al-barīṭānī, 1917 - 1948: dirāsah ijtimāʻīyah wa-siyāsīyah
Muṣṭafá al-ʻAbbāsī

Safad During the British Mandate Period, 1917 - 1948: A Social and Political Study
Mustafa Abbasi

© حقوق الطباعة والنشر محفوظة
ISBN 9953-453-06-3

الطبعة الأولى ـ بيروت
حزيران / يونيو ٢٠٠٥

المحتويات

قائمة الجداول XVII

شكر وعرفان XIX

مقدمة XXI

الفصل الأول: صفد في أواخر العهد العثماني، ١٨٤٠ - ١٩١٨ ..... ١

أولاً: تحولات في مكانة صفد الإدارية ١

أ) مؤسسات الإدارة العثمانية ٤

١ - القائمقامية ٤

٢ - مجلس إدارة القضاء ٤

٣ - المحكمة النظامية ٦

٤ - دائرة المعارف ٦

٥ - المجلس البلدي ٦

ب) العائلات البارزة في عهد التنظيمات ودورها ٧

ثانياً: المبنى الديموغرافي والاجتماعي في أواخر العهد العثماني ١٢

أ) المسلمون ١٨

ب) المسيحيون ٢٢

ج) اليهود ٢٤

ثالثاً: مصادر الاقتصاد والعلاقات التجارية ٢٩

رابعاً: صفد في إبان الحرب العالمية الأولى، أعوام الضائقة والجوع ٣٤

الفصل الثاني: الاستمرارية والتغيير في الجهاز الإداري والمؤسسات المحلية في عهد الانتداب ٣٩

أولاً: جهاز إدارة الألوية والأقضية ٣٩

ثانياً: جهاز الإدارة المحلية ومؤسساتها ٤٥
الفصل الثالث: المبنى الاجتماعي في مدينة صفد ٥٥
أولاً: عائلات الأعيان الإسلامية، زعماؤها ومصادر قوتها ٥٥
أ) العائلات التي شغلت المناصب الدينية والإدارية ٥٦
١ - عائلة النحوي ٥٦
٢ - عائلة الحاج عيسى/ المفتي ٦٢
٣ - عائلة سعد الدين/ السعدي ٦٢
ب) العائلات الإقطاعية ٦٣
١ - عائلة قدّورة ٦٣
٢ - عائلة صبح ٦٩
٣ - عائلة مراد ٦٩
ج) العائلات التي عملت في مجالات الإدارة والوظائف والمهن الحرة ٧٠
١ - عائلة الخضراء ٧٠
٢ - عائلة شمّا ٧٣
٣ - عائلة الحاج سعيد/ عبد الرحيم ٧٤
ثانياً: المسيحيون والجزائريون واليهود ٧٥
أ) المسيحيون ٧٥
ب) الجزائريون ٧٩
ج) اليهود ٨١
ثالثاً: الطبقة الوسطى وطبقة العمال ٨٦
أ) الطبقة الوسطى ٨٦
ب) طبقة العمال ٨٧
الفصل الرابع: تحولات في اقتصاد صفد في عهد الانتداب ٨٩
أولاً: الحدود الانتدابية وتأثيرها في اقتصاد صفد ٨٩
ثانياً: فروع الاقتصاد الأساسية في صفد ٩٣

أ) فرع التجارة ٩٣
ب) فرع الحرف والصناعة ٩٨
ج) فرع النقاهة والاستجمام ١٠١
د) فرع الصيرفة ١٠٢
هـ) فرع الوظائف والخدمات ١٠٢
و) فرع الزراعة ١٠٣
ثالثاً: تأثير الصراع العربي - اليهودي في اقتصاد المدينة ١٠٦
رابعاً: إقامة الشركة اليهودية لتطوير صفد ١٠٩
خامساً: النقابات المهنية ونشاطها الاقتصادي ١١٠
أ) جمعية العمال العرب في صفد ١١٠
ب) جمعية العمال العربية الفلسطينية ١١١
ج) النقابة العامة للعمال اليهود في صفد ١١١
الفصل الخامس: الحياة الدينية في صفد ١١٣
أولاً: مكانة صفد الدينية ١١٣
ثانياً: المساجد والزوايا ومقامات الأولياء والأوقاف ١١٩
أ) المساجد ١١٩
١ - الجامع الأحمر الظاهري ١١٩
٢ - الجامع اليونسي (جامع السوق) ١٢١
٣ - المسجد الجوقنداري ١٢١
٤ - مسجد السويقة (الشيخ عيسى) ١٢٢
٥ - مسجد القطب الشيخ أحمد الخفاجي ١٢٢
٦ - مسجد الغار (الشعرة الشريفة) ١٢٣
٧ - مسجد السرايا ١٢٤
ب) الزوايا ١٢٤
١ - زاوية بنات حامد ١٢٥
٢ - الزاوية الأسدية ١٢٦

٣ - الزاوية الأحمدية
ج) مقامات الأولياء ١٢٨
د) الأوقاف ١٢٨
ثالثاً: الجمعيات الإسلامية ونشاطها ١٣١
أ) النادي الرياضي الإسلامي ١٣٦
ب) جمعية الشبان المسلمين ١٣٧
١٣٨
الفصل السادس: صفد والمنطقة القروية في عهد الانتداب: علاقات وتوترات ١٤١
أولاً: مساحة القضاء ومبناه الديموغرافي ١٤٢
ثانياً: ضعف المنطقة القروية وترسيخ قوة العائلات المدينية ١٤٦
ثالثاً: القبائل البدوية والملاّك المدينيون ١٤٩
رابعاً: العلاقات المدينية - القروية خلال الفترة ١٩٢٠ - ١٩٤٥ ١٥٢
أ) المرحلة الأولى (مرحلة التعاون، ١٩٢٠ - ١٩٣٦) ١٥٣
ب) المرحلة الثانية (تأزم العلاقات، ١٩٣٧ - ١٩٤٥) ١٥٩
الفصل السابع: النشاط السياسي في العقد الأول من الانتداب، ١٩١٨ - ١٩٢٨ ١٦٥
أولاً: انطلاق الحركة القومية العربية في أواخر العهد العثماني وفترة حكم الأمير فيصل في دمشق ١٦٥
ثانياً: النشاط الوطني في المدينة: من الوحدة إلى الانقسام ١٧٠
أ) زعامة المفتي الشيخ أسعد قدّورة خلال الفترة ١٩٢٠ - ١٩٢٣ ١٧٠
ب) الانقسام داخل قيادات المدينة ١٧٦
الفصل الثامن: أحداث حائط البراق سنة ١٩٢٩ في صفد ١٨٣
أولاً: قضية حائط البراق وانعكاساتها على صفد ١٨٣
ثانياً: امتداد الاضطرابات إلى صفد، الهجوم على الحي اليهودي ونتائجه ١٨٧
ثالثاً: تأثير الأحداث في سكان المدينة العرب ١٩٢
أ) المجال القضائي ١٩٣
ب) المجال الاجتماعي/ الاقتصادي ١٩٨

ج) المجال السياسي ٢٠١
رابعاً: محاولات تحسين العلاقات بين العرب واليهود في الفترة ١٩٣٠ - ١٩٣٢ ٢٠٤
الفصل التاسع: الحركة الوطنية في الفترة ١٩٣٠ - ١٩٣٩ ٢٠٩
أولاً: جمعية الشبان العرب ٢٠٩
ثانياً: الحركة الوطنية الصفدية في إبان الإضراب والثورة الفلسطينية الكبرى، ١٩٣٦ - ١٩٣٩ ٢١٦
الفصل العاشر: صفد في إبان الحرب العالمية الثانية: حالة الضعف العربي إزاء تصاعد قوة اليهود ٢٢٩
أولاً: موقف السكان من البريطانيين خلال الحرب ٢٢٩
ثانياً: العلاقات العربية - اليهودية من تحسن موقت إلى أزمة ٢٣٣
ثالثاً: تفاقم النزاع بشأن الأراضي ٢٣٥
رابعاً: نشاط صندوق الأمة في قضاء صفد ٢٤٣
خامساً: استعدادات الهاغاناه والنجادة في صفد ٢٤٦
الفصل الحادي عشر: معركة صفد وسقوط المدينة ٢٥٧
أولاً: تأهب الفريقين - بداية الصدامات ٢٦٠
ثانياً: هجمات البلماح على القرى العربية في القضاء ٢٦٤
ثالثاً: قضية الحصار ٢٦٧
رابعاً: موقف البريطانيين ٢٦٩
خامساً: معركة الاستنزاف ٢٧٢
سادساً: قوات الكتيبة الثالثة في مواجهة قوات فوج اليرموك ٢٧٥
سابعاً: مقارنة حجم القوات العربية واليهودية ٢٨٣
ثامناً: هجوم البلماح وهزيمة القوات العربية ٢٨٦
تاسعاً: فرار أم طرد جماعي!! ٢٩١
أ) المرحلة الأولى ٢٩٢
ب) المرحلة الثانية ٢٩٣

ج) المرحلة الثالثة ٢٩٣
خاتمة ٢٩٩
المراجع ٣٠٥
ملاحق ٣٢٥
١ - أسماء بعض القائمقامين ٣٢٧
٢ - أعضاء مجلس إدارة قضاء صفد ٣٢٨
٣ - أعضاء المحكمة النظامية ٣٣٢
٤ - أعضاء دائرة المعارف ٣٣٤
٥ - أعضاء المجلس البلدي ٣٣٦
٦ - صُوَر ووثائق ٣٣٨
فهرست ٣٦١

قائمة الجداول

- تلخيص المبنى الديموغرافي، ١٨٤٠ - ١٩١٨ ..... ١٧
- عدد أفراد الجالية اليهودية في صفد وتركيبتها سنة ١٩١٨ ..... ٣٧
- عضوية المجلس البلدي في صفد في عهد الانتداب ٤٩
- ميزانية المجلس البلدي في صفد، سنوات متعددة ٥٢
- الأعضاء اليهود وسنوات عضويتهم في المجلس البلدي في صفد (١٩٢٧ - ١٩٤٦) ٨٤
- التركيبة الديموغرافية لصفد في عهد الانتداب ٨٥
- توزيع العمل في القطاع اليهودي (١٩١٨/١٩١٩) ٩٦
- توزيع فروع العمل في الوسط اليهودي سنة ١٩٢٩ ..... ٩٧
- توزيع أصحاب المهن اليهود سنة ١٩٤٢ ..... ٩٨
- المصانع الخمسة الكبيرة في صفد سنة ١٩٤٥ ..... ١٠٠
- عدد المواشي في صفد وقضائها ١٠٥
- إنتاج المحاصيل ١٠٥
- إنتاج الفواكه والخضروات ١٠٥
- قبور ومقامات الصالحين في صفد، مواقعها وأوقافها ١٢٩
- أملاك الأوقاف ومداخيلها سنة ١٩٢٦ ..... ١٣١
- المداخيل العامة للوقف في بعض السنوات ١٣٥
- مصروفات أوقاف صفد لسنة ١٩٣٢ ..... ١٣٥
- مصروفات أوقاف صفد في آذار/ مارس ١٩٤١ ..... ١٣٦
- التوزيع الديموغرافي لسكان صفد وقضائها ١٤٣

- التركيبة الدينية لسكان المنطقة القروية في قضاء صفد (١٩٢٢، ١٩٣١، ١٩٤٤) ١٤٥
- قرى ومساحات أراضي العائلات الصفدية في المنطقة القروية ١٤٨
- الأعضاء المشاركون من أبناء صفد في المؤتمرات العربية الفلسطينية ١٧٥
- المبالغ التي قدمت لمنكوبي صفد ٢٠٠
- ملكية الأراضي في قضاء صفد سنة ١٩٤٧ ..... ٢٣٩
- القرى التي بيعت أراضيها كلياً أو جزئياً لليهود في عهد الانتداب، وأسماء البائعين ٢٤١
- أعضاء لجنتي النجادة الأولى والثانية لسنة ١٩٤٦ ..... ٢٤٩
- فروع منظمة النجادة في قضاء صفد والمنطقة المجاورة ٢٥١

شكر وعرفان

يطيب لي أن أتقدم بعظيم شكري وعرفاني لكل من البروفسور بطرس أبو منه والبروفسور جاد غيلبار من قسم تاريخ الشرق الأوسط في جامعة حيفا، اللذين أشرفا على هذه الدراسة في أثناء إعدادها كرسالة دكتوراه، إذ كان لتشجيعهما ودعمهما الفكري والمعنوي الدور الكبير في إنجازها، علماً بأنني أبقى وحدي المسؤول عن مضمون هذا الكتاب.

كما أتقدم بشكري واعترافي بالجميل لكل من السادة فيصل صبحي الخضراء وعدنان علي رضا النحوي وحامد أحمد النحوي، الذين وضعوا وثائق عائلاتهم في تصرفي، الأمر الذي أغنى هذا البحث وأثراه، ولكل الأشخاص الذين قابلتهم سواء في عمّان أو صفد أو القدس، والذين قدموا المعلومات والذكريات عن الأحداث التي عايشوها.

كذلك أسدي شكراً خاصاً لإدارة المركز العربي - اليهودي ولقسم الأبحاث العليا في جامعة حيفا، على ما قدماه من دعم خلال أعوام الدراسة.

كل الشكر للأخ نمر نمر على ترجمته المخطوطة الأصلية من العبرية إلى العربية، وللأخت الزميلة مها قسيس على المساعدة في المراجعة اللغوية.

شكري الجزيل لمؤسسة الدراسات المقدسية ولمديرها الدكتور سليم تماري والعاملين فيها على دعمهم في إصدار هذا البحث باللغة العربية.

وأخيراً أتقدم من زوجتي وأولادي بالشكر والمحبة لتحملهم الكثير في أثناء ترحالي وانقطاعي للكتابة.

مصطفى العباسي

مُقَدِّمَة

صدرت في الأعوام الأخيرة عدة أبحاث تناولت تاريخ المدن الفلسطينية خلال العهدين العثماني والبريطاني. وقد تناولت هذه الأبحاث أساساً المدن المركزية والكبرى، في حين بقي معظم مدن الأقاليم الداخلية خارج دائرة الاهتمام، أو ربما ذُكر بشكل عابر؛ وهو الأمر الذي ينطبق بصورة خاصة على مدينة صفد. وعلى الرغم من الأهمية التاريخية لهذه المدينة ومكانتها الإدارية، كمركز قضاء كبير ومركز تجاري وديني وثقافي للجليل الأعلى، فإنها لم تحظ، وخصوصاً سكانها العرب، بأية دراسة علمية شاملة؛ علماً بأن سكانها العرب كانوا الأكثر عدداً، وكان لهم مركز الصدارة والدور الريادي في المدينة والقضاء. وعليه فقد بقي دوراهم الاجتماعي والسياسي غامضين إلى حد كبير.

فعدا دراستَيْ كل من محمود العابدي («صفد في التاريخ»)، ويسار العسكري («قصة مدينة صفد»)، لم يُكتب شيء عن تاريخ المدينة. وحتى هاتان الدراستان، على أهميتهما، غير كافيتين لإعطائنا صورة واضحة، ولا سيما فيما يتعلق بتطورات فترة الانتداب. كما أن كتب أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني وفترة الانتداب لا تأتي إلى ذكر معظم أعلام صفد، على الرغم من دورهم المهم والبارز في التاريخ الفلسطيني المعاصر، الأمر الذي زاد في الغموض وحتى في الإجحاف بحق هذه المدينة التي كان لها الدور الكبير في التاريخين العربي والإسلامي.

إزاء هذا النقص في الدراسات العربية، هنالك وفرة من الدراسات العبرية التي تمحورت أساساً حول تاريخ الجالية اليهودية والموضوعات المتعلقة بحرب ١٩٤٨ وما أسفرت عنه من انتصار ساحق لليهود. وحتى حين تأتي هذه الدراسات إلى ذكر السكان العرب فهي تذكرهم بصورة عابرة، مع تبنيها طبعاً الرواية الإسرائيلية الرسمية، التي لا تقيم وزناً للرواية التاريخية العربية.

من هنا تنبع خصوصية وأهمية هذه الدراسة، التي تتناول تاريخ صفد الانتدابية من الناحيتين الاجتماعية والسياسية، محاولة سد الفراغ المشار إليه ولو بشكل جزئي. وإنني

على يقين من أنه يجب عمل المزيد، وخصوصاً من جانب الإخوة الباحثين الذين يمكنهم الوصول إلى المصادر التي لم أتمكن من الوصول إليها في الدول العربية، ومقابلة الأشخاص والقادة الذين قاموا بأدوار مهمة خلال تلك الحقبة.

تتألف هذه الدراسة من أحد عشر فصلاً: **الفصل الأول** يتناول بتوسع أحداث أواخر العهد العثماني، خلال الفترة ١٨٤٠ - ١٩١٨، وما جرى في أثنائها من تغيرات مهمة، ولا سيما في حقبة التنظيمات والتطورات الجذرية التي شهدتها المدينة بعد أن كاد يدمرها زلزال ١٨٣٧ تدميراً كاملاً.

يتناول **الفصل الثاني** مبنى وعمل جهاز الإدارة البريطاني، سواء في الألوية أو الأقضية، والتحولات التي طرأت على الإدارة قياساً بالفترة العثمانية، وكيف أثر ذلك في طبقة النخبة التي كانت تتبوأ المناصب الإدارية وتؤدي دور الوسيط الرئيسي خلال العهد العثماني.

ويعالج **الفصل الثالث** المبنى الاجتماعي من جوانبه كافة. فهذا الموضوع لم يحظ بأي اهتمام في دراسات الباحثين الفلسطينيين والإسرائيليين على حد سواء، وذلك على الرغم من وجود قيادات وطنية بارزة وعائلات أعيان مهمة كان لها تأثير ملحوظ، وقامت بأدوار دينية وسياسية لا تقل أهمية عن أدوار عائلات أُخرى في المدن الفلسطينية الكبرى، مثل عائلات قدّورة، والنحوي، والخضراء، وصبح، وعبد الرحيم، وسعد الدين، وشمّا، وغيرها.

أمّا **الفصل الرابع** فيتطرق إلى الجانب الاقتصادي، ومصادر اقتصاد المدينة، والتطورات التي شهدها هذا المجال جرّاء فصل صفد عن ظهيرها الاقتصادي في منطقتي الجولان والجنوب اللبناني، وذلك بعد ترسيم الحدود وتقطيع أوصال المنطقة، وفي المقابل توطيد العلاقات الاقتصادية بالداخل الفلسطيني، واندماج صفد أكثر فأكثر في البنية الاقتصادية والسياسية لفلسطين.

يتناول **الفصل الخامس** الشؤون والحياة الدينية في المدينة من كل جوانبها، كعائلات العلماء التي شغلت المناصب الدينية المتنوعة، والمؤسسات الدينية - بما فيها المساجد والزوايا والأوقاف وأملاكها - فضلاً عن الجمعيات والنوادي الدينية ودورها المتنامي إزاء تراجع دور القيادات الدينية التقليدية.

في **الفصل السادس** تناولت الدراسة طبيعة العلاقات بين صفد وريفها القروي بصورة عامة، وبين الأعيان المدينيين وزعماء المنطقة من المشايخ القرويين والفلاحين بصورة خاصة. والبحث في هذا الموضوع المهم يفسر لنا طبيعة العلاقات المعقدة والمتشعبة بين المدينيين والقرويين في المجال السياسي. فلا يكفي رؤية الصراع على أنه صراع فلسطيني - صهيوني، أو فلسطيني - بريطاني، أو حسيني - نشاشيبي، بل هناك ضرورة لفحص تأثير شبكة العلاقات الاجتماعية والاقتصادية بين المدينة والقرية في المواقف السياسية لمختلف الأطراف، وتأثير هذه المواقف في الحركة الوطنية الفلسطينية عامة.

أمّا في **الفصول من السابع حتى العاشر** فقد تناولت الدراسة النشاط السياسي والعمل الوطني بكل مراحله، بدءاً بالمرحلة التي تلت الحرب العالمية الأولى وانتهاء بفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، مع تتبع التغيرات التي طرأت على هذا النشاط، حين سيطر الشبان من أبناء الطبقة الوسطى، منذ العقد الثاني للانتداب، على النشاط السياسي، مبعدين جانباً القيادة التقليدية التي أخذت مكانتها في التراجع.

كذلك تناول البحث العلاقة بين صفد والحركة الوطنية الفلسطينية عامة، والدور الذي أدته صفد في الحركة الوطنية الفلسطينية، وطبيعة العلاقات بين قادة الحركة الوطنية في المدينة وبين قادتها في المدن الأُخرى، ولا سيما في القدس، وكيفية التواصل بين صفد والقدس في الوقت الذي لم يكن هناك مثل هذه العلاقات في الفترة العثمانية، أو على الأقل لم تكن وثيقة إلى هذا الحد.

تحاول الدراسة أيضاً الإجابة عن قضايا وتساؤلات أُخرى، كقضية تفجّر الأحداث العنيفة سنة ١٩٢٩، ولماذا انبثقت من صفد حركة المقاومة المسلحة الأولى بقيادة أحمد طافش والتي سبقت الحركات الأُخرى في فلسطين؟ ودور صفد وقضائها في إبان ثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩، وغير ذلك من الأمور والنشاطات السياسية.

في **الفصل الحادي عشر**، الأخير، تناولت الدراسة بعمق سير معركة صفد سنة ١٩٤٨ ونتائجها. فكل ما كُتب عن هذه المعركة هو طبقاً للرواية الصهيونية، وطبقاً لوجهة نظر أبناء المدينة من اليهود وقادة الهاغاناه والبلماح الذين شاركوا في المعارك، بينما لم تحظ الرواية العربية حتى الآن بالاهتمام الكافي. في دراستي أطرح الروايتين، أقارن بينهما، وأفحص صدقية كل منهما معتمداً على وثائق قادة البلماح وشهاداتهم، وعلى وثائق وشهادات جيش الإنقاذ الموجودة في الأرشيفات الإسرائيلية، والتي لم

يتطرق إليها أحد من الباحثين حتى يومنا هذا.

عليّ أن أشير إلى أن كتابة هذه الدراسة لم تكن بالمهمة السهلة، ولا سيما فيما يتعلق بالسكان العرب؛ ذلك بأن ثمة مصادر أساسية، مثل سجلات المحكمة الشرعية وأرشيف المجلس البلدي، غير موجودة. وكي أعوض عن نقص هذين المصدرين كان عليّ الوصول إلى مصادر أُخرى لا تقل أهمية عنهما.

اعتمدت في كتابتي على مصادر أولية منوعة، ابتداء من أرشيف دولة إسرائيل في القدس الذي يشمل مواد كثيرة في عدة أقسام، وبصورة خاصة الأقسام ٢، ١٨، ٢٧، ٤٩، ٦٥. وهي تضم مئات الملفات ومواد كثيرة عن مؤسسات ودوائر الحكم البريطاني في الجليل وصفد، بما فيها المكاتبات بينها وبين المركز في القدس، التي تلقي الضوء على مجريات الأمور الحياتية اليومية.

كذلك وجدت مواد أولية أُخرى مهمة في الأرشيف الصهيوني المركزي في القدس، وخصوصاً في القسم السياسي س٢٥، والسكرتارية العامة س٣٠، وقسم العمل س٩، وقسم الاستيطان س٥٣، وملفات الصندوق القومي اليهودي، المكتب الرئيسي ك.ك.ل.٥، وفي فرع مكتب الجليل - طبرية ك.ك.ل.٩، وفي قسم الاستيطان اليهودي في البلد ج١٠، ج١٧، ج١. هذا بالإضافة إلى قسم الأوراق الشخصية لبعض أبرز قادة الحركة الصهيونية.

استعنت أيضاً بمادة أرشيف الهاغاناه في تل أبيب، وتحديداً تقارير قسم الاستخبارات (شيروت هيديعوت) التي تتعلق بالعائلات الصفدية العربية وشخصيات كثيرة من صفد وقضائها ابتداء من سنة ١٩٤٢.

نوع آخر من المواد موجود في هذا الأرشيف هو الشهادات الشخصية وسجلات مذكرات قادة وضباط الهاغاناه الكبار، الذين شاركوا في معارك صفد. هذه المواد مكّنت من فهم ومعرفة أعمق لأحداث المدينة منذ الأربعينيات.

كذلك اعتمدت في دراستي على أرشيف «جيش الدفاع الإسرائيلي» (تساهل) وجهاز الأمن، الموجود في مدينة غفعتايم، والذي يشمل مواد متنوعة ومتعددة عن حرب ١٩٤٨. وقد ساعدتني هذه المواد الأولية، التي تضم تدويناً لسير المعارك يوماً بعد يوم، في فهم التطورات المتعلقة بمعركة صفد وما آلت إليه منذ قرار التقسيم حتى احتلال اليهود لها في ١٠ أيار/مايو ١٩٤٨.

إضافة إلى الأرشيفات الأربعة أعلاه، استعنت بمواد الأرشيف الموجود في مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية في القدس الشرقية. ويضم هذا الأرشيف جزءاً مهماً من أوراق المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى؛ وهو ما أثرى هذه الدراسة بكل ما يتعلق بالناحية الدينية الإسلامية في المدينة، وبصورة خاصة في الأماكن المقدسة، من مساجد وزوايا وأملاك وموظفي الوقف وإدارته عامة.

إضافة إلى ذلك، استعنت بمواد أرشيفية أُخرى تتعلق بموضوع الوقف الإسلامي في الجليل موجودة في نابلس، وتحمل اسم «ملفات دائرة أوقاف الشمال»، وهي غنية بالمواد التوثيقية التي لم تُستخدم من قبل.

كذلك يضم أرشيف جمعية الدراسات العربية في القدس الشرقية وثائق كثيرة تتعلق بنشاط الهيئة العربية العليا والمجلس الشرعي الإسلامي الأعلى، وقد اعتمدت عليه في كل ما يمت إلى علاقة القيادات الصفدية بمفتي فلسطين، الحاج أمين الحسيني.

مصدر آخر مهم ومركزي هو الأرشيف البريطاني في لندن، Public Record Office (P.R.O.)، الذي يضم مواد كثيرة وغنية بأقسامه المتعددة، ولا سيما وزارة المستعمرات (Colonial Office) ووزارة الخارجية (Foreign Office). وهذه المادة مهمة ومكملة للمادة المتوفرة في البلد. ومن المهم أن أشير إلى أن المعطيات الإحصائية البريطانية المتوفرة في الكتاب الفلسطيني الأزرق (Palestine Blue Book) أكملت وأضاءت كثيراً من النقاط. كذلك أفادتني التقارير نصف الشهرية لحاكم لواء الشمال (Fortnightly Report) في تفهم التطورات من وجهة نظر بريطانية، وليس فقط يهودية أو عربية.

بالإضافة إلى الأرشيفات الرئيسية، اعتمدت على الأرشيف الخاص بصبحي بك الخضراء، الزعيم الصفدي البارز والنشيط في الحركة الوطنية الفلسطينية. وهذا الأرشيف موجود في بيت العائلة في عمّان، ويضم مواد أولية متنوعة عن صفد الانتدابية، وعلى الخصوص المراسلات بين زعماء المدينة والزعامة المقدسية، إضافة إلى وثائق متعددة تتعلق بالحركة الوطنية الفلسطينية عامة. كذلك أطلعتني عائلة النحوي على وثائقها المتعلقة بدور العائلة وزعيمها البارز علي رضا النحوي. وقد أثرى هذان المصدران الدراسة، وأكملا كثيراً من الموضوعات المتوفرة في المصادر الإسرائيلية والبريطانية والعربية.

في إطار الأرشيفات العائلية، نجحت في الوصول إلى وثائق عائلة عبّو اليهودية

المعروفة. وهذه الوثائق محفوظة في بيت العائلة في صفد، وتضم مواد باللغة العربية وملفات مختلف الروابط والجمعيات والأندية التي نشطت في المدينة منذ سنة ١٩٣٣. كما اعتمدت على أرشيف مستعمرة روش بينا (الجاعونة)، الغني بشهادات ووثائق تتعلق بالسكان اليهود والمناطق العربية المجاورة.

كذلك استعنت، بشكل موسع، بالصحف والمجلات العثمانية والفلسطينية في تلك الفترة، مثل «ثمرات الفنون» و«الكرمل» و«فلسطين» و«الدفاع» و«مرآة الشرق» و«المشرق»، وأيضاً بصحف عبرية من تلك الفترة. هذا بالإضافة إلى السالنامات الخاصة بولايتي سوريا وبيروت، وبأدب الرحالة وكتابات المبشرين المسيحيين ومصادر ثانوية كثيرة كما يظهر ذلك ضمن الدراسة.

وكما هو واضح، فإن بحثي يتناول صفد في العهد الانتدابي. لكن كي يتسنى لي فهم فترة الانتداب كان عليّ أن أبدأ من منتصف القرن التاسع عشر، ولهذا اخترت سنة ١٨٤٠ التي انتهى بها الاحتلال المصري وعاد الحكم العثماني مجدداً، إذ بدأت مرحلة انتعاش ونهضة في المدينة بعد الهزة الأرضية المدمرة التي ضربتها سنة ١٨٣٧.

مصطفى العباسي
آذار/ مارس ٢٠٠٥

الفصل الأول
صفد في أواخر العهد العثماني
١٨٤٠ - ١٩١٨

أولاً: تحولات في مكانة صفد الإدارية

منذ الفتح العثماني لبلاد الشام سنة ١٥١٦ حتى سنة ١٦٦٠، كانت صفد مركز سنجق تابع لولاية دمشق،(١) لكن عند إقامة ولاية صيدا سنة ١٦٦٠ ضُم سنجق صفد إليها.(٢) إلاّ إن مكانة صفد تراجعت مع مرور الزمن لتصبح مركز قضاء، في حين أصبحت مدينة عكا مركز السنجق. ويبدو أن تراجع مكانة صفد الإدارية جاء على خلفية تحسن وضع عكا بعد سنة ١٧٤٥، حين سيطر عليها الشيخ ظاهر العمر الزيداني، وحصل مع بداية النصف الثاني من سنة ١٨٤٦ على التزام جباية ضريبتها من والي صيدا وأعاد إعمارها وتحصينها، ومن ثم انتقل إليها واتخذها قاعدة لحكمه الذي شمل منطقة الجليل كلها.(٣)

منذ ذلك الوقت أخذت عكا تنتعش بصورة لم تعهدها من قبل، فازداد عدد سكانها، وشهدت قطاعات الاقتصاد والتجارة والعمران تطوراً ملحوظاً. حتى إن الحركة التجارية فيها فاقت نظيرتها في مركز الولاية في مدينة صيدا، وذلك بفضل الأمن والاستقرار اللذين وفرهما الشيخ ظاهر العمر في المنطقة. يُذكر أنه في عهد الوالي أحمد باشا الجزار (١٧٧٦ ـ ١٨٠٤) ازدهرت عكا أكثر فأكثر، إذ حولها إلى

(١) Rhode Harold, *The Administration and Population of the Sançak of Safad in the 16th Century* (Columbia: Columbia University Press, 1979), pp. 16-24;
عبد الكريم رافق، «العرب والعثمانيون، ١٥١٦ ـ ١٩١٦» (عكا: دار الأسوار، ١٩٨٧)، ص ٩٥؛ محمد عدنان البخيت، «دفتر مفصّل خاص أمير لواء الشام [طابو دفتري ٢٧٥] سنة هجري ٩٥٨هـ موافق ميلادي ١٥٥١م» (عمان: الجامعة الأردنية، ١٩٨٩)، ص ١٥؛
Evliya Tshelebi, *Travels in Palestine: 1648-1650*, Translated from Turkish by St. H. Stephan (Jerusalem: n. p., 1980), p. 18.

(٢) Amnon Cohen, *Palestine in the 18th Century: Patterns of Government and Administration* (Jerusalem: The Magnes Press, The Hebrew University, 1973), p. 120.

(٣) Ibid., p. 130.

مركز سياسي وإداري مهم مُفضلاً إياها على صيدا. كما أن خليفتيه في الحكم، الواليين سليمان باشا العادل (١٨٠٤ ـ ١٨١٩) وعبد الله باشا (١٨١٩ ـ ١٨٣١)، استمرا في الإقامة بعكا، وساهما في الحفاظ على مكانتها.(٤)

جذبت عكا المزدهرة معظم النشاط الاقتصادي إليها، بينما بقيت صفد مركز قضاء متواضعاً، أضف إلى ذلك أن الكوارث الطبيعية ألحقت بها أضراراً وخيمة.

في سنة ١٧٨٥، زار الرحالة فولني المدينة فوصفها قائلاً: «حطمت الهزة الأرضية سنة ١٧٥٩ كل شيء وصفد.... ما هي إلاّ قرية شبه متروكة تماماً.»(٥) لا شك في أن المدينة تضررت جرّاء تلك الهزة، إلاّ إن وصف فولني هذا لا يخلو من المبالغة؛ فمن غير المعقول أن تكون صفد تراجعت إلى هذا الحد.

بقيت صفد على هذه الحالة من الجمود وعدم التطور حتى بداية عهد التنظيمات في أواسط القرن التاسع عشر (١٨٣٩ ـ ١٨٧٦)، حين طرأ كثير من التغيرات الديموغرافية والاقتصادية والإدارية، الأمر الذي أدى في نهاية المطاف إلى نهضة مجددة، متدرجة لكن متواصلة.(٦)

من التغيرات المهمة التي حدثت في عهد التنظيمات نشير إلى قانون الولايات، الذي صدر في ٨ تشرين الثاني/نوفمبر ١٨٦٤، وأُعيد بموجبه التنظيم الإداري للولايات، كما حُددت مجدداً مهمات الولاة والمسؤولين في مراتب السلطة كافة. فقد قُسّمت الولايات إلى ألوية، ترأس كلاً منها متصرف. أمّا الألوية فقُسّمت إلى أقضية، ترأس كلاً منها قائمقام، في حين قُسّمت الأقضية إلى نواح، ترأس كلاً منها مدير الناحية.(٧)

---

(٤) Thomas Philipp, *Acre: The Rise and Fall of a Palestinian City, 1730-1831* (New York: Columbia University Press, 2002); Cohen, op. cit., pp. 133-134;
فولني، «رحلة إلى مصر وسورية»، ترجمه أهرون أمير من الفرنسية إلى العبرية (القدس: مطبعة ياد بن ـ تسفي، ١٩٩٦)، ص ١٨٢؛ إبراهيم العورة، «تاريخ ولاية سليمان باشا العادل» (لبنان، صيدا: مطبعة دير المخلص، ١٩٣٦)، ص ٤٧٤ ـ ٤٧٥.

(٥) فولني، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٨ ـ ١٩٩.

(٦) «Safad,» *The Encyclopaedia of Islam*, new ed. (Leiden: Brill, 1995), vol. VIII, p. 758.

(٧) نوفل نعمة الله نوفل (مترجم)، «الدستور العثماني: مجموعة التنظيمات العثمانية» (بيروت: المطبعة الأدبية، ١٣٠١هـ)، ج ١، ص ٣٨٢؛ عبد العزيز عوض، «الإدارة العثمانية في ولاية سورية، ١٨٦٤ ـ ١٩١٨» (القاهرة: مطبعة المعارف، ١٩٦٥)، ص ٦٧؛
CO 733/227/16, On the Administration of Palestine before the British Occupation, p. 1.

ووفقاً لقانون الولايات المشار إليه، ضُمت ولاية صيدا بكاملها إلى ولاية الشام التي أصبحت تُعرف منذ ذلك التاريخ باسم ولاية سوريا. وهكذا أصبحت صفد وقضاؤها جزءاً من الولاية الجديدة.

في سنة ١٨٧١، ضم قضاء صفد ناحيتين إضافة إلى المدينة، هما ناحية الجيرة وناحية الجبل. وقد شملت الناحية الأولى القرى المجاورة للمدينة، ومن هنا جاء اسمها، بينما شملت الثانية القرى الأبعد، المحيطة بجبل الجرمق غربي صفد.(٨)

في كانون الأول/ديسمبر ١٨٨٧، قرر الباب العالي فصل خمسة سناجق عن ولاية سوريا، وهي سناجق اللاذقية وطرابلس وبيروت وعكا ونابلس، وإقامة ولاية جديدة هي ولاية بيروت، وطُبّق هذا القرار في آذار/مارس ١٨٨٨. مع هذا التغيير أصبح سنجق عكا، الذي ضم أقضية صفد وطبرية والناصرة وعكا وحيفا، جزءاً من ولاية بيروت. وقد استمر هذا المبنى الإداري، الذي خضعت بموجبه صفد لولاية بيروت، حتى نهاية الحكم العثماني سنة ١٩١٨.(٩)

يشار هنا إلى أن تطبيق قانون الولايات تمخض عن إنشاء مبنى إداري مركزي منظم وثابت أدى إلى تعزيز مكانة مدن الألوية والأقضية معاً. وبالنسبة إلى صفد، كان التغيير ملموساً، وترافق مع زيادة سكانية وانتعاش اقتصادي ملحوظ. هذه العوامل جميعها أعادت إلى المدينة مكانتها وتأثيرها في الجليل الأعلى بعد فترة طويلة من الركود والضعف.

---

(٨) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٢٨٨هـ/١٨٧١م، ص ٢٤٧ ـ ٢٤٩.
وفقاً لسالنامة ولاية بيروت لعام ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م، ص ٢٠٠، ضم قضاء صفد بناحيتيه ٤٩ قرية موزعة على النحو التالي:
ناحية الجبل ضمت قرى: ترشيحا؛ الكابري؛ أم الفرج؛ البقيعة؛ سحماتا؛ دير القاسي؛ فسوطة؛ حرفيش؛ سعسع؛ بيت جن؛ كفر سميع؛ معليا؛ جعتون. ناحية الجيرة ضمت قرى: عين الزيتون؛ الظاهرية التحتا؛ عكبره؛ الرأس الأحمر؛ فارة؛ بيريا؛ السموعي؛ ميرون؛ ميرون الجسر؛ الصفصاف؛ كفر برعم؛ دلاتا؛ طيطبا؛ قباعة؛ مغر الخيط؛ فرعم؛ الجاعونة؛ علما؛ الجش؛ قديتا؛ خربة قطنة؛ خربة ماروطية (ماروس)؛ السواعد؛ ريحانية؛ زبيد؛ السمايرة؛ ديشوم؛ عموقة؛ خان المنية؛ طوبى؛ الظاهرية الفوقا؛ العقيبة؛ الحقاب؛ خربة سيادة؛ الطابغة؛ الشيخ كويس.

(٩) Butrus Abu-Manneh, «The Establishment and Dismantling of the Province of Syria, 1865-1888,» in John P. Spagnolo, ed., *Problems of the Modern Middle East in Historical Perspective* (Reading, England: Ithaca Press, 1992), pp. 11-24;
عوض، مصدر سبق ذكره، ص ٧٠ ـ ٧٢.

أ) مؤسسات الإدارة العثمانية

كانت المؤسسات الإدارية التي عملت في مدينة صفد منذ قانون الولايات لعام ١٨٦٤ حتى نهاية الحكم العثماني على النحو التالي:

١ ـ القائمقامية:

وهي الجسم الإداري الأهم في القضاء، ترأسه القائمقام وبعض الموظفين الكبار الذين سُمّوا مأموري القضاء. عُيّن القائمقام من جانب المتصرف الذي كان يقيم بعكا، وتضمنت صلاحياته إدارة أمور القضاء الإدارية والمالية، ورعاية الأمن الداخلي، وكان تابعاً لمركز اللواء في عكا ومسؤولاً أمام المتصرف في أموره كافة. وكان عليه تطبيق تعليمات السلطة الواردة من الألوية. كما كان عليه، وفقاً للمادة ٤٤ من قانون الولايات، أن يجبي مداخيل الدولة ويحولها إلى مركز اللواء.[١٠] إضافة إلى ذلك، وبناء على المادتين ٤٦ و٤٩ من القانون نفسه، فإن القائمقام يترأس مجلس إدارة القضاء ودائرة المعارف، وتخضع لسلطته قوات الشرطة الموجودة في القضاء والمعروفة بالضابطية، والتي له الحق في استخدامها وفقاً لتعليمات المتصرف.[١١]

وبحسب المادة ٤٤ من قانون الولايات المعدل لعام ١٨٧١، مُنح القائمقام صلاحية تعيين مديري النواحي في منطقة قضائه بعد استئذان المتصرف في ذلك.[١٢]

بالإضافة إلى القائمقام، عمل في المدينة بعض الموظفين المحليين الكبار، وقد عُرفوا بمأموري القضاء، وهم: وكيل القائمقام، ومدير المال، وأمين الصندوق، ومدير التحريرات،[١٣] كما كان النائب (القاضي الشرعي المحلي) ضمن قائمة مأموري القضاء، وقد أدرج اسمه بعد اسم وكيل القائمقام دلالة على مكانته الرفيعة.[١٤] (راجع ملحق رقم ١: أسماء بعض القائمقامين).

٢ ـ مجلس إدارة القضاء:

وهو الجسم الثاني من حيث أهميته بعد دائرة القائمقامية. وكانت البداية العملية لإقامة هذا النوع من المجالس بعد إصدار فرمان الإصلاح الضريبي لعام ١٨٤٠، حين قرر الباب العالي إقامة مجالس على مستويين: الأول في مراكز السناجق ويتألف من

(١٠) نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٣٨٩؛ عوض، مصدر سبق ذكره، ص ٩٨.
(١١) نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٣٨٩.
(١٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٠٧؛ عوض، مصدر سبق ذكره، ص ٩٨.
(١٣) نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٣٨٩ ـ ٣٩٠.
(١٤) سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م، ص ٣٠٨.

ثلاثة عشر عضواً، والثاني في مراكز الأقضية ويتألف من خمسة أعضاء.[١٥] سُميت المجالس التي أُقيمت في مراكز السناجق المجالس الكبيرة (Büyük Meclis)، بينما عُرفت المجالس المقامة في مراكز الأقضية باسم المجالس الصغيرة (Küçük Meclis). وقد ضمت عضوية المجلس آنذاك كلاً من النائب (القاضي الشرعي)، والمسؤول الأمني، ومحصّل الضرائب، واثنين من الأعيان المحليين. وعند وجود مسيحيين ضمن سكان القضاء، كان أحد المعينين مسيحياً.[١٦]

بموجب قانون الولايات لعام ١٨٦٤، ترأس القائمقام مجلس إدارة القضاء، وبحسب المادة ٤٧ تقرر أن يكون عدد أعضاء المجلس ما بين سبعة وتسعة أعضاء، ينتخب بعضهم من السكان ويُعيَّن الباقون انطلاقاً من مناصبهم ومكانتهم الرفيعة، وهم: النائب، والمفتي، ومدير المال، والكاتب الرئيسي، والزعماء الدينيون من غير المسلمين.[١٧]

نشير إلى أنه تعين على المنتخَبين لعضوية مجلس إدارة القضاء أن يكونوا من رعايا الدولة العثمانية الذين بلغوا من العمر ثلاثين عاماً، وممن يدفعون الضرائب بمقدار ١٥٠ قرشاً سنوياً على الأقل.[١٨]

كانت جلسات المجلس تُعقد مرتين أو ثلاث مرات أسبوعياً برئاسة القائمقام. وشملت صلاحياته مجموعة من الأمور الإدارية والمدنية، وهي: فحص وتدقيق إيرادات القضاء ومصاريفه؛ مراجعة حسابات الصناديق العمومية؛ إدارة أموال الحكومة وأملاكها المنقولة وغير المنقولة والمحافظة عليها؛ توزيع الضرائب التي أقرها مجلس إدارة اللواء على مركز القضاء والقرى؛ مراقبة الصحة العامة؛ شق وتمهيد طرق بين القرى؛ مراقبة أمور البيع والعطاءات والمبايعات والمزايدات الحكومية التابعة

(١٥) Roderic H. Davison, «The Advent of the Principle of Representation in the Government of the Ottoman Empire,» in W. R. Polk and R. L. Chambers, eds., *Beginnings of Modernization in the Middle East* (Chicago, Ill.: University of Chicago Press, 1968), pp. 93-108; Moshe Ma'oz, *Ottoman Reform in Syria and Palestine, 1840-1861: The Impact of the Tanzimat on Politics and Society* (Oxford: Clarendon Press, 1968), pp. 89-92.

(١٦) H. Inalcik, «Application of the Tanzimat and its Social Effects,» in H. Inalcik, ed., *The Ottoman Empire: Conquest, Organization and Economy* (London: Variorum Reprints, 1978), pp. 6-7.

(١٧) نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٣٨٩؛ سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١١ ـ ١٣١٢هـ/ ١٨٩٣ ـ ١٨٩٤م، ص ١٨٣.

(١٨) نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٣٩٢ ـ ٣٩٣؛ عوض، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٤ ـ ١٠٥؛ CO 733/227/16, On the Administration of Palestine before the British Occupation, pp. 1-2.

لصلاحيات القائمقام؛ مراقبة أسعار المنتوجات الزراعية وتسجيل الأراضي.[١٩] (راجع ملحق رقم ٢: أعضاء مجلس إدارة قضاء صفد).

٣ ـ المحكمة النظامية:

بما أن صفد كانت مركز قضاء، فقد أقيمت فيها محكمة نظامية بالإضافة إلى المحكمة الشرعية. في البداية، ترأس المحكمة النظامية القاضي الشرعي، وكان يساعده مجلس عُرِف باسم مجلس دعاوى، يكون أعضاؤه من أعيان المدينة من مختلف الطوائف، وقد أُطلق عليهم اسم «المميزون».

كانت المحكمة النظامية تنظر في الموضوعات المدنية والإدارية التي سمّاها الدستور العثماني «الدعاوى التي تُفصل وتحسم قانوناً ونظاماً.» أمّا الموضوعات المتعلقة بالأحوال الشخصية والشرعية فبقيت ضمن صلاحية المحكمة الشرعية فقط، كما أن الموضوعات الدينية للمسيحيين واليهود كانت تبتها القيادة الروحية لكل من الطائفتين.[٢٠] (راجع ملحق رقم ٣: أعضاء المحكمة النظامية).

٤ ـ دائرة المعارف:

وهي من الدوائر المهمة في المدينة، ويشهد على ذلك تولي أعيان المدينة إدارتها. في البداية ترأسها النائب، وفي نهاية الفترة العثمانية ترأسها القائمقام. وبالإضافة إلى المفتي كان بعض أعضائها من المدرسين ورجال التربية والتعليم في المدينة. وما إنشاء هذه الدائرة إلاّ دليل على تزايد الاهتمام بالتربية والتعليم وإنشاء المدارس، فقد كان في المدينة عدة مدارس نذكر منها: مدرسة الجامع الأحمر؛ مدرسة الإرسالية الإسكتلندية المعروفة باسم مدرسة «سمبل»؛ مدرسة البنات؛ مدرسة الزاوية الابتدائية؛ مدرسة صفد الثانوية الحكومية. (راجع ملحق رقم ٤: أعضاء دائرة المعارف).

٥ ـ المجلس البلدي:

ورد موضوع تأسيس المجالس البلدية في قانون الولايات المعدل لعام ١٨٧١، حين تقرر إقامة مجالس بلدية في كل المدن التي تشكل مراكز أقضية، أو ألوية، أو

(١٩) نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٤١٥؛ عوض، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٤؛ Inalcik, op. cit., p. 7; Ma'oz, op. cit., pp. 93-95.

(٢٠) سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١١ ـ ١٣١٢هـ/ ١٨٩٣ ـ ١٨٩٤م، ص ١٨٣؛ نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٣٩٠.

ولايات. وتقرر أن يتألف المجلس البلدي من الرئيس، والمساعد، وستة أعضاء ينتخبون من العلماء والتجار وأصحاب الأملاك والأراضي، إضافة إلى كادر من الموظفين الكبار كطبيب ومهندس.

تأسس أول مجلس بلدي في صفد سنة ١٨٧٨،[٢١] وشملت مهماته الأساسية مراقبة مشاريع البناء والتطوير، والمياه، والمرور، والنقل، والنظافة، ومراقبة الأسواق والأسعار. وقد مول المجلس البلدي نفقاته من الأموال التي تحولها الحكومة، ومن الرسوم والضرائب التي جبيت من الجمهور لقاء خدمات متنوعة. وكان على المجلس أن يلتئم مرتين أسبوعياً على الأقل. وقد اشتُرط أن يكون العضو المنتخب للمجلس البلدي قد بلغ من العمر ٢٠ عاماً وما فوق، وذا سلوك حسن.[٢٢] (راجع ملحق رقم ٥: أعضاء المجلس البلدي).

ب) العائلات البارزة في عهد التنظيمات ودورها

من خلال دراسة عضوية الهيئات الإدارية الأربع المشار إليها، وهي مجلس إدارة القضاء، والمحكمة النظامية، ودائرة المعارف، والمجلس البلدي، تبين أن عدد العائلات التي أدارت شؤون المدينة وسيطرت على المناصب والوظائف المهمة في هذه المرحلة كان محدوداً. فمن **الطائفة الإسلامية** برزت ثماني عائلات:

الأولى هي عائلة النحوي، التي ظهر منها في هذه المرحلة أربعة علماء كبار. الأول هو الشيخ عبد الغني النحوي الذي شغل منصب قاضي صفد الشرعي في أثناء الحكم المصري، لكن مع نشوب ثورة ١٨٣٤ تم إقصاؤه مع بعض وجهاء المدينة، فنقلوا جميعاً إلى مصر حيث لبثوا عدة أعوام قبل أن يسمح لهم بالعودة.[٢٣]

الثاني هو الشيخ محمد النحوي الذي شغل أيضاً منصب قاضي صفد الشرعي ورئيس المحكمة النظامية في الفترة ١٨٨١ ـ ١٨٨٢، وبحكم منصبه كقاضي صفد الشرعي كان عضواً في مجلس إدارة القضاء.[٢٤]

الثالث هو الشيخ سعيد أفندي النحوي، وكان نائباً في مدينة صيدا، ثم عُيّن سنة

(٢١) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م، ص ٩٦.

(٢٢) نوفل، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٤١٨ ـ ٤١٩؛ عوض، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٩ ـ ١١٠؛ سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١١ ـ ١٣١٢هـ/ ١٨٩٣ ـ ١٨٩٤م، ص ١٨٤.

(٢٣) أسد رستم، «حروب إبراهيم باشا المصري في سوريا والأناضول» (بيروت: المكتبة البولسية، ١٩٨٦)، ص ٦٧؛ أحمد سامح الخالدي، «أهل العلم بين مصر وفلسطين» (القدس: المطبعة العصرية، لا تاريخ)، ص ٣٨.

(٢٤) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٢٩٨هـ/ ١٨٨٠م، ص ٢٠٠ ـ ٢٠١.

١٩٠٤ نائباً لمدينة عجلون في شرق الأردن.[٢٥]

الرابع هو الشيخ حسن النحوي، أبرز أعيان المدينة في أواخر العهد العثماني، ترأس المجلس البلدي فترة طويلة خلال ١٨٧٨ ـ ١٨٨٦، وعاد فترأسه بين سنة ١٩٠٠ وسنة ١٩٠٤، كما شغل منصب الإفتاء في صفد خلال الفترة ١٩٠٤ ـ ١٩٠٨.[٢٦]

أمّا العائلة الثانية فعائلة القاضي. وهي أسرة علماء معروفة، برز منها المفتي الشيخ عبد الكريم القاضي الذي شغل هذا المنصب خلال الفترة ١٨٧٦ ـ ١٨٨٦، وبحكم منصبه كان عضواً في مجلس إدارة القضاء في تلك الفترة.[٢٧]

العائلة الثالثة هي عائلة المفتي. وهي أيضاً عائلة علماء معروفة، برز منها الشيخ سليم المفتي الذي تولى الإفتاء بين سنة ١٨٩٣ وسنة ١٩٠٠،[٢٨] إضافة إلى كونه عضواً في مجلس إدارة القضاء وعضواً في دائرة المعارف.[٢٩]

العائلة الرابعة هي عائلة قدّورة، وهي من أبرز عائلات صفد وأكثرها نفوذاً. برز منها، في أواخر العهد العثماني، ثلاث شخصيات مرموقة، أولها الحاج ياسين آغا حسن قدّورة، الذي يرجع له الفضل في وصول أبناء العائلة إلى مراكز القوى المهمة في المدينة. كان الحاج ياسين عضو مجلس إدارة القضاء لأعوام طويلة، وبناء على السالنامات المتوفرة، وكما هو مبين في الملاحق، فقد شغل هذا المنصب بين سنة ١٨٦٨ وسنة ١٨٨٦، ولا ندري إذا كان شغل هذا المنصب قبل هذا التاريخ أو بعده،

(٢٥) «ثمرات الفنون»، ١٢/٩/١٩٠٤.

(٢٦) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٢٩٢هـ/١٨٧٥م، ص ١٠١، ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م، ص ١٩٦، ١٢٩٨هـ/١٨٨٠م، ص ٢٠١، ١٢٩٩هـ/١٨٨١م، ص ٢١٩، ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م، ص ٢١٦، ١٣٠١هـ/١٨٨٣م، ص ١٧٠، ١٣٠٢هـ/١٨٨٤م، ص ١٥٩، ١٣٠٣هـ/١٨٨٥م، ص ١٤١، ١٣٠٤هـ/١٨٨٦م، ص ١٥٩؛
سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٨هـ/١٩٠٠م، ص ٣٠٥، ١٣١٩هـ/١٩٠١م، ص ١٥٩، ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م، ص ٢٩٣.

(٢٧) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٢٩٨هـ/١٨٨٠م، ص ٢٠٠، ١٢٩٩هـ/١٨٨١م، ص ٢١٩، ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م، ص ٢١٥، ١٣٠١هـ/١٨٨٣م، ص ١٧٠، ١٣٠٢هـ/١٨٨٤م، ص ١٥٨، ١٣٠٣هـ/١٨٨٥م، ص ١٤١، ١٣٠٤هـ/١٨٨٦م، ص ١٥٨.

(٢٨) سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١١ ـ ١٣١٢هـ/١٨٩٣ ـ ١٨٩٤م، ص ١٨٣، ١٣١٨هـ/١٩٠٠م، ص ٣٠٨؛ «ثمرات الفنون»، ٣/٧/١٩٠٠، ٣/١٢/١٩٠٠.

(٢٩) سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/١٨٩٣م، ص ١٨٣، ١٣١٨هـ/١٩٠٠م، ص ٣٠٨، ٣١٠.

إلاّ إنه في سالنامة ولاية بيروت لعام ١٨٩٣ ـ ١٨٩٤ لم يظهر اسمه، وبدلاً من ذلك ظهر في سالنامة ولاية بيروت لعام ١٩٠٠ اسم قريبه الحاج يوسف قدّورة، الذي تولى زعامة الأسرة من بعده، والذي كان أيضاً من أبرز شخصيات صفد قاطبة، إذ كان عضواً في كل من مجلس إدارة القضاء والمحكمة النظامية لعدة أعوام.[٣٠]

إضافة إلى الحاج يوسف قدّورة، برز ابنه محمد الحاج يوسف قدّورة. وعلى غرار والده كان محمد عضو مجلس إدارة القضاء خلال الفترة ١٩٠٦ ـ ١٩٠٨، وعضو المحكمة النظامية لأعوام كثيرة.[٣١] وكان يكنى بالوجيه الأمثل محمد أفندي يوسف أحد أعيان صفد.[٣٢]

العائلة الخامسة هي عائلة صبح، وكانت تعتبر من عائلات الأعيان الكبار وقدامى الملاّك، ذُكرت في الدفتر المفصّل لولاية دمشق في سنة ١٥٥١. كذلك ذُكرت في عهد الحكم المصري، إذ ورد اسم زعيم العائلة محمد صالح صبح العلي ضمن قائمة أعيان صفد الذين نفاهم إبراهيم باشا بمساعدة الأمير بشير الشهابي بعد ثورة ١٨٣٤.[٣٣]

في الوثيقة الأصلية التي أوردتها صحيفة «فلسطين» والتي تتطرق إلى ثورة ١٨٣٤، يظهر اسم محمد صبح مع لقب شيخ صفد،[٣٤] ولا ندري تماماً ماذا يقصد بهذا اللقب، إلاّ إن الأمر يدل على مكانته البارزة، كما أن حفيده محمد كان من أعيان المدينة، فقد شغل في الفترة ١٨٨٠ ـ ١٨٨٥ عضوية المحكمة النظامية، وفي سنة ١٨٨٥ عضوية دائرة المعارف كما هو مبين في الملاحق. ومن المعلومات المتوفرة في سالنامة ولاية بيروت لعام ١٨٩٣ ـ ١٨٩٤، يتضح أن الحفيد محمد نجح

(٣٠) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٢٨٨هـ/١٨٧١م، ص ٧٩، ١٢٩٨هـ/١٨٨٠م، ص ٢٠٠، ١٢٩٩هـ/١٨٨١م، ص ٢١٩، ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م، ص ٢١٥، ١٣٠١هـ/١٨٨٣م، ص ١٧٠، ١٣٠٢هـ/١٨٨٤م، ص ١٥٨، ١٣٠٣هـ/١٨٨٥م، ص ١٤١، ١٣٠٤هـ/١٨٨٦م، ص ١٥٨؛
سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٨هـ/١٩٠٠م، ص ٣٠٨.

(٣١) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٢٩٨هـ/١٨٨٠م، ص ٢٠١؛ ١٢٩٩هـ/١٨٨١م، ص ٢١٩، ١٣٠١هـ/١٨٨٣م، ص ١٧٠، ١٣٠٢هـ/١٨٨٤م، ص ١٥٨، ١٣٠٣هـ/١٨٨٥م، ص ١٤١، ١٣٠٤هـ/١٨٨٦م، ص ١٥٩.

(٣٢) «ثمرات الفنون»، ٣/١٢/١٩٠٠.

(٣٣) البخيت، مصدر سبق ذكره، ص ١٢؛ رستم، مصدر سبق ذكره، ص ٦٧؛ أسد رستم، «المحفوظات الملكية المصرية» (بيروت: المكتبة البولسية، ١٩٨٦)، ج ٢، ص ٤٣.

(٣٤) «فلسطين»، ٢٥/٤/١٩٣٨.

في الوصول إلى رئاسة المجلس البلدي في صفد خلال ١٨٩٣ ـ ١٨٩٤ بدلاً من الشيخ حسن النحوي الذي ترأس المجلس البلدي فترة طويلة، كما سبق أن أشرنا.[٣٥]

بعد محمد صبح برز طالب آغا صبح، ومن ثم ابنه نايف صبح الذي ترأس المجلس البلدي في نهاية العهد العثماني وبداية عهد الانتداب.

العائلة السادسة هي عائلة مراد، وهي كذلك من عائلات الأعيان والملاّك الكبار. اشتهرت في الأساس في مجال الإدارة منذ ثمانينيات القرن التاسع عشر. كان زعيم العائلة محمد أفندي مراد شغل عضوية مجلس إدارة القضاء في الفترة ١٨٨٢ ـ ١٨٨٦، وعضوية دائرة المعارف عدة أعوام.[٣٦] وهناك شخص آخر بارز من أبناء هذه العائلة هو حسن أفندي مراد الذي شغل عضوية المجلس البلدي خلال الفترة ١٨٨٣ ـ ١٨٩٤، كما كان عضو دائرة المعارف في صفد طوال التسعينيات وعضو مجلس إدارة القضاء في سنة ١٩٠١. كما برز من العائلة حسين مراد الذي كان أيضاً عضواً في مجلس إدارة القضاء سنة ١٩٠١ وعضواً في دائرة المعارف لفترات متفاوتة.

العائلة السابعة هي عائلة الحاج سعيد (عبد الرحيم). وهي عائلة أعيان كبيرة، برزت في مجالي الإدارة والمناصب الدينية. كان زعيم العائلة، الحاج سعيد، أول من انتخب لرئاسة المجلس البلدي عند تأسيسه سنة ١٨٧٨ إذ شغل هذا المنصب فترة قصيرة، ومن ثم شغل عضوية المجلس.

بعد الحاج سعيد برز أبناؤه الثلاثة وهم: الأول، أحمد أفندي عضو المجلس البلدي في الفترة ١٨٨١ ـ ١٨٨٢، وعضو المحكمة النظامية في الفترة ١٨٩٣ ـ ١٨٩٤؛ الثاني، عبد اللطيف أفندي الذي اهتم بالمجال الديني وكُني بلقب صاحب الوجاهة. أمّا الثالث فهو حسين، عضو المجلس البلدي بين سنة ١٨٩٣ وسنة ١٩٠٦.[٣٧]

العائلة الثامنة هي عائلة الأسدي (أبو ذياب). برز من هذه الأسرة، في أواخر العهد العثماني، شخصان: الأول هو الحاج أحمد أفندي الأسدي، عضو المجلس البلدي في صفد في الفترة ١٨٨١ ـ ١٨٨٢، ومن ثم في الفترة ١٨٩٣ ـ ١٨٩٤، كما

(٣٥) سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١١ ـ ١٣١٢هـ/ ١٨٩٣ ـ ١٨٩٤م، ص ١٨٤.
(٣٦) «ثمرات الفنون»، ١٠/ ١٢/ ١٩٠٠.
(٣٧) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م، دفعة ١٠، ص ٩٦، ١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م، ص ١٧٠، ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٤م، ص ١٥٩؛ سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١١ ـ ١٣١٢هـ/ ١٨٩٣ ـ ١٨٩٤م، ص ١٨٤؛ «ثمرات الفنون»، ١٠/ ١٢/ ١٩٠٠.

كان عضواً في دائرة المعارف المحلية عدة مرات؛ والثاني هو الحاج محمد أبو ذياب، عضو المجلس البلدي لسنة ١٨٨٤. بالإضافة إلى ذلك، ترأست العائلة الزاوية الأسدية التي أسسها جدها الأعلى الشيخ الصوفي المعروف محمد الأسدي في عهد السلطان سليم الأول.[٣٨]

أمّا **الطائفة المسيحية**، فقد تزعمتها ثلاث عائلات في أواخر العهد العثماني كما يتبين من الملاحق. وهذه العائلات هي:

الأولى عائلة البشت. وقد تزعمها عيد البشت الذي شغل عضوية مجلس إدارة القضاء في الفترة ١٨٨٠ ـ ١٩٠٠، وانتخب سنة ١٨٨٣ عضواً للمجلس البلدي، وفي سنة ١٩٠٠ شغل عضوية غرفة التجارة والزراعة وعضوية البنك الزراعي العثماني. إضافة إلى عيد برز أيضاً جبران البشت، عضو المجلس البلدي في الفترة ١٨٨٤ ـ ١٩٠٨.[٣٩]

العائلة الثانية هي عائلة حداد. وهي أيضاً أسرة صفدية بارزة كان لها ممثل واحد في المجلس البلدي سنة ١٨٧١ هو الياس أفندي حداد. كما كان يوسف أفندي حداد شخصية مرموقة وعضو المحكمة النظامية في الفترة ١٨٨٠ ـ ١٨٨٦، إضافة إلى كونه مترجماً للوكيل القنصلي النمساوي في المدينة.[٤٠]

أمّا العائلة الثالثة فهي عائلة خوري، وكانت من الأسر المرموقة. برز منها في أواخر العهد العثماني أسعد أفندي خوري عضو المحكمة النظامية في الفترة ١٨٩٣ ـ ١٨٩٤، وعضو مجلس إدارة القضاء سنة ١٩٠٤ وسنة ١٩٠٨.[٤١] وقد تحولت لاحقاً في عهد الانتداب إلى أبرز الأسر المسيحية في المدينة.

بالنسبة إلى **اليهود** ومن برز منهم، فيتضح أنه كان لهم ممثل دائم في مجلس إدارة القضاء هو إسرائيل أفندي عمّار الذي شغل هذا المنصب في الفترة ١٨٧١ ـ ١٨٨٦، ويوسف أفندي فريدمان الذي شغل عضوية مجلس إدارة القضاء في الفترة ١٨٩٤ ـ ١٩٠٨. كما كان لليهود ممثل دائم في المجلس البلدي. ففي سنة ١٨٨٠ شغل هذا المنصب موسى أفندي، وتبعه كل من الحاخام مخلوف أفندي، وإسرائيل أفندي، وحايكل شبيرا، وليفي الأزجي.

علينا أن نشير إلى أنه بين سنة ١٨٨٠ وسنة ١٨٨٤ شغل كل من الكاهن

(٣٨) بشأن مزيد من التفصيلات، أنظر أدناه الفصل الخامس.
(٣٩) سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م، ص ٣١٠.
(٤٠) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٤م، ص ١٥٩.
(٤١) سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م، ص ١٩١.

الماروني يوسف أفندي والكاهن الكاثوليكي بطرس أفندي عضوية مجلس إدارة القضاء، إلاّ إنه منذ سنة ١٨٩٥ لم يظهر اسماهما ضمن أعضاء المجلس. كما يشار إلى أنه في سنة ١٨٨٠ كان للمنطقة القروية ممثل في مجلس إدارة القضاء هو طه أفندي الخطيب من قرية الرأس الأحمر، كما كان للمنطقة القروية ممثل دائم في المحكمة النظامية هو حبيب أفندي جبران من قرية الجش، الذي شغل أيضاً عضوية مجلس إدارة القضاء سنة ١٩٠١. وهذه حالات قليلة شارك فيها شيوخ قرويون في عضوية المجلس، الأمر الذي يشير إلى هيمنة مدينية شبه كاملة على هذه المجالس.

ختاماً، يمكن القول إن بداية صفد الحديثة ترجع إلى الخمسينيات من القرن التاسع عشر. وتتعلق هذه البداية بعملية التنظيمات، وخصوصاً بقانون الولايات الذي عزز الجهاز الإداري العثماني في المدينة محولاً إياه إلى أكثر مركزية. كما أن هذا القانون أوجد وضعاً جديداً شارك بموجبه المواطنون في إدارة أمورهم بواسطة مجلس إدارة القضاء والمجلس البلدي. كما بوشر تنفيذ مشاريع لتطوير وإقامة بنية عصرية في صفد. من الواضح أيضاً أن الجهاز الإداري الجديد ساهم في دمج السكان المسيحيين واليهود، إذ شاركوا الأعضاء المسلمين في إدارة المدينة وفي القضاء على قدم المساواة. وهذا الوضع أتاح لأبناء الأقليات الدينية تقوية مكانتهم الاجتماعية والاقتصادية. يُشار أيضاً إلى أنه نتيجة التنظيمات تمكن الأعيان المدينيون، الذين اندمجوا في الجهاز الجديد، من توطيد مكانتهم عن طريق شراء الأملاك والسيطرة على الأراضي الواسعة في قرى مجاورة لصفد، هذا إضافة إلى تعزيز مصالحهم التجارية والاقتصادية في المدينة والقضاء.(٤٢)

ثانياً: المبنى الديموغرافي والاجتماعي في أواخر العهد العثماني

على الرغم من وفرة المعطيات بشأن عدد سكان صفد وتركيبتها الطائفية في تلك الفترة، فإن هناك عدم توافق وعدم ملاءمة بين هذه المعطيات، إذ نجد فوارق ملموسة قد يصل عددها إلى المئات، حتى فيما يتعلق بسنة واحدة، أو سنوات متقاربة.(٤٣)

في الفترة التي يتناولها هذا الفصل (١٨٤٠ ـ ١٩١٨)، زار صفد رحالة

(٤٢) Ma'oz, op. cit., p. 93.

(٤٣) شموئيل أفيتسور، «المبنى الديموغرافي لصفد في ازدياده وتراجعه»، في: «صفد: مجموعة مقالات» (بالعبرية)، (لا مكان: وزارة التربية والتعليم، ١٩٦٩)، ص ٣٤.

أوروبيون وعثمانيون ويهود، وتركوا لنا كتاباتهم المتنوعة عن المدينة، ومن جملة الموضوعات التي كتبوا فيها المبنى الديموغرافي. ومن الجدير بالذكر أن هؤلاء الرحالة اهتموا في معظمهم بأحوال الطائفة اليهودية، وركّزوا في كتاباتهم على الحي اليهودي وسكانه، أمّا اهتمامهم بالسكان العرب فقد كان قليلاً، وأحياناً أتوا إلى ذكرهم بصورة عابرة. ومن هنا تنبع غزارة المعطيات عن اليهود ونقصها، في المقابل، عن العرب في الفترة نفسها.

قضية أُخرى تتعلق بالمعطيات الديموغرافية هي اعتماد الرحالة على المعلومات التي زودهم إياها زعماء الجالية اليهودية ورؤساء المدارس الدينية، الذين جنحوا إلى تضخيم الأرقام على أمل أن يؤدي الأمر إلى مضاعفة مبالغ العون (الحالوكاه) التي يتلقونها من إخوتهم في أوروبا. وعادة، لم يهتم الرحالة بفحص صحة المعطيات خلال زياراتهم الخاطفة التي كانت تدوم بضعة أيام.

لكن، على الرغم من تناقض الأرقام في المعطيات، فإنه يمكننا بواسطة مقابلة المصادر بعضها ببعض والاعتماد على تلك المعروفة منها بصدقيتها، أن نبني صورة قريبة من الواقع.

نقطة انطلاقنا هي إحصاء الداعية والثري اليهودي موزس مونتفيوري في ١٧ أيار/مايو ١٨٣٩، الذي يُعتبر مصدراً موثوقاً به، لكن من اللافت للنظر أنه تطرق إلى السكان اليهود فقط.

جاء إحصاء مونتفيوري بهدف تنظيم توزيع أموال العون المحوّلة من يهود أوروبا إلى إخوانهم في صفد، وكذلك كي يكوّن قاعدة لمشاريع مونتفيوري من أجل تحسين أوضاع اليهود في فلسطين عامة. ووفقاً لنتائج الإحصاء وصل مجموع السكان اليهود في فلسطين سنة ١٨٣٩ إلى ٦٤٠٨ نسمات، منهم ١٢٨٢ نسمة في صفد؛ أي أن ٢٠٪ من يهود فلسطين سكنوا آنذاك في صفد،(٤٤) وهذا على الرغم من الكارثة التي كانت لحقت بالمدينة جرّاء الهزة الأرضية سنة ١٨٣٧.

بالنسبة إلى عدد السكان العرب في تلك السنة فإنه لا تتوفر لدينا معلومات دقيقة، لكنه كان في سنة ١٨٣٥ يبلغ ٤٠٠٠ نسمة من مجموع سكان المدينة المقدر بنحو ٨٠٠٠ نسمة.(٤٥)

في سنة ١٨٤٩، أشارت بعثة الكلية البروتستانتية في مالطا إلى أن مجموع عدد

(٤٤) «إحصاء يهود أرض إسرائيل، ١٨٣٩» (بالعبرية)، (القدس: مركز دينور، ١٩٨٧)، ص ١٨.

(٤٥) ناتان شور، «تاريخ صفد» (بالعبرية)، (تل أبيب: لا دار نشر، ١٩٨٩)، ص ١٧٠.

سكان صفد بلغ ٥٠٠٠ نسمة، منهم ١٥٠٠ ـ ٢٠٠٠ نسمة من اليهود، و٦٠ نسمة من المسيحيين، والباقي من المسلمين.[٤٦] تراجع العدد العام، وضمنه عدد السكان اليهود، نجم عن الهزة الأرضية التي ضربت صفد سنة ١٨٣٧ وأودت بحياة نحو ٢٠٠٠ نسمة في المدينة وجوارها.

يشير الباحث ناتان شور، الذي يعتمد كثيراً على تقديرات الرحالة الأوروبيين، إلى أنه في الفترة ١٨٥٠ ـ ١٨٥٥ بلغ عدد سكان المدينة نحو ٧٠٠٠ نسمة، منهم ٢٥٠٠ ـ ٣٠٠٠ نسمة من اليهود و٤٠٠٠ ـ ٤٥٠٠ نسمة من العرب. في حين يقول الباحث يهوشواع بن ـ أريبه إنه في الأربعينيات والخمسينيات من القرن التاسع عشر، بلغ العدد الإجمالي لسكان صفد نحو ٦٠٠٠ نسمة، أكثريتهم من العرب.[٤٧]

في سنة ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م، أجرت السلطات العثمانية إحصاء عاماً شمل أنحاء البلد كافة. وطبقاً لمعطيات ذلك الإحصاء كان عدد الخانات (الأُسر) في صفد ٢٥٩٥ خانة بحسب التوزيع التالي: المسلمون ١٣٩٥ خانة؛ اليهود ١١٩٧ خانة؛ المسيحيون ٣ خانات.[٤٨]

كما هو معروف هناك جدل بشأن عدد الأنفار في كل خانة، لكن معظم الباحثين يرى أن معدل عدد الأنفار لكل خانة هو خمسة.[٤٩] وعليه، إذا ضربنا عدد الخانات بخمسة، يصبح عدد السكان العام ١٢,٩٧٥ نسمة، وفقاً للتوزيع التالي:

المسلمون ٦٩٧٥ نسمة، أي ما يساوي ٥٣,٧٦٪؛

اليهود ٥٩٨٥ نسمة، أي ما يساوي ٤٦,١٣٪،

المسيحيون ١٥ نسمة، أي ما يساوي ٠,١١٪.

---

(٤٦) *Journal of a Deputation sent to the East by the Committee of the Malta Protestant College in 1849* (London: J. Nisbet, 1854-1859), vol. 2, part II, p. 455.

(٤٧) شور، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٥؛

Yehoshua Ben-Arieh, «The Population of the Large Towns in Palestine during the First Eighty Years of the Nineteenth Century According to Western Sources,» in M. Ma'oz, ed., *Studies on Palestine during the Ottoman Period* (Jerusalem: The Magnes Press, The Hebrew University, 1975), p. 67.

(٤٨) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م، ص ٢٤٧؛ ألكسندر شولش، «تحولات جذرية في فلسطين، ١٨٥٦ ـ ١٨٨٢» (لا مكان: دار الهدى، الطبعة الثانية ١٩٩٠)، ص ٣٥.

(٤٩) G. Schumacher, «Population of the Liva of Akka,» *Palestine Exploration Fund Quarterly Statement* (1887), p. 188; Ben-Arieh, op. cit., p. 66; Haim Gerber, «The Population of Syria and Palestine in the Nineteenth Century,» *Asian and African Studies*, vol. 13 (1979) pp. 58-62.

من اللافت للنظر أن عدد الخانات المسيحية قليل جداً، لكننا نعتقد أن المعطيات المتعلقة بالمسيحيين غير دقيقة، لأنه في تلك السنة (١٨٧١) كان للمسيحيين ممثل في مجلس إدارة القضاء، هو الياس أفندي حداد، ومن غير المعقول أن العدد القليل المشار إليه أهّلهم لعضوية المجلس. كذلك كانت بعثة الكلية البروتستانتية قدّرت عددهم بـ ٦٠ نسمة سنة ١٨٤٩، ولا يوجد سبب يفسر هذا الانخفاض سوى عدم معرفة عدد أبناء الطائفة الحقيقي.

نشير إلى أن الباحث شيرمان ليبار، الذي تناول موضوع السكان اليهود في صفد بين سنة ١٨٠٠ وسنة ١٨٣٩، قدّر عدد الأنفار في العائلة اليهودية بأربعة فقط، لأن كثيرين من اليهود الذين قدموا إلى صفد كانوا في جيل الشيخوخة أو من الأيتام والأرامل،[٥٠] وإذا اعتمدنا على هذه التقديرات، وهي منطقية ومقبولة، نجد أن نسبة العرب في المدينة تصل إلى نحو ٦٣٪.

وفي سنة ١٨٧٥، قدّر الرحالة فيكتور غيران عدد سكان صفد بـ ١٣,١٥٠ نسمة، ٧٠٠٠ من اليهود، و٦٠٠٠ من المسلمين، و١٥٠ من المسيحيين الكاثوليك وبعض البروتستانت.[٥١] أمّا إليعيزر روكاح، وهو من مواطني الحي اليهودي في المدينة، فقد ذكر أن عدد السكان اليهود في صفد بلغ ٥٥٦٠ نسمة في الثمانينيات.[٥٢]

وفي سنة ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م بلغ عدد سكان صفد ١٥,٥٥٨ نسمة: ٨٠٠٠ من المسلمين، و٧٥٥٨ من اليهود. أمّا في السنة التالية (١٢٩٦هـ/ ١٨٧٩م)، فكان عدد السكان ١٥,٠٠٨ نسمات، منهم ٨٠٠٠ من المسلمين و٧٠٠٨ من اليهود.[٥٣] ومن الواضح أن تبدل المعطيات نتج أساساً من التحولات بين السكان اليهود لا بين العرب. فأعداد المهاجرين اليهود كانت تتبدل باستمرار بين قادم ومغادر. وفي سنة ١٨٨٣، قدّر الرحالة أوليفانت عدد سكان المدينة بـ ١٤,٠٠٠ نسمة، منهم ٧٠٠٠

---

(٥٠) شيرمان ليبار، «النمو الديموغرافي للسكان اليهود في صفد، ١٨٠٠ ـ ١٨٣٩»، «كتدرا»، العدد ٤٦، كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٧، ص ١٤، ٣٢.

(٥١) فيكتور غيران، «وصف جغرافي وتاريخي وأثري لأرض إسرائيل، الجزء السابع ـ الجليل»، ترجمه حاييم بن ـ عمرام من الفرنسية إلى العبرية (القدس: مطبعة ياد بن ـ تسفي، ١٩٨٧)، ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤.

(٥٢) إليعيزر روكاح، «وضع المدينة المقدسة صفد وسكانها الأشكناز» (بالعبرية)، (القدس: مطبعة حباتسيلت، لا تاريخ)، ص ٣.

(٥٣) شولش، مصدر سبق ذكره، ص ١٥.

يهودي و٦٠٠٠ ـ ٧٠٠٠ عربي.(٥٤)

وفي سنة ١٨٩٩، قدّر الرحالة اليهودي رفائيلوفتش عدد سكان المدينة بـ ١٣,٤٠٠ نسمة، منهم ٦٧٠٠ عربي و٦٧٠٠ يهودي. على الرغم من أنه لا يُعقل أن يكون توزيع السكان متساوياً تماماً، فإن الرقم العام يطابق الواقع بصورة عامة.(٥٥)

وفي سنة ١٩١٠، زار المدينة أبراهام شموئيل هيرشبرغ. وطبقاً لشهادته بلغ عدد سكان صفد ١٢,٦٧٦ نسمة، منهم ٧١٤٠ يهودياً، و٥٠٠٩ مسلمين، و٥٢٧ مسيحياً.

وفي سنة ١٩١٤، قُدّر مجموع عدد السكان بنحو ١٤,٠٠٠ نسمة، منهم ٦٠٠٠ـ ٧٠٠٠ يهودي، ونحو ٧٠٠٠ عربي.(٥٦)

وفي سنة ١٩١٥ وضع محمد رفيق التميمي ومحمد بهجت تقريراً عاماً عن أحوال ولاية بيروت. ويتضح من التقرير أن عدد سكان مدينة صفد كان ١٢,٧٥٥ نسمة، منهم ٧٠٧٧ مسلماً، و٤٢٢ مسيحياً أكثرهم كاثوليك؛ أي أن عدد العرب بلغ ٧٤٩٩ نسمة، وعدد اليهود بلغ ٥٢٥٦ نسمة.(٥٧) إلاّ إن عدد اليهود انخفض سنة ١٩١٨، جرّاء الضائقة الكبيرة في أثناء الحرب العالمية الأولى، إلى ٢٦٨٨ نسمة فقط.(٥٨)

(٥٤) لورنس أوليفانت، «حيفا: كتابات من أرض إسرائيل، ١٨٨٢ ـ ١٨٨٥» (بالعبرية)، (القدس: مطبعة ياد بن ـ تسفي، ١٩٧٦)، ص ٤١.

(٥٥) ي. رفائيلوفتش، «أرض إسرائيل والموشافيم» (بالعبرية)، (القدس: مطبعة أريئيل، لا تاريخ)، ص ١٠٢.

(٥٦) أفيتسور، مصدر سبق ذكره، ص ٣٣.

(٥٧) محمد رفيق التميمي ومحمد بهجت، «ولاية بيروت، القسم الجنوبي» (بيروت: دار لحد خاطر، الطبعة الثالثة، ١٩٨٧)، ج ١، ص ٣٥٢.

(٥٨) مكتب أرض إسرائيل التابع للمنظمة الصهيونية، «إحصاء يهود أرض إسرائيل، الكراس ب ـ السامرة والجليل» (يافا: لا دار نشر، ١٩١٩)، ص ٢١.

تلخيص البنى الديموغرافي، ١٨٤٠ ـ ١٩١٨

السنة	سكان المدينة	المسلمون		المسيحيون		اليهود				النسبة المئوية
		المجموع	النسبة المئوية	المجموع	النسبة المئوية	أشكناز	سفارديم	بروشيم وآخرون	المجموع	
١٨٤٠/١٨٣٩	٤٠٠٠ ـ ٥٠٠٠	-	-	-	-	٥٤٣	٧١١	٢٨	١٢٨٢	٣٢ ـ ٢٦
١٨٤٣	-	-	-	-	-	٣٧٠	٦٥٠	-	١٠٢٠	-
١٨٤٩	٥٠٠٠	-	-	٦٠	١,٢	-	-	-	-	٤٠ ـ ٣٠
١٨٧١	٢٥٩٥ خانة ١٢,٩٧٥	٥٤		٣ خانات ١٥	٠,١٢	-	-	-	١١٩٧ خانة ٥٩٨٩	٤٦
١٨٧٥	١٣,١٥٠	٦٠٠٠	٤٦	١٥٠	١,١٤	-	-	-	٧٠٠٠	٥٣
١٨٨٣	١٤,٠٠٠	٦٠٠٠ ـ ٧٠٠٠	٤٣ ـ ٥٠	-	-	٥٠٠٠ ـ ٦٠٠٠	١٢٠٠	-	٧٠٠٠ تقريباً	٥٠
١٨٨٧	٢٤,٦١٥	١٠,٦٤٥	٤٣	٧٢٠	٠,٢٩	-	-	-	١٣,٢٥٠	٥٤
١٨٩٩	١٣,٤٠٠	٥١٠٠	٣٨	١٦٠٠	١٢	-	-	-	٦٧٠٠	٥٠
١٩١٠	١٢,٦٧٦	٥٠٠٩	٣٩,٥١	٥٢٧	٤,١٥	٤٩٥٠	٢١٩٠	-	٧١٤٠	٥٦,٣
١٩١٤	١٤,٠٠٠ تقريباً	-	-	-	-	-	-	-	٦٠٠٠ ـ ٧٠٠٠	٤٣ ـ ٥٠
١٩١٥	١٢,٧٥٥	٧٠٧٧	٥٥,٤٨	٤٢٢	٣,٣٠	-	-	-	٥٢٥٦	٤١,٢٠
١٩١٨	٧٦٥٦	٤٦٦٣	-	٣٠٥	-	١٨٥٨	٧٢٨	١٠٢	٢٦٨٨	-

يتضح من هذه المعطيات الديموغرافية أن عدد سكان صفد ازداد باطراد في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، من ٥٠٠٠ نسمة سنة ١٨٤٩ إلى نحو ١٣,٠٠٠ سنة ١٩١٥؛ أي أن نسبة الزيادة بلغت ١٦٠٪. وقد نجم هذا الازدياد عن التكاثر الطبيعي في الأساس، وعن الهجرة اليهودية إلى المدينة. نشير إلى أن الازدياد الديموغرافي لم يكن محصوراً في صفد فقط. إذ خلص المؤرخ جاد غيلبار، الذي درس التغييرات الديموغرافية في فلسطين، إلى أنه بين سنة ١٨٧٠ وسنة ١٩١٤ ازدادت نسبة السكان العرب الفلسطينيين بنحو ٧١٪.(٥٩)

كما رأينا من خلال المعطيات الديموغرافية، فإن صفد العثمانية كانت مدينة مختلطة سكنتها ثلاث طوائف. وسنتطرق فيما يلي إلى جوانب الحياة الاجتماعية لهذه الطوائف.

أ) المسلمون

يتضح من المعطيات الديموغرافية التي أوردناها أن المسلمين كانوا المجموعة السكانية الأكبر في سبعينيات القرن التاسع عشر، إلاّ إنه منذ أواسط الثمانينيات حتى العقد الأول من القرن العشرين حدث تراجع في نسبتهم، فتراوحت بين ٤٠٪ و٥٠٪. هذا الوضع تغير مع نهاية العهد العثماني، وخصوصاً في أثناء الحرب العالمية الأولى؛ إذ أصبح المسلمون مجدداً أكثرية ساحقة جرّاء ترك أعداد كثيرة من اليهود للمدينة.

سكن المسلمون ثلاثة أحياء رئيسية هي: حارة الأكراد شرقي المدينة، وحارة الصواوين وسط المدينة، وحارة الوطاة غربي المدينة. وكما رأينا سابقاً، شغل المسلمون أغلبية المناصب والوظائف الإدارية المهمة، ومنهم كان معظم الأعيان. كذلك شغلوا الوظائف الدينية البارزة كالقضاء، والإفتاء، ورئاسة نقابة الأشراف، ومشيخة الطرق الصوفية، وإدارة الأوقاف، وإمامة المسجد وغيرها. وكانت هذه الوظائف تنتقل عادة بالوراثة داخل تلك الأسر، مشكّلة مصدر قوة ووجاهة دائمين لها.

بالإضافة إلى الناحية الدينية، شكلت الوظائف الإدارية المتعددة مصدر قوة، وخصوصاً في عهد التنظيمات؛ إذ اتسع الجهاز الإداري، وأصبح الحكم أكثر مركزية. وكثيراً ما شغل أبناء عائلات الأعيان، الذين حظوا بثقافة وتربية جيدتين في مدارس ومعاهد دمشق وبيروت وإستنبول، الوظائف الرئيسية؛ الأمر الذي عزز مكانتهم

(٥٩) جاد غيلبار، «مؤشرات النمو الديموغرافي للفلسطينيين، ١٨٧٠ ـ ١٩١٤»، «سكيروت»، العدد ١٠٨، أيلول/سبتمبر ١٩٨٩، ص ٣.

التقليدية. كما نجح أبناء عائلات العلماء، الذين كانوا عادة من المثقفين، في الاندماج في مجال الوظائف الإدارية، علاوة على وظائفهم الدينية.

ومن الجدير بالذكر أن العثمانيين اهتموا بصفد كمركز إسلامي سُنّي، ويبدو أن توطين قسم من المهاجرين الجزائريين في نهاية الستينيات، ومن ثم توطين المهاجرين الشراكسة سنة ١٨٧٨، في جوار مدينة صفد لم يكن مصادفة. وهناك من يشير إلى أن الأمر كان بهدف تقوية طابع المنطقة الإسلامي.(٦٠)

وقد أشار بعض المصادر إلى أن نسبة لا يستهان بها من مسلمي صفد كانت من الجزائريين الذين شُردوا من بلدهم بعد القضاء على حركة المقاومة المبكرة التي قادها الأمير عبد القادر بن محيي الدين الجزائري ضد الغزاة الفرنسيين. وفي هذا الشأن ذكر كل من هربرت كيتشنر وكلود كوندر، اللذين عملا ضمن بعثة صندوق استكشاف فلسطين (Palestine Exploration Fund)، أن نصف المسلمين في المدينة من أصل جزائري.(٦١) ويشير بعض المؤرخين إلى أن توطين الجزائريين في المدينة ترك أثراً في مواقف الجمهور الإسلامي.(٦٢)

هذه المعلومات عن المسلمين غير صحيحة، لأن عدد الجزائريين الذين سكنوا صفد كان بضع عشرات فقط لا نصف عدد السكان. وربما يكون مصدر المبالغة في نسبة الجزائريين مرتبطاً بحادث مهاجمة كيتشنر وكوندر في صفد، في ١٠ تموز/يوليو ١٨٧٥، من جانب جمهور غاضب برز منه شخص جزائري يُدعى علي آغا علاّن، عندما حاول المهاجمون منع أعضاء البعثة من مواصلة أعمال المساحة. وقد تمخض هذا الهجوم عن جرح بعض أعضاء البعثة، ومنهم كيتشنر. ويبدو أن المهاجمين قدموا من قرية عموقة المجاورة لصفد والتي سكنها مهاجرو الجزائر، لا من صفد ذاتها التي لم يسكنها مئات الجزائريين.(٦٣)

يشير الدكتور ماسترمان، الذي سكن صفد سنة ١٨٩٣، وكان طبيباً في المستشفى التبشيري الإنكليزي في المدينة، إلى أن مسلمي صفد هم في معظمهم من

(٦٠) شولش، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٠.

(٦١) H.H. Kitchener and Claude Reignier Conder, eds., *The Survey of Western Palestine* (London: Committee of the Palestine Exploration Fund, 1881), vol. I, Sheets I - VI, Galilee, p. 199; John Gibbons, *The Road to Nazareth* (New York: AMS, 1975), pp. 317-318; E.W.G. Masterman, «Safed,» *Palestine Exploration Fund Quarterly Statement* (1914), p. 170.

(٦٢) شور، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٢.

(٦٣) Claude Reignier Conder, *Tent Work in Palestine: A Record of Discovery and Adventure* (London: R. Bentley, 1879), vol. 2, pp. 191-199.

أصول شامية، وبعضهم قدم من شرق الأردن، وربما كان بعض المهاجرين من أبناء القرى المحيطة،[٦٤] إلاّ إنه لا يحدد نسباً مئوية.

يبدو أن رأي ماسترمان في أن أكثرية الصفديين من أصل شامي ليس بعيداً عن الصحة، ذلك بأن السلطان الظاهر بيبرس بعد فتحه صفد واستعادتها من أيدي الصليبيين، في ٢١ تموز/يوليو ١٢٦٦، أحضر إلى المدينة سكاناً شاميين ووطّنهم فيها من أجل إعمارها والمرابطة في حصنها الشهير.[٦٥]

ومن الجدير بالذكر أن لهجة السكان العرب في صفد كانت شامية تماماً، كما أنهم كانوا مرتبطين بدمشق ثقافياً واجتماعياً. فعلى سبيل المثال، واصل شباب صفد دراساتهم العليا في الشام، ولا سيما في موضوعي الدين والشريعة،[٦٦] وبعد ذلك تعلم بعضهم في المدرسة السلطانية في بيروت التي كانت مدرسة عليا للمسلمين، أسسها الشيخ أحمد عباس الأزهري سنة ١٨٨٣.[٦٧]

يوصف سكان صفد عامة بأنهم محافظون.[٦٨] وقد وصفهم ماسترمان بأنهم مجموعة فعّالة من أصل صلب وشجاع وقوي، يتباهون بملبسهم، وهم أكثر لطفاً من سكان منطقتي القدس والخليل على حد قوله.[٦٩]

وكان الرحالة إدوارد روبنسون وصفهم قبل ذلك بطريقة مشابهة، إذ ذكر أن بيوتهم المبنية بالحجر تبدو أكثر رسوخاً من بيوت الحي اليهودي، وأن الذين صادفهم من السكان العرب بدوا فعّالين وشجعاناً أكثر من سكان جنوب فلسطين.[٧٠]

يشير ميخائيل أساف إلى أن الأكثرية الساحقة من مسلمي صفد اتبعت المذهب الحنفي، وهو المذهب الرسمي للدولة العثمانية، وأن أقلية اتبعت المذهب الشافعي؛ ولذلك فإن مفتي المدينة كان حنفياً، في حين أشار كل من بهجت والتميمي إلى أن

(٦٤) Masterman, op. cit., p. 170.

(٦٥) طه ثلجي الطراونه، «مملكة صفد في عهد المماليك» (بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٢)، ص ٥١.

(٦٦) «ثمرات الفنون»، ٣/١٢/١٩٠٠، ٣/٦/١٩٠١.

(٦٧) المصدر نفسه، ٤/٤/١٨٨٣؛ خير الدين الزركلي، «الأعلام» (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٩)، ج ١، ص ١٤٢.

(٦٨) ميخائيل أساف، «العلاقات بين العرب واليهود في أرض إسرائيل، ١٨٦٠ ـ ١٩٤٨» (بالعبرية)، (لا مكان: وزارة التربية والتعليم، ١٩٧٠)، ص ٢٦٤.

(٦٩) Masterman, op. cit., p. 170.

(٧٠) Edward Robinson, *Biblical Researches in Palestine and in the Adjacent Region* (Jerusalem: n. p., 1970), vol. 2, pp. 420-421.

ثلثي أهالي قصبة صفد من أتباع المذهب الشافعي، وهذا هو الأصح.[٧١]

وفي الفترة التي يتناولها هذا الفصل حافظ السكان المسلمون، بصورة عامة، على رباطة جأش وطمأنينة، حتى في أحداث سنة ١٨٦٠ التي عصفت بجبل لبنان والشام. وعلى الرغم من القرب بين صفد وحلبة الأحداث المأساوية في جبل لبنان والشام، فإن المدينة لم تشهد أعمال عنف. إلاّ إن بعض التقارير أشار إلى حالة من الترقب والحذر بين اليهود والنصارى آنذاك، إذ قبل يهود صفد حماية شيخ الشباب العرب في مدينتهم، وأقام الحاخام الرئيسي في المدينة مأدبة طعام لأربعين شاباً مسلماً كي يحظى بحمايتهم.[٧٢]

وفي إبّان ثورة أحمد عرابي في مصر سنة ١٨٨٢، تضامن سكان صفد المسلمون معه وأيدوا أهدافه. وكان الوكيل القنصلي النمساوي ميكلاسيفتش وصف موقف مسلمي صفد قائلاً: «لقد هبطوا لحالة من البغضاء والعدائية لدرجة أنه لا أحد يمكنه التعامل معهم ولا يسمعهم يلفظون كلمة طيبة.» كذلك أظهر الصفديون عداوة تجاه البريطانيين والفرنسيين، لكن «من ناحية أُخرى فإنهم يقدّسون اسم عرابي باشا وينظمون ملاحم الشعر في تمجيده.»[٧٣]

على الرغم من هذه الأوصاف التي تتحدث عن شجاعة سكان صفد العرب ورباطة جأشهم، فإنهم لم ينجحوا في إنشاء زعامة سياسية ذات تأثير إقليمي بارز يتعدى حدود قضاء صفد. ومما يدل على ذلك قيام الزعيم البدوي عقيل آغا الحاسي ببسط نفوذه شمالاً، بالإضافة إلى تأثيره في منطقة الجليل الأسفل وقرى مرج ابن عامر.[٧٤] حتى إن القنصلية البريطانية استعانت بخدماته في أكثر من مناسبة في فترات سابقة للدفاع عن يهود طبرية وصفد الذين كان بعضهم تحت حمايتها.[٧٥]

تنبه الباحث ألكسندر شولش لهذه الظاهرة، وحين أشار إلى العائلات المسيطرة في الجليل في القرن الثامن عشر، ذكر أبناء عائلة حسين في قلعة جدّين في الجليل

(٧١) أساف، مصدر سبق ذكره، ص ٣٣٣؛ التميمي وبهجت، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٣٥٩.

(٧٢) شولش، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤٠.

(٧٣) المصدر نفسه، ص ٣٢٥.

(٧٤) جيمس فن، «أوقات عاصفة» (بالعبرية)، (القدس: مطبعة ياد بن ـ تسفي، ١٩٨٠)، ج ١، ص ٢٤٧، ٢٤٩؛

بشأن مزيد من التفصيلات عن عقيل آغا الحاسي، أنظر: أسعد منصور، «تاريخ الناصرة من أقدم أزمانها إلى أيامنا الحاضرة» (القاهرة: مطبعة الهلال، ١٩٢٤)، ص ٧٣ ـ ٨٠.

(٧٥) فن، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٢٥٦.

الغربي، وأبناء عائلة نافع في قلعة صفد. ويبين شولش أنه في عهد حكم ظاهر العمر ضعفت هاتان العائلتان، كما أن الجزار وورثته، ومن بعدهم الحكم المصري (١٨٣١ ـ ١٨٤٠)، منعوا كل إمكان لظهور قوى محلية جديدة. وعليه، يمكن القول إنه مع إطلالة النصف الثاني من القرن التاسع عشر كان هنالك فراغ وعدم وجود لأي شكل من أشكال القوى المحلية في الجليل الأعلى.(٧٦) أضف إلى ذلك أن الحكم العثماني المركزي الذي ساد في عهد التنظيمات منع هو الآخر نمو قوى كهذه من جديد.

وعلى ما يبدو لم تكن لدى مسلمي صفد طموحات كهذه في تلك الآونة، فقد عبروا عن إخلاص وولاء مطلق للعثمانيين، وبصورة خاصة للسلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ ـ ١٩٠٩)، وربما زاد تمسكهم بالعثمانيين جرّاء كثرة اليهود والرعايا الأجانب في مدينتهم. ونجد تعبيراً عن هذا الولاء في الاحتفالات الكبرى التي أقامها الصفديون في ذكرى اعتلاء السلطان عبد الحميد العرش، فكافأهم السلطان على ذلك ببناء ثلاثة مساجد، ومدرسة ابتدائية، وبرج ساعة قرب السرايا الحكومية، فضلاً عن منح الأوسمة لأعيان المدينة.(٧٧)

ب) المسيحيون

نشأت الطائفة المسيحية في صفد في العقود الأولى من القرن التاسع عشر عندما هاجر إليها بعض رجال الإدارة والتجار المسيحيين من جبل لبنان والمناطق المجاورة. وما يدل على أنه في إبان الحكم المصري كانت تشكلت وتبلورت النواة الأولى للمسيحيين الكاثوليك في صفد، توجُّه أبناء الطائفة إلى إبراهيم باشا طالبين الإذن منه في بناء كنيسة لهم.(٧٨) ويبدو أن إبراهيم باشا لم يلبّ طلبهم، لأنه يتبين من خلال مراجعة تقرير بعثة الكلية البروتستانتية في مالطا، التي زارت المدينة سنة ١٨٤٩، أن عدد المسيحيين كان ٦٠ نفراً، ولم يكن لديهم كنيسة ولا كاهن.(٧٩)

أمّا الرحالة فيكتور غيران، الذي زار المدينة سنة ١٨٧٥، فأشار إلى أن عدد المسيحيين في صفد لم يزد على ١٥٠ نسمة أكثريتهم من الكاثوليك، وأنهم بنوا كنيسة

(٧٦) شولش، مصدر سبق ذكره، ص ٢١٧ ـ ٢١٨.

(٧٧) «ثمرات الفنون»، ١٨٨٣/٤/٤، ١٩٠٦/٩/١٠؛ محمود العابدي، «صفد في التاريخ» (عمان: جمعية عمال المطابع التعاونية، ١٩٧٧)، ص ١١٠.

(٧٨) رستم، «المحفوظات...»، مصدر سبق ذكره، ج ٣، وثيقة رقم ٤١٥٤، ص ٣٠.

(٧٩) Malta Protestant College, op. cit., vol. 2, part II, p. 455; شور، مصدر سبق ذكره، ص ٢١١.

متواضعة سنة ١٨٦٤ وأحضروا كاهناً لرعاية شؤونهم الدينية. كما أشار غيران إلى أنه وُجد في صفد، بالإضافة إلى المسيحيين المحليين، مسيحيون بروتستانت، أكثريتهم من المبشرين الإنكليز والإسكتلنديين الذين بنوا كنيسة لهم سنة ١٨٤٠. ويستدل من أقواله على أن عددهم كان قليلاً ولم يقيموا الصلاة في الكنيسة.(٨٠) في هذا السياق أشار ماسترمان إلى أنه في سنة ١٩١٤ كان في صفد ٤٠٠ نسمة من الكاثوليك، وعائلتان من الروم الأورثوذكس، وقلة من البروتستانت.(٨١)

في تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٧، زار المدينة الكاهن الماروني إبراهيم حرفوش برفقة مطران مدينة صور. وأشار حرفوش إلى أن أوضاع أبناء الطائفة المسيحية كانت على ما يرام، وكان لهم ممثل في مجلس إدارة القضاء هو الياس البواب، وكان هذا من الملاّك الكبار. وقد وصفه حرفوش بأنه أحد وجوه صفد وأفاضلها. وإضافة إلى البواب برز صهره إميل أفندي راجي.(٨٢) ومن اللافت للنظر أن حرفوش لم يذكر عائلة البشت، التي يبدو أن مكانتها تراجعت مع مرور الزمن.

ويشير حرفوش، خلافاً لسابقيه، إلى سكن بعض أبناء الطائفة المارونية في المدينة، وكانوا قدموا من مدينة صيدا في نهاية القرن التاسع عشر وعملوا في خدمة الدولة العلية، مثل أبناء عائلة نمور.(٨٣) ويشار إلى أن مسيحيي صفد زاولوا، في معظمهم، الأعمال الحرة، والتجارة، وشغلوا المناصب الإدارية، وتشير السالنامات إلى أسماء بعض أبناء الطائفة الذين شغلوا بعض الوظائف، مثل المترجمين والكتبة.(٨٤) كذلك امتلك بعضهم أراضي في القرى المجاورة للمدينة، كما كان مسؤول البريد منهم. ومن الجدير بالذكر أن خدمات البريد كانت مهمة جداً لمدينة صفد، فعن طريقها حصل سكان الحي اليهودي على أموال العون (الحالوكاه)، وكان البريد يصل إلى صفد من طبرية المجاورة مرة أو مرتين أسبوعياً. وكانت مكاتب البريد وخدماتها

(٨٠) غيران، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣٤. وفي سنة ١٨٨١، قُدّر عدد المسيحيين بنحو ٥٠ نسمة يعيشون في حي منفصل. بشأن مزيد من التفصيلات، أنظر:
Kitchener and Conder, op. cit., vol. I, Sheets I-VI, p. 199.

(٨١) Masterman, op. cit., p. 170.

(٨٢) إبراهيم حرفوش، «سياحة إلى أسقفية بلاد بشارة»، «المشرق»، المجلد ١٥، ١٩١٧، ص ٩٩٣.

(٨٣) المصدر نفسه.

(٨٤) سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١١ ـ ١٣١٢هـ/١٨٩٣ ـ ١٨٩٤م، ص ١٨٣ ـ ١٨٤، ١٣١٨هـ/١٩٠٠م، ص ٢١١.

في حيازة عائلة راجي المسيحية.[٨٥] كما وصلت خدمات التلغراف إلى المدينة سنة ١٩٠٧.[٨٦]

بالإضافة إلى المناصب الإدارية عمل المسيحيون في التجارة والتعليم والصناعة. ووصفهم كل من التميمي وبهجت بأنهم مثقفون، وخريجو مدارس عصرية، وتجار ومتمولون من الدرجة الوسطى. كما يستشف من أقوالهما أن نحو نصف مسيحيي صفد هاجر إلى أميركا، لذلك لم يزدد عدد أبناء الطائفة ازدياداً ملحوظاً.[٨٧]

ج) اليهود

يعتبر اليهود صفد من المدن المقدسة عندهم، وقد كانت موضع اهتمام وهجرة يهودية منذ أجيال خلت، إذ عاش في المدينة جالية يهودية عدا فترات قصيرة كالفترة الصليبية. فعلى سبيل المثال، سكن المدينة في القرن الخامس عشر نحو ٣٠٠ أسرة يهودية، أي نحو ١٢٠٠ نسمة.[٨٨] وتزايد هذا العدد باستمرار، فوصل إلى ذروته في القرن السادس عشر حين وصل الآلاف من المهاجرين والمطرودين من يهود إسبانيا والبرتغال وإيطاليا. وكان هؤلاء في معظمهم من أبناء الطبقة الوسطى، تجاراً وأصحاب مهن، وقد ساهموا في تحويل صفد إلى إحدى المدن المزدهرة من الناحيتين التجارية والصناعية.

وما من شك في أن القرن السادس عشر كان العصر الذهبي للمدينة بالنسبة إلى الاستيطان اليهودي.[٨٩] في القرنين السابع عشر والثامن عشر حتى النصف الأول من القرن التاسع عشر تدهورت أحوال المدينة، ولسنا هنا في معرض البحث في أوضاع صفد في تلك الفترة، إلاّ إننا نشير إلى بعض الأسباب التي أثرت سلباً في اليهود. ففي سنة ١٨٣٤، نشبت في فلسطين ثورة ضد الحكم المصري الذي قرر فرض التجنيد الإلزامي والضرائب الجديدة على المواطنين، وانتهاج سياسة الاحتكارات وإضعاف الزعامات التقليدية. وقد انطلقت الثورة من منطقتي نابلس والخليل وامتدت سريعاً إلى المناطق الجبلية في البلد، بما في ذلك جبال صفد. ورأى الثوار الغاضبون

(٨٥) أليميلخ فايسبلوم، «حاضر صفد» (بالعبرية)، (تل أبيب: لا دار نشر، ١٩٦٩)، ص ٦٩ ـ ٧٠.
(٨٦) شور، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٢١٧ ـ ٢١٨.
(٨٧) التميمي وبهجت، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٣٥٦.
(٨٨) ناتان شور، «تاريخ اليهود في الجليل في العهد العثماني»، في: أبشالوم شموئيل (تحرير)، «بلاد الجليل» (بالعبرية)، (حيفا: جامعة حيفا ووزارة الدفاع، ١٩٨٣)، ج ١، ص ٣٠١.
(٨٩) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٠٥ ـ ٣٠٧.

في المصريين وفيمن يرحب بحكمهم هدفاً، فهاجموا الحي اليهودي في صفد وألحقوا أضراراً بالأملاك.[٩٠]

وفي سنة ١٨٣٧، ضرب صفد زلزال كبير أدى إلى خراب أجزاء واسعة من المدينة، ولاقى نحو ٢٠٠٠ نسمة من السكان حتفهم، كانت أغلبيتهم من اليهود. كما أن عدداً من اليهود الذين بقوا في قيد الحياة غادر المدينة لاحقاً إلى مدينتي طبرية والقدس.[٩١]

يجمع معظم المصادر على أن الجالية اليهودية في صفد كانت مميزة بمسلكها وبنمط معيشتها. فقسم لا يستهان به من اليهود الأشكناز لم يقم بأي عمل يذكر، وإنما التحق بمختلف المجمعات الدينية للدراسة، معتمداً على صناديق العون المتعددة، التي مولها يهود الشتات والمعروفة بـ «الحالوكاه». ويلاحظ أن هذا الاعتقاد فيه كثير من التعميم وعدم الدقة، لأن قسماً من أبناء الجالية زاول التجارة المتوسطة والصغيرة.

لم تكن الجالية اليهودية متجانسة، فقد تألفت من مهاجرين معمرين قدموا من عدة دول أوروبية تربطهم جميعاً الرغبة في العيش في المدينة المقدسة، التي يعتقد اليهود أن المسيح المنتظر سيأتي إليها أولاً، ومنها سيبدأ رحلة الخلاص.

قدّر الرحالة ستيفان أولن، الذي زار صفد سنة ١٨٤٠، عدد يهود المدينة بنحو ١٠٠٠ نسمة، قدموا من عدة دول هي: إسبانيا؛ فرنسا؛ ألمانيا؛ بولندا؛ إنكلترا؛ إيطاليا؛ شمال إفريقيا؛ تركيا. وقال إن القادمين من ألمانيا وبولندا شكلوا الأغلبية الساحقة. وبحسب أولن، فإن يهود صفد رحبوا بالحكم المصري لأنه عامل جميع الطوائف بالتسامح. ويلاحَظ أن أولن تنبه، حتى في هذه الفترة المبكرة نوعاً ما، للجهود البريطانية الرامية إلى تشجيع الاستيطان اليهودي الزراعي في البلد.[٩٢]

وقال الكاهن الإسكتلندي جون ولسون، الذي زار صفد سنة ١٨٤٣، إن عدد السكان اليهود فيها بلغ ١٠٢٠ نسمة. وخلافاً لأولن، أشار ولسون إلى أن عدد اليهود

(٩٠) شور، «تاريخ صفد»، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٣؛ رستم، «المحفوظات...»، مصدر سبق ذكره، ج ٣، وثيقة رقم ٤٩٥٣، ص ٢٢٥.
(٩١) شور، «تاريخ صفد»، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٦ ـ ١٩٠.
من الجدير بالذكر أنه وفقاً للتقرير الذي أرسله الوالي والمتسلم في صفد، فقد قتل في المدينة وريفها ٢١٥٨ شخصاً جرّاء الزلزال، منهم ٥٠٧ مسلمين و١٦٥١ يهودياً. أنظر: رستم، «المحفوظات...»، مصدر سبق ذكره، ج ٣، ص ٢٠٩.
(٩٢) Stephen Olin, *Travels in Egypt, Arabia, Petrea, and the Holy Land* (New York: Arno Press, 1843), vol. 2, pp. 413-416.

السفارديم فاق عدد الأشكناز، إذ بلغ تعداد السفارديم ٦٥٠ نسمة، معظمهم رعايا السلطان، أي رعايا الدولة العثمانية، بينما بلغ عدد الأشكناز ٣٧٠ نسمة، قدموا من بولندا ودول حوض نهر الدانوب، وكانوا في أغلبيتهم من الورعين والزهاد (حسيديم).[٩٣]

ووفقاً لبعثة الكلية البروتستانتية في مالطا سنة ١٨٤٩، يتضح أن عدد اليهود تراوح بين ١٥٠٠ و٢٠٠٠ نسمة، أغلبيتهم من بولندا، والباقي من النمسا وألمانيا وإسبانيا.[٩٤]

ووصف الرحالة فيكتور غيران، الذي زار المدينة سنة ١٨٧٥، بيوت اليهود بأنها مبنية على سفح منحدر، ووضع حيهم سيئ، إذ كلما هطل المطر كست الشوارع طبقة من الوحل والقاذورات، الأمر الذي أدى إلى انتشار الأمراض.[٩٥]

وفي سنة ١٨٨٢، زار الرحالة لورنس أوليفانت صفد، وأشار بشيء من المبالغة إلى أن عدد اليهود الأشكناز بلغ نحو ٥٠٠٠ ـ ٦٠٠٠ نسمة، بينما بلغ عدد السفارديم ١٢٠٠ نسمة، وإلى أن أغلبية يهود المدينة تعتاش من أموال الصدقات. وذكر أن تأثير أموال الصدقات في يهود صفد كان سلبياً، لأنهم امتنعوا من المبادرة وعارضوا كل مشروع تجديد قد يؤدي إلى تحسين أوضاعهم، حتى إنهم راقبوا بقلق عملية إقامة مستعمرات يهودية زراعية جديدة، ويبدو أن أوليفانت كان يقصد مستعمرة روش بينا (الجاعونة). وبالإضافة إلى ذلك عبر اليهود عن سخطهم على المدارس التي تدرّس الموضوعات العلمانية الحديثة.[٩٦]

وفي سنة ١٩٠٤، وصف مراسل صحيفة «ثمرات الفنون» البيروتية الوضع الصعب في الحي اليهودي، وكيف أن أزقته وممراته المتعرجة كانت مملوءة بالوحل.[٩٧]

وزار الكاهن الماروني حرفوش المدينة سنة ١٩١٧ ووصف وضع اليهود هناك بقوله: «قسم لا بأس به منهم في بطالة إرادية يعيشون على أموال الدعم والجمعيات الخيرية الأوروبية، ويعانون الفقر، بيوتهم متلاصقة مظلمة.»[٩٨]

انقسمت الجالية اليهودية في صفد إلى مجموعتين: الأشكناز وهم اليهود

(٩٣) John Wilson, *The Land of the Bible* (Edinburgh: n. p., 1847), vol. 2, pp. 154-155.

(٩٤) Malta Protestant College, op. cit., vol. 2, part II, pp. 455-456.

(٩٥) غيران، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤.

(٩٦) أوليفانت، مصدر سبق ذكره، ص ٤١ ـ ٤٢.

(٩٧) «ثمرات الفنون»، ٧/ ١٠/ ١٩٠٤.

(٩٨) حرفوش، مصدر سبق ذكره، ص ٩٩٥.

الغربيون، والسفارديم وهم اليهود الشرقيون. ويبدو أنه حتى الأربعينيات من القرن التاسع عشر كانت الأكثرية من السفارديم. ففي سنة ١٨٤٢، مثلاً، بلغ عدد السفارديم ٦٥٠ نسمة، وفي المقابل بلغ عدد الأشكناز ٣٧٠ نسمة، لكن مع مرور الزمن تغيّرت هذه التركيبة. ففي إحصاء مونتفيوري لسنة ١٨٥٥ شكل اليهود الأشكناز أكثرية، إذ بلغ عددهم ١٢٦٧ نسمة.[٩٩] وفي سنة ١٨٦٧، قُدّر عدد اليهود السفارديم بـ ١٠٠٠ نسمة، أمّا اليهود الأشكناز فكان عددهم نحو ٣٠٠٠ نسمة، وفي نهاية القرن التاسع عشر تراجعت نسبة اليهود السفارديم لتصبح ربع السكان اليهود في المدينة.[١٠٠]

وبحسب تقدير هيرشبرغ، سنة ١٩١٠، بلغ عدد يهود صفد ٧١٤٠ نسمة، ٦٩,٢٪ منهم من الأشكناز، و٣٠,٨٪ من السفارديم.[١٠١] كما أن إحصاء المنظمة الصهيونية لسنة ١٩١٨ أشار إلى أن نسبة الأشكناز بلغت ٦٩٪، ونسبة السفارديم ٣١٪.[١٠٢]

قدم معظم اليهود الأشكناز من مناطق الإمبراطورية النمساوية الهنغارية وشرق أوروبا، وقدمت قلة من وسط أوروبا وغربها، واعتبروا كلهم تقريباً من أتباع حركة الحسيدوت.[١٠٣] وكانوا ينضمون إلى مدارس دينية طبقاً لأصولهم المتعددة، فكل مجموعة كانت لها كُنُسها ومعاهدها الخاصة. وذكر إليعيزر روكاح أن عدد الكنس في صفد في الثمانينيات من القرن التاسع عشر بلغ ٢٢ كنيساً أشكنازياً، و٥ كنس سفارادية.[١٠٤]

كان لحاخامي المدارس تأثير كبير في أبناء الجالية، وبرز منهم الحاخام رفائيل زلبرمان، الذي درّس علوم التوراة في مدرسة ووهلين وشغل وظيفة الحاخام

(٩٩) شور، «تاريخ صفد»، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦.

(١٠٠) المصدر نفسه، ص ٢١٩؛ أبراهام لونتس، «قوائم أرض إسرائيل، ١٨٩٥ ـ ١٩٠٢» (بالعبرية)، (القدس: لا دار نشر، لا تاريخ)، الأجزاء ١ ـ ٧، ص ١٢.

(١٠١) أبراهام شموئيل هيرشبرغ، «في بلاد الشرق» (بالعبرية)، (فيلنا: لا دار نشر، ١٩١٠)، ج ١، ص ٩٨ ـ ٩٩.

(١٠٢) مكتب أرض إسرائيل التابع للمنظمة الصهيونية، مصدر سبق ذكره، ص ٢١.

(١٠٣) يحيئيل ميخال فينس، «سبعة أسابيع في الجليل»، في: «بناء البلد» (بالعبرية)، (لا مكان: لا دار نشر، ١٩٣٩)، ج ٢، ص ١٩؛ روكاح، مصدر سبق ذكره، ص ٣ ـ ٤؛ روت ماروم، «جالية صفد، ١٨٨٢ ـ ١٩١٧» (بالعبرية)، (حيفا: جامعة حيفا، ١٩٩٧)، ص ٤١.

(١٠٤) روكاح، مصدر سبق ذكره، ص ٤ ـ ٦.

الأشكنازي الأكبر للمدينة طوال أربعين عاماً تقريباً حتى وفاته سنة ١٩١٨.[١٠٥]

وكما ورد أعلاه، شكل اليهود السفاراديم، في سنة ١٩١٨، ما نسبته ٣٠٪ تقريباً من مجموع أبناء الجالية اليهودية. وترجع أصولهم إلى مراكش والجزائر وإيران وأرجاء الدولة العثمانية. وبرز منهم اليهود الجزائريون الذين تزعموا الجالية في المجالات الدينية والسياسية والإدارية.[١٠٦]

كان اليهود السفاراديم أكثر تضامناً من الأشكناز، وكانوا يتكلمون اللغة العربية ويتصرفون كالعرب تماماً في عاداتهم ولباسهم. وعلى الرغم من أنهم سكنوا حياً منفرداً، فإنهم لم يتقوقعوا ولم يشعروا بالغربة كاليهود الأشكناز، وكانت الروابط بين الحيين اليهوديين ضعيفة، إذ كان لكل طائفة مؤسساتها الخاصة. وبالإضافة إلى الفوارق الاجتماعية بينهما، كان هنالك فوارق في مصادر الرزق أيضاً؛ فأغلبية السفاراديم اعتمدت على الأشغال اليدوية والمهن الحرة، مثل الوظائف، والتجارة الخفيفة، والباعة المتجولين، وصناعة الأجبان، وذلك على عكس الأشكناز. ولم يحصل على أموال الصدقات من السفاراديم سوى طلاب المعاهد الدينية.[١٠٧]

ظهرت في صفوف الجالية السفارادية عائلات معروفة كعائلات الأعيان لدى المسلمين والمسيحيين، فبرز منها الحاخام شموئيل عبّو الذي عمل وكيلاً قنصلياً لفرنسا، وشغل منصب الحاخام السفارادي الأكبر في الفترة ١٨٥٨ ـ ١٨٨٠. كذلك شغل نجله يعقوب حاي عبّو منصب الحاخام السفارادي الأكبر في نهاية القرن التاسع عشر.[١٠٨] وعلى الرغم من أن الأشكناز شكلوا الأكثرية، فإن عائلة عبّو كانت أكثر العائلات اليهودية شهرة في المدينة طوال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وذلك

(١٠٥) شور، «تاريخ صفد»، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٦؛ ماروم، مصدر سبق ذكره، ص ٤٣ ـ ٤٤؛ سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م، ص ٢٠٠.

(١٠٦) ميخال بن ـ يعقوب، «هجرة واستيطان اليهود المغاربة في أرض إسرائيل في القرن السابع عشر»، في: «مؤتمر أبحاث الجليل» (بالعبرية)، (صفد: مركز دراسات صفد/كلية صفد، ١٩٩٦)، ص ٢٩.

(١٠٧) فايسبلوم، مصدر سبق ذكره، ص ١٦؛ شموئيل أفيتسور، «مصادر معيشة يهود صفد»، في: «فصول صفد» (بالعبرية)، (تل أبيب: معهد معرفة الشعب والبلد، ١٩٦٩)، ص ٤٥؛ ميخال بن ـ يعقوب، «الشارع السفارادي والشارع الأشكنازي والفوارق في صفد في القرن السابع عشر»، في: «مؤتمر أبحاث الجليل»، مصدر سبق ذكره، ص ١٣؛ ماروم، مصدر سبق ذكره، ص ٤٢.

(١٠٨) شور، «تاريخ صفد»، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٦؛ زئيف عنير، «قصص العائلات» (بالعبرية)، (تل أبيب: وزارة الدفاع، ١٩٩٠)، ص ١٣٨ ـ ١٤٤.

بفضل زعمائها الذين كانوا حاخامين كباراً ووكلاء قناصل فرنسيين وملاّكاً في المناطق القروية حول صفد، والذين قاموا بدور مهم في امتلاك الأراضي وإقامة المستعمرات اليهودية في الجليل الأعلى وسهل الحولة، وهذا بفضل الوساطة والدعم والحماية التي وفروها للمستوطنين الأوائل.[١٠٩]

ويلاحَظ أنه مع إطلالة القرن العشرين وطوال عهد الانتداب تصاعدت قوة اليهود الأشكناز، وفي المقابل تراجع تأثير اليهود السفاراديم. ومن الأسباب التي أدت إلى ذلك اتساع الاستيطان اليهودي الأشكنازي في سهل الحولة وفي جوار صفد، وعدم وجود زعامة رائدة لدى السفاراديم كما كانت عليه الحال أيام الحاخام شموئيل عبّو وابنه يعقوب.

ثالثاً: مصادر الاقتصاد والعلاقات التجارية

شهد الوضع الاقتصادي في صفد تحسناً ملموساً مع بداية الخمسينيات والستينيات من القرن التاسع عشر. فهي كانت دوماً مركزاً تجارياً لسكان الجليل الأعلى الشرقي ولسهل الحولة، وحتى لأجزاء من الجولان والجنوب اللبناني. إذ كان سكان هذه المناطق القروية الخصبة مرتبطين بصفد بروابط تجارية وخدماتية متنوعة، فكانوا يؤمونها للبيع والشراء، وبصورة خاصة أيام الجمعة حين تعقد السوق الأسبوعية الكبيرة. ومن هذه السوق كانوا يشترون سلعهم، مثل أدوات العمل والأواني المنزلية والملابس والأحذية والمنسوجات، وفيها كانوا يبيعون منتوجاتهم الزراعية التي شملت الفواكه والخضروات ومنتوجات الألبان والصوف والحيوانات والحبوب.

كانت تجارة صفد تتم على مستويين: الأول محلي اعتمد على تقديم الخدمات والتبادل التجاري مع المنطقة القروية المجاورة، والثاني كان أكثر اتساعاً إذ اعتمد على التجارة الإقليمية مع مناطق أبعد، وشمل تصدير المنتوجات الزراعية، وخصوصاً الحبوب والزيوت والفاكهة التي كانت تنقل من صفد إلى ميناء عكا ومن هناك إلى أوروبا.

قام التجار العرب في صفد بدور الوسطاء بين الفلاحين وتجار عكا، فكانوا يشترون المنتوجات الزراعية من قرى القضاء وحوران ويبيعونها لتجار عكا. وقد وصف إيلبوم ذلك قائلاً: «يأتي معظم تجار صفد ومحيطها إلى عكا يومياً لأنها عاصمة الجليل؛ فهذا يبيع الحنطة، وذاك يبيع مختلف أنواع القطاني، وثالث الفواكه

(١٠٩) شور، «تاريخ صفد»، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٧.

وما شابه.»[١١٠]

وينقل يحيئيل فينس، الذي زار الجليل وصفد سنة ١٨٨٥، شهادة أُخرى عن حركة التجارة اليقظة مع عكا فيشير إلى أن قسماً من المنتوجات الزراعية كان معداً للتصدير.[١١١]

إضافة إلى الروابط التجارية مع عكا، كان هناك اتصالات تجارية بمدينة صور وقضائها، وقد نقلت قوافل الجمال البضائع بين المنطقتين لعدم وجود المواصلات الحديثة.[١١٢]

وطبقاً لسالنامة ولاية سوريا لعام ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م، كان في صفد ٢٢٧ حانوتاً، و١٥ طاحونة قمح، و١٤ فرناً، و٤ معاصر. ويدل العدد الكثير للطواحين والمعاصر على أنواع المحاصيل في صفد ومحيطها، وتحديداً الزيتون والحبوب.[١١٣]

إضافة إلى فرع التجارة، اعتمد كثيرون من سكان المدينة على الزراعة، أو كانوا شركاء مع فلاحين في هذا الفرع الاقتصادي المهم. فقد صدّرت المدينة كميات كبيرة من زيت الزيتون والتين والعنب والمشمش والرمان والجوز والليمون، كما أن المراعي الخصبة وكميات الحليب المنتجة ساعدت في تطوير صناعة الأجبان الصفدية، أضف إلى ذلك العسل المميز والحبوب والقطن وغيرها.[١١٤]

وعلى الرغم من الاعتقاد السائد فإنه يبدو أن يهود المدينة، وخصوصاً السفارديم منهم، كانوا نشيطين في المجال الاقتصادي ولم يعتمدوا على أموال العون الخارجي فقط. وقد قال الرحالة ستيفان أولن، الذي زار المدينة سنة ١٨٤٠، إن سوقها شهدت حركة تجارية نشيطة، إذ عُرضت فيها سلع متنوعة، وملابس قطنية، وتبغ، ومواد غذائية أُخرى. وبحسب قوله كان لليهود حضور بارز في السوق.[١١٥]

يشار إلى أن كثيرين من يهود المدينة عملوا في الصناعات الخفيفة، مثل الصياغة والبناء والنجارة والحدادة والخياطة والصباغة والوظائف، وخلافه.[١١٦] وكان هناك

(١١٠) إيلبوم مناحم معاندل، «بلاد الظبي» (بالعبرية)، (فيينا: لا دار نشر، ١٨٨٣)، ص ٤٢.

(١١١) فينس، مصدر سبق ذكره، ص ٣٢.

(١١٢) «ثمرات الفنون»، ٣/ ٤/ ١٨٨٨.

(١١٣) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م، ص ٢٤٧.

(١١٤) Olin, op. cit., p. 416.

(١١٥) Ibid., pp. 412-413.

(١١٦) ماروم، مصدر سبق ذكره، ص ٥١؛ شموئيل أفيتسور، «الحياة اليومية في أرض إسرائيل في القرن التاسع عشر» (بالعبرية)، (تل أبيب: لا دار نشر، ١٩٧٢)، ص ٢٤.

مهن امتاز بها اليهود بصورة خاصة، مثل الباعة المتجولين، والصيرفة.[١١٧] كما أن المستعمرتين اليهوديتين الجديدتين في سهل الحولة، يسود همعلا ومشمار هيردين، ومصنع الحرير في روش بينا، جذبت إليها هي الأُخرى بعض شباب الجالية الذين عملوا بالأجرة، وخصوصاً في أواخر العهد العثماني.[١١٨] ويشير الكاهن الإسكتلندي كنينغهام، الذي زار صفد في التسعينيات من القرن التاسع عشر، إلى أن بعض يهود المدينة عمل في زراعة العنب وإنتاج النبيذ.[١١٩]

إضافة إلى فرعي التجارة والزراعة، يبدو أن فرع النسيج والغزل والحياكة بقي أحد المصادر الاقتصادية. وأشارت الرحالة مارتينو، التي زارت المدينة سنة ١٨٤٧، إلى أن قسماً من السكان ما زال يعمل في صباغة الأقمشة باللون الأزرق وفي غزل الملابس القطنية، هذا إلى جانب زراعة الفواكه والخضروات وإنتاج النبيذ.[١٢٠] ويستدل من ذلك على أنه حتى أواخر القرن التاسع عشر واصل الصفديون شراء الصوف والقطن من الريف، وقاموا بصبغه في مصابغ وادي الطواحين المجاور. واستُخدم الصوف والقطن المصبوغ محلياً في صناعة المنسوجات التي ذهب جزء منها إلى القطاع القروي حول المدينة، وصُدّر البعض الآخر إلى الخارج.[١٢١]

كما أن بعض الصفديين احترف تجارة الأسماك. ويقول ماسترمان إن هذا الفرع كان تحت سيطرة يهودي، كان له امتياز صيد الأسماك في بحيرة الحولة وفي عين الملاحة المجاورة، لفترة خمسة أعوام في مقابل مبلغ ٣١٠٠ ليرة عثمانية. وكان ليهودي آخر قسم من امتياز الصيد في بحيرة طبرية في مقابل مبلغ ٦٠٠٠ ليرة عثمانية.[١٢٢]

(١١٧) شور، «تاريخ صفد»، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٢ ـ ٢٠٤؛ أفيتسور، «الحياة اليومية...»، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤٥ ـ ٢٥٦؛ شولش، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٩؛ لونتس، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨١.

(١١٨) يتسحاق روكاح، «القُدامى يتحدثون» (بالعبرية)، (رمات غان: لا دار نشر، ١٩٧٢)، ص ٨٣.

(١١٩) Cunningham Geikie, D.D., *The Holy Land and the Bible* (New York: James Pott & Co., Publishers, 1888), p. 829.

(١٢٠) Harriet Martineau, *Eastern Life, Present and Past* (London: n. p., 1848), vol. III, pp. 252-253.

(١٢١) إفرايم طوبنهويز، «في المسار الوحيد، حياة حالم ومقاتل في مدينة الزهّاد» (بالعبرية)، (حيفا: لا دار نشر، ١٩٥٩)، ص ٦٦ ـ ٦٧؛ شولش، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٩؛ أفيتسور، «الحياة اليومية...»، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦٨.

(١٢٢) Masterman, op. cit., p. 173; أفيتسور، «الحياة اليومية...»، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠.

ذكر الطبيب ماسترمان، الذي عمل في صفد في نهاية العهد العثماني، أن التجارة تركزت سابقاً في أيدي اليهود، إلاّ إنها في الأعوام الأخيرة انتقلت إلى أيدي التجار المسلمين، وخصوصاً التجارة مع الفلاحين العرب. ووفقاً لأقواله، فإن التجار المسلمين منحوا الفلاحين تسهيلات أكثر، وحصلوا على دعم من السلطات لجباية ديونهم.(١٢٣) يتضح من أقوال ماسترمان أن تزايد قوة التجار المسلمين وسيطرتهم على قسم من تجارة المدينة كان خلال أواخر القرن التاسع عشر.

وأورد ميخائيل أساف تأكيداً آخر لهذا الرأي في اقتباس من صحيفة «هميليتس» العبرية، التي ورد فيها:

> يحلّق التجار العرب عالياً عالياً، وتقوم تجارتهم على أنقاض التجارة اليهودية. وعدد الأغنياء بينهم ليس كبيراً، لذلك لا يوجد تنافس بين التجار. المفاوضات مع الفلاحين، وشراء المحاصيل، وتزويد المواد الغذائية والملابس، كل ذلك أصبح بواسطة التجار العرب. قبل ذلك كانت التجارة مع اليهود.... لكن مع التطور الجاري لدى العرب المديين، أخذ التجار العرب يتفوقون على اليهود ويسيطرون على التجارة، وأخذوا ينافسونهم في السوق اليهودية. كذلك فإنهم لا يشترون بالدين، إنما نقداً، ويكتفون بالربح القليل، حتى إن اليهود أصبحوا يشترون بضائعهم من العرب.(١٢٤)

أشار بهجت والتميمي في تقريرهما عن ولاية بيروت، القسم الجنوبي، إلى أن المسلمين والمسيحيين، في أغلبيتهم، يزاولون التجارة، وأن المسلمين ذوو خبرة في هذا المجال. فالصفديون، كما يقولان، لديهم ميل كبير إلى جمع الأموال، وأن عدد التجار الذين تقدر ثروتهم بـ ٢٠٠٠ ـ ٣٠٠٠ ليرة يتراوح بين ٢٠ و٣٠ تاجراً، وهم ينجحون في مضاعفة ثروتهم وتأثيرهم عن طريق الوظائف الإدارية، أو التهرب من دفع الضرائب بواسطة استغلال نفوذهم.(١٢٥)

إن عدد المصارف الذي وجد في صفد قبل الحرب العالمية الأولى يلقي الضوء على وضعها الاقتصادي. فقد كان هناك ٤ مصارف متنوعة. الأول هو البنك العثماني، وكانت ملكيته إنكليزية ـ فرنسية، والثاني مصرف خاص عُرف باسم بنك برزل ـ برشد كانت تمتلكه عائلتان يهوديتان،(١٢٦) والثالث هو بنك أنغلو ـ فلسطين

(١٢٣) Masterman, op. cit., p. 173.

(١٢٤) أساف، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٠، نقلاً عن صحيفة «هميليتس» العبرية، العدد ٢٣.

(١٢٥) التميمي وبهجت، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٣٥٦ ـ ٣٥٧.

(١٢٦) روكاح، «القدامى يتحدثون»، مصدر سبق ذكره، ص ٨٢.

وكانت ملكيته يهودية.(١٢٧) وقد فتح العثمانيون مصرفاً رابعاً بهدف تشجيع الزراعة، عُرف باسم البنك الزراعي الذي أعطى الفلاحين القروض وساعدهم في تطوير زراعتهم. وقد كان أعضاء مجلس إدارته كلهم عرباً صفديين، برز منهم حسين عبد الرحيم أفندي، والحاج أحمد الأسدي، وعبد اللطيف الحاج سعيد، وأسعد خوري.(١٢٨)

يُشار إلى أن النمو البطيء المتواصل في اقتصاد صفد في نهاية القرن التاسع عشر تضرر بعض الشيء في أواخر العقد الأول من القرن العشرين، وخصوصاً بعد ربط حيفا بخط سكة حديد الحجاز سنة ١٩٠٦، الذي استحوذ على جزء متزايد من تجارة محاصيل منطقتي حوران والجولان. كما أن تراجع مكانة صور وصيدا بعد تصاعد مكانة بيروت أثّر في تجار صفد الذين كانوا مرتبطين بهذين الميناءين.

كذلك أثّر وضع شبكة المواصلات سلباً في اقتصاد صفد؛ فالمدينة لم تكن مرتبطة بأية طرق سهلة. وفي بداية الحرب العالمية الأولى فقط مُهدت طريق للمركبات بين طبرية وصفد. وقبل ذلك كانت حركة السير والتجارة تتم بواسطة القوافل عبر المسارب الجبلية الوعرة.(١٢٩)

في سنة ١٩٠٠، تأسست في صفد غرفة تجارة وزراعة، الأمر الذي يشير إلى رغبة تجار المدينة في دفع الحركة الاقتصادية قدماً، وقد ترأسها عبد اللطيف أفندي الحاج عيسى، وشاركه في عضويتها كل من محمود الحاج مصطفى أفندي، وعيد أفندي البشت.(١٣٠)

في ضوء ما ذكر أعلاه، يمكن القول إن تجارة مدينة صفد كانت ذات طابع محلي. فقد مدت ظهيرها القروي بخدمات متنوعة، واشترت منه المنتوجات الزراعية. إضافة إلى ذلك شارك تجار صفد الأثرياء في تجارة الحبوب الإقليمية التي نُقلت من حوران والجولان إلى ميناء عكا، إلاّ إن بناء سكة الحديد بين حيفا ومنطقة حوران أضر بهذا الفرع.

(١٢٧) أساف، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٩.

(١٢٨) سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١١ ـ ١٣١٢هـ/١٨٩٣ ـ ١٨٩٤م، ص ١٨٤.

(١٢٩) Masterman, op. cit., p. 174;
فايسبلوم، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥ ـ ٢٦؛ يهودا كرمون، «طرق المواصلات في جبال صفد وتطورها التاريخي»، «مجلة الجمعية لدراسة أرض إسرائيل وآثارها»، المجلد ٤، ١٩٦٠، ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩؛ أساف، مصدر سبق ذكره، ص ٣٥٧؛
Safed Road Map, 27/9/1918; War Office 303/318, 303/226, 1916.

(١٣٠) سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م، ص ٣١٠.

رابعاً: صفد في إبان الحرب العالمية الأولى، أعوام الضائقة والجوع

بعد فترة الازدياد الديموغرافي والنمو الاقتصادي التي شهدتها صفد منذ منتصف القرن التاسع عشر، منيت المدينة بضربة قاسية خلال الحرب العالمية الأولى، وخصوصاً الجالية اليهودية. وقد وصف الكاتب الصفدي يهوشواع بار ـ يوسف وضع يهود صفد خلال الحرب قائلاً:

> تعرضت صفد كلها للمجاعة، ففي أقل من عامين انهارت المدينة تماماً. كل مواطن يهودي رابع في المدينة مات في ذلك الصيف بوباء التيفوئيد، وتقصير السلطات التركية المحلية في محاربة هذا الوباء، وعجز اليهود المحليين عن تأمين أدنى الشروط الوقائية، والجوع الذي قضى على بقايا قوى الجسم لمواجهة المرض؛ وهذه كلها أمور ألحقت بصفد اليهودية خراباً روحياً ومادياً.(١٣١)

ويضيف بار ـ يوسف أنه في تلك الفترة اضطرت بعض العائلات اليهودية إلى بيع أمتعتها للأثرياء والعرب في المدينة، ويذكر أن أمه باعت كل أدواتها الفضية، وحليها، والأمتعة البيتية، للأفندية الأغنياء كي تشتري الطعام.(١٣٢) وتشهد أقوال بار ـ يوسف هذه على الضائقة الصعبة، وخصوصاً في الحي اليهودي، بينما لم يتعرض السكان العرب للضائقة نفسها، لأن هؤلاء كانوا مرتبطين بالظهير الزراعي، وبعضهم زرع المحاصيل المتنوعة، كما أن العرب لم يعتمدوا على مصادر رزق خارجية كجيرانهم اليهود.

ومن جملة الأسباب التي جعلت الضائقة لدى اليهود كبيرة إلى هذا الحد تركيبتهم الديموغرافية، إذ كان كثيرون منهم مسنين قدموا إلى البلد لتمضية أعوامهم الأخيرة من دون أُسر تدعمهم وتعينهم.

وقد وصف أبراهام أليميلخ، هو الآخر، الضائقة الاقتصادية الصعبة التي لحقت بصفد في إبان الحرب فقال:

> الأزمة الاقتصادية لم ترحم المدينة الفقيرة صفد، بل قمعتها حتى التراب، وأموال العون التي شكلت مصدر الدخل الوحيد لسكان المدينة توقفت نهائياً جرّاء الحرب الأوروبية، وكانت آلاف الأنفس في المدينة عرضة للجوع الفتاك، والتجارة الخفيفة توقفت، والباعة

(١٣١) يهوشواع بار ـ يوسف، «بين صفد والقدس» (بالعبرية)، (تل أبيب: لا دار نشر، ١٩٩٢)، ص ١٥.

(١٣٢) المصدر نفسه، ص ١٦ ـ ١٧.

> الصفديون كادوا يفرغون حوانيتهم البائسة من البضاعة، التي لم تكف حاجات المدينة كلها. وبات أصحاب المشاغل بلا عمل، ولم يكن لديهم ما يؤمن لهم كسرة الخبز.(١٣٣)

صفدي آخر وصف وضع المدينة قائلاً:

> يبدو أحياناً أن أبناء صفد تعودوا المصائب والضيق جرّاء الأزمة الحالية، وكانت المدينة في الأشهر الأولى للحرب العالمية في أزمة شديدة، فغار ينبوع العون وخرب، وفجأة أخذ الغلاء يزداد. وبالإضافة إلى ويلات الحرب والجوع الذي حل بالمدينة، فقد ضيّق الجيش التركي على السكان من خلال أعمال السخرة الإجبارية، ومصادرة البهائم والمحاصيل التي حُوّلت إلى المجهود الحربي، كما أن القحط والجراد ضيّقا على السكان إلى درجة أنهم اشتهوا كسرة الخبز.(١٣٤)

وتطوع بعض الهيئات لدعم سكان صفد، وبصورة خاصة اليهود منهم الذين عانوا أكثر من العرب. فعلى سبيل المثال، قدم بنك أنغلو ـ فلسطين العون للسكان بإصدار شيكات ممهورة وُزعت عليهم لتمكينهم من الحصول على المواد الغذائية بلا مقابل. إلاّ إن المصدر الأساسي الذي مد يد العون ليهود صفد كان يهود أميركا، وذلك من خلال صندوق العون الأميركي.

جاءت هذه المساعدة بعد أن استشرى الجوع واشتدت ضراوته على السكان. وفي المرحلة الأولى لعمل هذا الصندوق نشب نزاع مع السكان الذين طلبوا الحصول على دعم نقدي، ورفضوا الدعم من خلال إعطاء قروض وما شابه.(١٣٥)

لم يخضع صندوق الدعم للضغوط، وإنما فتح بقالة، الأمر الذي أدى إلى هبوط أسعار السلع. وقد خصص الصندوق لصفد مبلغاً إجمالياً بلغ ٢٠,٠٠٠ فرنك،(١٣٦) كما وزع الطحين، والنفط، والزيت، والفحم، والقمح. واشترى المحاصيل من فلاحي المنطقة ووزعها على الفقراء، ومنهم بعض فقراء

(١٣٣) أبراهام أليميلخ، «أرض إسرائيل وسورية في أثناء الحرب العالمية» (بالعبرية)، (القدس: لا دار نشر، ١٩٢٩)، ج ٢، ص ٢٤٨.

(١٣٤) موشيه بن ـ أريبه، «قصة تاريخ روش بينا»، أرشيف الموشافا روش بينا، ملف رقم ٣٤٧/١، ج ٣، ص ٨٩٠ ـ ٨٩١.

(١٣٥) أليميلخ، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤٩ ـ ٢٥١؛ ناتان أفراتي، «من اليأس إلى الأمل، اليشوف في البلد خلال الحرب العالمية الأولى» (بالعبرية)، (القدس: لا دار نشر، ١٩٩١)، ص ٢٢٦ ـ ٢٢٨.

(١٣٦) أليميلخ، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥٠.

المسلمين.[١٣٧]

يشير مردخاي إلياف إلى أنه إضافة إلى الدعم المهم من يهود أميركا الذي أنقذ المدينة بحسب قوله، ساهم الألمان والنمساويون في الدعم بواسطة قنصليهم في القدس، فقدمت النمسا الدعم على الصعيد الاقتصادي، بينما كان دعم الألمان أكثر في المجال السياسي.[١٣٨]

أمّا القائمقام العثماني فقد شكل لجنة مشتركة عربية ـ يهودية لمراقبة الوضع الاقتصادي، ووضع في أول سلم الأفضليات خفض أسعار الحاجات الضرورية ومنحها لكل طالب.[١٣٩] وعلى الرغم من كل ذلك فإن الوضع بقي متدهوراً، إذ سادت البطالة الشديدة وتم إغلاق المصالح والمشاغل، الأمر الذي حمل كثيرين من العمال على الرحيل إلى وسط البلد بحثاً عن عمل.[١٤٠]

وكان وضع اليهود الأشكناز في صفد الأصعب، أمّا السفاراديم فكان وضعهم أخف وطأة. إذ خلافاً لإخوانهم، لم يكونوا متعلقين بأموال العون. إلاّ إنه نظراً إلى كون نسبة عالية منهم من رعايا فرنسا فقد تعرضوا لمضايقات من السلطات، ولهذا طلب كثيرون منهم التنازل عن جنسيتهم الفرنسية ليُسَجَلوا كرعايا عثمانيين، وهكذا فعل كثيرون من رعايا بريطانيا وروسيا، إذ كانت الدولتان في حالة حرب مع العثمانيين. وقام قائمقام صفد بدعمهم في هذا التوجه وقبلهم كرعايا عثمانيين.[١٤١]

على الرغم من كل المساعدات فقد ترك المدينة خلال الحرب كثير من سكانها، وبصورة خاصة اليهود وقسم من العرب المسيحيين. ووصف بار ـ يوسف حركة الهجرة من صفد بقوله:

> في نهاية ذلك الصيف، في خريف سنة ١٩١٧، حينما استيقظ البشر على هول الوباء الذي انقضى بعد أن حصد ما حصد من الأرواح، بدأ رحيل يهود صفد الكبير إلى كل أرجاء المعمورة. فر الهاربون في اتجاهين: مواطنو روسيا أو بقية الشعوب التي حاربت ضد الحلف وضد تركيا فروا إلى القاهرة الخاضعة لسيطرة البريطانيين، ومن هناك إلى إفريقيا وأستراليا وأميركا؛ أمّا مواطنو النمسا وهنغاريا، بما في ذلك غاليسيا، فقد فروا إلى مسقط رأسهم بالقطار عن طريق تركيا والبلقان، وكانت أقلية ضئيلة من أشكناز البلد مواطنين عثمانيين.[١٤٢]

بالإضافة إلى الهجرة الكبيرة توفي المئات من أبناء المدينة جرّاء المرض والجوع، وقُدّرت نسبة الوفيات في إبّان الحرب بـ ٦٥ حالة لكل ١٠٠٠ نسمة. وفي سنة ١٩١٤ وحدها سُجلت ٣٣٣ حالة وفاة بين الأشكناز.[١٤٣]

في إحصاء أجرته المنظمة الصهيونية سنة ١٩١٨ تبين أنه بقي في صفد ٢٦٨٨ من اليهود، وكانوا بحسب التوزيع التالي:

عدد أفراد الجالية اليهودية في صفد وتركيبتها سنة ١٩١٨

الطائفة	أرقام مطلقة		نسبة مئوية	
	عدد الأُسر	عدد الأفراد	نسبة الأُسر	نسبة الأفراد
أشكناز	٦٩٨	١٨٥٨	٪٧٢,٦٤	٪٦٩,١٢
سفاراديم	٢٣٣	٧٢٨	٪٢٤,٢٥	٪٢٧,٠٩
فُرس ومغاربة (شمال إفريقيا)	٣٠	١٠٢	٪٣,١١	٪٣,٧٩
المجموع	**٩٦١**	**٢٦٨٨**	**٪١٠٠,٠٠**	**٪١٠٠,٠٠**

المصدر: مكتب أرض إسرائيل التابع للمنظمة الصهيونية، «إحصاء يهود أرض إسرائيل، الكراس ب ـ السامرة والجليل» (بالعبرية)، (يافا: لا دار نشر، ١٩١٩)، ص ٢١.

نذكر أنه قبل الحرب قُدر عدد اليهود بسبعة آلاف نسمة تقريباً. وأدت هجرة اليهود، بمن في ذلك أصحاب المشاغل والموسرون، إلى تعزيز مكانة السكان العرب في المدينة، وبصورة خاصة طبقة التجار وأصحاب المشاغل الذين أصبحوا من دون منافسين تقريباً. ومنذ ذلك الحين أصبح العرب القوة السائدة والمسيطرة في المدينة في المجالات كافة، واستمرت هذه الحال حتى نكبة ١٩٤٨.

---

(١٣٧) المصدر نفسه، ص ٢٥٣.

(١٣٨) مردخاي إلياف، «دور ممثلي ألمانيا والنمسا من أجل اليشوف في أرض إسرائيل»، في: مردخاي إلياف (تحرير)، «في الحصار والضيق، أرض إسرائيل في أثناء الحرب العالمية الأولى» (بالعبرية)، (القدس: مطبعة ياد بن ـ تسفي، ١٩٩١)، ص ١٥٧ ـ ١٥٩.

(١٣٩) أليميلخ، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥١.

(١٤٠) المصدر نفسه، ص ٢٥٣.

(١٤١) المصدر نفسه، ص ٢٥١ ـ ٢٥٢.

(١٤٢) بشأن التوسع في موضوع الهجرة، أنظر: أفراتي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣٩ ـ ٢٤٣.

(١٤٣) عوزيئيل شملتس، «تدني عدد سكان أرض إسرائيل في أثناء الحرب العالمية الأولى»، في: إلياف (تحرير)، مصدر سبق ذكره، ص ٤٢ ـ ٤٣.

الفصل الثالث: المبنى الاجتماعي في مدينة صفد **55**
أولاً: عائلات الأعيان الإسلامية، زعماؤها ومصادر قوتها 55
أ) العائلات التي شغلت المناصب الدينية والإدارية 56
1. عائلة النحوي 56
2. عائلة الحاج عيسى/ المفتي 62
3. عائلة سعد الدين/ السعدي 62
ب) العائلات الإقطاعية 63
1. عائلة قدّورة 63
2. عائلة صبح 69
3. عائلة مراد 69
ج) العائلات التي عملت في مجالات الإدارة والوظائف والمهن الحرة 70
1. عائلة الخضراء 70
2. عائلة شمّا 73
3. عائلة الحاج سعيد/ عبد الرحيم 74
ثانياً: المسيحيون والجزائريون واليهود 75
أ) المسيحيون 75
ب) الجزائريون 79
ج) اليهود 81
ثالثاً: الطبقة الوسطى وطبقة العمال 86
أ) الطبقة الوسطى 86
ب) طبقة العمال 87

الفصل الرابع: تحولات في اقتصاد صفد في عهد الانتداب **89**
أولاً: الحدود الانتدابية وتأثيرها في اقتصاد صفد 89
ثانياً: فروع الاقتصاد الأساسية في صفد 93
أ) فرع التجارة 93
ب) فرع الحرف والصناعة 98
ج) فرع النقاهة والاستجمام 101
د) فرع الصيرفة 102
هـ) فرع الوظائف والخدمات 102
و) فرع الزراعة 103
ثالثاً: تأثير الصراع العربي – اليهودي في اقتصاد المدينة 106
رابعاً: إقامة الشركة اليهودية لتطوير صفد 109
خامساً: النقابات المهنية ونشاطها الاقتصادي 110
أ) جمعية العمال العرب في صفد 110
ب) جمعية العمال العربية الفلسطينية 111
ج) النقابة العامة للعمال اليهود في صفد 111

الفصل الخامس: الحياة الدينية في صفد **113**
أولاً: مكانة صفد الدينية 113
ثانياً: المساجد والزوايا ومقامات الأولياء والأوقاف 119
أ) المساجد 119
1. الجامع الأحمر الظاهري 119
2. الجامع اليونسي (جامع السوق) 121
3. المسجد الجوقنداري 121
4. مسجد السويقة (الشيخ عيسى) 122
5. مسجد القطب الشيخ أحمد الخفاجي 122
6. مسجد الغار (الشعرة الشريفة) 123
7. مسجد السرايا 124
ب) الزوايا 124
1. زاوية بنات حامد 125
2. الزاوية الأسدية 126
3. الزاوية الأحمدية 128
ج) مقامات الأولياء 128
د) الأوقاف 128
ثالثاً: الجمعيات الإسلامية ونشاطها 136
أ) النادي الرياضي الإسلامي 137
ب) جمعية الشبان المسلمين 138

الفصل السادس: صفد والمنطقة القروية في عهد الانتداب: علاقات وتوترات **141**
أولاً: مساحة القضاء ومبناه الديموغرافي 142
ثانياً: ضعف المنطقة القروية وترسيخ قوة العائلات المدينية 146
ثالثاً: القبائل البدوية والملاّك المدينيون 149
رابعاً: العلاقات المدينية – القروية خلال الفترة 1920 – 1945 152
أ) المرحلة الأولى (مرحلة التعاون، 1920 – 1936) 153
ب) المرحلة الثانية (تأزم العلاقات، 1937 – 1945) 159

الفصل السابع: النشاط السياسي في العقد الأول من الانتداب، 1918 – 1928 **165**
أولاً: انطلاق الحركة القومية العربية في أواخر العهد العثماني وفترة حكم الأمير فيصل في دمشق 165
ثانياً: النشاط الوطني في المدينة: من الوحدة إلى الانقسام 170
أ) زعامة المفتي الشيخ أسعد قدّورة خلال الفترة 1920 – 1923 170
ب) الانقسام داخل قيادات المدينة 176

الفصل الثامن: أحداث حائط البراق سنة 1929 في صفد **183**
أولاً: قضية حائط البراق وانعكاساتها على صفد 183
ثانياً: امتداد الاضطرابات إلى صفد، الهجوم على الحي اليهودي ونتائجه 187
ثالثاً: تأثير الأحداث في سكان المدينة العرب 192
أ) المجال القضائي 193
ب) المجال الاجتماعي/ الاقتصادي 198
ج) المجال السياسي 201
رابعاً: محاولات تحسين العلاقات بين العرب واليهود في الفترة 1930 – 1932 204

الفصل التاسع: الحركة الوطنية في الفترة 1930 – 1939 **209**
أولاً: جمعية الشبان العرب 209
ثانياً: الحركة الوطنية الصفدية في إبان الإضراب والثورة الفلسطينية الكبرى، 1936 – 1939 216

الفصل العاشر: صفد في إبان الحرب العالمية الثانية: حالة الضعف العربي إزاء تصاعد قوة اليهود **229**
أولاً: موقف السكان من البريطانيين خلال الحرب 229
ثانياً: العلاقات العربية – اليهودية من تحسن موقت إلى أزمة 233
ثالثاً: تفاقم النزاع بشأن الأراضي 235
رابعاً: نشاط صندوق الأمة في قضاء صفد 243
خامساً: استعدادات الهاغاناه والنجادة في صفد 246

الفصل الحادي عشر: معركة صفد وسقوط المدينة **257**
أولاً: تأهب الفريقين – بداية الصدامات 260
ثانياً: هجمات البلماح على القرى العربية في القضاء 264
ثالثاً: قضية الحصار 267
رابعاً: موقف البريطانيين 269
خامساً: معركة الاستنزاف 272
سادساً: قوات الكتيبة الثالثة في مواجهة قوات فوج اليرموك 275
سابعاً: مقارنة حجم القوات العربية واليهودية 283
ثامناً: هجوم البلماح وهزيمة القوات العربية 286
تاسعاً: فرار أم طرد جماعي!! 291
أ) المرحلة الأولى 292
ب) المرحلة الثانية 293
ج) المرحلة الثالثة 293

خاتمة **299**

المراجع **305**

ملاحق **325**

1. أسماء بعض القائمقامين 327
2. أعضاء مجلس إدارة قضاء صفد 328
3. أعضاء المحكمة النظامية 332
4. أعضاء دائرة المعارف 334
5. أعضاء المجلس البلدي 336
6. صُوَر ووثائق 338

فهرست **361**

قائمة الجداول

. تلخيص المبنى الديموغرافي، 1840 – 1918 17
. عدد أفراد الجالية اليهودية في صفد وتركيبتها سنة 1918 37
. عضوية المجلس البلدي في صفد في عهد الانتداب 49
. ميزانية المجلس البلدي في صفد، سنوات متعددة 52
. الأعضاء اليهود وسنوات عضويتهم في المجلس البلدي في صفد (1927 – 1946) 84
. التركيبة الديموغرافية لصفد في عهد الانتداب 85
. توزيع العمل في القطاع اليهودي (1918/1919) 96
. توزيع فروع العمل في الوسط اليهودي سنة 1929 97
. توزيع أصحاب المهن اليهود سنة 1942 98
. المصانع الخمسة الكبيرة في صفد سنة 1945 100
. عدد المواشي في صفد وقضائها 105
. إنتاج المحاصيل 105
. إنتاج الفواكه والخضروات 105
. قبور ومقامات الصالحين في صفد، مواقعها وأوقافها 129
. أملاك الأوقاف ومداخيلها سنة 1926 131
. المداخيل العامة للوقف في بعض السنوات 135
. مصروفات أوقاف صفد لسنة 1932 135
. مصروفات أوقاف صفد في آذار/ مارس 1941 136
. التوزيع الديموغرافي لسكان صفد وقضائها 143
. التركيبة الدينية لسكان المنطقة القروية في قضاء صفد (1922، 1931، 1944) 145
. قرى ومساحات أراضي العائلات الصفدية في المنطقة القروية 148
. الأعضاء المشاركون من أبناء صفد في المؤتمرات العربية الفلسطينية 175

. المبالغ التي قدمت لمنكوبي صفد 200
. ملكية الأراضي في قضاء صفد سنة 1947 239
. القرى التي بيعت أراضيها كلياً أو جزئياً لليهود في عهد الانتداب، وأسماء البائعين 241
. أعضاء لجنتي النجادة الأولى والثانية لسنة 1946 249
. فروع منظمة النجادة في قضاء صفد والمنطقة المجاورة 251

الفصل الثاني
الاستمرارية والتغيير في الجهاز الإداري والمؤسسات المحلية في عهد الانتداب

أولاً: جهاز إدارة الألوية والأقضية

في أيلول/سبتمبر ١٩١٨، أكمل الجيش البريطاني احتلاله شمال فلسطين، الأمر الذي جعل صفد وقضاءها جزءاً مما عرف بـ «إدارة أراضي العدو المحتلة في الجنوب» (Occupied Enemy Territory Administration/OETA South). وبهذا تكون السيطرة البريطانية قد اكتملت على فلسطين بسناجقها الثلاثة، القدس ونابلس وعكا.

يشار إلى أن التقسيم الإداري لفلسطين في فترة الحكم العسكري (١٩١٧ ـ ١٩٢٠) لم يكن ثابتاً، فقد تغير عدة مرات، وكذلك كانت الحال بعد بداية الحكم المدني في الأول من تموز/يوليو ١٩٢٠.[١] لكن، على الرغم من ذلك فإن صفد بقيت طوال عهد الانتداب مركز قضاء تابع للواء الشمالي الذي أصبح مقره في مدينة الناصرة، بينما كانت في الفترة العثمانية تابعة إدارياً لمركز السنجق في مدينة عكا.

وفي آذار/مارس ١٩٢٠، أجرى البريطانيون تغييراً في حدود قضاء صفد، إذ اقتُطعت عدة قرى في ناحية الجبل سابقاً، وهي قرى معليا وترشيحا وسحماتا وكفر سميع والبقيعة وبيت جن، من قضاء صفد وأُلحقت بقضاء عكا، وضُم إلى قضاء صفد بدلاً منها قرى كفر عنان وياقوق وفراضية.[٢]

---

(١) بشأن التغييرات في المبنى الإداري، أنظر: CO 733/209/25, District Administration, pp. 21-23; راحيل مكوبر، «أنماط الإدارة والحكم في أرض إسرائيل، ١٩١٧ ـ ١٩٢٥» (بالعبرية)، (رمات غان: جامعة بار ـ إيلان، ١٩٨٤)، ص ٨٨؛ يعقوب رؤوفيني، «إدارة الانتداب في أرض إسرائيل، ١٩٢٠ ـ ١٩٤٨: دراسة تاريخية وسياسية» (بالعبرية)، (رمات غان: جامعة بار ـ إيلان، ١٩٩٣)، ص ٥١ ـ ٥٢؛ «تقرير اللجنة الملكية لفلسطين» (بالعبرية)، (القدس: لا دار نشر، ١٩٣٧)، ص ١٠٨ ـ ١٠٩؛ *A Survey of Palestine: Prepared in December 1945 and January 1946 for the Anglo-American Commission of Inquiry* (Jerusalem: Government Printer, 1946), vol. I, pp. 15-16.

(٢) CO 742/1, *Official Gazette*, OETA (Occupied Enemy Territory Administration South), 16 March 1920, p. 4.
أنظر أيضاً: خريطة قرى قضاء صفد قبل النكبة (ملحق رقم ٦).

في تلك الفترة كانت المسؤولية الإدارية في البلد بيد ضباط الحكم العسكري الذين مارسوا مهماتهم منذ كانون الأول/ديسمبر ١٩١٧ حتى تموز/يوليو ١٩٢٠، وكان الحكم العسكري خاضعاً لإمرة القائد الأعلى للجيوش البريطانية، الجنرال أللنبي.[٣] هذا وقد استعانت وزارة الحرب اعتباراً من نهاية سنة ١٩١٨ بوزارة الخارجية في إدارة شؤون فلسطين، وذلك لكون السيطرة على البلد مرتبطة بقضايا سياسية وعالمية حساسة، وخصوصاً أن أللنبي كان قائداً من جانب دول الحلفاء وليس قائداً بريطانياً فحسب. كما أن معالجة الشؤون والقضايا ذات الطابع السياسي نُقلت إلى وزارة الخارجية. وتم تنسيق العلاقة بين الوزارتين بواسطة الضابط السياسي الرئيسي (Chief Political Officer).[٤]

في هذه المرحلة من الحكم العسكري، فضّل البريطانيون أن ينهجوا طبقاً للقوانين الدولية الخاصة بالمناطق المحتلة.

إضافة إلى هذا الجانب، كان البريطانيون معنيين باستمرار عمل الأجهزة ولو موقتاً، فقاموا في هذه المرحلة بإحياء الإدارة السابقة معتمدين على بعض الموظفين الذين أداروا المؤسسات قبل الحرب. على سبيل المثال، اعتمدت جباية الضرائب على جداول تخمينات ما قبل الحرب، كما بقيت قيمة العملة العثمانية سارية المفعول.[٥]

هذا الاتجاه العام في المحافظة على الوضع القائم (status quo) في بداية الحكم البريطاني لم ينجم عن مراعاة القانون الدولي فحسب، بل جاء أيضاً لأسباب سياسية غايتها تسهيل أمور الناس؛ إذ لم يكن البريطانيون معنيين، في هذه المرحلة، بالتدخل في شؤون السكان.

وقد وعى أللنبي الفائدة الناجمة عن استمرارية عمل الأنظمة السابقة وتأثيرها الإيجابي في موقف السكان من السلطة الجديدة، فأصدر في ١٢ تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٨ أمراً قاطعاً طلب فيه استمرار عمل الإدارة الموجودة، كما أمر بتطبيق القوانين المدنية والجنائية التي عُمل بموجبها في العهد العثماني، وشدد على ضرورة استمرار عمل المحاكم الشرعية الإسلامية، مع أقل تدخل ممكن في شؤون السكان، وسمح

(٣) *A Survey of Palestine*, op. cit., pp. 15-16, 112.

(٤) مكوبر، مصدر سبق ذكره، ص ١٤ ـ ١٥.

(٥) يعقوب شافيط ويهوشواع بورات (تحرير)، «الانتداب والوطن القومي، ١٩١٧ ـ ١٩٤٧: تاريخ أرض إسرائيل» (بالعبرية)، (لا مكان: مركز دراسة تاريخ الهاغاناه، ١٩٩٠)، المجلد ٩، ص ٨٦؛ مكوبر، مصدر سبق ذكره، ص ١٢ ـ ٢٧؛ «تقرير اللجنة الملكية...»، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٨.

بإجراء تغييرات فقط في حالات اضطرارية.[٦]

وعلى الرغم من هذه الخطوات التي قد تبدو إيجابية، فإن سياسة الحكم العسكري كانت تعمل جاهدة على تأهيل البنيتين التحتية والإدارية للبلد، وتهيئتهما للحكم المدني الذي استلم دفة الأمور في الأول من تموز/يوليو ١٩٢٠.

نُظِّم الحكم المدني البريطاني على أساس مركزي ومباشر. فعلى رأس كل لواء عُيّن حاكم لواء (District Commissioner) يتبع مباشرة مكتب السكرتير الأول (Chief Secretary)، وعمل إلى جانب حاكم اللواء موظفون كبار مثل نائبه ومساعديه (Assistant District Governor).[٧] أمّا أمور الأقضية فقد أدارها ضباط الألوية (District Officers). إلاّ إنه مع بداية تعيين سكان محليين في وظائف ضباط الألوية (القائمقام) استحدث البريطانيون وظيفة بينية بين حاكم اللواء وضابط اللواء هي وظيفة نائب حاكم اللواء (Sub-District Commissioner)،[٨] وكان في كل لواء مكتب لمدير اللواء سُمي دائرة الحكومة (The Governorate)، وعُرف فيما بعد باسم مكتب حاكم اللواء (The District Commissioner's Office).

تمتع حاكم اللواء بصلاحيات واسعة ومهمات متعددة، لكنه خضع في الوقت نفسه لرقابة ومتابعة مركزيتين، وكانت صلاحياته تشمل المجالات التالية:

١ ـ المسؤولية عن جهاز الموظفين والعاملين في الخدمة العامة في جميع الأقضية التابعة لنفوذه.

٢ ـ المسؤولية عن التفتيش العام والترخيص وتسجيل السكان في لوائه، وكذلك وضع التقرير الشهري السري الذي يشمل موضوعات سياسية إدارية وأخرى أمنية. لذلك كان يطلع على تقارير الاستخبارات في أذرع الأمن المتعددة في لوائه. وكان عليه التنبه للميول والتطورات السياسية في منطقة إدارته.

٣ ـ المسؤولية عن منع الشغب والمحافظة على النظام والأمن والكشف المبكر عن نيات مبيتة للمس بالأمن والتنسيق بين مختلف دوائر الحكم.

٤ ـ المسؤولية عن تقدير الضرائب وجباية المداخيل والرسوم والضرائب على أنواعها، كضريبة الأعشار وضريبة المسقفات وضريبة الأراضي.

٥ ـ المسؤولية عن المحافظة على الأماكن المقدسة وحماية الاحتفالات الدينية.

٦ ـ تمتع حاكم اللواء بصلاحيات كاملة كقاضي الصلح، فكان يفرض العقوبات

(٦) مكوبر، مصدر سبق ذكره، ص ٤٨ ـ ٥٣.

(٧) *A Survey of Palestine*, op. cit., p. 112.

(٨) رؤوفيني، مصدر سبق ذكره، ص ٥٣؛ مكوبر، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧٥.

الجماعية والسجن الاحترازي في حالة توقع تعرض سلامة الناس للخطر.

ساعد حاكم اللواء في إدارة مهماته بعض المستشارين في مختلف الشؤون الإدارية، كالشؤون المالية والضرائب والطب والشرطة والهندسة. وكان هؤلاء المستشارون خاضعين للإدارة في القدس، إلاّ إنهم عملوا بالتنسيق التام مع حاكم اللواء الذي كان دائماً بريطانياً.[٩]

كما أسلفنا، فإن ضباط الألوية كانوا تابعين لحاكم اللواء، إذ أنيطت بهم المسؤولية عن إدارة أمور الأقضية. وكانوا كلهم، حتى تأسيس الحكم المدني سنة ١٩٢٠، من البريطانيين.

وكانت صلاحيات ضابط اللواء واسعة أيضاً، إذ شملت الأمور التالية:

١ ـ المسؤولية عن الجهاز الإداري، والموظفين، والعاملين في الخدمة العامة في القضاء.

٢ ـ المسؤولية عن أعمال الدوائر الحكومية، كالصحة والتربية، ومراقبة تنفيذ عملها بشكل لائق.

٣ ـ المسؤولية عن الأمن والنظام العام.

٤ ـ مراقبة إدارة ميزانيات هيئات الحكم المحلي، بما في ذلك البلديات والمجالس.

٥ ـ المسؤولية عن جباية مختلف الضرائب في قضائه، ورفع التقارير عن التطورات الاقتصادية والمحاصيل.

٦ ـ رفع تقرير شهري سري إلى حاكم اللواء عن مختلف أمور القضاء.[١٠]

شغل الموظفون البريطانيون المناصب والوظائف المهمة في جميع أجهزة الإدارة في فلسطين، وفي الوقت نفسه تراجعت نسبة المشاركة العربية، وبصورة خاصة مشاركة المسلمين، وذلك قياساً بما كان عليه الحال في العهد العثماني. وقد أقلق هذا الوضع السكان العرب الذين وجدوا أنفسهم مهمشين، الأمر الذي لا يتناسب مع نسبتهم إلى مجموع السكان.

---

(٩) *A Survey of Palestine*, op. cit., pp. 112-113;
شافيط وبورات، مصدر سبق ذكره، ص ٩١ ـ ٩٢؛ رؤوفيني، مصدر سبق ذكره، ص ٤٩ ـ ٥٧؛ مكوبر، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧٧ ـ ٢٨١.

(١٠) رؤوفيني، مصدر سبق ذكره، ص ٦٠ ـ ٦١؛
CO 733/209/15, District Administration, p. 27;
مكوبر، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨٦ ـ ٢٨٧.

وفي إطار معالجة هذا الأمر اقترح المندوب السامي الأول هربرت صامويل (١٩٢٠ ـ ١٩٢٥) إشراك السكان المحليين في إدارة الأقضية.[١١] وعليه، فقد شُرع في تعيين موظفين عرب عُرفوا بلقب قائمقام. لكن صلاحياتهم لم تكن مساوية لصلاحيات ضباط الألوية البريطانيين. فالقائمقام لم يُدر شؤون القضاء عملياً، ذلك بأن البريطانيين استحدثوا، كما أشرنا، وظيفة جديدة بين حاكم اللواء[١٢] والقائمقام، وهي وظيفة نائب حاكم اللواء، وكانت مهمته تقديم الاستشارة للقائمقامين المحليين في أداء أعمالهم، والإشراف على إدارة شؤون القضاء بصورة سليمة، وخصوصاً في المجالين الاقتصادي والسياسي. لكن هذه الوظيفة أُلغيت في سنة ١٩٣١، ونُقلت صلاحيات نائب حاكم اللواء إلى مساعد حاكم اللواء، الذي أصبح الشخصية المهمة في إدارة أمور القضاء، إذ خضع له القائمقامون المحليون وكانوا يرجعون إليه في كل الأمور، الصغيرة والكبيرة، الأمر الذي يؤكد أن إشراك العرب المحليين في الإدارة لم يكن إلاّ صورياً.

منذ بداية الحكم العسكري البريطاني لصفد واجهته قضية إدارة مدينة مختلطة؛ فالعرب كانوا الأكثرية الساحقة في المدينة. وعليه، فقد قام الحاكم العسكري بتعيين مستشارين محليين (Local Advisers) عُرفوا أحياناً بصفة نائب مفتش (Sub-Inspector)، وشكلوا حلقة وصل بين الحكم العسكري والسكان المحليين.[١٣] لكن في المقابل، ولإيجاد نوع من التوازن، عُيّن يعقوب برغمان قائداً لشرطة صفد وجوارها، وهو يهودي من مستعمرة روش بينا، وكان سابقاً ضابطاً في الجيش العثماني.[١٤]

مع نهاية الحكم العسكري وتأسيس الحكم المدني، توالى على صفد كثيرون من القائمقامين العرب. لكن من الجدير بالذكر أنه طوال فترة الانتداب كان القائمقامون المعينون من خارج المدينة. ففي سنة ١٩٢٦، مثلاً، شغل رفيق بك بيضون وظيفة القائمقام، ومن ثم خلفه توفيق يزدي.[١٥]

---

(١١) رؤوفيني، مصدر سبق ذكره، ص ٥٤ ـ ٥٥.

(١٢) CO 821/6/1931, Palestine Blue Book, p. 119;
مكوبر، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨٣ ـ ٢٨٤؛ رؤوفيني، مصدر سبق ذكره، ص ٥٣ ـ ٥٤.

(١٣) رؤوفيني، مصدر سبق ذكره، ص ٥٣.

(١٤) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ١٤/١٠، يعقوب برغمان، تقرير بتاريخ ١٩٥٢/٢/١٤، ص ١ ـ ٦.

(١٥) CO 821/1/1926, Palestine Blue Book, pp. 24-46, CO 821/4/1929, ibid., p. 119, CO 821/6/1931, ibid., p. 119.

في سنة ١٩٢٨، حدث تغيير في السياسة البريطانية على صعيد التعيينات الإدارية في المدينة. فقد عُيّن لأول مرة قائمقام يهودي هو يعقوب برغمان، الذي أتينا إلى ذكره أعلاه، إضافة إلى القائمقام العربي.[١٦] وكان تعيين قائمقام عربي وآخر يهودي نهجاً جديداً أراد البريطانيون عن طريقه كسب ود اليهود الذين احتجوا على انعدام التوازن في الإدارة البريطانية للمدينة. وربما جاء أيضاً على خلفية التوتر الذي طرأ بين العرب واليهود بعيد أحداث حائط البراق في القدس.

إلاّ إن هذا التعيين أُلغي في سنة ١٩٢٩، وشغل توفيق يزدي من جديد منصب القائمقام في الفترة ١٩٢٩ ـ ١٩٣٢.

في سنة ١٩٣٢، نُقل يزدي من المدينة وحل محله يعقوب برغمان، الذي استمر في أداء مهماته حتى سنة ١٩٣٥ حين عُيّن فريد أفندي السعد.[١٧] وفي نهاية سنة ١٩٣٦، نُقل السعد من منصبه وحل محله ثانية رفيق بك بيضون.[١٨] إلاّ إنه حين بدأت ثورة ١٩٣٦ اضطر البريطانيون إلى العودة إلى نظام سنة ١٩٢٨؛ أي تعيين قائمقامَيْن للمدينة، أحدهما عربي والآخر يهودي. وبقي هذا النهج متبعاً حتى نهاية الحكم البريطاني.

خضع القائمقامان العربي واليهودي لسلطة نائب حاكم اللواء في المدينة، فهو الذي كان يوزع الصلاحيات بينهما. وكان من الطبيعي أن يتولى اليهودي الأمور المتعلقة بطائفته، والعربي الأمور المتعلقة بالسكان العرب، وذلك في صفد وفي القرى المجاورة. ونشير إلى أن رتبة القائمقام العربي كانت أعلى من رتبة زميله اليهودي وكذلك راتبه.[١٩]

وعلى الرغم من أن تعيين قائمقامَيْن جاء لإرضاء الطرفين العربي واليهودي فإنه أدى إلى تعميق الفجوة بينهما، بعكس ما كانت عليه الحال في العهد العثماني، إذ

(١٦) CO 821/3/1928, Palestine Blue Book, p. 113.

(١٧) CO 821/7/1932, Palestine Blue Book, p. 129, CO 821/8/1933, ibid., p. 143, CO 821/9/1934, ibid., p. 153;
«الدفاع»، ١١/ ١١/ ١٩٣٥.

(١٨) CO 821/11/1936, Palestine Blue Book, p. 402;
«الدفاع»، ١٢/ ١١/ ١٩٣٦.

(١٩) CO 733/209/15, District Administration, p. 28, CO 821/12/1937, Palestine Blue Book, p. 424, CO 821/13/1938, ibid., p. 478, CO 821/14/1939, ibid., p. 479, CO 821/16/1941, ibid., p. 478, CO 821/17/1942, ibid., p. 478, CO 821/18/1943, ibid., p. 478, CO 821/19/1944, ibid., p. 478.

كانت الطوائف كلها ممثلة في إطار جسم واحد هو مجلس إدارة القضاء، أمّا الآن فقد حظيت كل مجموعة باعتراف منفرد يتحكم فيه البريطانيون؛ وهذا ما أثر سلباً في وحدة المدينة، في حين خدم السياسة البريطانية ـ سياسة فرّق تسد.

ثانياً: جهاز الإدارة المحلية ومؤسساتها

بالإضافة إلى تنظيم أجهزة الإدارة اللوائية والقضائية، تم تنظيم أجهزة الإدارة المحلية، وعلى رأسها المجلس البلدي والجهاز القضائي.

بحسب المادة ٣ من صك الانتداب كان على الدولة المنتدبة ترقية مؤسسات الحكم الذاتي، وصيانة الحقوق المدنية والدينية لجميع سكان فلسطين بصرف النظر عن الجنس والدين، وتشجيع الاستقلال المحلي على قدر ما تسمح به الأوضاع.[٢٠]

وبموجب البند ٤٦ الصادر عن الإرادة الملكية سنة ١٩٢٢، والذي حدد كيفية تشكيل الحكومة وتنظيمها، بقي القانون العثماني المتعلق بالحكم المحلي ساري المفعول حتى صدور قانون المجالس البلدية (Municipal Corporations Ordinance) سنة ١٩٣٤. إلاّ إنه أُجري عليه بعض التعديلات في مجالات الضرائب البلدية والمراقبة وتخطيط المدن، هذا إضافة إلى إلغاء الشرطة البلدية.[٢١]

حددت السلطات مهمات المجالس البلدية منذ بداية عهدها، إذ جاء في التقرير الحكومي الأول لحكومة فلسطين، بين تموز/يوليو ١٩٢٠ وكانون الأول/ديسمبر ١٩٢١، أن المجالس البلدية مسؤولة عن الإدارة المحلية للمدن، وعن تأمين الخدمات العامة لأبناء كل مدينة، وتكون ناطقة باسم الشعب ومعبرة عن تطلعاته لدى حكام الألوية، ووسيلة لتنفيذ الطلبات العامة للسلطة.

كما جاء في التقرير أن في إمكان المجالس البلدية أن تقوم بمهماتها بصورة مستقلة قدر المستطاع، لكن في الوقت ذاته من المهم أن تكون أعمالها مرتبطة بحذر بأعمال الإدارة اللوائية، ولهذا، فإن كل حاكم لواء مسؤول عن أعمال السلطات المحلية في لوائه،[٢٢] الأمر الذي يدل على إحكام سيطرة البريطانيين على المجالس البلدية انطلاقاً من سياستهم المركزية.

(٢٠) *A Survey of Palestine*, op. cit., p. 128.

(٢١) مكوبر، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨٨ ـ ٢٩١؛
A Survey of Palestine, op. cit., p. 128.

(٢٢) «تقرير اللجنة الملكية...»، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥٢.

على الرغم من أن البريطانيين اعترفوا بسريان مفعول القانون العثماني المتعلق بالحكم المحلي، فإنهم امتنعوا من إجراء انتخابات بلدية بعد الاحتلال مباشرة، واتبعوا طريقة التعيينات. وقد استمر هذا النهج طوال عهد المندوب السامي هربرت صامويل وحتى سنة ١٩٢٧.

فبين سنة ١٩١٨ وسنة ١٩٢٦ عيّن البريطانيون أربعة رؤساء عرب للمجلس البلدي في صفد هم: نايف صبح؛ محمد سليم شمّا؛ سعيد محمود مراد؛ محمد حسن عبد الرحيم،(٢٣) وجميعهم من أبناء عائلات الأعيان المرموقة التي سنأتي إلى ذكرها لاحقاً. وقد عُلل التأخير في إجراء انتخابات بالحاجة إلى إعداد سجل ناخبين جديد.

في سنة ١٩٢٧، جرت الانتخابات البلدية أول مرة، وأسفرت عن انتخاب مجلس بلدي جديد لصفد ضم ثلاثة أعضاء عرب هم محمد حسن عبد الرحيم وخالد محمد يوسف قدّورة وصلاح الدين عز الدين قدّورة، وثلاثة يهود هم إيديل مايبرغ ويوئيل بارشاد ودافيد بار. وعُيّن لرئاسة المجلس البلدي محمد حسن عبد الرحيم، الذي كان يشغل منصب رئيس مجلس بلدي معيّن قبل الانتخابات.(٢٤) ونذكر هنا أن رئيس المجلس البلدي لم ينتخبه السكان مباشرة، وإنما كانت السلطات تعيّنه. وعادة، كان يقع الاختيار على العضو الذي يحصل على أكبر عدد من أصوات الناخبين.

أُعطي حق الانتخاب للرجال الذين بلغوا من العمر ٢٥ عاماً، والمتقنين لإحدى اللغات الرسمية، كما اشتُرط أن يكون الناخبون من دافعي ضريبة الأملاك البلدية، وممن أدرجت أسماؤهم في سجل الناخبين. وهذا السجل كان موجوداً في كل مجلس بلدي، وكان قابلاً للتعديل سنوياً بواسطة لجنة الانتخابات التي يعيّنها حاكم اللواء.

لم يكن عدد أصحاب حق الاقتراع في صفد كبيراً، فقد بلغ ٣٢٩ شخصاً فقط في الفترة ١٩٢٧ ـ ١٩٣٣. أمّا عدد المقترعين عملياً بين سنة ١٩٢٧ وسنة ١٩٣٠ فبلغ ٢٨١ شخصاً، في حين بلغ ١٤٢ شخصاً بين سنة ١٩٣١ وسنة ١٩٣٣. ومنذ سنة ١٩٣٣ حتى نهاية عهد الانتداب كان عدد أصحاب حق الاقتراع ٥١٠ أشخاص فقط، إلاّ إن عدد المقترعين عملياً كان ٢٢٣ شخصاً.(٢٥) وتشير هذه الأرقام إلى أن مشاركة

(٢٣) «الكرمل»، ١٩٢٢/٦/٧، ١٩٢٦/٩/١٢؛ محمود العابدي، «صفد في التاريخ» (عمّان: جمعية عمال المطابع التعاونية، ١٩٧٧)، ص ١٨٥ ـ ١٨٦.

(٢٤) CO 821/2/1927, Palestine Blue Book, p. 67.

(٢٥) CO 821/5/1930, Palestine Blue Book, p. 81, CO 821/8/1933, ibid., p. 98, CO 821/20/1945, ibid., p. 213.

السكان في الانتخابات كانت ضئيلة جداً، واقتصرت على طبقة الأعيان والأفندية.

على الرغم من أن العرب شكلوا الأغلبية الساحقة في صفد فقد خُصص لليهود، سنة ١٩٢٧، ثلاثة مقاعد في المجلس البلدي من مجموع ستة مقاعد. ومنذ سنة ١٩٣١ خُصصت لهم ثلاثة مقاعد من مجموع سبعة مقاعد. بينما لم يحصل السكان المسيحيون، الذين شكلوا ٤٪ من مجموع السكان، على أي مقعد طوال عهد الانتداب، في حين كانوا مُمَثَّلين دائماً في المجلس البلدي في الفترة العثمانية، ومُمَثَّلين بعضو أو اثنين في مجلس إدارة القضاء، الأمر الذي يشير إلى إجحاف واضح بحقهم في عهد الانتداب.

وتعليل هذا الموضوع يرتبط بقانون المجالس البلدية. فطبقاً لهذا القانون يستطيع المندوب السامي أو حاكم اللواء، كلما رأى ذلك ملائماً، ترتيب انتخاب أعضاء المجالس البلدية بحسب الأحياء، فيقوم بتقسيم المدينة إلى عدة أحياء، كما يراه مناسباً. والأهم من هذا هو قيامه بتحديد عدد أعضاء المجلس الذين يمثلون كل حي من هذه الأحياء.(٢٦) ويبدو أنه نظراً إلى صغر الحي المسيحي في صفد امتنع حاكم اللواء من تخصيص مقعد للمسيحيين.

بين سنة ١٩٢٨ وسنة ١٩٢٩، شهدت قائمة عضوية المجلس البلدي في صفد تغييراً طفيفاً، إذ أضيف عضو جديد هو محمد سليم شمّا، فأصبح بذلك عدد الأعضاء العرب أربعة، في مقابل ثلاثة أعضاء يهود.

في سنة ١٩٣٠، وفي أعقاب أحداث حائط البراق في صفد، بادرت السلطات إلى حل المجلس البلدي وتعيين مجلس جديد مؤلف من أربعة أعضاء، اثنين من العرب هما محمد حسن عبد الرحيم ونايف صبح، واثنين من اليهود هما موشيه فيداتسور وروبين تريفون، وتولى ضابط اللواء رئاسة المجلس.

لكن في سنة ١٩٣١، تم انتخاب مجلس جديد ضم كلاً من صلاح الدين قدّورة وعلي رضا النحوي ومحمد سليم شمّا وخليل يوسف رستم عن العرب، وكلاً من دافيد بار ويهودا عنتيبي وزيندل كهانا عن اليهود.

وعلى الرغم من حصول صلاح الدين قدّورة على أكبر عدد من الأصوات، فإن السلطات قامت بتعيين علي رضا النحوي لرئاسة المجلس البلدي لأن صلاح الدين كان يعاني المرض. وكان علي رضا حصل على المرتبة الثانية من حيث عدد الأصوات.

(٢٦) ي. مرحافيا (تحرير)، «شعب ووطن، مجموعة وثائق عن المواطنة العبرية والصهيونية واليشوف» (بالعبرية)، (القدس: لا دار نشر، لا تاريخ)، ص ٦٠.

يذكر أن المندوب السامي صادق على تعيين علي رضا النحوي بشيء من التردد. ومن خلال المراسلات بينه وبين حاكم اللواء يتضح أنه لم يكن هناك بد من التعيين؛ فصلاح الدين قدّورة مريض، ومحمد سليم شمّا طاعن في السن (من مواليد سنة ١٨٥٥)، وخليل رستم لا يملك المؤهلات الكافية.[٢٧] وقد استمر هذا المجلس في أداء مهماته حتى انتخابات سنة ١٩٣٤.

في كانون الثاني/يناير ١٩٣٤ سُنّ قانون المجالس البلدية الجديد. وقد أبقى هذا القانون صلاحيات واسعة في يد السلطة المركزية، مثل حق تنظيم انتخاب المجلس بحسب الأحياء، وتعيين عدد الأعضاء من كل حي، والأهم من ذلك صلاحية تعيين رؤساء المجالس البلدية ونوابهم. كما حدد القانون كيفية إدارة هذه المجالس وصلاحياتها وواجباتها والحد الأعلى للضرائب التي بإمكانها جبايتها، والخدمات التي عليها تقديمها. وأقر ضرورة الحصول على موافقة حاكم اللواء بخصوص القروض، وعلى تصديقه على الميزانيات.

كذلك أقر القانون أن في إمكان كل مجلس بلدي تعيين عدد من الموظفين، كالسكرتير والمهندس والطبيب. إلاّ إن الوضع لم يكن هكذا ميدانياً، فلم تتمكن المجالس البلدية كلها، وخصوصاً الفقيرة منها، من تعيين موظفين كهؤلاء ودفع رواتبهم.[٢٨]

بعد إقرار قانون المجالس البلدية جرت الانتخابات في صفد بتاريخ ٢٦ تموز/يوليو ١٩٣٤. وقد قدم سبعة من وجهاء السكان العرب ترشيحهم وهم صلاح الدين قدّورة، ومحمد حجازي، وخليل يوسف رستم، وأمين محمد الخضراء، وزكي قدّورة، ومحمد سليم شمّا، وعلي رضا النحوي، علماً بأن عدد المقاعد المخصصة للعرب هو أربعة.[٢٩]

وقد أسفرت المعركة الانتخابية حامية الوطيس عن فوز صلاح الدين قدّورة، وزكي قدّورة، ومحمد حجازي، وخليل يوسف رستم؛ أي كتلة آل قدّورة.[٣٠]

هذا الفوز لم يرق للكتلة المعارضة، فرفع علي رضا النحوي دعوى طعن في

(٢٧) أرشيف دولة إسرائيل، القدس، ملف رقم م/٤١/٢١/ج/٢١٦، وثائق بتاريخ ٢/٢/١٩٣١، ٤/٢/١٩٣١، ١١/٢/١٩٣١، ١٤/٣/١٩٣١، ٢١/٣/١٩٣١.

(٢٨) شافيط وبورات، مصدر سبق ذكره، ص ٩٤؛ مرحافيا، مصدر سبق ذكره، ص ٥٩ ـ ٦٤؛ «تقرير اللجنة الملكية...»، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥٣.

(٢٩) «فلسطين»، ٢٢/٧/١٩٣٤.

(٣٠) المصدر نفسه، ٢٧/٧/١٩٣٤.

نتائج الانتخابات، واستمرت المحاكمات حتى أيلول/سبتمبر حين رُدَّت دعوى النحوي وثبتت عضوية الأربعة المشار إليهم.[٣١]

في ١٩ أيلول/سبتمبر ١٩٣٤ تسلم المجلس الجديد مهماته برئاسة صلاح الدين قدّورة، الذي كان يعاني المرض،[٣٢] إلاّ إن المنيّة عاجلته فتوفي في ٢٥ تشرين الأول/أكتوبر، واستعر النزاع من جديد بشأن البلدية. وفي خطوة استثنائية قامت السلطات بتعيين عضو المجلس البلدي اليهودي دافيد بار رئيساً بالوكالة، واستمرت هذه الحالة حتى أيار/مايو حين عُيِّن زكي قدّورة رئيساً للمجلس، وذلك بعد حملة ضغوط عربية كثيفة على السلطة.[٣٣]

يذكر أنه منذ سنة ١٩٣٤ حتى أواخر عهد الانتداب، شهدت عضوية المجلس البلدي في صفد تغييرات كثيرة، لكن على الرغم من ذلك حافظ زكي قدّورة على منصبه رئيساً كما هو مبين في الجدول التالي الذي يفصّل عضوية المجلس البلدي في صفد منذ إجراء الانتخابات الأولى حتى سنة ١٩٤٥.

عضوية المجلس البلدي في صفد في عهد الانتداب

السنة	أعضاء المجلس البلدي	المصدر
١٩٢٧	محمد حسن عبد الرحيم ـ رئيس خالد محمد يوسف قدّورة ـ عضو صلاح الدين عز الدين قدّورة ـ عضو إيديل مايبرغ ـ عضو دافيد بار ـ عضو يوئيل بارشاد ـ عضو	CO 821/2/1927, Palestine Blue Book, p. 67.
١٩٢٨ ـ ١٩٢٩	محمد حسن عبد الرحيم ـ رئيس خالد محمد يوسف قدّورة ـ عضو محمد سليم شمّا ـ عضو صلاح الدين عز الدين قدّورة ـ عضو إيديل مايبرغ ـ عضو دافيد بار ـ عضو	CO 821/3/1928, Palestine Blue Book, p. 70. CO 821/4/1929, Palestine Blue Book, p. 77.

(٣١) المصدر نفسه، ١١/٩/١٩٣٤.

(٣٢) «الدفاع»، ٢٠/٩/١٩٣٤.

(٣٣) المصدر نفسه، ٧/٣/١٩٣٥، ١١/٣/١٩٣٥، ٢٤/٣/١٩٣٥، ٤/٤/١٩٣٥.

١٩٣٠	ضابط اللواء ـ رئيس محمد حسن عبد الرحيم ـ عضو نايف صبح ـ عضو موشيه فيداتسور ـ عضو روبين تريفون ـ عضو	CO 821/5/1930, Palestine Blue Book, p. 81.
١٩٣١ ـ ١٩٣٣	علي رضا النحوي ـ رئيس محمد سليم شمّا ـ عضو صلاح الدين عز الدين قدّورة ـ عضو خليل يوسف رستم ـ عضو دافيد بار ـ عضو زيندل كهانا ـ عضو يهودا عنتيبي ـ عضو	CO 821/6/1931, Palestine Blue Book, p. 81. CO 821/7/1932, Palestine Blue Book, p. 87. CO 821/8/1933, Palestine Blue Book, p. 98.
١٩٣٤	دافيد بار ـ رئيس بالوكالة زكي قدّورة ـ عضو محمد حجازي ـ عضو خليل يوسف رستم ـ عضو عبد القادر حسين عبد الرحيم ـ عضو إيديل مايبرغ ـ عضو يهودا عنتيبي ـ عضو	CO 821/9/1934, Palestine Blue Book, p. 109.
١٩٣٥	زكي قدّورة ـ رئيس محمد حجازي ـ عضو خليل رستم ـ عضو عبد القادر حسين عبد الرحيم ـ عضو دافيد بار ـ عضو إيديل مايبرغ ـ عضو يهودا عنتيبي ـ عضو	CO 821/10/1935, Palestine Blue Book, p. 97.
١٩٣٦ ـ ١٩٤٣	زكي قدّورة ـ رئيس دافيد بار ـ نائب خليل يوسف رستم ـ عضو	CO 821/11/1936, Palestine Blue Book, p. 117. CO 821/12/1937, Palestine Blue Book, p. 136. CO 821/13/1938, Palestine Blue Book, p. 323.

	عبد القادر حسين عبد الرحيم ـ عضو إيديل مايبرغ ـ عضو يهودا عنتيبي ـ عضو	CO 821/14/1939, Palestine Blue Book, p. 325. CO 821/15/1940, Palestine Blue Book, p. 325. CO 821/16/1941, Palestine Blue Book, p. 325. CO 821/17/1942, Palestine Blue Book, p. 324. CO 821/18/1943, Palestine Blue Book, p. 322.
١٩٤٤	زكي قدّورة ـ رئيس عارف حجازي ـ عضو مصطفى النقيب ـ عضو إيديل مايبرغ ـ عضو مردخاي كلينغر ـ عضو	CO 821/19/1944, Palestine Blue Book, p. 324.
١٩٤٥	ضابط اللواء ـ رئيس زكي قدّورة ـ نائب رئيس بالوكالة مصطفى النقيب ـ عضو عارف حجازي ـ عضو إيديل مايبرغ ـ عضو مردخاي كلينغر ـ عضو	CO 821/20/1945, Palestine Blue Book, p. 213.

على الرغم من الجهود لتحسين أداء المجالس البلدية ودورها في خدمة المدينة فإن هذا الأمر لم يتحقق، إذ أشار تقرير اللجنة الملكية، الذي رُفع إلى البرلمان البريطاني في تموز/يوليو ١٩٣٧، إلى أن وضع الجهاز البلدي لم يكن مرضياً، وخصوصاً في المدن الصغرى. فبحسب التقرير اهتمت هذه المجالس، في الأساس، بترميم شبكة الطرقات، وتزويد المياه، والنظافة، وإعداد الأسواق، بينما عانت كثيراً جرّاء الجهاز البيروقراطي والخضوع الزائد لحاكم اللواء، الأمر الذي صعّب عليها القيام بواجباتها.[٣٤] كما أن الميزانيات المخصصة لها لم تكن كافية، فالمبالغ التي خصصت للمجلس البلدي في صفد كانت قليلة كما يستدل من الجدول التالي:

(٣٤) «تقرير اللجنة الملكية...»، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥.

ميزانية المجلس البلدي في صفد، سنوات متعددة
(بالجنيهات الفلسطينية)

السنة	الإيرادات	المصروفات
١٩٢٨	٣١٥٥	٣٠٠٠
١٩٣١	٢٦٢٩	٢٦٢٨
١٩٣٢	٢٧١٦	٢٧٢٧
١٩٣٣	٢٨٨٢	٣٠٣٨
١٩٣٤	٢٣٤٢	٢٥٨٩
١٩٣٥	٢١٤٥	٢١٠٤
١٩٣٦	١٧٢٦	٢٣٦٢
١٩٣٨	٢٦٣٧	٢٧٧٦
١٩٤٠	٣٥٣٢	٢٩٤٨
١٩٤١	٥٨٢١	٦٢٥٠
١٩٤٢	٤٣٥٩	٥٠٦٢
١٩٤٣	٥٠١٩	٤٦٢٠
١٩٤٤	٨٦٨٨	٥٧٥٣
١٩٤٥	١١,٠٠٦	١٣,٤٢٧
١٩٤٦	١٤,٨٥٥	١٦,٣٣٤

في ضوء ما ذكر أعلاه، يمكن القول إن فترة الانتداب شهدت عملية تراجع في صلاحيات المجلس البلدي وقدراته قياساً بالعهد العثماني. لكن، على الرغم من هذا التراجع، بقي المجلس البلدي ساحة تنافس رئيسية بين العائلات الصفدية، وكان مع كل ضعفه الجسم الإداري الأعلى في المدينة الذي «يديره» المحليون. وقد عكس التنافس بشأن السيطرة عليه الصراعات الدائرة بين السكان العرب فيما بينهم، وإلى حد ما بين العرب واليهود.

ونظراً إلى كون صفد مركز قضاء فقد وجدت فيها دوائر حكومية أُخرى، مثل دائرة الصحة ودائرة الزراعة ودائرة الأراضي ودائرة التربية ومركز الشرطة والمحاكم الشرعية والنظامية.

ويشار إلى أن جهاز القضاء شهد تغييرات واضحة قياساً بالعهد العثماني. ففي مجال القضاء المدني تابعت المحكمة النظامية من الدرجة الأولى عملها. وهذه المحكمة التي عُرفت في العهد العثماني باسم محكمة البداية، أصبحت تسمى في العهد البريطاني محكمة الصلح. ووجدت محاكم كهذه في كل مدن الألوية والأقضية.

ففي سنة ١٩٢٣، كان في البلد ٢٠ محكمة صلح.[٣٥] وبحسب تقرير اللجنة الملكية لسنة ١٩٣٧، بلغ عدد قضاة الصلح من الفلسطينيين ٢٩ قاضياً، إلاّ إن مكانتهم كانت أدنى من مكانة زملائهم البريطانيين. فحاكم الصلح البريطاني كان يتمتع بصلاحيات أوسع في المجال المدني والجنائي،[٣٦] وهذا ما أضعف مكانة القضاة العرب، على عكس ما كانت عليه الحال في العهد العثماني.

أمّا فيما يتعلق بجهاز المحاكم الشرعية، التي كانت تنظر في قضايا الأحوال الشخصية والزواج والطلاق والميراث وغيرها، فقد حدث تغير ملحوظ. بدايةً، كانت هذه المحاكم خاضعة مباشرة للحكومة، لكن مع إقامة المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى سنة ١٩٢٢ نقلت إدارتها، بما في ذلك صلاحيات تعيين القضاة الشرعيين، إلى المجلس، مع أنه ظاهرياً كان كبير القضاة في البلد يُعيّن القضاة الشرعيين بالتشاور مع لجنة إسلامية مؤلفة من بعض القضاة ومن المراقب على المحاكم الشرعية.[٣٧] منذ سنة ١٩٢٢، انتخب الحاج محمد أمين الحسيني، مفتي القدس، رئيساً للمجلس الشرعي الإسلامي الأعلى، وبذلك أصبح المفتي رئيس جهاز المحاكم الشرعية، إضافة إلى مسؤوليته عن بقية المؤسسات الدينية كالمساجد والمدارس والأوقاف.[٣٨]

هذا الواقع الجديد جعل المؤسسات الدينية الصفدية خاضعة تماماً للحاج أمين الحسيني، وهكذا وجد العلماء الصفديون أنفسهم تحت سلطة الحسينيين في القدس. وقد كان لهذا الوضع الجديد أبعاد في المجال السياسي كما سنرى فيما بعد.

من التغييرات البارزة في المجال الإداري نشير إلى تراجع دور وعدد العرب في الأجهزة الحكومية، وخصوصاً أبناء طبقة الأعيان، الذين كانوا يشغلون في العهد العثماني مناصب رفيعة ومهمة، كأعضاء مجلس إدارة القضاء وأعضاء دائرة المعارف ومناصب قضائية متنوعة. وقد ألغي بعض هذه الهيئات. أمّا في المؤسسات التي بقيت فعُيّن موظفون بريطانيون أو عرب من خارج المدينة، الأمر الذي مس المكانة التقليدية لطبقة الأعيان. كما أن نسبة الموظفين العرب كانت قليلة قياساً بنسبة الموظفين اليهود، وبين السكان العرب كانت نسبة الموظفين المسيحيين أعلى من نسبة إخوانهم المسلمين، وربما يرجع ذلك إلى الدور الكبير الذي قامت به المدارس التبشيرية بين المسيحيين ومساهمتها في رفع مستوى ثقافتهم.[٣٩]

(٣٥) مكوبر، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣٤.
(٣٦) «تقرير اللجنة الملكية...»، مصدر سبق ذكره، ص ١١٦ ـ ١١٧.
(٣٧) المصدر نفسه، ص ١١٠.
(٣٨) مكوبر، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣٧.
(٣٩) المصدر نفسه، ص ٨١.

الفصل الثالث

المبنى الاجتماعي في مدينة صفد

أولاً: عائلات الأعيان الإسلامية، زعماؤها ومصادر قوتها

يشير ألبرت حوراني، في معرض حديثه عن مبنى المدينة الإسلامية ومميزاتها، إلى وجود عدة أنواع من المدن الإسلامية، كالمدن المقدسة ومدن الموانئ ومدن الأقاليم التي ترتبط ببيئتها الزراعية، والتي تشكل مركزاً للنشاط الاقتصادي المحلي، بما في ذلك مزاولة تجارة المنتوجات الزراعية ومدّ القرويين بأدوات العمل، والمنتوجات الحرفية وغيرها.(١)

هذا الوصف لمدن الأقاليم ينطبق على مدينة صفد إلى حد بعيد، إذ كانت المدينة مركز خدمات اقتصادية واجتماعية لقضائها الزراعي. أضف إلى ذلك أنه وُجد في صفد كل مزايا المدينة الإسلامية الشرقية ومعالمها، كالقلعة ومقر الحاكم والسرايا والمسجد الكبير والزوايا والخانات والحمامات والأسواق. كما أنها قسمت إلى أحياء وفقاً لعدد الطوائف، وساد فيها المبنى الاجتماعي المميز لتلك المدن بحيث قسم المجتمع إلى شرائح متعددة، كرجال الإدارة الكبار، والعلماء، بمن فيهم القضاة والمفتون ومشايخ الطرق الصوفية والنقباء، وأبناء الطبقتين الوسطى والدنيا.

هذا المبنى الاجتماعي التقليدي أخذ يتغير منذ نهاية العهد العثماني، وبطريقة أسرع في عهد الانتداب. ومن التغيرات المهمة التي شهدها المجتمع نشير إلى النمو السريع لطبقة الأعيان في عهد التنظيمات (١٨٣٩ ـ ١٨٧٦)؛ فإعادة هيكلة المؤسسات الإدارية في ذلك العهد أعطت الأعيان قوة كبيرة، إذ أصبحوا الطبقة الأبرز اجتماعياً من دون منافس. ويعتبر حوراني طبقة الأعيان القيادة التقليدية والطبيعية لسكان المدن. ووفقاً له كانت هذه الطبقة تضم ثلاث مجموعات هي:

الأولى طبقة العلماء التي، بالإضافة إلى تزعمها المؤسسات الدينية، عمل

(١) A.H. Hourani, «The Islamic City in the Light of Recent Research,» in A.H. Hourani and S. Stern, eds., *The Islamic City* (Oxford: n. p., 1970), pp. 9-11.

كثيرون من أفرادها في التجارة وتعاطوا الشؤون السياسية. فالعلماء كانوا بمثابة وسطاء بين الناس والسلطة المركزية، ولا يترددون في التصدي لتعسف الحكام عند الضرورة.

الثانية سماها حوراني طبقة الأعيان العلمانيين، وتضم الأغوات والأمراء الذين وصلوا إلى مراكزهم بحكم عملهم شبه العسكري؛ فأنجال عائلات فرسان السباهية المحليون تمكنوا بمرور الزمن من السيطرة على الأراضي الزراعية مشكلين طبقة اجتماعية عليا.

أمّا الطبقة الثالثة فنشأت من قادة الفرق المحلية والإنكشارية الذين استوطنوا المدن التي خدموا فيها، وتحولوا مع مرور الزمن إلى جزء من الأعيان والنخب فيها.[٢]

من هذه الطبقات الثلاث التي أشار إليها حوراني، وُجد في صفد طبقتان فقط، هما طبقة العلماء التي ضمت عائلات النحوي والحاج عيسى (المفتي) وسعد الدين (السعدي)، وطبقة الأعيان من الأغوات والإقطاعيين التي شملت عائلات قدّورة وصبح ومراد.

إلاّ إنه في أواخر العهد العثماني، وخلال العقدين الأولين للانتداب، ظهرت طبقة جديدة من العائلات التي احترفت الوظائف والتجارة والمهن الحرة، مثل عائلات الخضراء وشمّا وعبد الرحيم.

سنتحدث فيما يلي بتوسع عن هذه الطبقات الثلاث، عن نشأتها ومصادر قوتها، وعن زعمائها ومؤيديها وميولهم السياسية والتنافس الذي دار بينهم.

أ) العائلات التي شغلت المناصب الدينية والإدارية

١ ـ عائلة النحوي:

إحدى العائلات العريقة في صفد. وبحسب وثائق العائلة فإن أصلها من الحجاز، ومن هناك انتقلت إلى بلدة أذرع في حوران. ومن أذرع هاجر جد العائلة، الشيخ شهاب الدين أحمد بن موسى الخفاجي الحلقي الأذرعي، إلى صفد في منتصف القرن السادس عشر، حيث استقبله حاكم المدينة بالترحاب وساعده في الإقامة بها، ووهبه مزرعة في جبل كنعان عرفت باسم خربة بنيت.

عُرف أبناء العائلة آنذاك باسم آل الحوراني، أو آل الخفاجي، وفيما بعد غُيّر

(٢) A.H. Hourani, «Ottoman Reform and the Politics of Notables,» in W.R. Polk and R.L. Chambers, eds., *Beginnings of Modernization in the Middle East: The Nineteenth Century* (Chicago, Ill.: University of Chicago Press, 1968), pp. 44-49.

الاسم إلى النحوي. كان الشيخ أحمد، الملقب بالقطب، شيخاً صوفياً ورعاً من كبار مشايخ الطريقة الرفاعية، وقد عمل على نشر هذه الطريقة في صفد وقضائها.[٣]

دُفن الشيخ أحمد بعد وفاته في مسجد حارة الجورة الذي أصبح يعرف باسمه: مسجد القطب الخفاجي. وقد سارت ذريته على دربه في التخصص بالعلوم الدينية، فظهر منها عدة علماء بارزين ومفتون وقضاة، وذلك طوال العهد العثماني حتى أوائل عهد الانتداب.

وكما أشرنا في الفصل الأول، برز من أبناء العائلة، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، الشيخ عبد الغني النحوي، نائب[٤] صفد في إبان الحكم المصري للبلد. ومع نشوب ثورة ١٨٣٤ نفي مع بعض زعماء ووجهاء المدينة إلى مصر،[٥] حيث تعلم في الأزهر ووصل إلى مرتبة عالية. وحين عاد من مصر عُيِّن قاضياً للمدينة. كما أن أحفاده بلغوا مناصب رفيعة، وكذلك أبناءهم الذين برز منهم الشيخ محمد النحوي الذي عُيِّن أيضاً قاضياً شرعياً، وكان له أربعة أبناء هم علي رضا وعبد الرحمن وسعيد وعبد السلام.

تزعم علي رضا العائلة وأصبح أحد قادة صفد البارزين في عهد الانتداب. هذا على الرغم من أن العائلة خسرت في العقد الأول من الانتداب البريطاني رئاسة المجلس البلدي التي انتقلت إلى عائلات صبح وشمّا ومراد وعبد الرحيم. وقد عمل علي رضا، خلافاً لمن سبقه من زعماء العائلة، في مجالي الإدارة والسياسة.

ولد علي رضا سنة ١٨٩٠، وتلقى دراسته الرشدية في صفد، والإعدادية في بيروت. وفي سنة ١٩١٢، أنهى تعليمه العالي في الكلية المُلْكيَّة في إستنبول، التي كانت تعدّ خريجيها لشغل المناصب الإدارية الرفيعة. ومنذ ذلك الحين تقلد مناصب كثيرة، منها مأمور معية الولاية في حلب سنة ١٩١٢، ومأمور معية الولاية في بيروت سنة ١٩١٣، ومن ثم مدير عدة نواح، منها ناحية القصير وناحية مشغرة وناحية الشيخ

(٣) وثائق آل النحوي، وثائق رقم ١، ٣، ٨. هذه الوثائق محفوظة لدى الدكتور عدنان علي رضا النحوي، وقد وضعها مشكوراً في تصرفي؛ محمود العابدي، «صفد في التاريخ» (عمّان: جمعية عمال المطابع التعاونية، ١٩٧٧)، ص ٥٥.

(٤) المقصود بالنائب هو القاضي الشرعي، وكان هذا المصطلح يستعمل خلال العهد العثماني، أمّا في عهد الانتداب فشاع استعمال مصطلح القاضي.

(٥) أسد رستم، «حروب إبراهيم باشا المصري في سوريا والأناضول» (بيروت: المكتبة البولسية، ١٩٨٦)، ص ٦٧؛ العابدي، مصدر سبق ذكره، ص ٩٩. أنظر أيضاً: شجرة نسب عائلة النحوي في هذا الفصل.

مسكين. في أواخر الحكم العثماني اتُّهم بتأييد الأمير فيصل وتم اعتقاله وتقديمه إلى القضاء، بعد ملاحقة جمال باشا له، إلاّ إنه تمكن من تبرئة ساحته.[٦] وفي عهد حكم الأمير فيصل في سورية (١٩١٨ ـ ١٩٢٠) عُيّن علي رضا قائمقاماً في عدة أقضية، منها دوما والعمرانية والزبداني وحاصبيا. وبعد الاحتلال الفرنسي لسورية سنة ١٩٢٠ انتقل إلى الأردن، حيث عُيّن قائمقاماً في عدة مدن في شمال الأردن، ثم متصرف لواء عجلون. وفي أواخر سنة ١٩٢٤، استقال من مهماته في شرق الأردن، وعاد إلى مدينته صفد.[٧] عرضت عليه سلطات الانتداب الفرنسي، بعد استقالته، العودة لتقلُّد مناصب إدارية في سورية. لكنه رفض العرض، وبدلاً من ذلك أيد الثوار السوريين وساعدهم خلال الثورة السورية الكبرى (١٩٢٥ ـ ١٩٢٧).

عُيّن علي رضا رئيساً للمجلس البلدي في صفد سنة ١٩٣١، وبقي يشغل هذا المنصب حتى سنة ١٩٣٤.[٨] ومع هذا التعيين استعادت العائلة مكانتها التي كانت ضعفت في العقد الأول من الانتداب، إلاّ إنه هُزم في انتخابات سنة ١٩٣٤ أمام التحالف الكبير الذي قاده الشيخ أسعد قدّورة، مفتي صفد، وابن أخيه صلاح الدين قدّورة الذي فاز برئاسة المجلس البلدي في انتخابات تلك السنة. وتعويضاً لعلي رضا عن هذه الهزيمة عيَّنه الحاج أمين الحسيني في منصب مدير أوقاف عكا، الذي استمر يشغله حتى سنة ١٩٤٨، باستثناء فترة وجوده في دمشق خلال الثورة.[٩]

كان علي رضا من مؤيدي المعسكر الحسيني وعضواً بارزاً في الحزب العربي الفلسطيني، وهو حزب المفتي الحاج أمين الحسيني، كما كان عضواً في اللجنة التنفيذية لهذا الحزب.[١٠]

وفي أثناء ثورة ١٩٣٦ كان علي رضا عضواً نشيطاً في اللجنة القومية، التي أدارت الإضراب والثورة في صفد ومنطقتها، لذلك لاحقته سلطات الانتداب، لكنه فر إلى سورية. فهدمت السلطات بيته عقاباً له على مواقفه الوطنية.[١١]

(٦) وثائق آل النحوي، وثيقة رقم ١٥، ص ١ ـ ٢؛ العابدي، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٤.
(٧) وثائق آل النحوي، وثيقة رقم ٢.
(٨) CO 821/6/1931, Palestine Blue Book, p. 81.
(٩) وثائق صبحي الخضراء، وثيقة رقم ٩٣ج. هذه الوثائق محفوظة في بيت العائلة في عمّان، وقد وضعها السيد فيصل الخضراء مشكوراً في تصرفي.
(١٠) بيان نويهض الحوت، «القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين، ١٩١٧ ـ ١٩٤٨» (عكا: دار الأسوار، ١٩٨٤)، ص ٨٨٤.
(١١) المصدر نفسه، ص ٨٨٨ ـ ٨٨٩.

يجب الإشارة إلى أن عائلة النحوي كانت إحدى العائلات الصغرى في صفد من حيث العدد. وبحسب أحد تقارير جهاز استخبارات الهاغاناه، في تشرين الأول/أكتوبر ١٩٤٠، قُدِّر عدد الرجال في هذه العائلة بـ ١٥ رجلاً فقط.[١٢] لكن مكانة العائلة كانت عالية كما سبق أن ذكرنا، إذ إن أكبر عائلتين في صفد عددياً، وهما عائلة الأسدي وعائلة سويد، أيدتاها بصورة تقليدية، إضافة إلى العائلات التي كانت تنتمي إلى المعسكر الحسيني، مثل عائلات حجازي وسعد الدين وطافش، الأمر الذي جعل عائلة النحوي وتحالف العائلات القريبة منها قوة أساسية في صفد. يشار إلى أن عائلات النحوي والأسدي وسويد سكنت الحي نفسه المعروف باسم حارة الأكراد شرقي المدينة.[١٣] ويلاحظ أنه باستثناء عائلتي حجازي وسعد الدين وقسم من عائلة الأسدي، فإن الأكثرية الساحقة من مؤيدي عائلة النحوي كانت من أبناء الطبقتين الوسطى والدنيا، الذين لم يكن لهم حق الاقتراع لانتخابات المجلس البلدي.

إضافة إلى علي رضا برز أخوه المحامي عبد الرحمن، وهو أيضاً خريج كلية الحقوق في إستنبول، وكان نشيطاً جداً في المجال السياسي. ومنذ فترة مبكرة (١٩١٩ ـ ١٩٢٠)، كان أحد مندوبي صفد إلى المؤتمر السوري العام،[١٤] كما مثل صفد في المؤتمر العربي الفلسطيني السابع الذي عُقد سنة ١٩٢٨،[١٥] وفي المؤتمر الإسلامي للدفاع عن المسجد الأقصى والأماكن الإسلامية المقدسة الذي عقد في القدس في السنة نفسها.[١٦] وفي ١١ حزيران/يونيو ١٩٣٣، أسس جمعية الشبان المسلمين وترأسها.[١٧]

اتُّهم عبد الرحمن بممارسة النشاط السياسي خلال أحداث حائط البراق سنة ١٩٢٩، وفي ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩، لذلك سجن في عكا فترات متفرقة خلال هذه الثورة.[١٨]

كما برز من هذه العائلة شخص ثالث نشط اجتماعياً وسياسياً، وهو المحامي

(١٢) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، تقرير بتاريخ ١/١٠/١٩٤٠.
(١٣) أنظر خريطة أحياء صفد في الملحق رقم ٦.
(١٤) الحوت، مصدر سبق ذكره، ص ٨٥١.
(١٥) المصدر نفسه، ص ٨٦٥.
(١٦) المصدر نفسه، ص ٨٦٩.
(١٧) أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم م/١٣٥ س/٢٦٧٨، وثائق رقم ١ ـ ٤.
(١٨) المصدر نفسه، ملف رقم م/٥/١/٦١٧ س/٢٦٤١، وثيقتان بتاريخ ٢٢/١/١٩٣٩، ٩/٣/١٩٣٩؛ «الدفاع»، ١٥/١٠/١٩٣٦.

عبد الغني سعيد النحوي. وكان أيضاً من خريجي المدرسة السلطانية في بيروت، والمكتب الحربي في إستنبول. تطوع خلال الحرب العالمية الأولى في جيش الأمير فيصل. ولمّا انهارت حكومة فيصل عاد إلى فلسطين والتحق بمعهد الحقوق في القدس ونال شهادة المحاماة. وكان عبد الغني نشيطاً على الصعيدين المحلي والإقليمي. ومثل عمَّيْه، علي رضا وعبد الرحمن، لاحقته السلطات في إبان الثورة وسجن عدة مرات.(١٩)

أمّا بالنسبة إلى الشيخ أحمد النحوي (الفرع الثاني لهذه العائلة)، فقد برز ـ كما ذكرنا في الفصل الأول ـ ابنه الشيخ حسن الذي ترأس المجلس البلدي في الفترة ١٨٧٨ ـ ١٨٨٦ وفي الفترة ١٩٠٠ ـ ١٩٠٤، وشغل منصب الإفتاء في المدينة بين سنة ١٩٠٤ وسنة ١٩٠٨، وحفيده الشيخ أحمد الذي عُيّن قاضياً شرعياً في عدة مدن منذ سنة ١٩٢٢.

يمكن القول، بصورة عامة، إن البريطانيين لم يميلوا إلى هذه العائلة وامتنعوا من تعيين رئيس للمجلس البلدي منها في بداية حكمهم، وذلك قبل إجراء انتخابات سنة ١٩٢٧. كما كان تعيين علي رضا سنة ١٩٣١ عارضاً ولمرة واحدة، وجاء ـ كما سبق أن أشرنا في الفصل الثاني ـ بعد تردد وأخذ ورد، إذ إنه كان أكثر الأعضاء المنتخبين آنذاك ملاءمة وكفاءة. ومنذ سنة ١٩٣٤، مال البريطانيون أكثر فأكثر إلى عائلة قدّورة المعارضة للحسينيين. ونتيجة توجهات آل النحوي السياسية تفاقم النزاع بين العائلة والبريطانيين، وخصوصاً سنة ١٩٣٦، إذ لاحق الإنكليز قادة العائلة، وهدموا بيت علي رضا الذي لجأ إلى دمشق، واعتقلوا أخاه عبد الرحمن وابن أخيه عبد الغني. ولم تفلح جميع التدخلات من أنحاء البلد، ومنها تدخلات الشيخ أسعد الشقيري ومفتي عكا والشيخ عبد الله الجزار، كبير العلماء في عكا، في إقناع الإنكليز بالعفو عن زعماء العائلة.(٢٠)

أدى إضعاف عائلة النحوي المؤيدة للكتلة الحسينية إلى زيادة نفوذ عائلة قدّورة التي أصبحت ذات سيطرة شبه مطلقة منذ سنة ١٩٣٤ حتى نهاية الانتداب.

أخيراً، من الجدير بالذكر أنه على الرغم من مكانة عائلة النحوي ونسبها البارز

(١٩) «الدفاع»، ١٥/١٠/١٩٣٦، ٣/٥/١٩٣٧؛ «فلسطين»، ٢/٩/١٩٣٧، ٢٨/٩/١٩٣٧؛ العابدي، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٨.

(٢٠) أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم م/٥/١/٦١٧ س/٢٦٤١، وثيقتان بتاريخ ١٦/١٠/١٩٣٨، ٢٢/١/١٩٣٩.

فإنها لم تتمكن من امتلاك أراض واسعة، إذ امتلكت قرية واحدة فقط هي قرية بيسمون التي تبلغ مساحتها ١٩٣٠ دونماً، الأمر الذي يدل على أن أبناءها كانوا أعياناً نتيجة مناصبهم الدينية والإدارية، وهذا يطابق تعريف حوراني لطبقة الأعيان السالف الذكر في بداية الفصل.

شجرة نسب عائلة النحوي
من أواخر العهد العثماني حتى عهد الانتداب

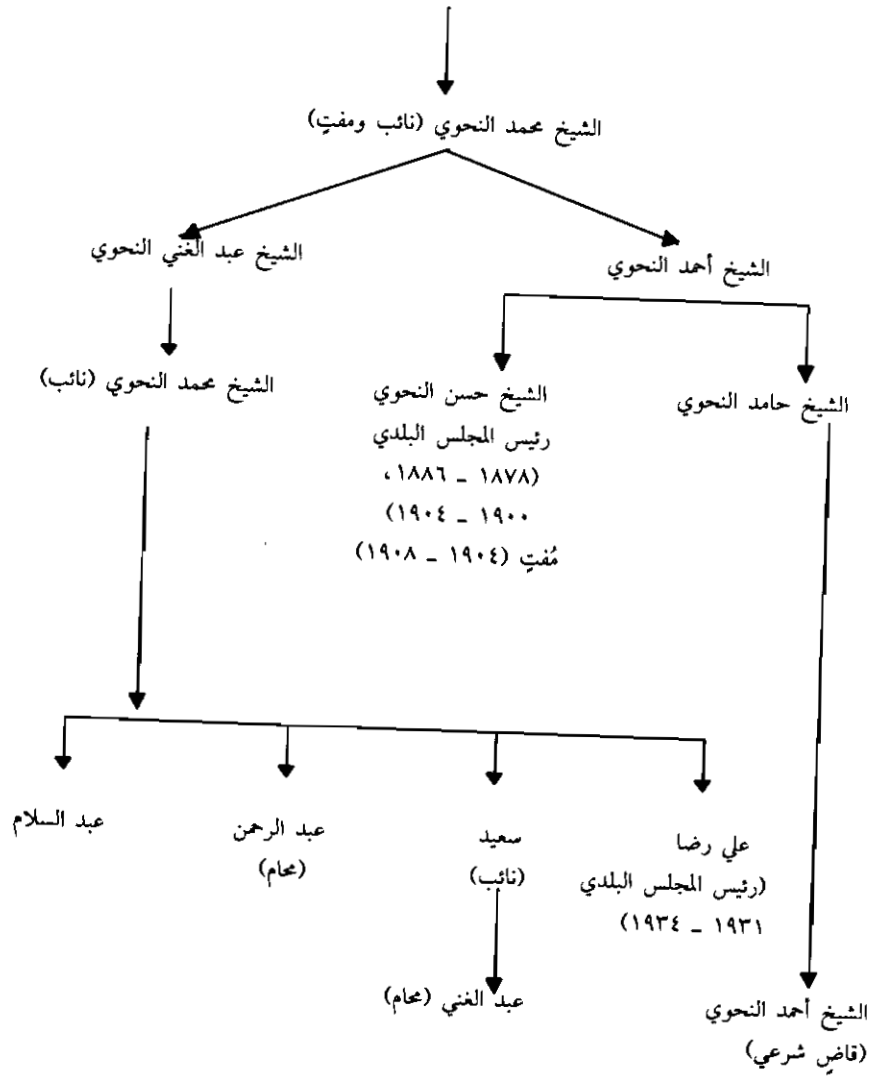

٢ ـ عائلة الحاج عيسى/المفتي:

من عائلات الأعيان الكبرى، عمل أفرادها أساساً في المجال الديني إذ شغلوا مناصب دينية في صفد وخارجها في أثناء العهد العثماني. وبرز في الفترة التي تغطيها هذه الدراسة جد العائلة، الشيخ سليم المفتي، الذي تولى منصب الإفتاء في صفد خلال السنوات ١٨٩٣ ـ ١٩٠٠، وكان عضواً في مجلس إدارة القضاء حتى سنة ١٩٠٠.[٢١] كما أن الشيخ مصطفى، ابن الشيخ سليم، كان عالماً بارزاً، فقد عُيّن قاضياً في عمان في عهد الأمير عبد الله.[٢٢] وقد واصل شغل هذا المنصب حتى وفاته سنة ١٩٤٦. وكانت تربطه بآل قدّورة علاقة نسب، إذ تزوج السيدة حسيبة ابنة محمد الحاج يوسف قدّورة.[٢٣] وكان الابن الثاني، أبو الفرج المفتي، سكرتير المجلس البلدي في صفد حتى سنة ١٩٤٤، ومن مقرّبي عائلة قدّورة.[٢٤]

مارس بعض أبناء هذه العائلة التدريس الديني، فأسعد محمود الحاج عيسى كان رئيس المدرسين في صفد. أمّا محيي الدين الحاج عيسى الشاعر المعروف، فقد ترأس النادي العربي سنة ١٩٢٢.[٢٥] وفي أحد تقارير جهاز استخبارات الهاغاناه، وُصفت العائلة بأنها عائلة شيوخ تمارس الوظائف الدينية، ولهذا كان أفرادها يحظون بمنزلة رفيعة. وبحسب التقرير نفسه، كانوا بعيدين عن السياسة ما دامت لا تمس الأمور الدينية. لكن شذ عن هذه القاعدة سعيد عزيز الحاج عيسى، الذي نشط جداً في المجال السياسي وحركات الشبيبة،[٢٦] كما سنرى لاحقاً. كذلك برز منهم رجل الأعمال محمد يوسف الحاج عيسى الذي عمل في مجال الطباعة والنشر.

٣ ـ عائلة سعد الدين/السعدي:

من عائلات الأشراف. وقد أعطاها نسبها هذا مكانة كبرى، إذ تزعمت نقابة

(٢١) سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٨هـ/١٩٠٠م، ص ٣٠٨.
(٢٢) «الدفاع»، ٢٦/٥/١٩٣٧.
(٢٣) المصدر نفسه، ٢٤/٦/١٩٤٦.
(٢٤) المصدر نفسه، ٥/١٢/١٩٣٤.
(٢٥) «الكرمل»، ٢٣/١/١٩٢١. بشأن المزيد من المعلومات عن حياة محيي الدين الحاج عيسى وشعره، أنظر: العابدي، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٧ ـ ١٨٣.
(٢٦) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، تقريران بتاريخ ١/١٠/١٩٤٠، ص ٣، ١٥/٥/١٩٤١، ص ٤ ـ ٦.

الأشراف، إضافة إلى شغلها مناصب دينية أُخرى.[٢٧] ترأس النقابة اثنان من أبناء العائلة هما الشيخ مصطفى سعد الدين، الذي كان نقيباً في أواخر العهد العثماني وبداية عهد الانتداب،[٢٨] وخلفه الشيخ علي سعد الدين.[٢٩]

في أربعينيات القرن العشرين برز اثنان من أبناء العائلة هما الشيخ محمد سعد الدين، المدرس والقائم بأعمال القاضي في المحكمة الشرعية في المدينة، وأخوه الشيخ سليمان سعد الدين، قاضي بيسان الشرعي لأعوام طويلة.[٣٠] وكان الشيخ محمد أُوقف في إبان الثورة بتهمة النشاط السياسي ونفي إلى شرق الأردن.[٣١]

بالإضافة إليهما برز رشيد سعد الدين، زعيم العائلة البارز، وكان تاجراً كبيراً ومعروفاً وشيخ شباب صفد.[٣٢] وإلى جانب ذلك، ترأس شيوخ العائلة الطريقة السعدية، وأداروا الزاوية الكبرى في صفد.[٣٣]

ب) العائلات الإقطاعية

١ ـ عائلة قدّورة:

إحدى العائلات الكبرى في صفد، وكانت تسكن حياً عائلياً منفرداً داخل حارة الصواوين. عُرفت في القرن السابع عشر باسم عائلة الخالدي. وهي، بحسب رواية أبنائها، تعود في نسبها إلى القائد خالد بن الوليد، وترتبط بعلاقات قربى بعائلة الخالدي المقدسية المعروفة.

من أجداد هذه العائلة البارزة نذكر المؤرخ الشيخ أحمد الخالدي الصفدي، مؤرخ الأمير فخر الدين المعني الثاني، والذي كان أيضاً من كبار علماء صفد حتى وفاته سنة ١٦٢٤.

إن تاريخ قدوم آل قدّورة إلى صفد ليس معروفاً. لكن يبدو أنهم جاؤوا المدينة

(٢٧) المصدر نفسه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، تقريران بتاريخ ١/١٠/١٩٤٠، ١٥/٥/١٩٤١، ص ٦.
(٢٨) «الكرمل»، ٢٥/٣/١٩٢١.
(٢٩) «الدفاع»، ٩/١٢/١٩٣٤.
(٣٠) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، تقريران بتاريخ ١/١٠/١٩٤٠، ١٥/٥/١٩٤١، ص ٦؛ «الدفاع»، ٢٣/٣/١٩٣٨.
(٣١) «الدفاع»، ٢٢/٣/١٩٣٨.
(٣٢) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، تقريران بتاريخ ١/١٠/١٩٤٠، ١٥/٥/١٩٤١، ص٦.
(٣٣) بشأن المزيد من التفصيلات عن الزوايا، أنظر أدناه الفصل الخامس.

في العهد المملوكي، لأن الشيخ أحمد المذكور ولد في صفد في القرن السادس عشر، وتوفي فيها سنة ١٦٢٤.[٣٤] وعليه، يمكن الافتراض أن الشيخ أحمد لم يصل إلى منصبه هذا كابن لأول جيل سكن صفد، الأمر الذي يعزز الاعتقاد أن عائلة الخالدي، التي عرفت فيما بعد بعائلة قدّورة، استوطنت صفد على الأرجح منذ عهد المماليك.[٣٥]

رأينا في الفصل الأول أنه بعد الحاج ياسين آغا حسن قدّورة برز الحاج يوسف، الذي كان عضو مجلس إدارة القضاء ومن الزعماء البارزين في صفد، وهو الذي امتلك في الثمانينيات والتسعينيات من القرن التاسع عشر، معظم أراضي العائلة التي بلغت مساحتها عشرات الآلاف من الدونمات. وهذه الأراضي كانت منتشرة في ثماني قرى في قضاء صفد هي الزنغرية والقديرية والسموعي والشونة والحُميمة وحرفيش وغباطية وفارة.[٣٦] لذا يمكن القول إن هذه العائلة كانت أكبر مالكة للأراضي في قضاء صفد، وإحدى عائلات الملاّك الكبار في فلسطين عامة.

أمّا بالنسبة إلى كيفية امتلاك آل قدّورة هذه المساحات الشاسعة فلا توجد رواية مؤكدة. لكن يبدو أنهم حصلوا عليها، في الأغلب، بموجب قانون الأراضي لسنة ١٨٥٨، الذي يقضي بتسجيل الأرض باسم من يدفع الضرائب المترتبة عليها. ومثلهم في ذلك مثل العائلات الفلسطينية الأخرى التي امتلكت مساحات شاسعة من الأراضي.

غير أن مصادر جهاز استخبارات الهاغاناه تذكر أن الحاج يوسف قدّورة كان الشخصية الأهم في المنطقة في العهد العثماني، وأن كثيرين من أبناء القرى المشار إليها رجعوا إليه للدفاع عنهم أمام السلطات، حتى إنهم وضعوا أراضيهم في تصرفه، ومع الزمن أصبحت هذه الأراضي ملكاً له.[٣٧] وغني عن الذكر أن هذه الأراضي

(٣٤) العابدي، مصدر سبق ذكره، ص ٥٦؛ «مرآة الشرق»، ٢٤/١١/١٩٢٧.

(٣٥) أحمد بن محمد الخالدي، «تاريخ الأمير فخر الدين المعني» (بيروت: منشورات الجمعية اللبنانية، ١٩٦٩)، ص ٧.

(٣٦) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٩٦/١٠٥، تقريران بتاريخ ١٥/٥/١٩٤١، ١/١٢/١٩٤٢؛ الأرشيف الصهيوني المركزي، ملف رقم KKL 5/17001، لا تاريخ. وللمقارنة نذكر أنه كان بملكية آل الحسيني في القدس نحو ٥٠,٠٠٠ دونم، وبملكية آل عبد الهادي نحو ٦٠,٠٠٠ دونم، وآل التاجي الفاروقي نحو ٥٠,٠٠٠ دونم، وعائلة الغصين ٤٠,٠٠٠ دونم، أنظر:
A. Granott, *The Land System in Palestine: History and Structure* (London: Eyre and Spottiswoode, 1952), pp. 81-82.

(٣٧) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، تقرير بتاريخ ١٥/٥/١٩٤١، ص ٢.

كانت أحد أهم مصادر قوة العائلة، وقد أدت إلى زيادة نفوذها الاقتصادي والسياسي في القضاء عامة.

بعد الحاج يوسف برز ابنه محمد أفندي الذي اعتبر من كبار أعيان صفد. وقد تزوج أربع نساء، اثنتين منهن من عائلتي شمّا والخولي، وأنجب اثني عشر ابناً أصبحوا الجناح القوي والمسيطر في عائلة قدّورة.[٣٨] عمل أبناء محمد أفندي، بالإضافة إلى إدارة أراضيهم وزراعتها، في التجارة والوظائف الكبرى. ومن هؤلاء الأبناء كان الشيخ أسعد الشخصية الأكثر بروزاً، والزعيم من دون منازع للعائلة في عهد الانتداب.

ولد أسعد قدّورة في صفد سنة ١٨٨٠، وأنهى الدراسة الابتدائية في المدينة، وبعدها تعلم في إحدى مدارس دمشق، ومن هناك تابع دراسته في الأزهر الشريف. وبعد ثلاثة أعوام دراسية، عاد إلى صفد سنة ١٩٠٦ حاملاً لقب عالم أزهري.[٣٩] بدايةً، تقلد الشيخ أسعد عدة مناصب إدارية ودينية متوسطة إلى أن عُيّن مفتي صفد في بداية الحرب العالمية الأولى. وكان تعيينه هذا أمراً غير اعتيادي، لأن هذا المنصب كان مقصوراً على العلماء من عائلات النحوي أو القاضي أو المفتي، ولم يسبق لأحد من آل قدّورة أن شغل منصباً دينياً بارزاً.

إضافة إلى منصب الإفتاء، عُيّن الشيخ أسعد مع بداية سنة ١٩٣٠ قاضياً في الناصرة وعكا.[٤٠] وإلى جانب مهماته الدينية نشط في المجال السياسي. ففي سنة ١٩٢١ ترأس اللجنة العربية في صفد. وكانت هذه اللجنة تدير شؤون المدينة من الناحية السياسية في بداية العهد البريطاني.[٤١] كما أنه مثل صفد في المؤتمر الإسلامي للدفاع عن المسجد الأقصى والأماكن الإسلامية المقدسة الذي عقد في القدس سنة ١٩٢٨.[٤٢] كما شارك في اللجان الفلسطينية المتعددة، واختير لعضوية

(٣٨) «ثمرات الفنون»، ١٠/١٢/١٩٠٠، ٢/٨/١٩٠٦. أنظر أيضاً شجرة العائلة.

(٣٩) «ثمرات الفنون»، ٢/٨/١٩٠٦؛ هيئة الموسوعة الفلسطينية، «الموسوعة الفلسطينية - القسم العام» (إيطاليا: ميلانوستامبا، ١٩٨٤)، المجلد ١، ص ٤٢٤؛ «مرآة الشرق»، ٢٤/١١/١٩٢٧.

(٤٠) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، تقرير بتاريخ ٢١/٨/١٩٤٢؛
CO 821/14/1939, Palestine Blue Book, p. 487, CO 821/15/1940, ibid., p. 487.

(٤١) «الكرمل»، ٢٣/١/١٩٢١، ٢٥/٣/١٩٢١. بشأن المزيد من التفصيلات عن اللجنة، أنظر أدناه الفصل السابع، البند ثانياً.

(٤٢) الحوت، مصدر سبق ذكره، ص ٨٦٥.

اللجنة التنفيذية لكل من المؤتمرات العربية الفلسطينية الرابع والخامس والسادس والسابع.[٤٣] ويُذكر أن زوجته صبحية حسن الخولي كانت هي الأُخرى من عائلة تجار ثرية ومعروفة.

إضافة إلى الشيخ أسعد شغل ابن أخيه صلاح الدين عز الدين قدّورة عدة مناصب رفيعة. وُلد صلاح الدين سنة ١٨٩٢، وتلقى تعليمه الثانوي في الكلية الإسكتلندية، وعمل أستاذاً في مدرسة صفد الأميرية، ثم أسندت إليه مفتشية معارف قضاء صفد. ومع اندلاع الثورة العربية سنة ١٩١٦ أيد الأمير فيصل، وكان عضواً ومشاركاً في المؤتمر السوري العام الذي أعلن استقلال سورية وتوج فيصل ملكاً عليها سنة ١٩٢٠. ومع الاحتلال الفرنسي لسورية عاد إلى فلسطين وعُيّن قائمقاماً في مدينة الرملة خلال السنوات ١٩٢٠ ـ ١٩٢٤.

في ١٩ أيلول/سبتمبر ١٩٣٤، عُيّن صلاح الدين رئيساً للمجلس البلدي في صفد بعد تنافس مرير مع علي رضا النحوي.[٤٤] إلاّ إنه توفي فجأة بعد نحو شهر من تسلمه منصبه.[٤٥]

مع وفاة صلاح الدين عُيّن عمه زكي قدّورة رئيساً للمجلس البلدي، وقد كان عضواً فيه.[٤٦] هكذا انضم زكي الشاب نسبياً (من مواليد سنة ١٩٠٩) إلى إخوته في تصدر زعامة العائلة والمدينة، وبقي في هذا المنصب حتى سنة ١٩٤٨.[٤٧]

إضافة إلى الشخصيات الثلاث القيادية المذكورة أعلاه، برز في عائلة قدّورة كل من د. صبري عز الدين ود. جمال عز الدين، شقيقي صلاح الدين المذكور. عُرف صبري بذكائه وطموحه وحنكته، وكان صديقاً مقرباً للأمير فاعور الفاعور، شيخ عشيرة عرب الفضل في الجولان وصاحب التأثير الواسع في شمال البلد وسهل الحولة.[٤٨]

---

(٤٣) يهوشواع بورات، «نشوء الحركة الوطنية العربية الفلسطينية، ١٩١٨ ـ ١٩٢٩» (بالعبرية)، (تل أبيب: لا دار نشر، ١٩٧٦)، ص ٢٥١؛ «الكرمل»، ١٩٢٢/٨/٣٠.

(٤٤) «الدفاع»، ١٩٣٤/٩/٢٠؛ «فلسطين»، ١٩٣٤/٩/١١، ١٩٣٤/٩/٢٦.

(٤٥) «فلسطين»، ١٩٣٤/١٠/٣٠.

(٤٦) «الدفاع»، ١٩٣٤/٩/١٧، ١٩٣٤/٩/٢٤؛ «فلسطين»، ١٩٣٤/٩/٢١.

(٤٧) CO 821/10/1935, Palestine Blue Book, p. 97, CO 821/11/1936, ibid., p. 117, CO 821/12/1937, ibid., p. 136, CO 821/17/1942, ibid., p. 324.

(٤٨) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، تقرير بتاريخ ١٩٤١/٥/١٥، ص ٣. بشأن المزيد من التفصيلات عن الأمير وعشيرته، أنظر أدناه الفصل السادس.

أيد الشيخ أسعد ومعه أفراد عائلة قدّورة، بصورة عامة، كتلة آل النشاشيبي، المعارضة للحسينيين وتماثلوا تماماً معها.[٤٩] وقد أيدهم نحو ١٠٪ من سكان المدينة. أمّا مؤيدو الحسينيين فكانوا يشكلون نحو ٩٠٪ من سكان صفد. وكانت أغلبية مؤيدي المعسكر النشاشيبي من طبقة كبار التجار والموظفين، ومن أصحاب الأراضي والنفوذ. وكان لهؤلاء تأثير كبير في المدينة على الرغم من نسبتهم القليلة. ويمكن، في ضوء هذه الخلفية، أن نفسر نجاح عائلة قدّورة في الانتخابات وتعيين رئيس المجلس البلدي منها سنة ١٩٣٤.[٥٠]

لقد تناول جهاز استخبارات الهاغاناه سياسة آل قدّورة في عدة تقارير، نذكر منها التقرير المؤرخ ٢١ آب/أغسطس ١٩٤٢، والذي يصف الشيخ أسعد وأبناء عائلته على النحو التالي: «هو شخص معتدل كبقية أبناء هذه العائلة، إلاّ إنه نظراً إلى منصبه الديني كان عليه أحياناً أن يقوم بنشاطات سياسية، ولولا ذلك لكان فقد مكانته أمام أبناء طائفته.»[٥١]

لكن على الرغم من هذا الموقف فقد حظيت عائلة قدّورة بتأييد قسم من عائلات صفد. ومن العائلات التي أيدتها نذكر رستم، والخولي، وعبد الرحيم، وشمّا، وصبح، وخوري. وهذا الائتلاف سيطر على المدينة بعد التغلب على ائتلاف عائلة النحوي في انتخابات سنة ١٩٣٤. ومن الجدير بالذكر أن تأييد هذه العائلات لآل قدّورة داخلياً لا يعني أنها أيدتهم أيضاً في سياستهم الخارجية المتضامنة مع آل النشاشيبي.

---

(٤٩) المصدر نفسه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، تقرير بتاريخ ١٩٤٠/١٠/١.

(٥٠) المصدر نفسه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، تقرير بتاريخ ١٩٤١/٥/١٥، ص ٣.

(٥١) المصدر نفسه، ملف رقم ٩٦/١٠٥، تقرير بتاريخ ١٩٤٢/٨/٢١.

شجرة نسب عائلة قدّورة
من أواخر العهد العثماني حتى عهد الانتداب

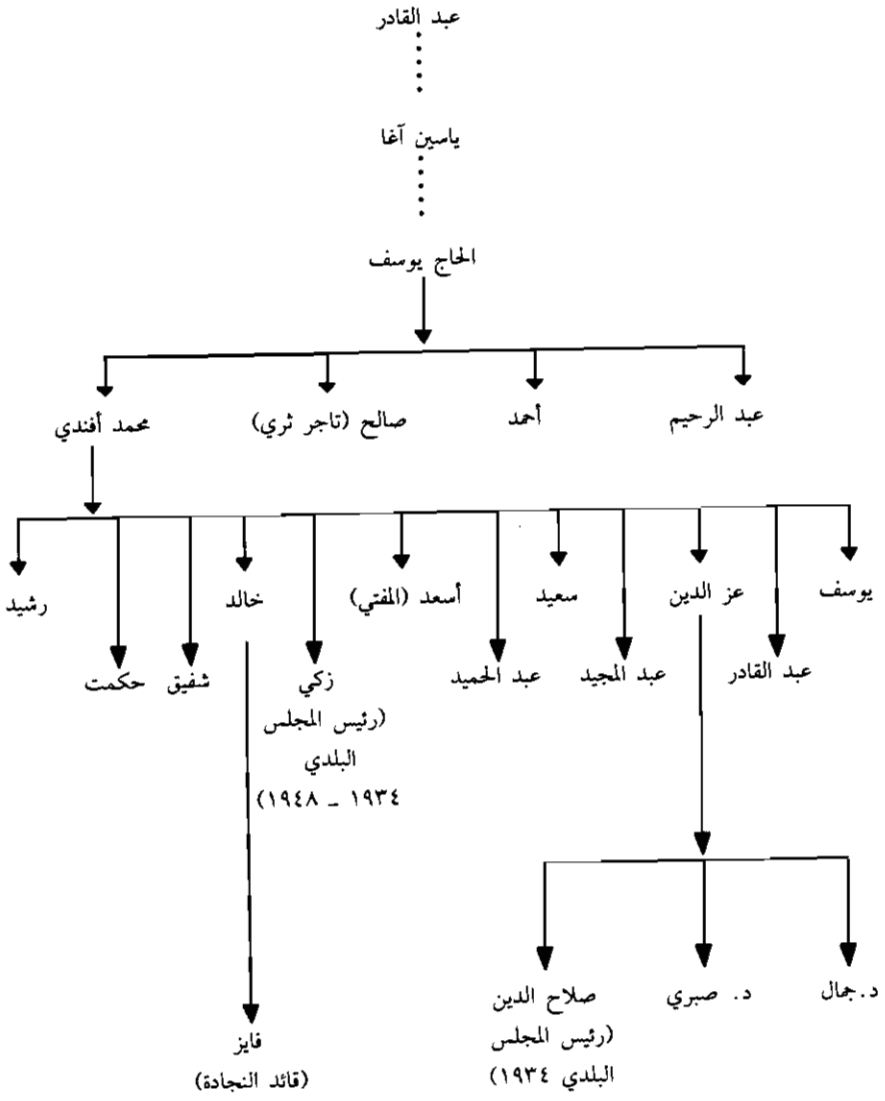

ملاحظة: ليس هنالك تسلسل مباشر بين كل من عبد القادر وياسين آغا والحاج يوسف، ونظراً إلى عدم وجود شجرة عائلة في حيازتنا تعذر تحديد تسلسل رجالات الأسرة قبل فترة هذه الدراسة.

٢ ـ عائلة صبح:

عائلة أعيان من كبار ملاّك الأراضي. وكما أشرنا في الفصل الأول تسلم وجهاء هذه العائلة مهمات ومناصب كبرى في أواخر العهد العثماني. امتلك آل صبح نحو ٦٥٢١ دونماً في قريتي جاحولا والبويزية في سهل الحولة، وفي قرية ميرون غربي صفد،[٥٢] وكانت هذه الأراضي مصدر قوة وتأثير وثراء مكّن العائلة من الوصول إلى مراكز الصدارة. تزعم العائلة في عهد الانتداب الأخوان نايف صبح وعزّو صبح، وتدل الوثائق التي في حيازتنا على أن نايف ترأس المجلس البلدي في صفد، على الأرجح خلال الفترة ١٩١٩ ـ ١٩٢٠، وكذلك ترأس النادي العربي، فرع صفد، كما كان عضواً في المجلس البلدي سنة ١٩٣٠ ومن المؤيدين لآل قدّورة.[٥٣]

أمّا عزّو صبح فكان أيضاً شخصية مهمة في المدينة، إذ اهتم بشؤون الزراعة والفلاحين، ولذلك انتخب لمنصب رئيس الزرّاع.[٥٤]

وصفت تقارير جهاز استخبارات الهاغاناه زعيم العائلة نايف صبح بأنه شخصية معتدلة تربطه علاقات جيدة بالجالية اليهودية في صفد،[٥٥] إلاّ إنه مع حلول عقدي الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين، أخذت مكانة العائلة تتراجع وتضعف بعض الشيء.

٣ ـ عائلة مراد:

من عائلات الأعيان وملاّك الأراضي الكبار، امتلكت نحو ١٤,٨١٠ دونمات في منطقة عرب الشمالنة بين طبرية وصفد. بعد محمد أفندي مراد وحسن مراد اللذين تزعما العائلة في أواخر العهد العثماني، برز حسين مراد.[٥٦] كما برز سعيد محمود مراد الذي مارس الزراعة والتعليم، وتولى إدارة المدرسة الحكومية في صفد، وكان ممن ساهموا في تحديث جهاز التربية والتعليم. وخلال سنة ١٩٢٠ عينته سلطات الانتداب رئيساً للمجلس البلدي في صفد، وبعد ذلك تولى إدارة مدرسة الجامع الأحمر.

---

(٥٢) أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم م/٤٨١ س/ ٢٦٨٤، وثائق بتاريخ ١٤/١٠/١٩٤١، ملف رقم ف/٣٧٩/٢٦٧٣، لا تاريخ.

(٥٣) «الكرمل»، ٢٥/٣/١٩٢١. أنظر أيضاً جدول عضوية المجلس البلدي في صفد في عهد الانتداب، الفصل الثاني.

(٥٤) «الكرمل»، ٢٥/٣/١٩٢١.

(٥٥) الأرشيف الصهيوني المركزي، ملف رقم S/25/4121، وثيقة بتاريخ ١٨/٩/١٩٣٠.

(٥٦) «الكرمل»، ٢٣/١/١٩٢١.

في أواخر عهد الانتداب حدث تراجع في مكانة العائلة التي انشغلت جُلّ الوقت بنزاعات الأراضي مع بدو عرب الشمالنة الذين استوطنوا أراضيها مدعين ملكية بعضها.[٥٧] وفي أثناء هذا النزاع اتهم أحد أفراد العائلة بأنه ينوي بيع حصته من الأرض لجهات يهودية وذلك انتقاماً من عرب الشمالنة،[٥٨] إلاّ إن هذا الأمر لا يمكن نفيه أو تأكيده.

ج) العائلات التي عملت في مجالات الإدارة والوظائف والمهن الحرة

١ ـ عائلة الخضراء:

من العائلات الكبرى في المدينة، إذ بلغ عدد أفرادها في أواخر عهد الانتداب نحو ٣٠٠ نسمة. سكنت حياً منفرداً عرف باسم حي الخضرات الواقع شرقي المدينة قرب سرايا الحكومة العثمانية. وليس هناك معلومات أكيدة عن أصل هذه العائلة. ووفقاً لأبنائها فإنهم وصلوا من شمال المغرب إلى فلسطين في بداية العهد العثماني. أمّا تقارير جهاز استخبارات الهاغاناه، فتشير إلى أن أصل العائلة من الجنوب اللبناني.[٥٩] لكن لم نجد أي أساس يدعم هذا الادعاء. وفي أي حال، فإن عائلة الخضراء أصبحت في عهد الانتداب من أكثر عائلات المدينة تأثيراً وبروزاً.

امتلك أفراد العائلة، في معظمهم، مساحات صغيرة ومتوسطة من الأراضي ومارسوا الزراعة، وعمل البعض الآخر في التجارة. وعبّر تقرير جهاز استخبارات الهاغاناه بدقة عما ورد أعلاه، إذ جاء فيه أن رجال العائلة يزاولون الزراعة والتجارة في معظمهم، وأنهم لم يعتمروا الطربوش قط، وإنما فضلوا الحطة والعقال.[٦٠]

وأدلى محرر صحيفة «مرآة الشرق» برأي مشابه إذ قال إن أبناء العائلة حظوا بمكانة رفيعة، إلاّ إن الطابع الزراعي غلب عليهم، فامتلكوا الأراضي وقطعان الماشية وكانوا أقوياء متكاتفين ومسيطرين.[٦١]

منذ أواسط عشرينيات القرن العشرين برز من صفوف الأسرة صبحي بك

(٥٧) المصدر نفسه، ١٩٢٤/٨/٣٠.

(٥٨) «الدفاع»، ١٩٢٤/٨/٣٠؛ وثائق أسرة عبّو، ملف جمعية الشبان العرب، وثيقة رقم ٢٣، ١٩٣٤/٣/٣. بشأن شرح موسع عن هذا النزاع، أنظر أدناه الفصل السادس.

(٥٩) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، تقرير بتاريخ ١٩٤٠/١٠/١، ص ٢.

(٦٠) المصدر نفسه. أنظر أيضاً التقرير بتاريخ ١٩٤١/٥/١٥، ص ٤.

(٦١) «مرآة الشرق»، ١٩٢٧/١٢/١.

الخضراء، وسرعان ما أصبح الصفدي الرائد في الحركة الوطنية الفلسطينية خارج مدينته.

وُلد صبحي سعيد الخضراء في صفد سنة ١٨٩٥، وأنهى دراسته الابتدائية فيها، والثانوية في المدرسة السلطانية في بيروت، ثم التحق بالكلية العسكرية في إستنبول ووصل إلى رتبة ضابط.

شارك صبحي في الحرب العالمية الأولى كضابط عثماني إلى حين وقع في الأسر البريطاني في آب/أغسطس ١٩١٧، ومن ثم انتقل إلى معسكر الأمير فيصل وشارك بشكل فعال في صفوف الثورة في شرق الأردن كمسؤول عن قسم الاستخبارات. مع دخول الأمير فيصل دمشق عُيّن صبحي قائداً لقوات الجندرمة، وكان مقرباً جداً من الأمير. وخلال مكوثه في دمشق تزوج السيدة أنيسة سليم الخضراء، وهي من عائلة درزية وأخت المناضل فؤاد سليم الخضراء، رفيق صبحي لفترة طويلة. وبعد احتلال فرنسا لسورية سنة ١٩٢٠ انتقل صبحي مع الأمير إلى العراق، وخدم في صفوف الجيش العراقي في منطقة الموصل، وكان من المقربين جداً من الأمير زيد. وفي سنة ١٩٢٤، عاد إلى مدينته صفد ليستقر بها.[٦٢]

ونظراً إلى خبرة صبحي العسكرية والأمنية تجند في الشرطة البريطانية سنة ١٩٢٥، كمساعد قائد فرقة محاربة التهريب،[٦٣] إلاّ إنه أُعفي من منصبه بسبب مواقفه السياسية، وأخذ ينشط في الحركة الوطنية الفلسطينية.[٦٤] وتشير تقارير جهاز استخبارات الهاغاناه إلى أن صبحي حوّل صفد إلى مركز سياسي مهم، وأن أحداث حائط البراق، التي نشبت سنة ١٩٢٩، كانت تعبيراً أولياً عن النشاط السياسي لعرب صفد والذي أثاره صبحي بك **الخضراء** بحسب نص التقرير.[٦٥]

ونظراً إلى دور صبحي في دعم وقيادة الحركة الوطنية في صفد حدث تقارب بينه وبين الحاج أمين الحسيني مفتي القدس. كما أنه شغل، في الفترة ١٩٢٩ ـ

(٦٢) يعقوب العودات، «من أعلام الفكر والأدب في فلسطين» (عمّان: لا دار نشر، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢)، ص ١٦١؛ «مرآة الشرق»، ١٩٢٧/١٢/١؛ وثائق صبحي الخضراء، وثيقتان رقم ٢٨١، ٢٩٧.

(٦٣) وثائق صبحي الخضراء، وثيقة رقم ٨٧.

(٦٤) يوفال أرنون ـ أوحانه، «سيف من الداخل: الصراع الداخلي في الحركة الوطنية الفلسطينية، ١٩٢٩ ـ ١٩٣٩» (بالعبرية)، (تل أبيب: لا دار نشر، ١٩٨١)، ص ١٦٥.

(٦٥) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، تقرير عن الحركة العربية في صفد، لا تاريخ، ص ١.

١٩٣٠، منصب مدير مكتب اللجنة التنفيذية للمؤتمر العربي الفلسطيني السابع في القدس، الذي ترأسه موسى باشا كاظم الحسيني. وقد منح هذا المنصب صبحي قوة وتأثيراً كبيرين.[٦٦] كذلك انتُخب عضواً في اللجنة التنفيذية للمؤتمر المذكور حتى سنة ١٩٣٠.[٦٧]

في سنة ١٩٣١، كان صبحي الخضراء الصفدي الوحيد الذي شارك في المؤتمر العربي القومي الذي عقد في القدس وضم عدداً من أبرز الزعماء الفلسطينيين والعرب.[٦٨]

خلال مكوث صبحي في القدس درس المحاماة، وأنهى دراسته سنة ١٩٣٢ وأخذ يزاول عمله كمحام.[٦٩] وفي الفترة ١٩٣٢ ـ ١٩٣٤ ترأس إدارة وقف عكا. ومنذ سنة ١٩٣٥ أصبح محامياً عاماً للأوقاف.[٧٠] ولم تحل علاقاته الوطيدة بالمفتي الحاج أمين الحسيني دون إقامة حزب جديد؛ فقد كان من المبادرين والمؤسسين لحزب الاستقلال العربي الذي تأسس في ٢ آب/أغسطس ١٩٣٢.[٧١]

اعتقل صبحي عدة مرات نظراً إلى نشاطه الوطني. ففي أيار/مايو ١٩٣٦ سجن في معتقلي الصرفند وعوجا الحفير الصحراوي على حدود سيناء.[٧٢] وخلال السنوات ١٩٣٧ ـ ١٩٣٩ اعتقل ثانية وسجن في قلعة عكا وتعرض لشتى أنواع التعذيب. وفي ٧ كانون الثاني/يناير ١٩٣٩، اعتقل ثالث مرة طبقاً لأنظمة الدفاع (الطوارئ) وسجن في سجن القدس المركزي.[٧٣] وكما بيّنا فإن صبحي الخضراء قاد أسرته مسيطراً على زعامتها، لكن يجب ألاّ نغفل دور ابن عمه أمين محمد الخضراء (أبو هاشم)، الذي كان هو الآخر من كبار أعيان صفد ومن الملاّك. وإذا كان صبحي منهمكاً معظم الأوقات في نشاطه خارج صفد، فإن أبو هاشم الخضراء

(٦٦) أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم ف/٣١٣/٩٨٤، وثيقتان بتاريخ ٢٥/١١/١٩٢٩، ٥/١/١٩٣٠.

(٦٧) بورات، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥١.

(٦٨) الحوت، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦٦.

(٦٩) وثائق صبحي الخضراء، وثيقة رقم ٨١.

(٧٠) المصدر نفسه، وثيقة رقم ٩٣، ٩٣ب، ٩٣ج، ٢/١٠/١٩٣٥.

(٧١) Atef Adwan, *The Palestinian Arab Political Parties, 1934-1939*, Ph.D. Dissertation (Manchester: University of Salford, 1986), pp. 68-69;
«الكرمل»، ٢٩/٦/١٩٣٢، ١٠/٨/١٩٣٢، ٢٠/٨/١٩٣٢.

(٧٢) وثائق صبحي الخضراء، وثيقة رقم ٩١.

(٧٣) المصدر نفسه، وثيقة رقم ٨٣.

كان يقوم بدور بارز داخل أسرته وفي صفد والقضاء عامة. كذلك برز الشيخ سليم الخضراء الذي كان حافظاً للأشعار، ولقبه الصفديون بـ «معري صفد».[٧٤]

على الرغم من ميل أبناء عائلة الخضراء إلى الحسينيين فإنهم امتنعوا من تأييد علي رضا النحوي الذي قاد المعسكر الحسيني في صفد، وفضلوا في غالب الأحيان الوقوف على الحياد فيما يتعلق بالتنافس العائلي الصفدي. إلاّ إن صبحي شخصياً أيد علي رضا أكثر من تأييده للشيخ أسعد قدّورة.

ومع أن صبحي كان بعيداً عن صفد في معظم الوقت، إذ عمل في القدس وعكا، إلاّ إن تأثيره كان ملحوظاً، سواء من خلال تدخله الشخصي، أو بواسطة مؤيديه وأعوانه.

٢ ـ عائلة شمّا:

من عائلات الأعيان المعروفة في المدينة، وقد برزت في أواخر العهد العثماني. عمل كثيرون من أبنائها في مجالي الإدارة والوظائف. جد العائلة، سليم شمّا، يوصَف بأنه من ذوي البأس والشدة، وكان شاويشاً في الجندرمة العثمانية. ثم انتخب عضواً في المجلس البلدي في صفد خلال العهد العثماني. وكان من أعيان المدينة البارزين في أوائل عهد الانتداب، وكثيراً ما كان يلقب بالزعيم سليم شمّا. إلى جانبه برز ابنه محمود سليم، الذي انتُخب رئيساً للمجلس البلدي سنة ١٩٠٦، واستمر في منصبه على الأقل حتى سنة ١٩٠٨، وكان من أبرز شخصيات المدينة حتى وفاته في ١٤ كانون الثاني/يناير ١٩٣١.[٧٥] كما برز ابنه محمد سليم، عضو هيئة المحكمة النظامية لأعوام طويلة. كذلك كان محمد سليم عضواً في المجلس البلدي في الفترة ١٩٢٨ ـ ١٩٣٤، وحظي باحترام وتقدير كبيرين وكان يُلَقب بالوجيه الكبير.[٧٦]

تصف تقارير جهاز استخبارات الهاغاناه محمد سليم شمّا بالاعتدال، وبأنه ارتبط بعلاقات جيدة مع أعيان يهود صفد، واشترك معهم في إدارة بعض الأعمال التجارية. وتذكر التقارير أن تأثيره تراجع في الأربعينيات من القرن العشرين نظراً إلى تقدمه في

(٧٤) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ١٠٥/٢٢٦، تقرير عن الحركة العربية في صفد، لا تاريخ، ص ٢.

(٧٥) سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣٢٢هـ/١٩٠٤م، ص ١٩١، ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م، ص ١٩٨؛ «الكرمل»، ٢٥/٣/١٩٢١.

(٧٦) أنظر أعلاه ص ٤٩ ـ ٥١، جدول عضوية المجلس البلدي في صفد في عهد الانتداب؛ العابدي، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٥؛ «الكرمل»، ٢١/١/١٩٢١، ١٢/١٢/١٩٢٦؛
CO 821/3/1928, Palestine Blue Book, p. 70, CO 821/5/1930, ibid., p. 81.

السن. واستمر من بعده ابنه صلاح شمّا الذي كان من الناشطين في المجال الوطني.

عمل أبناء العائلة في معظمهم في الوظائف المرموقة في مكاتب الحكومة وقطاعي الخدمات والتجارة، الأمر الذي شكل لهم مصدر قوة وتأثير. أمّا بشأن موقفهم السياسي فقد أيدوا عائلة قدّورة تقليدياً؛ أي أنهم مالوا إلى آل النشاشيبي.(٧٧)

٣ ـ عائلة الحاج سعيد / عبد الرحيم:

من عائلات الأعيان. برزت منذ أواخر العهد العثماني، إذ انتُخب منها سنة ١٨٧٨ أول رئيس للمجلس البلدي في صفد، هو الحاج سعيد عبد الرحيم، وبرز بعده أبناؤه الثلاثة أحمد وحسين وعبد اللطيف.(٧٨) وكان حسين عبد الرحيم شغل منصب عضو المجلس البلدي في الفترة ١٨٩٣ ـ ١٩٠٦.(٧٩)

اشتهر من أفراد العائلة في عهد الانتداب محمد حسن عبد الرحيم الذي عُيِّن رئيساً للمجلس البلدي سنة ١٩٢٦.(٨٠) وبعد انتخابات سنة ١٩٢٧، عُيِّن مجدداً رئيساً للمجلس بعد أن نال أكبر عدد من الأصوات وتغلب على منافسيه خالد محمد يوسف قدّورة، ومحمد سليم شمّا، وصلاح عز الدين قدّورة، وبقي في منصبه حتى سنة ١٩٢٩.(٨١)

بالإضافة إلى محمد حسن برز ابن أخيه عبد القادر عبد الرحيم، كعضو في المجلس البلدي في الفترة ١٩٣٤ ـ ١٩٤٤، وكنشيط فعال في الحركة الوطنية الفلسطينية.(٨٢) كذلك برز في عهد الانتداب مؤيد عبد الرحيم الذي شغل منصب قائمقام في نابلس في الأربعينيات من القرن العشرين.

تشير تقارير جهاز استخبارات الهاغاناه في الأربعينيات إلى أن معظم أبناء العائلة زاول الوظائف والتجارة، وإلى أن البعض كان يعمل في المجال الديني والوعظ.(٨٣)

(٧٧) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، تقريران بتاريخ ١/١٠/١٩٤٠، ص ٣، ١٥/٥/١٩٤١، ص ٦.

(٧٨) أنظر أعلاه ص ١٠.

(٧٩) سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١١ ـ ١٣١٢هـ/١٨٩٣ ـ ١٨٩٤م، ص ١٨٤، ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م، ص ٣٠٩.

(٨٠) «الكرمل»، ١٢/١٢/١٩٢٦.

(٨١) «فلسطين»، ٢١/١٢/١٩٢٩. أنظر أعلاه ص ٤٩ ـ ٥١، جدول عضوية المجلس البلدي في صفد في عهد الانتداب.

(٨٢) أنظر أعلاه ص ٤٩ ـ ٥١، جدول عضوية المجلس البلدي في صفد في عهد الانتداب.

(٨٣) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، تقريران عن الحركة العربية في صفد، ١/١٠/ ١٩٤٠، ص ٤ ـ ٥، ١٥/٥/١٩٤١، ص ٩.

وكان من مؤيدي آل قدّورة تقليدياً.

ثانياً: المسيحيون والجزائريون واليهود

أ) المسيحيون

كان مسيحيو صفد يشكلون أقلية صغيرة، تراوحت خلال الفترة التي تغطيها هذه الدراسة بين ٤٪ و٥٪ من مجموع السكان. ففي إحصاء سنة ١٩٢٢ بلغ عددهم ٣٤٣ نسمة، أي ما نسبته ٣,٩١٪. وفي سنة ١٩٣١ وصل عددهم إلى ٤٢٦ نسمة، أي ما نسبته ٤,٥١٪. وفي سنة ١٩٤٥ بلغ العدد ٤٣٠ نسمة، أي ما نسبته ٣,٦٠٪. وكما يبدو من المعطيات فإن عدد المسيحيين لم يتغير تقريباً في الفترة ١٩٣١ ـ ١٩٤٥، وقد نتج هذا الوضع في الأساس جرّاء الهجرة إلى مركز البلد، وخصوصاً إلى مدينة حيفا.(٨٤)

انقسم مسيحيو صفد إلى ثلاث طوائف: الكاثوليك والأورثوذكس والموارنة. وكانت طائفة الكاثوليك الطائفة الأكبر، وهي الوحيدة التي امتلكت كنيسة وكان لها راع. أمّا الموارنة فقد جاؤوا صفد من صيدا في فترات متأخرة.(٨٥)

كانت عائلة خوري من أبرز العائلات المسيحية في فترة الانتداب. وكما أشرنا سابقاً، فإن جد العائلة أسعد خوري كان عضو مجلس إدارة القضاء في سنة ١٩٠٨، وهذا ما أعطاه المكانة الكبرى. وفيما بعد سيطر أسعد واحتكر امتياز صيد السمك في بحيرة الحولة وشمال بحيرة طبرية، وذلك بعد أن كان في يد محتكرين يهود. وهنا لا بد من ذكر أن إنتاج الثروة السمكية في بحيرتي طبرية والحولة كان يزداد باستمرار، الأمر الذي ازدادت معه مداخيل الأسرة.

يُشار إلى أن عائلة خوري حصلت على حصة لا يستهان بها من مداخيل إنتاج الثروة السمكية. ففي فترة الانتداب ازداد الطلب على السمك نتيجة الهجرة اليهودية المتزايدة إلى البلد. كما أن أسعد خوري أخذ يستورد السمك من الخارج بكميات كبيرة، موسعاً منطقة تسويقه إلى مدينة حيفا. وبالإضافة إلى ذلك كان أسعد وأبناؤه وكلاء شركة شل البترولية في المدينة.

(٨٤) مصطفى مراد الدباغ، «بلادنا فلسطين» (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٤)، الجزء السادس ـ القسم الثاني، ص ١٢٥ ـ ١٢٦.

(٨٥) «فلسطين»، ١١/٤/١٩٤٤؛ إبراهيم حرفوش، «سياحة إلى أسقفية بلاد بشارة»، «المشرق»، المجلد ١٥، ١٩١٧، ص ٩٩٣.

مع اتساع نطاق تجارة عائلة خوري ازداد مدخولها وأصبحت إحدى العائلات الثرية في صفد. وقد مكنها توفر المال من استملاك أراض واسعة في جنوب سهل الحولة وعلى ضفاف بحيرة طبرية. وعلى هذه الأراضي أقام أبناء أسعد خوري مزارع، وغرسوا أشجار الحمضيات. وبرز من أبناء أسعد الثلاثة كل من توفيق وشحادة. وكان شحادة من مقربي المفتي الصفدي الشيخ أسعد قدّورة. كما برز بعض أفراد العائلة في مجال الوظائف الكبرى، مثل الياس وفيليب.[٨٦]

إزاء تصاعد مكانة عائلة خوري تراجعت مكانة عائلتي البشت والبوّاب اللتين برزتا في عهد التنظيمات في أواخر الحكم العثماني.

كما أن عائلة الصباغ كانت من العائلات الرائدة. وبحسب أقوال أبنائها فإنهم من نسل إبراهيم الصباغ مساعد الشيخ ظاهر العمر، حاكم الجليل في أواسط القرن الثامن عشر. شغل جد العائلة، حبيب الصباغ، منصب ترجمان، ومن ثم وكيل القنصل الفرنسي في صفد في أواخر العهد العثماني، واشتهر بعده توما الصباغ كنائب القنصل الفرنسي في كل من طبرية وصفد، وميخائيل الصباغ الذي كان موظفاً كبيراً في الجهاز الإداري في المدينة.[٨٧]

يشير تقرير لجهاز استخبارات الهاغاناه سنة ١٩٤٣ إلى أن مسيحيي صفد تولوا أغلبية الوظائف الحكومية، فكان منهم الكتبة ورجال الشرطة والمدرسون والممرضون وغير ذلك.[٨٨]

كذلك مارست أقلية من أبناء الطائفة الزراعة بحسب ما يُستشف من مستندات النادي الثقافي المسيحي الذي أُسس سنة ١٩٣٣، فمن الأعضاء العشرين عمل ثلاثة في الزراعة.[٨٩]

شارك المسيحيون إخوانهم المسلمين في العمل السياسي، فقد شارك شحادة

(٨٦) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، تقريران بتاريخ ١٩٤١/٤/٢٤، ١٩٤١/١٠/٣٠، ١٩٤١، ص ٣؛ «الكرمل»، ١٩٢١/٢/٨؛ «فلسطين»، ١٩٤٣/٣/١١.

(٨٧) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، تقرير بتاريخ ١٩٤١/١٠/٣٠، ص ٣؛ «فلسطين»، ١٩٣٣/٢/٨؛ سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م، ص ١٩٩، ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م، ص ٢٩٥؛

Mary-Jane Deeb, ed., *Hasib Sabbagh: From Palestinian Refugee to Citizen of the World* (Lanham, Md.: Middle East Institute/University Press of America, 1996), pp. 1-2.

(٨٨) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٩٦/١٠٥، تقرير بتاريخ ١٩٤٣/٥/١١.

(٨٩) أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم م/٣٣ س/ ٢٦٧٨، وثيقتان بتاريخ ١٩٣٣/٥/٢٩، ١٩٣٣/٨/٢١.

خوري في المؤتمر العربي الفلسطيني السابع.[٩٠] ودعم أبناء الطائفة الحركة الوطنية بالإمكانات المتاحة. وفي أغلب الأحيان وقفوا مع عائلة قدّورة مؤيدين سياسة الشيخ أسعد، مفتي صفد.

ومن الدلائل على الدور السياسي لمسيحيي صفد نذكر نشاط الجمعية الإسلامية ـ المسيحية في المدينة. وهنا لا بد من الإشارة إلى أن الهدف من تأسيس الجمعيات الإسلامية ـ المسيحية كان تشكيل جبهة وطنية موحدة تجاه السياسة البريطانية والصهيونية.

وكما هو معروف تأسست عدة جمعيات إسلامية ـ مسيحية منذ بداية الاحتلال البريطاني، كانت أولها جمعية يافا سنة ١٩١٨، وبعدها أقيمت جمعيات مشابهة في معظم مدن فلسطين الرئيسية.[٩١]

لا يوجد لدينا تاريخ مؤكد عن تأسيس الجمعية الإسلامية ـ المسيحية في صفد، إلاّ إنها كانت موجودة وفاعلة سنة ١٩٢٤، ويتضح من مراسلاتها القليلة المتوفرة بين أيدينا أنها واصلت نشاطها حتى سنة ١٩٢٩. ترأس الجمعية المحامي عبد الرحمن النحوي، في حين تولى السكرتاريا د. صبري عز الدين قدّورة.[٩٢] وتركز نشاطها أساساً في المجال السياسي، وجمع التبرعات للمصابين، وتوجيه الاحتجاجات السياسية وما شابه.[٩٣]

فضّل زعماء الطائفة المسيحية العمل في المستويات الرسمية جنباً إلى جنب مع الزعماء والأعيان المسلمين البارزين، إذ وقّعوا عرائض الاحتجاج التي أرسلها زعماء صفد استنكاراً لوعد بلفور وإقامة الانتداب.[٩٤] كما انضموا إلى معارضي أعمال الجيش البريطاني في المدينة في إبان الإضراب والثورة خلال الفترة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩.

يشير تقرير جهاز استخبارات الهاغاناه إلى أنه في أثناء الثورة ساد التوتر أوساط الطائفة بعد مقتل أحد أبنائها، ومع ذلك تبرّع المسيحيون لصناديق الثورة وشاركوا المسلمين في الاحتجاجات والإضرابات، لكن لم يكن بينهم أي نشيط في المنظمات المسلحة.[٩٥]

(٩٠) أنظر أدناه ص ١٧٥، قائمة ممثلي صفد في المؤتمرات الفلسطينية.

(٩١) بشأن مزيد من المعلومات، أنظر: الحوت، مصدر سبق ذكره، ص ٨٠.

(٩٢) أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم ف/٢٤٨٢/٩٨٥، بتاريخ ١٩٢٩/١٠/١٦، ف/٩٨٧/١٤٥، بتاريخ ١٩٢٩/١٢/٢٦.

(٩٣) «الكرمل»، ١٩٢١/٨/١٣؛ «فلسطين»، ١٩٢٩/١١/٥، ١٩٢٩/١٢/١.

(٩٤) «الكرمل»، ١٩٢١/١/٢٣.

(٩٥) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، تقرير بتاريخ ١٩٤١/١٠/٣٠، ص ١.

من اللافت للنظر أنه لم يكن للمسيحيين تمثيل في المجلس البلدي للمدينة طوال عهد الانتداب، في حين كان لليهود ما بين عضوين وثلاثة أعضاء. وكان هذا الوضع مختلفاً تماماً عما كانت عليه الحال في العهد العثماني، حين كان للمسيحيين تمثيل في جميع المؤسسات والهيئات الإدارية، كالمجلس البلدي ومجلس إدارة القضاء.

أدار المسيحيون شؤون حيهم بصورة مستقلة، إذ عُيِّن مختار للحي المسيحي. ومن المخاتير المسيحيين نذكر جبران غنطوس في العشرينيات من القرن العشرين،[٩٦] ويوسف ندّاف في الثلاثينيات والأربعينيات،[٩٧] وكلاهما من المقربين إلى الشيخ أسعد قدّورة.

بالنسبة إلى التنظيم الداخلي اهتم مسيحيو صفد بعرض موقف موحد على الرغم من انتمائهم إلى ثلاث طوائف. فقد أسسوا، في ٢٤ تموز/يوليو ١٩٣٣، النادي الثقافي المسيحي، الذي نشط أساساً في مجالات التربية والرياضة والمجتمع.[٩٨] وفيما يلي قائمة بالأعضاء المؤسسين للنادي الثقافي المسيحي، وهم ينتمون إلى صفد والقرى المجاورة:

الياس حداد	حبيب سمعان	فوزي الصباغ
سمعان حداد	الخوري إغناطيوس رزق	الياس الصباغ
جبران سمعان	خليل حداد	باسيلا عازر
توما عيد	جريس داود	صبحي الفار
نقولا عيد	يوسف حداد	إبراهيم خوري
فضول عيد	باسيلا سمعان	صبحي خوري
نايف خوري	سعيد ندّاف	

ترأس النادي الياس حداد الذي كان يعمل مدرساً في مدرسة الإرسالية الإسكتلندية،[٩٩] التي كانت إحدى أهم المؤسسات التبشيرية البارزة في المدينة، إلى حين تم إغلاقها

(٩٦) «الكرمل»، ٢٣/١/١٩٢١.
(٩٧) «فلسطين»، ٢٢/١١/١٩٣٨.
(٩٨) أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم م/١٣٣ س/٢٦٧٨، وثيقتان بتاريخ ٣١/٧/١٩٣٣، ٢١/٨/١٩٣٣.
(٩٩) «فلسطين»، ١٠/٥/١٩٣٣.

سنة ١٩٣٧، ونقلها إلى حيفا بعد التوتر المتفاقم في إبان الثورة.[١٠٠]

ب) الجزائريون

لم تكن هجرة الجزائريين والمغاربة واستيطانهم فلسطين ظاهرة جديدة، إذ كان الآلاف منهم وصلوا خلال العهد العثماني. إلاّ إن الجزائريين الذين يشار إليهم في هذه الدراسة كانوا وصلوا إلى منطقة صفد بعد احتلال فرنسا للجزائر سنة ١٨٣٠، وبعد حركة المقاومة التي قادها الأمير عبد القادر بن محيي الدين الجزائري تعبيراً عن رفضه للاحتلال الأجنبي. وقد استمرت المقاومة الجزائرية خمسة عشر عاماً (١٨٣٢ ـ ١٨٤٧). وبعد هذا الصراع الدامي استسلم الأمير للفرنسيين ونُقل إلى باريس، حيث بقي في الأسر حتى سنة ١٨٥٢ حين سُمح له بالانتقال إلى الدولة العثمانية، فمكث مدة قصيرة في بورسه، ومن ثم انتقل سنة ١٨٥٥ إلى دمشق واستقر بها.[١٠١]

شجع وصول الأمير إلى دمشق كثيرين من أتباعه على الهجرة إلى المنطقة، وفعلاً قدم بعده الآلاف من المهاجرين الجزائريين، وتوزعوا في أرجاء ولاية الشام، سواء كان ذلك في المدن أو في القرى.

أقيم في قضاء صفد خمس قرى للمهاجرين الجزائريين هي: ماروس وديشوم وعموقة في السفوح الشرقية للجليل الأعلى، والحسينية والتليل جنوب سهل الحولة. كما أن العشرات منهم استوطنوا مدينة صفد نفسها.

لا تتوفر لدينا إحصاءات دقيقة عن عدد أبناء هذه الجالية في صفد، ذلك بأن المسؤولين عن الإحصاء لم يعتبروهم مجموعة سكانية منفردة. إلاّ إنه يمكن تقدير عددهم في أربعينيات القرن العشرين بنحو ٣٠٠ نسمة استناداً إلى عدد البيوت التي سكنوها في حارة الأكراد. وإزاء عدم الوضوح بالنسبة إلى عددهم في صفد، فإن عددهم في ريفها بلغ سنة ١٩٤٥ في القرى الخمس ١١٥٠ نسمة.[١٠٢]

عمل معظم الجزائريين القرويين في الزراعة. أمّا الجزائريون الصفديون فعملوا أساساً في التجارة، وبرز منهم ابنا عائلة الدلسي، محمد ورشيد، اللذان كانا تاجرين

(١٠٠) المصدر نفسه، ١/٨/١٩٣٧.
(١٠١) محمد الجزائري، «تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر» (بيروت: دار اليقظة، ١٩٦٤)، ص ٥٩٦ ـ ٥٩٧؛ عبد الكريم رافق، «العرب والعثمانيون، ١٥١٦ ـ ١٩١٦» (عكا: دار الأسوار، ١٩٨٧)، ص ٤٦٦ ـ ٤٦٨.
(١٠٢) الدباغ، مصدر سبق ذكره، الجزء السادس - القسم الثاني، ص ١٦٧، ١٩٥، ٢٠٩ ـ ٢١٠، ٢٢١ ـ ٢٢٢.

معروفين في صفد، وقد مكنتهما ثروتهما الكبيرة من ترأس الجالية الجزائرية. كما كان محمد الدلسي سكرتير جمعية المقاصد الخيرية المغربية في صفد.[١٠٣] وإضافة إلى عائلة الدلسي برزت عائلة عربي بزعامة حسن عربي.

وعلى الرغم من كون الجزائريين مهاجرين فإنهم اندمجوا سريعاً في المجتمع الصفدي وفي القضاء عامة. وكان وضعهم الاقتصادي جيداً، إذ خصصت السلطات العثمانية لهم مساحات واسعة من الأراضي. فمثلاً كانت قرية ديشوم إحدى القرى الكبرى الثلاث في قضاء صفد، وبلغت مساحة أراضيها ٢٣,٠٠٠ دونم.[١٠٤]

كان الجزائريون، في معظمهم، محافظين متمسكين بدينهم الحنيف، ومن مؤيدي الطريقة القادرية التي ترأسها زعيمهم الأمير عبد القادر.[١٠٥] كما كانوا فعالين ونشيطين على الصعيد الوطني، حتى إن نشاطهم هذا فاق نسبتهم إلى مجموع السكان في المنطقة.

يشار إلى أن الجزائريين لم يُعتبروا من طبقة الأعيان، ولم تبرز بينهم أية شخصية على المستوى القطري. لكن الأمر لم يكن كذلك على الصعيد الوطني المحلي. فمع اندلاع ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ قام الجزائريون بدور فعال، وقادوا الثورة في الجليل الأعلى الشرقي.[١٠٦] وكان زعيمهم موسى الحاج حسين، الملقب بالكبير، من قرية التليل في سهل الحولة، شخصية مركزية في تنظيم وقيادة الثورة في الجليل الشرقي. وإلى جانب موسى الكبير نشط بعض الجزائريين الذين كانوا قادة فصائل، مثل محمود سليم صالح (أبو عاطف) من قرية عموقة، وتوفيق عمر من قرية ماروس.[١٠٧]

لاحق البريطانيون موسى الحاج حسين، فاضطر إلى مغادرة قريته واللجوء إلى الجولان. وهناك اعتقلته السلطات الفرنسية بتهمة القتل وسجنته في بيروت. وقد أثارت عملية اعتقاله وسجنه غلياناً واسعاً في صفوف الجزائريين في البلد وحتى في سورية، الأمر الذي استدعى تدخل الأمراء الجزائريين في دمشق للإفراج عنه. ويشير هذا التدخل إلى التعاون والتنسيق بين الجاليتين في فلسطين وسورية.[١٠٨]

من الجدير بالذكر أن الأمير عبد القادر الجزائري زار صفد سنة ١٨٥٦ في أثناء

(١٠٣) أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم م/٥٦٧ س/٢٦٨٤، وثيقة بتاريخ ١٩٤٧/٥/٢٠.
(١٠٤) الدباغ، مصدر سبق ذكره، الجزء السادس – القسم الثاني، ص ٢٢١، ٦٩٠.
(١٠٥) رافق، مصدر سبق ذكره، ص ٤٦٥.
(١٠٦) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، تقرير بتاريخ ١٩٤٠/٩/٢٢.
(١٠٧) المصدر نفسه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، تقرير بتاريخ ١٩٤١/٤/٢٢.
(١٠٨) المصدر نفسه.

رحلته إلى القدس،[١٠٩] الأمر الذي يدل على استمرار التواصل بين الأمراء الجزائريين في سورية وأبناء جاليتهم في صفد.

وعلى الصعيد الاجتماعي، كما أشرنا، كان أبناء الجالية مجموعة موحدة ومتراصة حافظوا على خاصيتهم دائماً. وظهر هذا في لهجتهم وملبسهم وعلاقات الزواج، وحتى في الأطعمة الجزائرية. ومن أجل المحافظة على هذه الخاصية أسسوا، في ١٠ كانون الثاني/يناير ١٩٤٧، جمعية المقاصد الخيرية المغربية في صفد. وكان المبادرون إلى تأسيسها جزائريين من صفد وقضائها، إلاّ إنها ضمت كذلك جزائريين ومغاربة من قضاءي طبرية والناصرة. أمّا أهداف الجمعية فكانت:

١ ـ المحافظة على الثقافة والعادات، وتشجيع التعاون المشترك بين الأعضاء المغاربة.

٢ ـ مد يد العون إلى الفقراء المغاربة، ودعم الطلاب المحتاجين.

٣ ـ تشجيع النمو الاقتصادي والاجتماعي بين أبناء الجالية.

نشير إلى أن بين الأعضاء العشرين المؤسسين كان هناك عشرة صفديين. وتولى رئاسة الجمعية سعيد عمر، مختار قرية ماروس، إحدى قرى الجزائريين في القضاء. أمّا السكرتاريا فقد أُوكلت إلى الصفدي محمد الدلسي.[١١٠]

كانت هذه الجمعية المنظمة الوحيدة التي أنشأها الجزائريون الصفديون. وقد حاولت أن تحظى بدعم زعماء المدينة، فحرصت دائماً على دعوتهم إلى اجتماعاتها ونشاطاتها المهمة. وكان صبحي الخضراء من الزعماء الصفديين الذين تقربوا من الجمعية، ولا ندري هل كان ذلك لكونه حقاً من أصول مغربية، أم بسبب علاقاته بأبناء الجالية.[١١١]

ج) اليهود

مرت الجالية اليهودية في عهد الانتداب بتحولات مهمة. فقد تغيرت مكانتها الديموغرافية والاجتماعية والسياسية، بصورة كبيرة، قياساً بما كانت عليه في العهد العثماني.

قبل الحرب العالمية الأولى، قُدّر عدد أفراد الجالية بنحو ٦٠٠٠ ـ ٧٠٠٠ نسمة

(١٠٩) الجزائري، مصدر سبق ذكره، ص ٥٩٩.
(١١٠) أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم م/٥٦٧ س/٢٦٨٤، وثيقة بتاريخ ١٩٤٧/١/٢٦.
(١١١) وثائق صبحي الخضراء، وثيقة رقم ٣٧٥، ١٩٤٧/٨/٢٨؛ «فلسطين»، ١٩٤٧/٩/٢.

من مجموع سكان المدينة البالغ ١٤,٠٠٠ نسمة. إلاّ إن حالة الضيق وانقطاع أموال العون في أثناء الحرب أضرا كثيراً باقتصاد الجالية. وكنا رأينا في الفصل الأول أن كل يهودي رابع في صفد إما مات وإمّا ترك المدينة، في حين اضطر الباقون، في معظمهم، إلى بيع أثاث بيوتهم كي يعيشوا ريثما تصل الأموال من صندوق العون الأميركي.[١١٢]

ووفقاً لإحصاء سنة ١٩١٨، بلغ عدد اليهود في صفد ٢٦٨٨ نسمة، وفي الإحصاء الرسمي الأول لسنة ١٩٢٢ بلغ عددهم ٢٩٨٦ نسمة، أي ما نسبته ٣٤٪ من سكان المدينة.[١١٣] وفي الإحصاء الرسمي الثاني لسنة ١٩٣١، انخفض عدد اليهود إلى ٢٥٤٧ نسمة، أي ما نسبته ٢٧٪ من مجموع السكان. وفي إحصاء الوكالة اليهودية سنة ١٩٤٢ هبط العدد إلى ٢١٤٤ نسمة. وفي الفترة ١٩٤٤ ـ ١٩٤٥ استمر العدد في الهبوط ليصل إلى ١٩٥٢ نسمة، أي ما نسبته ١٦,٣٦٪ من سكان المدينة. أمّا من حيث توزيعهم الطائفي فكانوا على النحو التالي: ١١١٠ من الأشكناز، أي ما نسبته ٥٦,٩٪، و٨٤٢ من السفاراديم، أي ما نسبته ٤٣,١٪.[١١٤]

في إحصاء سنة ١٩٤٨ انخفض عدد اليهود ليبلغ ١٦٠٠ نسمة فقط، أي ما نسبته ١٢٪ من مجموع السكان في صفد.[١١٥]

ضمن محاولات يهود المدينة تنظيم أنفسهم، انتخبوا في أواخر سنة ١٩١٨ لجنة خاصة بهم، عرفت بلجنة الجالية اليهودية في صفد. وكانت هذه اللجنة، عملياً، الهيئة العليا التي مثّلت الجالية في فترة هذه الدراسة، وتعاملت السلطات معها في كل اتصالاتها بالسكان اليهود، وكانت حلقة الوصل بين يهود صفد وبين اللجنة القومية اليهودية (هفاعد هلئومي) وزعامة الييشوف في فلسطين.

في سنة ١٩٣٠، ضمت هذه اللجنة ستة أعضاء هم: إيليا كلينغر؛ د. بنحاس فايل؛ متتياهو لونتس؛ موشيه فيداتسور؛ شموئيل أهرون روبين؛ يهودا عنتيبي.[١١٦]

(١١٢) بشأن المزيد من التفصيلات، أنظر أعلاه الفصل الأول، البند رابعاً.
(١١٣) الأرشيف الصهيوني المركزي، ملف رقم S/25/5111، لا تاريخ.
(١١٤) أرشيف جيش الدفاع الإسرائيلي، ملف رقم ٤٥٦/٥٣/١.
(١١٥) ناتان شور، «تاريخ صفد» (بالعبرية)، (تل أبيب: لا دار نشر، ١٩٨٩)، ص ٢٤٥.
(١١٦) يتسحاق غيل ـ هار، «التنظيم والإدارة الذاتية للييشوف في أرض إسرائيل منذ بداية الحكم البريطاني حتى إقرار الانتداب، ١٩١٧ ـ ١٩٢٢» (بالعبرية)، (القدس: الجامعة العبرية، ١٩٧٣)، ص ٢٥٦؛ الأرشيف الصهيوني المركزي، ملف رقم S/25/8246، وثيقة بتاريخ ١٩/٩/١٩٢٩، ملف رقم J1/191، وثيقتان بتاريخ ٢٦/١١/١٩١٩، ٢٢/٤/١٩٢٢.

ترأس اللجنة في الفترة ١٩٣٢ ـ ١٩٤٨ موشيه فيداتسور.[١١٧] ولا بد من الإشارة إلى أنه على الرغم من كون لجنة الجالية اليهودية مشتركة بين الأشكناز والسفاراديم، فقد كان للسفاراديم لجنة أُخرى خاصة بهم هي لجنة الطائفة السفارادية، التي ترأسها يهودا عنتيبي.[١١٨]

عالجت لجنة الجالية اليهودية، كما أسلفنا، أمور الطائفة وأدارت العلاقات باللجنة القومية اليهودية والبريطانيين. أمّا معالجة الشؤون البلدية فقد بقيت للممثلين اليهود في المجلس البلدي.

نشير إلى أنه على الرغم من هبوط عدد اليهود في المدينة، فقد كان لهم عادة ثلاثة أعضاء من مجموع سبعة أعضاء في المجلس البلدي، إضافة إلى توليهم منصب نائب رئيس المجلس.

في سنة ١٩٢٧، مثّل الطائفة كل من إيديل مايبرغ، ويوئيل بارشاد، ودافيد بار. وكان الأخير نائب رئيس المجلس البلدي، وتصفه المصادر بكونه معتدلاً ومقبولاً لدى العرب.[١١٩]

واصل هؤلاء الأعضاء الثلاثة عضويتهم حتى سنة ١٩٣٠، حين انتُخب كل من موشيه فيداتسور وروبين تريفون. وفي سنة ١٩٣١، مثّل الجالية في المجلس البلدي كل من دافيد بار، وزيندل كهانا، ويهودا عنتيبي، وقد تابعوا عضويتهم حتى سنة ١٩٣٣. وفي سنة ١٩٣٤، انتُخب إيديل مايبرغ بدل زيندل كهانا، واستمر هؤلاء الممثلون حتى سنة ١٩٤٤، حين أصبح لليهود ممثلان فقط هما إيديل مايبرغ ومردخاي كلينغر.[١٢٠]

(١١٧) الأرشيف الصهيوني المركزي، ملف رقم S/25/8246، وثيقة بتاريخ ٣/٥/١٩٣٠، ملف رقم J1/3527، وثائق بتاريخ ١٣/٣/١٩٤٢؛ كنيست إسرائيل في أرض إسرائيل، «تقرير اللجنة القومية في ١٩٣١ ـ ١٩٣٢» (بالعبرية)، (القدس: لا دار نشر، ١٩٣٢)، ص ١٠ ـ ١١.
(١١٨) الأرشيف الصهيوني المركزي، ملف رقم J1/1533، وثيقة بتاريخ ٣٠/٣/١٩٣٢.
(١١٩) CO 821/2/1927, Palestine Blue Book, p. 67.
(١٢٠) أنظر أدناه ص ٨٤،جدول الأعضاء اليهود في المجلس البلدي في صفد (١٩٢٧ ـ ١٩٤٦).

الأعضاء اليهود وسنوات عضويتهم في المجلس البلدي في صفد (١٩٢٧ ـ ١٩٤٦)

السنة	الأعضاء
١٩٢٧ ـ ١٩٢٩	إيديل مايبرغ يوئيل بارشاد دافيد بار (نائب رئيس المجلس البلدي)
١٩٣٠	موشيه فيداتسور روبين تريفون
١٩٣١ ـ ١٩٣٣	دافيد بار زيندل كهانا يهودا عنتيبي
١٩٤٤ ـ ١٩٤٦	إيديل مايبرغ مردخاي كلينغر

المصدر: CO 821/2-20/ 1927-1945, Palestine Blue Book.

واصل كل من كلينغر ومايبرغ عضويته، إلى أن استقال الاثنان في ١١ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٤٦.(١٢١)

نشير إلى أن رئاسة لجنة الجالية اليهودية كانت أهم من عضوية المجلس البلدي، وذلك نتيجة علاقاتها وارتباطاتها بالمؤسسات القومية اليهودية. ونظراً إلى ذلك كان موشيه فيداتسور، رئيس اللجنة، الشخصية المركزية والقائدة في صفوف الطائفة، وليس مصادفة أنه أصبح أول رئيس يهودي للمجلس البلدي في صفد بعد النكبة.

على العموم، يمكن وصف وضع الجالية اليهودية حتى الحرب العالمية الثانية بأنه كان صعباً، لأنها كانت في تناقص مستمر. ووجدنا وصفاً معبراً لهذا الوضع في رسالة بعثت بها لجنة الجالية إلى رؤساء الحركة الصهيونية، سنة ١٩٣٦، جاء فيها:

> نود أن نعلمكم بأن الاستيطان اليهودي في صفد يحتضر. قبل الحرب العالمية كانت صفد مدينة مهمة في أرض ـ إسرائيل، وكانت تسكنها أكبر جالية عبرية بعد جالية القدس، وتعج بطلاب العلم وأصحاب المهن والعمال والتجار... أما الآن فإن اليأس والحزن مخيمان على كل شيء. الكنس والمدارس الدينية فارغة، والمدارس العبرية التابعة للمنظمة الصهيونية خالية من الطلاب.(١٢٢)

(١٢١) «هآرتس»، ١٤/١١/١٩٤٦؛ «هتسوفيه»، ١١/١١/١٩٤٦؛ «همشكيف»، ١٢/١١/١٩٤٦؛
Palestine Post, 11 November 1946;
الأرشيف الصهيوني المركزي، ملف رقم J1/3527، لا تاريخ.

(١٢٢) الأرشيف الصهيوني المركزي، ملف رقم S/25/7255.

يبيّن هذا الوصف سبب نزوح يهود صفد الذي استمر منذ الحرب العالمية الأولى. لكن في أواخر عهد الانتداب طرأ استقرار وتحسن طفيف على وضع من بقي منهم، فقد شعروا بتعزيز وازدياد الاستيطان اليهودي في الجليل وسهل الحولة، وحظوا بدعم متزايد من مؤسسات الاستيطان اليهودي في البلد. وفي أواخر سنة ١٩٤٨، كان وضع الطائفة المعنوي والاقتصادي أفضل كثيراً مما كان عليه سنة ١٩١٨.(١٢٣)

نقطة أخرى لا بد من الإشارة إليها هي تراجع الوزن الاقتصادي والسياسي لطائفة السفاراديم، وذلك على الرغم من أن نسبتها بلغت ٤٣,١٪ من مجموع ١٩٥٢ يهودياً كانوا في صفد سنة ١٩٤٤. فطوال عهد الانتداب كان للسفاراديم ممثل واحد فقط في المجلس البلدي، هو يهودا عنتيبي.

التركيبة الديموغرافية لصفد في عهد الانتداب

السنة / السكان	١٩١٨	١٩٢٢	١٩٣١	١٩٤٤/١٩٤٥
مجموع سكان المدينة	٧٦٥٦	٨٧٦١	٩٤٤١	١١,٩٣٠
مجموع المسلمين	٤٦٦٣	٥٤٣٢	٦٤٦٨	٩٥٤٨
النسبة المئوية	٦٠,٩٠	٦١,٨٩	٦٨,٥٠	٨٠,٠٣
مجموع اليهود	٢٦٨٨	٢٩٨٦	٢٥٤٧	١٩٥٢
النسبة المئوية	٣٥,١٠	٣٤,٠٨	٢٦,٩٧	١٦,٣٦
مجموع المسيحيين	٣٠٥	٣٤٣	٤٢٦	٤٣٠
النسبة المئوية	٣,٩٨	٣,٩١	٤,٥١	٣,٦٠
المصادر	١	٢	٣	٤

المصادر:
(١) مكتب أرض إسرائيل التابع للمنظمة الصهيونية، «إحصاء يهود أرض إسرائيل، الكراس ب – السامرة والجليل» (بالعبرية)، (يافا: لا دار نشر، ١٩١٩)، ص ٢٠.
(٢) Census of 1922, CO 821/13, p. 332.
(٣) Census of 1931, CO 821/13, p. 332.
(٤) أرشيف جيش الدفاع الإسرائيلي، ملف رقم ٤٥٦/٥٣/١؛ مصطفى مراد الدبّاغ، «بلادنا فلسطين» (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٤)، الجزء السادس ـ القسم الثاني، ص ١٢٥ ـ ١٢٦؛
CO 821/19/1944, Palestine Blue Book, p. 260;
شموئيل أفيتسور، «مصادر معيشة يهود صفد»، في: «فصول صفد» (بالعبرية)، (تل أبيب: معهد معرفة الشعب والبلد، ١٩٦٩)، ص ٣٤٩.

(١٢٣) بشأن المزيد من التفصيلات، أنظر أدناه الفصل الرابع.

ثالثاً: الطبقة الوسطى وطبقة العمال

أ) الطبقة الوسطى

ضمت هذه الطبقة في الأساس التجار والموظفين على اختلاف انتماءاتهم، وتصدرتها مجموعة التجار الذين سيطروا على الحركة التجارية المحلية التي شملت كلاً من: سلع المنسوجات؛ الصوف والقماش؛ المنتوجات الزراعية؛ الحبوب؛ الفواكه؛ الحيوانات؛ الأسماك وما شابه.

في مجال التجارة كانت العائلة البارزة عائلة الخولي.[١٢٤] كما برزت عائلة النقيب التي كانت تعمل في تجارة الأغذية، وكان زعيمها مصطفى النقيب من كبار التجار في صفد. كذلك كان كثيرون من أفراد عائلة الأسدي من التجار المعروفين.[١٢٥] نشير إلى أن أبناء عائلات التجار تجنبوا عادةً التدخل مباشرة في القضايا السياسية والوطنية، وفضلوا تأييد الحركة الوطنية بصورة غير مباشرة، وذلك من خلال مدّها بالتبرعات والمعونات المتنوعة.

في بداية عهد الانتداب تدهورت مكانة التجارة بعض الشيء، وشهدت الحركة التجارية ركوداً ملموساً، وذلك نظراً إلى ترسيم الحدود وتقييد حركة المرور مع الدول المجاورة. إلاّ إن التجار تمكنوا من استعادة قواهم بعد ذلك ليعودوا القطاع الرائد في الطبقة الوسطى.

أمّا فيما يتعلق بقطاع الخدمات والوظائف فقد طرأ عليه تحسن كبير مع بداية عهد الانتداب، وكان عدد العاملين فيه يزداد باستمرار، إذ إن المؤسسات والأجهزة الإدارية المتعددة كانت بحاجة إلى مزيد من الموظفين.

وعلى الرغم من أن أبناء عائلات الأعيان كان لهم تأثير وأفضلية في شغل المناصب الإدارية والمهن الحرة بسبب نفوذهم وثقافتهم، فإن هذا الأمر لم يحل دون انضمام أبناء عائلات أُخرى إلى هذه القطاعات مثل: حجازي؛ منوّر؛ البرادعي؛ غنيم؛ الكبرا؛ البيطار؛ قوصي؛ البستوني؛ البرغوثي؛ حيفاوي؛ جرادة؛ زاهر؛ عرب؛ رفاعي؛ السلطي؛ عطايا؛ غريري؛ هندي؛ محيي الدين.[١٢٦]

---

(١٢٤) «الكرمل»، ١٩٢١/٣/٢٥؛ أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٩٦/١٠٥، وثيقة بتاريخ ١٩٤٢/١١/٩.

(١٢٥) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، عرض لمدينة صفد العربية، تقرير بتاريخ ١٩٤١/٥/١٥، ص ٥.

(١٢٦) المصدر نفسه، ص ١ ـ ١٠.

ويشكل الأخوان عارف ورؤوف حجازي مثالاً واضحاً لهذا الأمر. فكلاهما كان محامياً معروفاً ومن النشيطين جداً في صفوف الحركة الوطنية في صفد وقضائها.[١٢٧] كذلك كان نصوح منوّر نشيطاً في صفوف منظمات الشبيبة، وداعية بارزاً لصندوق الأمة.[١٢٨] كما تشكل سيرة المحامي محمد البرادعي العباسي، الذي استطاع الوصول إلى منصب قاضي محكمة مركزية، مثالاً آخر لنجاح أبناء الطبقة الوسطى.[١٢٩]

وأخيراً، يمكن القول إن الطبقة الوسطى نمت وقويت باستمرار خلال عهد الانتداب، كما أخذت تشكل عاملاً منافساً للعائلات الرائدة بصورة تقليدية. ويلاحظ أنه اعتباراً من ثلاثينيات القرن العشرين باتت هذه الطبقة تؤدي دوراً مؤثراً وضاغطاً في سبيل إحداث تغييرات سياسية واقتصادية.

ب) طبقة العمال

ضمت هذه الطبقة الأغلبية الساحقة من أبناء صفد العرب، إذ شملت العاملين في قطاعات الخدمات والزراعة والبناء، وغيرها.

وفي الوقت الذي بقي أبناء هذه الطبقة بعيدين عن صنع القرار السياسي، فإنهم كانوا من المشاركين بفعالية في النشاط الوطني. فقد شاركوا في أحداث حائط البراق سنة ١٩٢٩، التي مسّتهم كثيراً في أعقاب الإجراءات القاسية التي فرضها الإنكليز عليهم، فبات قسم منهم يسمى منكوبي صفد.[١٣٠]

كذلك شارك أبناء هذه الطبقة بدور فاعل في ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩، إذ كان قادة الثورة الميدانيون جميعاً من أبنائها، نذكر منهم محمود الشاعر وعبد الله محمود الشاعر وأبو عثمان الكردي.[١٣١]

كما كان أحمد طافش، قائد تنظيم الكف الأخضر المسلح، الذي نشط في أواخر سنة ١٩٢٩ وبداية سنة ١٩٣٠، من صفوف هذه الطبقة.[١٣٢]

---

(١٢٧) المصدر نفسه، ص ٨.

(١٢٨) المصدر نفسه.

(١٢٩) العابدي، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٨.

(١٣٠) «الكرمل»، ١٩٢٩/١٠/٢، ١٩٢٩/١١/١٣.

(١٣١) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، تقرير بتاريخ ١٩٤١/١٠/٣٠، ص ١.

(١٣٢) المصدر نفسه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، تقريران بتاريخ ١٩٤٠/٩/٢٢، ص ٤، ١٩٤١/١٠/٣٠، ص ٢.

الفصل الرابع

تحولات في اقتصاد صفد في عهد الانتداب

أولاً: الحدود الانتدابية وتأثيرها في اقتصاد صفد

كانت صفد دوماً مركزاً تجارياً وخدماتياً شمل نحو ٢٠٠ قرية في مناطق الجليل الشرقي، وهضبة الجولان، والجنوب اللبناني، وقسم من قضاء عكا. وبالإضافة إلى العلاقات التجارية والاجتماعية بين سكان هذه المناطق وسكان صفد، كان لكثيرين من مواطني الجنوب اللبناني والجولان أراض وأملاك في القضاء، وخصوصاً في سهل الحولة.[1]

إن قرب صفد من الطريق التجاري التاريخي المهم الذي ربط بين دمشق ومدن السهل الساحلي والجبل في فلسطين، أكسبها مكانة خاصة ومميزة. فجسر بنات يعقوب، الواقع على بعد ١٣ كم شرقي المدينة، جعلها منذ القدم مكان عبور للبضائع والقوافل. ولعل وجود الخان الكبير فيها، المعروف باسم خان الباشا، دلالة على ذلك. هذا إضافة إلى وجود خان جب يوسف وخان المنية إلى الجنوب من المدينة، وكلاهما من أشهر خانات فلسطين قاطبة.

علاوة على كون صفد مركز خدمات اعتمد اقتصادها أيضاً على تجارة الترانزيت، وخصوصاً تجارة الحبوب التي كانت تنقل من أرجاء القضاء ومن جنوب سورية إلى ميناء عكا من أجل التصدير. كما وصل الصوف ومنتوجات الألبان إليها من الجولان وحوران، المعروفين بوفرة محاصيلهما الزراعية وغنى مراعيهما.

كذلك وصلت من الجنوب اللبناني بضائع ومنتوجات متنوعة، مثل التبغ والفواكه وزيت الزيتون. وكان التجار الصفديون بمثابة حلقة وصل بين فلاحي هذه المناطق

---

(١) «الكرمل»، ٢٤/١١/١٩٢٢؛ الأرشيف الصهيوني المركزي، ملف رقم KKL5/7002، تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٤٧، ص ١.

وتجار عكا.[٢]

إن حركة التجارة الحرة بين ولاية سوريا وأقسامها الداخلية، وبين ولاية بيروت والسهل الساحلي، يسّرت لصفد الجبلية المحافظة على مستوى تجاري لائق، وبصورة خاصة تجارة الترانزيت. لكن هذا الأمر تغير كلياً مع بداية الانتداب حين أقدم المستعمرون على تقطيع أوصال المنطقة بالحدود السياسية التي أنشأوها.

فصل الحد الجديد ما بين صفد وظهيرها الاقتصادي. فبدلاً من المرور الحر الذي كان في السابق، أقيمت المعابر الحدودية والحواجز الجمركية، الأمر الذي مس حركة التجارة من صفد وإليها، كما أدى إلى ارتفاع أسعار السلع ففقدت المدينة القدرة على منافسة مدن أُخرى قريبة منها كطبرية.[٣]

بالإضافة إلى الركود التجاري الذي منيت به صفد خلال الحرب وبعدها، نمت مراكز تجارية جديدة منافسة لها في كل من القنيطرة ومرجعيون وبنت جبيل. وأصبحت هذه القرى الثلاث بلدات تشهد حركة تجارية نشيطة وبأسعار أقل من تلك الموجودة في صفد. فعلى سبيل المثال، كان سعر رطل السكر في القنيطرة ومرجعيون يتراوح بين خمسة وستة قروش، بينما وصل سعره في صفد إلى تسعة قروش.[٤] وثمة شهادة أُخرى على ارتفاع الأسعار في صفد قياساً بمناطق أُخرى، وهي مدرجة في «الجريدة الرسمية»، إذ كانت أسعار المواد الاستهلاكية في صفد أكثر مما هي عليه في طبرية وعكا.[٥]

في ١٦ شباط/فبراير ١٩٢٤، زار الأب فردیناند توتل اليسوعي صفد، ووصف الوضع التجاري المتردي في المدينة بقوله إن الحوانيت والأسواق مفتوحة، إلاّ إنه لا يكاد يدخلها الزبائن. كما كان الطلب على الحاجات الصناعية ضعيفاً جداً. ووفقاً لشهادته فإن الركود مس الفروع الصناعية التقليدية، كصباغة الأقمشة والحدادة والخياطة والمنسوجات.[٦]

(٢) «الكرمل»، ٢٠/٥/١٩٢٥؛ الأرشيف الصهيوني المركزي، ملف رقم KKL5/7002، تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٤٧، ص ١؛ ألكسندر شولش، «تحولات جذرية في فلسطين، ١٨٥٦ ـ ١٨٨٢» (لا مكان: دار الهدى، الطبعة الثانية، ١٩٩٠)، ص ٩٦.

(٣) «الكرمل»، ٢٣/٥/١٩٢٥.

(٤) المصدر نفسه. الرطل يساوي ٢,٥ كغ.

(٥) CO 742/1, *Official Gazette*, 1st March 1920, p. 14.

(٦) فردیناند توتل اليسوعي، «رحلة في بلاد الجليل الأعلى»، «المشرق»، المجلد ٢١، ١٩٢٤، ص ٦٩٦.

تنبهت سلطات الانتداب لهذا الوضع وانعكاسه السلبي على اقتصاد المدينة، فأقرت إصدار جوازات سفر دائمة لسكان قضاءي صفد وعكا تسهيلاً لحركة مرورهم من سورية ولبنان وإليهما.[٧]

وفي الإطار نفسه تم سنة ١٩٢٥ تأليف لجنة مشتركة بريطانية ـ فرنسية لفحص موضوع التنقل بين منطقتي الانتداب، والمشكلات والصعوبات الناجمة عن الحدود الجديدة. أنهت هذه اللجنة أعمالها في ٢ شباط/فبراير ١٩٢٦، وأسفرت عن توقيع اتفاقية حسن جوار بين المندوب السامي البريطاني ونظيره الفرنسي. ووفقاً لهذه الاتفاقية، أقرت عدة ترتيبات لتنقل القرويين والمنتوجات والمواشي والضرائب وغيرها.[٨]

على الرغم من هذه الخطوات التشجيعية كلها فإن الوضع لم يتغير كثيراً. ذلك بأن فلاحي سورية ولبنان لم يكونوا تعودوا مثل هذه الترتيبات، الأمر الذي أدى إلى تحولهم عن أسواق صفد، مفضلين نقل بضائعهم إلى مراكز أُخرى. أضف إلى ذلك أن السلطات كانت تغير ترتيبات العبور في فترات متقاربة جرّاء الضرورات الأمنية، وخصوصاً خلال ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩.[٩] ولهذا يمكن القول إن حركة التجارة الإقليمية، التي كانت من المصادر الأساسية لاقتصاد صفد، قد ضعفت. ومذّاك فصاعداً بقيت صفد مركزاً تجارياً على صعيد القضاء فقط.

ضم قضاء صفد ٩٠ قرية صغيرة ومتوسطة، كانت أغلبيتها في منطقة الجبل، والباقي في سهل الحولة. وقد عمل سكان المنطقة الجبلية أساساً في زراعة الحبوب والتبغ والفاكهة والزيتون، وفي تربية المواشي. أمّا سكان سهل الحولة فاهتموا في الأساس بزراعة الذرة والخضروات والأرز، إضافة إلى تربية قطعان الجاموس وصيد السمك.[١٠]

لم يقف تجار صفد المهرة عاجزين أمام تقلص وتراجع الحركة الاقتصادية مع ظهير مدينتهم الاقتصادي التاريخي. فوجهوا أنظارهم جنوباً وغرباً نحو مدن الساحل وطبرية القريبة، وكان عليهم زيادة الاندماج في الاقتصاد الفلسطيني أكثر مما كانت عليه الحال في نهاية العهد العثماني.

(٧) «الكرمل»، ٢٠/٥/١٩٢٥.

(٨) موشيه برابر، «حدود أرض إسرائيل، ماضياً وحاضراً ومستقبلاً: دراسة جغرافية سياسية» (بالعبرية)، (تل أبيب: مطبعة يني، ١٩٨٨)، ص ١١٩ ـ ١٢٠.

(٩) «فلسطين»، ١٤/٤/١٩٣٧؛ «الدفاع»، ١٥/٤/١٩٣٧.

(١٠) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، تقرير بتاريخ ٢٣/١١/١٩٤١، سهل الحولة، ص ٢.

عملية الاندماج هذه كانت بطيئة جرّاء عدم وجود شبكة طرق ومواصلات ملائمة. وبقي الحال على هذا المنوال حتى سنة ١٩٢٨ حين تم شق طريق عكا ـ صفد، وأصبح الاتصال وثيقاً بحيفا، وأسهل وأسرع، فاتجه تجار الجملة نحو أسواق عروس الكرمل يبتاعون منها بضائعهم.[١١]

من تجار صفد البارزين في تلك الفترة كان الحاج فؤاد الخولي وصالح قدّورة. كما أن أبناء عائلة خوري، تجار السمك المعروفين، وجهوا تجارتهم نحو المناطق الداخلية من البلد، حيث ازداد استهلاك السمك نتيجة الهجرة اليهودية المتصاعدة.[١٢]

إضافة إلى الاستيراد باع تجار المدينة المنتوجات والبضائع المتعددة للمصانع والمراكز التجارية في حيفا، كالتبغ والجبنة والصوف والجلود والزيت. لم يمر وقت طويل حتى توثقت علاقات صفد بحيفا، فهاجر إليها كثيرون من الصفديين أصحاب المهن الحرة، مثل الأطباء والمحامين والموظفين والعمال، بحثاً عن مصادر الرزق. كما أن معلمين وطلاباً صفديين قصدوا التعليم والتعلم في مدارس حيفا والقدس.[١٣]

ومع الزمن، قويت هذه العلاقات المتبادلة بين صفد ومدن الجليل والساحل الشمالي. ولعل من أبرز الدلائل على هذا الارتباط بالمناطق المجاورة، اتساع حجم حركة المواصلات بين كل من صفد ومدن طبرية وعكا وحيفا. فقد نما هذا الفرع، وخصوصاً بعد الثلاثينيات، وازداد معه باطراد عدد شركات النقل والباصات. ومنذ تلك الفترة حتى سنة ١٩٤٨، عمل في صفد أربع شركات عربية للباصات هي:

١ ـ شركة «باصات الحولة العربية» التي تأسست سنة ١٩٤٤، وكانت تابعة لعائلة الكوري.[١٤]

٢ ـ شركة «الباصات العربية» لصاحبيها توفيق عثمان الأسدي وعبد الهادي عثمان الأسدي. وكانت الشركة الكبرى في المدينة، وربطت بين صفد وكل من عكا وحيفا.[١٥]

---

(١١) «فلسطين»، ٢٧/١٢/١٩٢٩.

(١٢) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، تقرير بتاريخ ٢٥/٤/١٩٤١.

(١٣) «الدفاع»، ٤/١٠/١٩٣٤. أسس المهاجرون الصفديون في حيفا، في ٢٩/٤/١٩٣٤، جمعية خيرية خاصة بهم، وحافظوا على علاقات وثيقة بمدينتهم، أنظر: أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم م/٢٦٢ س/٢٦٨٢، وثيقة بتاريخ ٥/٦/١٩٣٥.

(١٤) أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم م/٤٥٠ س/٢٦٨٤، وثيقة بتاريخ ١٤/٣/١٩٤٤.

(١٥) محمود العابدي، «صفد في التاريخ» (عمّان: جمعية عمال المطابع التعاونية، ١٩٧٧)، ص ٢٢٤.

٣ ـ شركة «الجرمق»، وكانت ملكاً لعائلة الكبرا.[١٦]

٤ ـ شركة «الصباغ» لصاحبها حبيب الصباغ.[١٧]

ومن الدلالات الأخرى على زيادة اندماج صفد في اقتصاد بقية أنحاء البلد افتتاح بنك الأمة العربية سنة ١٩٤٣، والذي كان المصرف العربي الوحيد في المدينة.

وفي أربعينيات القرن العشرين سُجل طلب متزايد على أراضي البناء والمباني، وكذلك ارتفعت بدلات الإيجار، الأمر الذي حدا التجار على التوجه إلى حاكم اللواء طالبين منه التدخل لتحديد الأسعار.[١٨] وقد واكب العلاقة الاقتصادية المتنامية بمدن الساحل توثيق الرابطة الاجتماعية وعلاقات الزواج بين عائلات صفدية وعائلات حيفاوية ومقدسية، أضف إلى ذلك اندماج الصفديين في النشاط السياسي من خلال الحركة الوطنية الفلسطينية.

ثانياً: فروع الاقتصاد الأساسية في صفد

اعتمد اقتصاد صفد في عهد الانتداب على عدة فروع، سنتناول فيما يلي كلاً منها، مشيرين إلى مدى مساهمته والتحولات التي طرأت عليه بمرور الزمن.

أ) فرع التجارة

بقيت التجارة الفرع الأساسي الذي اعتمد عليه اقتصاد المدينة، وذلك على الرغم من التحولات التي طرأت جرّاء تقسيم المنطقة وتحويل صفد من مركز تجارة إقليمي إلى مركز تجارة محلي وقضائي. وأدى هذا التحول الحاد في رقعة التجارة إلى ارتفاع أسعار المنتوجات، ووقوع الضرر في صفوف عدد كثير من التجار، فضلاً عن الضرر الذي لحق بالطبقات الفقيرة.[١٩]

---

(١٦) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، تقرير بتاريخ ١/١٠/١٩٤٠، ص ٣.

(١٧) أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم م/٤٩٠ س/٢٦٨٢، وثائق بتاريخ ١١/٧/١٩٣٥، ٣١/٣/١٩٣٦، ٢٦/٧/١٩٣٧، ملف رقم م/٤٩٠ س/٢٦٨٤، وثائق بتاريخ ٢/٢/١٩٤٤، ٢٨/٢/١٩٤٤، ١٥/٨/١٩٤٧.

(١٨) المصدر نفسه، ملف رقم م/٤٣/٩٢٥/٥٥٧، وثيقتان بتاريخ ٨/٢/١٩٤٣، ١٠/٢/١٩٤٣.

(١٩) الأرشيف الصهيوني المركزي، ملف رقم KKL5/8645، وثيقة بتاريخ ٢٨/٢/١٩٣٧، ملف رقم S/24/4474، وثيقتان بتاريخ ٢٨/٤/١٩٣٦، ٢٩/٤/١٩٣٦، ملف رقم S/25/7255، رسالة من صفد، لا تاريخ.

كان في صفد في عهد الانتداب ثلاثة مراكز تجارية رئيسية: الأول كان يقع في السوق التجارية التاريخية للمدينة في جوار الجامع اليونسي الكبير، المعروف أيضاً بجامع السوق، حيث كانت الساحات التي تفصل بين القسمين العربي واليهودي في المدينة قائمة.

شكلت هذه السوق المركز الاقتصادي الرئيسي على مدى مئات الأعوام؛ فإضافة إلى النشاط الاقتصادي اليومي الذي شهدته، كان يُعقد فيها السوق الأسبوعية الكبيرة، والمعروفة بسوق الجمعة التي كانت تجتذب مئات القرويين، وكانت من أشهر أسواق فلسطين في الشمال، حتى إنها كانت تضاهي سوق خان التجار في الجليل الأسفل.[٢٠]

المركز الثاني هو سوق الحي اليهودي (سوق الجرينة). وقد امتدت هذه السوق على طول الشارع الفاصل بين الحيين السفارادي والأشكنازي، وشهدت ازدهاراً كبيراً خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر إلى حين نشوب الحرب العالمية، إذ قام التجار اليهود في تلك الفترة بدور مهم في الحركة التجارية والنشاط الاقتصادي.[٢١]

المركز الثالث هو المركز التجاري الحديث، الذي امتد على طول جانبي الشارع الرئيسي المحيط بقلعة المدينة، والذي عُرف آنذاك باسم شارع الملك فيصل. منذ بدّاية عهد الانتداب أصبح شارع الملك فيصل المركز الرئيسي للتجارة، الأمر الذي أدى إلى تراجع معين في حركة التجارة في السوق القديمة، وفي سوق حارة اليهود التي تأثرت أيضاً نتيجة ازدياد القطيعة بين أبناء الشعبين.[٢٢]

بالنسبة إلى حجم التجارة، يبدو أن التجار العرب واليهود زاولوا في معظمهم التجارة الصغيرة والمتوسطة، وكان قليلون منهم تجار جملة أو مستوردين كباراً. وبحسب تقرير التميمي وبهجت فإن عدد أصحاب رؤوس الأموال في المدينة تراوح بين ٢٠ و٣٠ شخصاً، امتلك كل منهم ما بين ٢٠٠٠ و٣٠٠٠ ليرة عثمانية إضافة إلى الأملاك غير المنقولة.[٢٣] وعلى الرغم من أن تقريرهما يتناول نهاية العهد العثماني فإن عدد التجار الكبار في فترة الانتداب لم يختلف كثيراً، إذ بلغ نحو ٣٠ تاجراً.

(٢٠) محمد رفيق التميمي ومحمد بهجت، «ولاية بيروت، القسم الجنوبي» (بيروت: دار لحد خاطر، الطبعة الثالثة، ١٩٨٧)، ج ٢، ص ٣٤٩.
(٢١) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٥٧.
(٢٢) أنظر خريطة أحياء صفد في الملحق رقم ٦.
(٢٣) التميمي وبهجت، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٣٥٦.

من التجار المعروفين والبارزين في عهد الانتداب نشير إلى تجار عائلة الخولي؛ فزعيم هذه الأسرة، توفيق الخولي، كان ممثل التجار في البعثات المتعددة، ومن أعيان المدينة الكبار.[٢٤] ومن بعده برز كل من الحاج فؤاد الخولي، التاجر الثري والوجيه المعروف وصاحب مصنع المشروبات الخفيفة،[٢٥] والحاج خليل الخولي الذي كان أيضاً تاجراً معروفاً.[٢٦]

إضافة إلى أبناء عائلة الخولي، برز أسعد خوري وأبناؤه الذين كانوا تجاراً كباراً، وعملوا أساساً في تجارة سمك بحيرتي الحولة وطبرية. وأصبحوا فيما بعد من مستوردي السمك الكبار. وكما ذكرنا في الفصل السابق، فإن أبناء الأسرة ضمنوا امتياز صيد السمك منذ أواخر العهد العثماني، واستمروا في ذلك خلال عهد الانتداب حين ازداد الطلب على السمك جرّاء الهجرة اليهودية. ولقد وفر اتساع حركة المواصلات إمكان نقل السمك بسرعة، فازدادت مداخيل هذه العائلة التي قامت بشراء أراض واسعة في سهل الحولة، وطورت فيها مزارع الحمضيات.[٢٧]

ثمة عائلة ثالثة برزت في مجال التجارة هي أسرة النقيب. فقد كان مصطفى النقيب من كبار تجار المدينة ووجهائها، وعمل في تجارة الحبوب والطحين.[٢٨] ويضاف إلى قائمة كبار التجار صالح قدّورة وأبناؤه الذين زاولوا تجارة الجلود والنسيج. وتصف تقارير جهاز استخبارات الهاغاناه صالح قدّورة بأنه تاجر ثري ذو وجاهة كبيرة.[٢٩]

إضافة إلى هذه المجموعة من التجار القدامى والمتمكنين اقتصادياً، نمت في عقدي الانتداب الأخيرين طبقة تجار جدد، برز منهم عبد الهادي الأسدي وأبناء أسرته التي تصفها تقارير جهاز استخبارات الهاغاناه بأنها عائلة تجار.[٣٠] كذلك برز كل

(٢٤) «الكرمل»، ٢٣/١/١٩٢١.
(٢٥) «فلسطين»، ٦/١٠/١٩٤٢؛ أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، تقرير بتاريخ ٩/١١/١٩٤٢؛ العابدي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٣؛ أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم ف/٢٤٠٩/٣٦٨.
(٢٦) «فلسطين»، ٢/١٢/١٩٣٢.
(٢٧) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، تقريران بتاريخ ٢٤/٤/١٩٤١، ٢٥/٤/١٩٤١.
(٢٨) «الدفاع»، ٢٤/٥/١٩٣٦.
(٢٩) المصدر نفسه؛ أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، تقرير بتاريخ ١٥/٥/١٩٤١، ص ٣.
(٣٠) «الدفاع»، ٢٤/٥/١٩٣٦؛ أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، تقرير بتاريخ ١٥/٥/١٩٤١، ص ٥.

من التجار سعدي الأموي وأمين حيفاوي وحسن خرطبيل ودرويش الخضراء، الذين تعاطوا تجارة المفرق.[٣١] كما عمل في التجارة آخرون من أبناء أسر شمّا وعبد الرحيم وزوكاري وسويد وسعد الدين والحاج سعيد، فكان حسن سويد تاجراً بالمفرق، ورشيد سعد الدين تاجراً معروفاً.[٣٢]

نشير هنا إلى أن تجار صفد العرب استفادوا من تدهور أحوال الجالية اليهودية التي لم تعد تنافسهم. وكان لهم في أحيان كثيرة مصلحة في استمرار القطيعة بين العرب واليهود في المدينة، وبصورة خاصة المقاطعة الاقتصادية التي فرضها العرب على البضائع اليهودية خلال ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩، إذ مُنع القرويون من التوجه إلى الأسواق اليهودية.

وفيما يتعلق بالجالية اليهودية، فإن الأوضاع الصعبة التي سادت حتى الحرب العالمية الثانية أدت إلى تدهور اقتصادي ملحوظ. وقد تراوحت نسبة العاملين في التجارة من اليهود بين ٢٠٪ و٢٥٪ من مجموع المعيلين. وبحسب إحصاء عام ١٩١٨/١٩١٩، كان توزيع فروع العمل بين اليهود على النحو التالي:

توزيع العمل في القطاع اليهودي (١٩١٨/١٩١٩)

عدد الأفراد	النسبة المئوية	فرع العمل
٦٣٢	٢٣٪	أشغال متفرقة
٥٩٨	٢٢٪	تجارة
١٧٢	٧٪	شؤون دينية
١٣٠٦	٤٨٪	يعيشون بأموال العون

المصدر: شموئيل أفيتسور، «مصادر معيشة يهود صفد»، في: «فصول صفد» (بالعبرية)، (تل أبيب: معهد معرفة الشعب والبلد، ١٩٦٩)، ص ٣٤٥ ـ ٣٤٦.

تعكس هذه المعطيات الوضع الذي عقب الحرب العالمية الأولى مباشرة، وكان إجمالاً صعباً جداً على يهود صفد.[٣٣] وخلافاً للتجار العرب، زاول التجار اليهود في معظمهم تجارة المفرق، وأُنتج قسم من بضائعهم في مشاغل الحي اليهودي. وعلى العموم، كان التجار اليهود مرتبطين أكثر بالتجارة المحلية المتعلقة بالسكان

(٣١) «الدفاع»، ١٩٣٦/١٢/٢.

(٣٢) المصدر نفسه، ١٩٣٦/١٢/٢٠؛ أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، تقرير بتاريخ ١٩٤١/٥/١٥، سهل الحولة، ص ٦. أنظر أعلاه ص ٩٣، لشرح مفصل.

(٣٣) التميمي وبهجت، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٣٥٧.

العرب في المدينة، وبالسكان القرويين في القضاء.[٣٤]

من الصعب الإشارة إلى وجود أصحاب رؤوس أموال كبار بين اليهود كما كان الحال بالنسبة إلى العرب، إذ كان قسم كبير من يهود صفد يعتمد على أموال العون الخارجية، ولم يبرز تجار أثرياء بين أولئك التجار الصغار والمتوسطين وأصحاب المهن المتعددة كما كان عليه الأمر في الجانب العربي للمدينة. وإذا كانت الاستثمارات خير تعبير عن الوضع الاقتصادي للجالية، فإنه لم يكن هناك مبادرات اقتصادية محلية كبرى بين اليهود، عدا مبادرة مردخاي كلينغر الذي فتح فرعاً لمصرف محلي عُرف باسم بنك كلينغر، ومبادرة بناء فندق في حي كريات ساره في جبل كنعان.

ويتبين من خلال متابعة التطورات السياسية في المدينة أن اليهود كانوا أقل تحملاً من جيرانهم العرب. فكل أزمة كانت تدفع عدداً منهم إلى الرحيل. وهذا ما حدث في إبان الحرب العالمية الأولى، وفي أعقاب أحداث حائط البراق سنة ١٩٢٩. وخلص الباحث أفيتسور، الذي درس مصادر اقتصاد الجالية اليهودية في صفد، إلى أنه في سنة ١٩٢٩ كان في المدينة ٧٥٠ عائلة يهودية توزعت فروع أعمالها على النحو التالي:

توزيع فروع العمل في الوسط اليهودي سنة ١٩٢٩

عدد العائلات	نوع العمل
٣٠	مشاغل
١٠٠	بقالة
٣٠٠	أموال صدقات
١٢٠	وظائف
١٠٠	مهن متنوعة
١٠٠	عمال

المصدر: أفيتسور، مصدر سبق ذكره، ص ٣٤٥ ـ ٣٤٦.

تدل هذه المعطيات على أنه حتى ذلك التاريخ استمر عدد كثير من سكان صفد اليهود في الاعتماد على المساعدات الخارجية، وعلى أن التحول الاجتماعي بينهم كان بطيئاً جداً.

(٣٤) الأرشيف الصهيوني المركزي، ملف رقم KKL5/8045، وثيقة بتاريخ ١٩٣٧/٢/٢٨.

وبالنسبة إلى العلاقات الاقتصادية بين العرب واليهود، يمكن التحدث عن اقتصاد موحد للمدينة حتى سنة ١٩٢٩. لكن مع نهاية تلك السنة بدأت بوادر قطيعة أولى بين الوسطين، ومنذ ثورة ١٩٣٦ ازدادت هذه القطيعة وتعمقت باستمرار، وتركت أثراً سلبياً في الجالية اليهودية كما سنرى لاحقاً.

ب) فرع الحرف والصناعة

ضم فرع الحرفيين كلاً من الخياطين والنجارين والحدادين والخبازين والصائغين والساعاتيين والإسكافيين وغيرهم. وكان فرع الحرف من الفروع المهمة في اقتصاد المدينة حتى نهاية الأربعينيات، وبصورة خاصة بالنسبة إلى السكان اليهود. فهؤلاء زاولوا تقليدياً هذه المهن التي لاءمت متطلبات البيئة القروية، التي لم تستهلك سلع الكماليات وإنما استهلكت أدوات العمل ومنتوجات أُخرى ضرورية.

يتبين من إحصاء عام ١٩١٨/١٩١٩ أن ٢٣٪ من يهود المدينة زاولوا العمل في مختلف مجالات المهن الحرفية.[٣٥] كما أن إحصاء سنة ١٩٢٩ أشار إلى أن ٣٠ عائلة يهودية زاولت الحرف.[٣٦] وفي إحصاء الوكالة اليهودية سنة ١٩٤٢ كان توزيع فروع العمل بين اليهود في المدينة على النحو التالي:

توزيع أصحاب المهن اليهود سنة ١٩٤٢

الفرع	عدد الأفراد العاملين فيه
التجارة	١٣٢
مشاغل	٩١
خدمات بيتية	٦٠
موظفون	٥٤
مهن متنوعة	٥٢
حراسة	٤٧
مواصلات	٣٩
مصارف	٣٣

(٣٥) شموئيل أفيتسور، «مصادر معيشة يهود صفد»، في: «فصول صفد» (بالعبرية)، (تل أبيب: ، معهد معرفة الشعب والبلد، ١٩٦٩)، ص ٣٤٥ ـ ٣٤٦.
(٣٦) المصدر نفسه، ص ٣٤٦ ـ ٣٤٧.

أمور دينية	٢٨
زراعة	١١
عمال غير مهنيين	١١٠
عاطلون عن العمل	١٢٤
المجموع	**٧٨١**

المصدر: ناتان شور، «تاريخ صفد» (بالعبرية)، (تل أبيب: لا دار نشر، ١٩٨٩)، ص ٢٤٦.

إن مقارنة المعطيات في السنوات ١٩١٩ و١٩٢٩ و١٩٤٢ تشير إلى حدوث تغيرات في بنية العمل والفروع المتعددة، ومع ذلك بقي فرع الحرف أحد الفروع السائدة حتى الفترة ١٩٤٤ ـ ١٩٤٥.

وبالنسبة إلى الوسط العربي كان هذا الفرع أيضاً ذا أهمية. ولانعدام معطيات إحصائية تصعب الإشارة إلى نسبة العاملين فيه، إلاّ إن ثمة أفراداً من الطائفة المسيحية كانوا أساساً من الحرفيين، وأسماء عائلاتهم تشير إلى ذلك: حداد؛ صباغ؛ صايغ؛ نداف.

ولا بد من الإشارة إلى أن فرع الغزل والنسيج بقي قائماً في صفد حتى الثلاثينيات. ففي تلك الفترة عمل في المدينة خمسة أنوال يدوية لحياكة الصوف وصنع الخيام، وأنتج كل نول يومياً قطعة بطول تسعة أمتار. وكان هذا الإنتاج يسوّق بين السكان البدو والقرويين في محيط المدينة. وفي تقرير لجهاز استخبارات الهاغاناه سنة ١٩٤١، ورد أنه في تلك السنة عمل نحو ٢٠ عاملاً في حياكة الخيام.[٣٧]

في الأحياء العربية عملت مشاغل حدادة ونجارة، وأُخرى لصناعة الأحذية؛ ففرع صناعة الجلود كان فرعاً قديماً في المدينة. كما أن أسماء الأسواق تشير إلى بعض المهن التي وُجدت فيها، كسوق الكلاسين، وسوق الخزافين، وسوق الحدادين، وسوق الفخار.[٣٨]

ومن الفروع الاقتصادية الأُخرى في صفد نذكر فرع إنتاج حجارة البناء، وخصوصاً أن صخور صفد الجيرية ملائمة جداً للبناء، وقد عمل فيه نحو ١٠٠ عائلة، وكانت عملية قطع الحجارة تتم يدوياً لعدم وجود الكهرباء. وهذه الحجارة كانت معدة أساساً للسوق المحلية، أمّا الفائض فكان يباع في قرى المنطقة. كذلك كان العاملون في فرع الحجارة جميعاً من أبناء الطبقة الدنيا. ونشير في هذا السياق إلى شهرة

(٣٧) ناتان شور، «تاريخ صفد» (بالعبرية)، (تل أبيب: لا دار نشر، ١٩٨٩)، ص ٢٤٦؛ أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، تقرير بتاريخ ١٥/٥/١٩٤١، ص ١٠.
(٣٨) أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم م/١٨٨ س/٢٦٨١، قانون المجالس البلدية لسنة ١٩٣٤.

الصفديين وبراعتهم في مجال البناء، إذ كانوا من أمهر البنائين في فلسطين. والدليل على ذلك متانة مباني هذه المدينة، الأمر الذي أشار إليه كثيرون من الرحالة.[٣٩]

كما كان ثمة فرع عمل آخر هو صناعة الجير. فقد أنتج الصفديون الجير من الصخور الجيرية الرخوة. وبالإضافة إلى هذا، كان في المدينة بعض المعاصر، والمطاحن، والكراجات، والورش الصغيرة.

بالنسبة إلى الصناعة يمكن القول إنه لم يكن هناك صناعة بالمعنى العصري. ويرجع ذلك إلى أسباب كثيرة، أهمها البعد عن مركز البلد، وعدم وجود الكهرباء، إذ تأخر وصولها إلى صفد حتى سنة ١٩٤٤، حين بُنيت محطة محلية لتوليد الطاقة الكهربائية، وكان ذلك بعد ضغوط مضنية من المجلس البلدي والجالية اليهودية. وقد تم أولاً وصل الحي اليهودي بالكهرباء، ثم تلته الأحياء العربية.[٤٠]

من الأسباب الأُخرى التي عرقلت النشاط الاقتصادي في القطاع العربي نذكر قلة الخدمات المصرفية العصرية. فحتى سنة ١٩٤٣ لم يكن في صفد مصرف عربي، وقد جاء افتتاح فرع بنك الأمة العربية نتيجة ضغوط مستمرة من وجهاء المدينة. وانطوى تأسيس مصرف عربي على أهمية خاصة، وذلك بعد إعلان المقاطعة التي طلبت من العرب عدم التعامل مع المصارف اليهودية في المدينة. وهذه العوامل جميعها عرقلت نمو الصناعة العصرية.

في نهاية عهد الانتداب كان في المدينة خمسة مصانع، استخدم كل منها أكثر من عشرة عمال، وهي:

المصانع الخمسة الكبيرة في صفد سنة ١٩٤٥

المصنع	تاريخ التأسيس	نوع الإنتاج	الملكية
شركة الحليب والألبان	١٩٤٥	منتوجات الألبان	عربية
مصنع عوفرا	١٩٤٥	أقلام رصاص وأصباغ	يهودية
كنعان	١٩٤٥	خشب وصلب	يهودية
إيشتم	١٩٤٥	مدافئ وبريموسات	يهودية
منسوجات صفد	١٩٤٥	منسوجات متنوعة	يهودية

المصدر: «فلسطين»، ١٥/١/١٩٤٥؛ الأرشيف الصهيوني المركزي، ملف رقم KKL/7022.

(٣٩) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، إحصاءات وبيبلوغرافيا عن عرب صفد والقضاء، تقرير بتاريخ ١/١٠/١٩٤٠.

(٤٠) الأرشيف الصهيوني المركزي، ملف رقم S/53/1172، وثيقة بتاريخ ١/٤/١٩٤٧، ص ٢.

يتضح من هذا الجدول أن هذه المصانع لم تُنشأ إلاّ في سنة ١٩٤٥، وهذا ناجم أساساً عن التأخر في عملية مد شبكة الكهرباء. ويُذكر أن إنتاج الكهرباء آنذاك لم يكن كافياً، وكان هناك حاجة إلى زيادة مولدات جديدة.[٤١]

والمصانع اليهودية الأربعة المذكورة أقامتها شركة يهودية عرفت باسم «شركة تطوير صفد»، لا السكان المحليون الذين كانوا، كما أشرنا، في حالة اقتصادية صعبة.

ج) فرع النقاهة والاستجمام

منذ ثلاثينيات القرن العشرين قامت محاولات كثيرة لتطوير هذا الفرع في صفد، وخصوصاً من جانب مؤسسات الاستيطان اليهودي، التي رأت في الاستجمام وسيلة لدعم اقتصاد السكان اليهود.

في سنة ١٩٢٨، أقيم في المدينة «نزل الجليل» على يد يهودي قادم من برلين.[٤٢] وفي سنة ١٩٣٢، أنشأ رجل الأعمال العربي الياس مراش نزلاً آخر بحجم متوسط. وفي سنة ١٩٣٣، أشير إلى ازدياد ملحوظ في عدد زوار المدينة.[٤٣] وفي سنة ١٩٣٤، بُني فندق كبير.[٤٤]

استمراراً لجهود دعم الجالية اليهودية بنت النقابة العامة للعمال اليهود (الهستدروت) سنة ١٩٣٤ منتجعاً سياحياً عُرف باسم بيت بوسل، وكانت توجه أعضاءها إليه، وقد وُسع المشروع سنة ١٩٤٥ بعد نجاحه. كما بُني في جبل كنعان منتجع إضافي لمستعمرات سهل الحولة وبيسان. يضاف إلى هذه القائمة الفندق المعروف بفندق ساره، الذي بُني على جبل كنعان أيضاً، وكان أكبر فنادق صفد وأشهرها.[٤٥]

ويتضح من إحدى رسائل لجنة الجالية اليهودية في صفد أن فرع الاستجمام أصبح اعتباراً من سنة ١٩٣٤ مرفقاً ناجحاً جداً، إذ جاء فيها «أن اقتصاد المدينة حالياً يعتمد كله على السياحة والاستجمام، إذ أصبح هذا الفرع مصدر معيشة مهماً لا لليهود فحسب، بل للعرب أيضاً.»[٤٦]

(٤١) المصدر نفسه، ملف رقم S/53/1172، وثيقة بتاريخ ١٨/٤/١٩٤٧، ص ٢.

(٤٢) «فلسطين»، ٣/٣/١٩٣٣؛ شور، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤٠.

(٤٣) «الكرمل»، ٨/٦/١٩٣٣.

(٤٤) «فلسطين»، ٦/١/١٩٣٤.

(٤٥) الأرشيف الصهيوني المركزي، ملف رقم KKL5/7002، ملف رقم S/25/7255، وثيقة بتاريخ ٢٤/١١/١٩٣٤.

(٤٦) المصدر نفسه، ملف رقم S/25/7255، وثيقة بتاريخ ٢٤/١١/١٩٣٤.

في ضوء ذلك نرى أن هذا المرفق تطور، لكنه لم يصل إلى المستوى المنشود لعدم توفر خدمات ملائمة، كالماء والكهرباء. كما أن الوضع الأمني أدى إلى خسائر مستمرة، وخصوصاً في الفترة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩.[٤٧]

د) فرع الصيرفة

في الفترة التي تغطيها هذه الدراسة كان في صفد ثلاثة مصارف، أهمها وأكبرها بنك أنغلو ـ فلسطين الذي خدم التجار العرب واليهود معاً، وبنك كلينغر ـ وهو مصرف خاص لصاحبه مردخاي كلينغر عضو المجلس البلدي في صفد ـ وبنك الأمة العربية،[٤٨] الذي تأسس في ١ كانون الثاني/يناير ١٩٤٣، وجاء تأسيسه على خلفية الرغبة العربية في التخلص من التعلق بالجهاز المصرفي اليهودي، وعلى خلفية تراخي الروابط الاقتصادية بين الفئتين.[٤٩] ويذكر أن الصفديين كانوا طالبوا سابقاً بفتح فرع للبنك الزراعي في مدينتهم، إلاّ إن إدارة هذا المصرف قررت فتح فرع لها في مدينة طبرية لا في صفد.[٥٠]

وفي أي حال، فإن فرع الصيرفة استوعب بعض الموظفين، وكانت مساهمته في اقتصاد المدينة في مجال تشجيع الاستثمارات والمبادرات.

هـ) فرع الوظائف والخدمات

أصبح قطاع الوظائف في عهد الانتداب أحد أكبر القطاعات الاقتصادية قياساً بالعهد العثماني السابق. فأجهزة الإدارة البريطانية والمؤسسات التي تطورت بسرعة استوعبت عشرات الموظفين على المستويين المتوسط والمتدني. من هذه المؤسسات نذكر: المجلس البلدي؛ المحكمة الشرعية والمحكمة النظامية؛ المدارس؛ الأوقاف؛

(٤٧) «الدفاع»، ٢٣/٣/١٩٣٧.

(٤٨) «الدفاع»، ٤ شعبان ١٣٥٥هـ/٢٠/١٠/١٩٣٦؛ أرشيف جمعية الدراسات العربية ـ القدس، وثيقة رقم ١١٧٥ بتاريخ ١٦ رمضان ١٣٥٥هـ. أقيم بنك أنغلو ـ فلسطين سنة ١٩٠٢ بهدف تمويل مشاريع الاستيطان اليهودي، وقد افتتح الفرع الأول لهذا المصرف في يافا سنة ١٩٠٣. ومنذ سنة ١٩٥١ أصبح يعرف ببنك لئومي ليسرائيل، أي البنك القومي الإسرائيلي.

(٤٩) «فلسطين»، ٣/١/١٩٤٣؛ أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم ف/٣٨٦٢/٤١٢، وثيقة بتاريخ ٣/١/١٩٤٤.

(٥٠) «فلسطين»، ١١/١/١٩٣٤، ٦/١/١٩٣٤، ٢٧/١١/١٩٣٦.

دائرة الصحة؛ دائرة القائمقام؛ محطة الشرطة.

كوّن الموظفون طبقة خاصة حظيت بالاحترام، وكانوا يلقبون بالأفندية، وغالباً ما كانوا يعتمرون الطربوش بدلاً من الحطة والعقال. ويلاحظ أن أبناء الطبقة العليا وعائلات الأعيان واصلوا الاندماج في أجهزة الإدارة، كما كانت عليه الحال منذ عهد التنظيمات، إلاّ إنهم لم يشغلوا المناصب والوظائف الرئيسية التي باتت من نصيب البريطانيين.

من العائلات البارزة التي انخرطت في هذا المرفق حجازي وشمّا والنحوي.[٥١] كما أن كثيرين من أبناء العائلات المسيحية واليهودية عملوا في هذا المجال.

وفي مجال الأعمال الحرة برز المحامون والأطباء الذين كانت لهم مكانة وتأثير كبيران في مجتمعهم. ومن المحامين البارزين نذكر: صبحي الخضراء؛ عبد الغني النحوي؛ عبد الرحمن النحوي؛ سمير شمّا؛ صلاح الدين العباسي؛ محمد البرادعي العباسي؛ صالح عبد الغني الحسن؛ صالح الصفدي؛ نجيب الطيب. ومن الأطباء البارزين نذكر د. صبري عز الدين قدّورة، ود. جمال عز الدين قدّورة.

وعلى غرار قطاعات العمل الأُخرى، أقام موظفو صفد سنة ١٩٤٣ جمعية تعاونية خاصة بهم، كان أعضاؤها من العرب فقط. وقد اهتمت هذه الجمعية بتحسين أوضاع أعضائها، فأنشأت حانوتاً وباعت السلع بأسعار مخفضة، وخصوصاً للموظفين.[٥٢]

و) فرع الزراعة

شكل هذا الفرع مصدر معيشة لمجموعتين من سكان المدينة، إحداهما عائلات كبار الملاّك، والأُخرى العائلات التي امتلكت أراضي قليلة أو أولئك الذين زاولوا الأعمال الزراعية (الحراث) لدى الملاّك.

يبدو أنه على الرغم من تطور هذا المرفق وتوسعه، فإن وزنه في اقتصاد المدينة شهد صعوداً وهبوطاً على التوالي، وأصبحت النزاعات بين الفلاحين والملاّك ظاهرة مألوفة في عهد الانتداب، الأمر الذي سبب خسائر كبيرة للملاّك.

من هذه النزاعات نشير إلى النزاع الذي كان بين عائلة مراد وعشيرة عرب الشمالنة،[٥٣] والنزاع بين عائلة قدّورة وعشيرة عرب القديرية،[٥٤] والنزاع بين

(٥١) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، تقرير بتاريخ ١/١٠/١٩٤٠.

(٥٢) المصدر نفسه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، تقرير بتاريخ ٢٠/٣/١٩٤٥، ص ٢؛ العابدي، مصدر سبق ذكره، ص ٢١٦ ـ ٢١٧؛ «فلسطين»، ١٩/٢/١٩٤٣، ١٦/٣/١٩٤٣.

(٥٣) «الكرمل»، ٢٣/٨/١٩٢٤، ٣٠/٨/١٩٢٤.

(٥٤) «فلسطين»، ١٠/٨/١٩٤٣.

عائلة خوري وعشيرة عرب السمكية،[٥٥] والنزاع بين عبد المجيد قدّورة وبعض مزارعي قرية حرفيش. علاوة على هذه النزاعات، ثمة عائلات عانت جرّاء الديون للمصارف، فاضطرت إلى بيع أجزاء من أراضيها كما جرى مع الأخوين نايف وعزو صبح، اللذين باعا أملاكهما في قريتي جاحولا والبويزية.[٥٦] كذلك هناك عائلات أخذت تفلح وتزرع أراضيها بنفسها، مثلما فعل إبراهيم عبد المجيد قدّورة الذي كان من كبار ملاّك الأراضي في قرية حرفيش وجوارها.[٥٧]

من ناحية أُخرى، عاش في صفد عشرات العائلات التي اعتمدت على زراعة المساحات الصغيرة والمتوسطة، ولم تختلف في نمط حياتها عن الفلاحين القرويين. فقد استغل فلاحو صفد أراضيهم في المدينة وجوارها، وغرسوا أشجار الزيتون والفواكه المتنوعة في المدرجات الجبلية الشاقة،[٥٨] الأمر الذي يدل على جدهم ونشاطهم، وما زالت هذه الكروم شاهداً حياً على صلابة هؤلاء السكان. أمّا الخضروات فزُرعت أساساً في الحولة، وعلى جانبي وادي الطواحين غربي المدينة حيث ينابيع المياه الغزيرة.[٥٩]

وفي قضاء صفد زرعت عدة أصناف من المزروعات كالحبوب والحنطة والشعير والذرة، أضِف إلى ذلك زراعة التبغ التي شهدت نمواً ملحوظاً، إذ ازدادت باستمرار المساحة المخصصة لهذا النوع، وخصوصاً بعد الحرب العالمية الأولى، وذلك جرّاء حالة عدم الاستقرار وهبوط المحاصيل في كل من تركيا واليونان.[٦٠] كذلك عمل فلاحو صفد في قطاع تربية المواشي وإنتاج الحليب والألبان والجبنة الصفدية الشهيرة.[٦١]

وتشير الجداول التالية إلى أعداد المواشي وكمية الإنتاج الزراعي في فترة الانتداب الأولى.

(٥٥) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، تقرير بتاريخ ٢٥/٤/١٩٤١.
(٥٦) أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم م/٤٨١ س/٢٦٨٤، وثيقة بتاريخ ١٤/١٠/١٩٤١.
(٥٧) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، تقرير بتاريخ ١٥/٥/١٩٤١؛
Horace B. Samuel, *Unholy Memories of the Holy Land* (London: L. and Virginia Woolf, 1930), pp. 204-223.
(٥٨) «الكرمل»، ٢٠/٥/١٩٢٥.
(٥٩) «فلسطين»، ٢٥/٣/١٩٤٤.
(٦٠) «الكرمل»، ١٢/١/١٩٢٤، ٢٣/٥/١٩٢٥.
(٦١) «فلسطين»، ١٤/٤/١٩٤٤.

عدد المواشي في صفد وقضائها

السنة	الأبقار	الماعز	الجاموس	الجمال
١٩٢٠	-	-	-	-
١٩٢١	١١,٢٣١	٢٠,٨٤٥	١٨٦	٢٢٩
١٩٢٢	-	٢٠,٢٠٣	٣٠١	٣٨٦
١٩٢٣	-	٢١,٢٠٦	٢٠٦	٤٠٥
١٩٢٤	-	٢١,٨٩٤	٢٤٥	٣٩٢
١٩٢٥	-	٣٠,٦٩٩	٣٦٩٧	٦٧٩
١٩٢٦	٩٢٤٢	٣٨,٣٤٣	٣٦٠٤	٧٠٨

المصدر: CO 8/4/2, pp. 58-60.

إنتاج المحاصيل (بالطن)

السنة	حنطة	شعير	فول	بازيلاء	عدس	كرسنة	ذرة	سمسم
١٩٢٣/١٩٢٢	٤٨١٤	١٦٣٩	٨٦٢	١٨٣	٧١٧	٦٤٨	٥٣٥	١
١٩٢٤/١٩٢٣	٣٩١٦	١٤٣٦	٧٥٤	٢٠٩	٣٣٨	٤٥٥	٣٣٧٨	٩
١٩٢٥/١٩٢٤	٦٢٢٢	٢٥٢٧	٤٤٢	١٦٠	٣٧٥	٣٦٩	١٥٩٧	٥
١٩٢٦/١٩٢٥	٤٢٢٥	٢٠٩١	٦٣٣	١٧٨	٤٨٦	٤٥٨	١٧٣٣	-

المصدر: Ibid., pp. 17-20.

إنتاج الفواكه والخضروات (بالطن)

السنة	عنب	تين	بطيخ	زيت زيتون	لوز	خضروات
١٩٢٣	٥٨	٥٣٠	١٦	٧٤	١	١٤٩
١٩٢٤	٥٥	٥٠٣	٤٠	٩٦	٦	١٥٤
١٩٢٥	٤١	٤٢٠	٣٧	٥٠	-	١٩٠
١٩٢٦	٤٥	٤٦٩	٥٢	٨٢	٢	٢٣٨

المصدر: Ibid., pp. 21-24.

لقد حدث ازدياد ملحوظ في الإنتاج الزراعي والمساحات المستغلة في إبان عهد الانتداب. ووفقاً لأقوال حاكم لواء الشمال ازدادت المساحة الزراعية سنة ١٩٤٤ وحدها بنحو ٢٢٠٠ دونم. وخصصت أغلبية المساحة الجديدة لزراعة الخضروات في سهل الحولة.[٦٢]

(٦٢) CO 733/2, District Commissioner's Office Fortnightly Report, Galilee District, 21st April 1944, p. 1.

ثالثاً: تأثير الصراع العربي ـ اليهودي في اقتصاد المدينة

حتى أحداث البراق سنة ١٩٢٩ سادت علاقات تجارية عادية بين العرب واليهود في المدينة. وعلى الرغم من وجود الأسواق المنفصلة في الحي اليهودي والأحياء العربية، فإن سوق الجمعة كانت مقراً للنشاط الاقتصادي المشترك. كذلك سادت العلاقات العادية على الصعيد المعيشي اليومي، وخصوصاً أن الطريق الرئيسي القديم، الذي ربط بين صفد والقرى العربية إلى الشمال، كان يمر بالحي اليهودي.

في العقد الأول للانتداب لم تتأثر حركة التجارة بالصراع القومي بين الشعبين، إذ إن المصالح المشتركة للطرفين دفعتهما إلى العمل معاً. كما كان هناك تعاون اقتصادي مشترك على صعيد الزراعة، وصناعة الأجبان الصفدية المعروفة، وزراعة نبات الريحان الذي استُعمل في الطقوس الدينية لدى اليهود.(٦٣)

إلاّ إن أحداث سنة ١٩٢٩ مست هذه العلاقات، وأثرت بصورة خاصة في اقتصاد الحي اليهودي الذي كان يعاني أساساً جرّاء تراجع ديموغرافي منذ نشوب الحرب العالمية الأولى.(٦٤)

ونتيجة هذه الأحداث سادت سنة ١٩٣٠ أوضاع معيشية صعبة في الوسط اليهودي. لكن الفترة الأصعب كانت خلال ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩.

يستدل من رسائل زعماء الجالية اليهودية في صفد وممثلي مختلف المؤسسات في المدينة، على أن الأوضاع المعيشية كانت قاسية. فقد سادت حالة من الركود الاقتصادي في الحي اليهودي اعتباراً من نيسان/أبريل ١٩٣٦، وأُقفل معظم الحوانيت باستثناء بعض البقالات. ويُعزى سبب الإقفال إلى المقاطعة الاقتصادية التي رافقت الإضراب الفلسطيني، والتي فرضها بالقوة نشيطون وحراس منعوا العرب الصفديين، وخصوصاً القرويين، من دخول الحي اليهودي للشراء أو البيع.(٦٥)

إن فرض المقاطعة والحصار على التجارة مع اليهود، أجبر القرويين على التعامل مع تجار صفد العرب، الذين استغلوا الوضع ورفعوا الأسعار بنحو ٣٠٪، مدعين أن

(٦٣) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ١٠٥/٢٢٦، تقرير من سنة ١٩٤٢. أنظر أيضاً: الأرشيف الصهيوني المركزي، ملف رقم A1/239، ص ١.

(٦٤) الأرشيف الصهيوني المركزي، ملف رقم S/9/69، وثيقة بتاريخ ١٩/٥/١٩٣٠.

(٦٥) المصدر نفسه، ملف رقم S/25/4474، وثيقتان بتاريخ ٢٥/٤/١٩٣٦، الوضع في صفد سنة ١٩٣٦، ص ١، ٢٨/٤/١٩٣٦.

هذا الارتفاع نتج من فرض ضرائب متعددة، كالضريبة القومية التي دُفعت للجان القومية، ولتمويل أجور الحراس الذين أشرفوا على تطبيق المقاطعة.(٦٦)

وبالمناسبة نشير إلى أن تجار صفد العرب شجعوا استمرار المقاطعة. فخلال اجتماع لهم في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٣٦، ألّفوا لجنة لمتابعة القضايا الاقتصادية وكان شعارهم: «المحافظة على القرش العربي في الوسط العربي.» وقد أنشأت هذه اللجنة مكتباً لها عند مدخل المدينة في ساحة الميدان، وذلك من أجل مراقبة دخول البضائع بهدف منع استيراد بضائع يهودية. هذا بالإضافة إلى فرضها الحظر التام الذي منعت بموجبه عرب المدينة والجوار من دخول الحي اليهودي.(٦٧)

وكان كل من يتجاوز هذه المقاطعة يتعرض لعقوبات صارمة، كمصادرة البضائع والجلد ودفع غرامات. وفي إحدى المرات قُتل فلاح من قرية حرفيش، يدعى سلمان مراد شنّان، في أثناء خروجه من السوق اليهودية بتهمة تجاوزه قوانين المقاطعة.(٦٨) فكانت ردة فعل السلطات جرّاء ذلك أن فرضت غرامة مقدارها ١٥٠ جنيهاً فلسطينياً على تجار السوق العربية، باعتبارهم كانوا وراء العملية. ثم خُفض المبلغ إلى ٥٠ جنيهاً، فوافق عندها التجار على دفعه.(٦٩)

رأى اليهود في المقاطعة والحصار محاولة لتجويعهم واقتلاعهم من المدينة، لأنهم كانوا مرتبطين جداً بالتجارة مع العرب. ويصف أحد التقارير من سنة ١٩٣٦ الأوضاع الاقتصادية ليهود صفد بأنها تعيسة وبائسة، إذ تكدست بضائعهم في الدكاكين حتى تلفت، ومن ناحية أُخرى لم يتمكنوا من جباية ديونهم المستحقة على العرب. فنحو ٥٠٪ أو أكثر من مداخيلهم كانت تجبى في أثناء موسم الحصاد على بيادر الفلاحين. ولذلك فإن نحو ٣٠ عائلة من التجار اليهود توجهت إلى المؤسسات الداعمة طالبة العون المادي.(٧٠)

إضافة إلى التجار تضرر أيضاً الباعة المتجولون اليهود، الذين كانوا يبيعون بضائعهم في القرى. كذلك منع الحصار والمقاطعة الموظفين ورجال الأعمال اليهود من الوصول إلى المؤسسات الحكومية الكائنة في القسم العربي من المدينة، الأمر الذي اضطرهم إلى إدارة شؤونهم عن طريق بريد المدينة.

(٦٦) المصدر نفسه.

(٦٧) «الدفاع»، ١٩/١١/١٩٣٦؛ «فلسطين»، ١٠/٢/١٩٣٧.

(٦٨) «فلسطين»، ٢٤/٤/١٩٣٧.

(٦٩) «الدفاع»، ٢/٥/١٩٣٧.

(٧٠) الأرشيف الصهيوني المركزي، ملف رقم S/25/4474، الوضع في صفد سنة ١٩٣٦، ص ٢.

ويُظهر تقرير آخر أرسله أحد أعيان اليهود في المدينة صورة صعبة جداً. فوفقاً للتقرير رحل بعض العائلات عن صفد جرّاء الضائقة الصعبة. وزاد هذا الرحيل في صعوبات الحي اليهودي، وخصوصاً أن الذين رحلوا كانوا في معظمهم من أصحاب المبادرة والمؤهلات.(٧١) ويشير تقرير آخر إلى أنه في أثناء عيد الفصح سنة ١٩٣٧ رحلت ١٧ عائلة، كما كانت عائلات أخرى تستعد للرحيل. وكانت أكثرية المتبقين من الأرامل والمعدمين والذين لا يملكون القدرة على أية مبادرة.(٧٢)

في تلك الأيام ازدادت طلبات الدعم الموجهة من مسؤولي الجالية إلى قيادات الحركة الصهيونية، ومما طلبوه العمل على وصل المدينة بالتيار الكهربائي. ففي رسالة وجهها كل من دافيد بار، نائب رئيس المجلس البلدي، ويهودا عنتيبي، عضو المجلس البلدي، إلى بنحاس روتنبرغ، رئيس شركة الكهرباء، ألحا فيها على ضرورة وصل المدينة بالتيار الكهربائي، واعتبرا أن المشروع حيوي للطائفة اليهودية، وهو الأمل الوحيد لإنقاذها من ضائقتها الصعبة، فمن دون الكهرباء لا يمكن تطوير مشاريع ومشاغل لتشغيل العاطلين عن العمل.(٧٣)

في سنة ١٩٣٩، تأزم الوضع الاقتصادي أكثر، وخصوصاً لدى الحرفيين والتجار المتجولين والتجار الصغار الذين باتوا من دون مصادر رزق.

وقد قامت النقابة العامة للعمال اليهود في صفد بمبادرة للتخفيف عن هؤلاء، وذلك بإيجاد أماكن عمل، إلاّ إنها لم تنجح في تشغيل العمال أكثر من يوم أو يومين أسبوعياً. وحين توقفت مبادرة النقابة وصلت هذه العائلات إلى حافة الجوع.(٧٤)

دام هذا الوضع حتى نشوب الحرب العالمية الثانية وأفول الثورة. آنذاك انقلبت الأمور وحدث بعض الانفراج، إذ استخدم البريطانيون كثيرين من أبناء المدينة في أعمال التحصين والملاجئ التي بنوها في المنطقة، وخصوصاً في جبل كنعان.(٧٥)

(٧١) المصدر نفسه، ملف رقم KKL5/8645، وثيقة بتاريخ ١٩٣٧/٢/٢٨، ص ١.
(٧٢) المصدر نفسه.
(٧٣) المصدر نفسه، ملف رقم J1/3527.
(٧٤) المصدر نفسه، ملف رقم J1/3527، وثيقة بتاريخ ١٩٣٩/٦/٢.
(٧٥) المصدر نفسه، ملف رقم J1/3527، وثيقة بتاريخ ١٩٤٠/٩/٢.

رابعاً: إقامة الشركة اليهودية لتطوير صفد

بعد توقف الثورة سنة ١٩٣٩، وبعد ما آلت إليه أحوال الجالية اليهودية، توجه رئيس لجنة الجالية اليهودية في صفد، موشيه فيداتسور، إلى جميع مؤسسات الاستيطان اليهودية في البلاد، أي اللجنة القومية اليهودية، والصندوق القومي اليهودي (هكيرن هكييمت ليسرائيل)، والصندوق التأسيسي (كيرن هيسود)، والوكالة اليهودية، بنداء تحت عنوان «أنقذونا».

وقد وصف رئيس اللجنة، في النداء، خطر زوال الاستيطان اليهودي في صفد بأنه حقيقي، وطلب إنشاء شركة قومية تعتمد على رأس مال قومي وخاص لإقامة مشاريع ضرورية. وحدد أربعة مشاريع لتنفيذها هي:

أ ـ ربط صفد بشبكة الكهرباء؛
ب ـ إنشاء مصانع ومشاغل؛
ج ـ تحسين الوضع الأمني في الحي اليهودي؛
د ـ إقامة مؤسسات طبية ومصحات ومنتجعات.(٧٦)

أُرفق طلب فيداتسور هذا برسالة وقّعها ٥٢ من وجهاء يهود المدينة، وجاء فيها:

> وضع مدينتنا صفد في الحضيض. إنها أفقر المدن، وخصوصاً الآن إذ الأوضاع العامة سيئة والغلاء يتفاقم... ومما يزيد في ألمنا وجود فقراء معوزين يستجدون كسرة الخبز. ولذلك مع هذه المرارة في النفوس نتوجه إليكم.. بتضرعات جمة، يا أبطال إسرائيل: من واجبكم أن تمدوا يد العون والدعم إلى فقراء مدينتنا البائسين.(٧٧)

في ضوء هذا الإلحاح تقرر أخيراً وبعد أربعة أعوام منح الجالية اليهودية العون عن طريق إقامة شركة تطوير صفد.

ابتدأت الشركة ممارسة عملها بتاريخ ٢٥ نيسان/أبريل ١٩٤٥، وشاركت في إقامتها الهيئات التالية: الصندوق القومي اليهودي؛ الصندوق التأسيسي؛ النقابة العامة للعمال اليهود (الهستدروت)؛ صندوق البطالة، شركة سوليل بونيه؛ شركة التحصين (بيتسور).

بدايةً، كان رأس مال الشركة ٣٠,٠٠٠ جنيه فلسطيني، ثم زيد إلى ٥٠,٠٠٠ جنيه فلسطيني سنة ١٩٤٩، ووصل إلى ٨٠,٠٠٠ جنيه فلسطيني سنة ١٩٤٧.

وضعت الشركة لها أهدافاً رئيسية هي:

(٧٦) المصدر نفسه، ملف رقم J1/3527، وثيقة بتاريخ ١٩٤٠/٢/١١.
(٧٧) المصدر نفسه، ملف رقم J1/3527، وثيقة بتاريخ ١٩٤١/٩/٥.

أ ـ تطوير الوسط اليهودي في المدينة عن طريق إقامة المصانع.
ب ـ وضع خطة بناء وتطوير، إضافة إلى تحسين المواصلات.
ج ـ زيادة إنتاج الكهرباء.
د ـ إقامة مبان عامة على أراض يخصصها الصندوق القومي اليهودي.(٧٨)

وقد شاركت الشركة، منذ بدء عملها حتى ٢٨ نيسان/أبريل ١٩٤٧، في مبادرات ومشاريع تطويرية اقتصادية في الحي اليهودي وفي جبل كنعان بلغت تكلفتها ٥١,٠٠٠ جنيه فلسطيني.

في ضوء هذه المعطيات يمكن القول إن نشاطات هذه الشركة كبحت جماح التدهور الاقتصادي في الوسط اليهودي. ومع حلول نهاية سنة ١٩٤٦ وبداية سنة ١٩٤٧ بدأت بوادر الاستقرار والنمو تعود إلى يهود صفد بعد فترة طويلة من التدهور. وكان لهذا الأمر أكبر الأثر في نتائج الصراع بين الطرفين العربي واليهودي خلال معركة صفد سنة ١٩٤٨.

خامساً: النقابات المهنية ونشاطها الاقتصادي

عمل في صفد الانتدابية ثلاثة تنظيمات مهنية. ويبدو أن الصراع القومي لم يتخط الحركة العمالية. فالعرب أقاموا تنظيماً خاصاً بهم، وكذلك اليهود. وعلى الرغم من المعاناة المشتركة جرّاء وضع العمل المتدهور، فإن الطرفين لم يحاولا التعاون معاً.

في الوسط العربي عملت جمعيتان: في البداية أقيمت جمعية العمال العرب في صفد، وبعدها تأسست جمعية العمال العربية الفلسطينية.

أ) جمعية العمال العرب في صفد

تأسست هذه الجمعية بتاريخ ١٣ آب/أغسطس ١٩٣٤، وكانت الجمعية المهنية الأولى التي أنشأها عمال صفد، على خلفية الصعوبات الاقتصادية التي عانوها.

جاء في دستور الجمعية أن لكل عامل الحق في الانضمام إليها، وأن هدفها الأساسي الدفاع عن حقوق العمال وتنظيمهم وتحسين أوضاعهم.

ترأس الجمعية كل من هشام صاري، الذي كان يعمل حلاقاً، وراشد الزعبي، الذي كان يعمل خياطاً، وفيما بعد أصبح صاري النشيط الأبرز في هذا المجال. وقد

(٧٨) المصدر نفسه، ملف رقم KKL5/7002، صفد وجوارها، وثيقة بتاريخ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٤٧، ص ١ ـ ٢. أنظر أيضاً: ملف رقم S/53/1172، وثيقة بتاريخ ١٨/٤/١٩٤٧، ص ١.

ضمت الجمعية عند تأسيسها ١٩ عضواً هم: راشد الزعبي؛ هشام صاري؛ عارف أحمد الخضراء؛ فوزي قدّورة؛ سعيد حمادة؛ مناح عبد الكريم؛ سامي خليل؛ محمد خير شمّا؛ محمد عبد القادر؛ عبد السلام رستم؛ شوكت فريد؛ عبد الله حمادة؛ رضا محيي الدين الكبرا؛ عبد الرشيد خليفة؛ رشدي مصطفى الأسدي؛ محمود أمين الخضراء؛ فايز الخضراء؛ موسى حديد؛ طه محمود طه. ولاحقاً تزايد العدد حتى وصل إلى ٥٠٠ عامل.(٧٩)

يبدو من رسائل رئيس الجمعية بتاريخ ٢٤ شباط/فبراير ١٩٣٧ أن العمال المنتسبين إلى الجمعية كانوا في معظمهم عاطلين عن العمل، وأن الأسر التي يعيلونها تعاني صعوبات اقتصادية. ويبدو أن نشاط الجمعية توقف سنة ١٩٣٩.(٨٠)

ب) جمعية العمال العربية الفلسطينية

تأسست هذه الجمعية في ٢١ شباط/فبراير ١٩٤٣. وخلافاً لسابقتها لم تكن مستقلة، وإنما كانت فرعاً للجمعية القطرية التي أُسست في حيفا بتاريخ ٨ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٢٥.(٨١) وقد ترأس هذه الجمعية نصوح منوّر، وهو نشيط سياسي معروف. ثم خلفه محمد سعيد مراد وهشام صاري.

يتضح من مراجعة أوراق هذه الجمعية أنها كانت أقل نشاطاً من سابقتها، وانشغلت بالأمور القطرية السياسية أكثر من شؤون العمل. وإضافة إلى محمد سعيد مراد وهشام صاري كان من أعضائها كل من: كمال مصطفى سعد الدين، وكان صحافياً معروفاً؛ أحمد محمود حمادة؛ علي حسين عمّار؛ عبد الرحمن حسين دلّة؛ مصطفى أحمد صالح رستم؛ محمود علي إسماعيل السعدي؛ عبد الفتاح أحمد السعدي؛ يعقوب يوسف طافش؛ سعدي سعيد قوصي؛ محمود سعيد البرغوثي.

ج) النقابة العامة للعمال اليهود في صفد

خلافاً للجمعيتين السابقتين مثّلت النقابة العامة للعمال اليهود في صفد الوسط اليهودي في المدينة. تأسست النقابة سنة ١٩٣٩ وانضم إليها عند تأسيسها ٦٠ عضواً.

(٧٩) أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم م/٢٢٥ س/٢٦٧٨، وثيقة بتاريخ ١٣/٨/١٩٣٤؛ «فلسطين»، ١١/٩/١٩٣٤.
(٨٠) أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم م/٢٦٢ س/٢٦٨٢، وثيقة بتاريخ ٢٤/٢/١٩٣٧.
(٨١) المصدر نفسه، ملف رقم م/٢٢٥ س/٢٦٧٨، وثيقة بتاريخ ٢١/٢/١٩٤٣؛ بولس فرح، «الحركة العمالية العربية الفلسطينية» (شفاعمرو: دار المشرق، ١٩٨٧)، ص ١٧.

وكانت أهم أهدافها إيجاد مصادر عمل للعمال اليهود، سواء أكان داخل المدينة أم في مستعمرات الجليل الزراعية.

في سنة ١٩٤٦ وصل عدد أعضاء النقابة إلى ١٢٠ عضواً. وكانت زيادة العدد جرّاء مجيء بعض الجنود من أبناء المدينة مع مجموعات جنود أُخرى أرسلت لدعم الاستيطان اليهودي في المنطقة. عملت النقابة بالتنسيق مع شركة تطوير صفد، ونجحت في تحسين أوضاع العمل بعد إقامة مصانع جديدة.(٨٢)

* * *

تلخيصاً لهذا الفصل يمكن القول إن اقتصاد صفد تضرر جرّاء تجزئة المنطقة ورسم الحدود الجديدة بين فلسطين وسورية ولبنان، إذ تحولت صفد إلى مدينة نائية تعتمد على التجارة مع قضائها فقط. إلاّ إنها، على الرغم من هذا التغيير في مكانتها الإقليمية، نجحت خلال العقد الأول من الانتداب في إدماج اقتصادها في الاقتصاد الفلسطيني عن طريق توطيد علاقاتها بحيفا، كما ساهم تطوير شبكة الطرق وإنجاز طريق عكا ـ صفد سنة ١٩٢٨ في هذا الدمج.

وكما أشرنا، كان فرع التجارة والخدمات الفرع الأهم، على الرغم من أنه تحوّل من تجارة إقليمية إلى تجارة محلية وقضائية. كما بقيت الصناعات الخفيفة والأشغال التقليدية مصدر معيشة مهماً. واستمر فرع الزراعة في تشغيل عدد من أبناء المدينة، وكان مصدر دخل للملاّك الكبار. ومن المرافق الجديدة التي تطورت في المدينة فرع الخدمات والوظائف، الذي نما بسبب توسع أجهزة الإدارة البريطانية، وفرع النقاهة والاستجمام.

كذلك أثر الصراع القومي بين أبناء الشعبين سلبياً في اقتصاد المدينة: بدايةً بعد أحداث البراق سنة ١٩٢٩، ومن ثم في أثناء ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩، حين تدهورت العلاقات الاقتصادية وأعلن العرب مقاطعة اليهود اقتصادياً.

وكانت الجالية اليهودية أكثر تعرضاً للضرر، إذ ساء وضعها الاقتصادي في إبان الثورة. إلاّ إنه خلال الحرب العالمية الثانية، وخصوصاً بعد سنة ١٩٤٥، حدث انتعاش في اقتصاد الجالية اليهودية بعد الدعم الكبير الذي قدمته لها مؤسسات الاستيطان اليهودي في البلاد، الأمر الذي كان له أثر كبير في مكانة اليهود في الفترة اللاحقة، فمن جالية في حالة انهيار تام، استطاع اليهود أن يصمدوا، وأن يهزموا العرب الذين فاقوهم عدداً بستة أضعاف في حرب ١٩٤٨.

(٨٢) الأرشيف الصهيوني المركزي، ملف رقم S/9/1392، وثيقة بتاريخ ٣/١٠/١٩٤٦.

الفصل الخامس

الحياة الدينية في صفد

أولاً: مكانة صفد الدينية

مع بداية العصر المملوكي أصبحت صفد مركزاً إسلامياً سنّياً مهماً في شمال فلسطين. وعملياً كانت المركز الوحيد بين نابلس في الجنوب وبين دمشق في الشمال. وكان طبيعياً أن تحظى آنذاك بهذه المكانة كونها المقر الإداري لنيابة صفد المملوكية. كما يجب ألاّ نغفل أن جزءاً مهماً من سكان بلاد بشارة وجبل عامل، القريبَيْن من صفد من جهة الشمال، كان من المسلمين الشيعة والدروز والعلويين، إضافة إلى بعض المسيحيين واليهود. وبالتالي، كان دعم مكانة صفد كمركز ديني سنّي، على ما يبدو، بهدف إيجاد توازن طائفي، وإضفاء صبغة إسلامية سنّية على المنطقة. وقد استمر هذا التوجه في العهد العثماني، إذ شجعت السلطات حينذاك بعض مشايخ الطرق الصوفية على الإقامة بصفد ومنطقتها، وأقطعتهم أراضي وأوقافاً واسعة، وذلك منذ عهد السلطان سليم الأول (١٥١٢ ـ ١٥٢٠) حتى عهد السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ ـ ١٩٠٩).(١)

بحسب سالنامة ولاية سوريا لعام ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م، كان في صفد ٤ مساجد و٤١ مقاماً للأولياء. وفي نهاية العهد العثماني وصل عدد المساجد إلى ٧، الأمر الذي يشير من دون شك إلى مساهمة العثمانيين في تعزيز مكانة صفد الدينية.(٢)

حافظت صفد على مكانتها الدينية خلال عهد الانتداب، فقد احتاج سكان القضاء إلى الخدمات الدينية، سواء للتقاضي في محكمتها الشرعية، أو للحصول على الفتاوى، أو لدراسة العلوم الدينية على يد علمائها الكبار.

يتناول هذا الفصل دراسة الجهاز الديني بكل فروعه. بدايةً، سيتم التعرف على

(١) أهرون لاييش، «وقف واستيطان الدراويش في أرض إسرائيل في بداية العهد العثماني»، «كتدرا»، العدد ٣٥، نيسان/أبريل ١٩٨٥، ص ١٧ ـ ٥٢؛
B. Lewis, «An Arabic Account of the Province of Safed,» *Bulletin of the School of Oriental and African Studies*, University of London, vol. XV (1953), pp. 447-488.

(٢) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م، ص ٢٤٧.

عائلات كبار العلماء، ومن ثم دراسة تركيبة هذه الشريحة والمناصب التي شغلتها، مثل الإفتاء، والنيابة (القضاء)، ورئاسة نقابة الأشراف، ومشيخة الطرق الصوفية، فضلاً عن الوظائف المتوسطة والمتدنية كالإمامة والخطابة والتدريس. كما يتطرق إلى المؤسسات الدينية المتعددة ودورها في الحياة الاجتماعية، كالمحكمة الشرعية، والأوقاف، والمساجد، والزوايا والمدارس التي أدارها العلماء وتولوا أمرها، وكانت بالنسبة إليهم مصدر القوة الأهم.

كذلك يتناول الفصل أمور الجمعيات الدينية الإسلامية التي تأسست في عهد الانتداب، مثل جمعية الشبان المسلمين والنادي الرياضي الإسلامي، وخصوصاً أن نشاط هذه الجمعيات يشكل تحولاً قياساً بنشاط مؤسسات الجهاز الديني التقليدي التي حافظت على أنماط سلوكية ثابتة خلال مئات الأعوام. فقد أدت هذه الجمعيات، في نهاية المطاف، إلى إخراج النشاط الديني من المساجد والزوايا إلى الشوارع والساحات والنوادي، وذلك من خلال تنظيمات الكشافة والفرق الرياضية التابعة لها. بكلمات أُخرى: استطاعت هذه الجمعيات إيجاد نشاط ديني اجتماعي هدد أسس المؤسسة الدينية التقليدية المحافظة.

يمكن الإشارة إلى ٥ عائلات علماء شغل أبناؤها المناصب الدينية المرموقة في فترة الانتداب، وكانوا كلهم صفديين منذ أجيال خلت: بعضهم تعلم في الأزهر، والبعض الآخر تلقى تعليمه الديني في مدارس دمشق أو في دار آل النحوي في صفد، وهي الأسرة الأقدم والأبرز في هذا المجال.

آل النحوي: رأينا سابقاً أن هذه الأسرة أنجبت كثيرين من العلماء الكبار خلال العهد العثماني. أمّا في فترة الانتداب، فلم يشغل مناصب دينية إلاّ اثنان من أبنائها هما: الشيخ حامد الذي كان قاضياً في صفد، وابنه الشيخ أحمد آخر العلماء في هذه الأسرة.

ولد الشيخ أحمد سنة ١٨٨٧، وتلقى تعليمه في المدارس الدينية في صفد ودمشق. عُيّن في منصب القضاء بتاريخ ٢٦ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٢٢. وقد شغل هذا المنصب في عدة مدن: بدايةً في الناصرة، ثم طولكرم، فالخليل، فالقدس، فحيفا.[٣] وبعد إحالته على التقاعد سنة ١٩٤١، عمل في تدريس العلوم الشرعية

(٣) وثائق آل النحوي، وثيقة رقم ١، ص ٢ ـ ٥؛ محمود العابدي، «صفد في التاريخ» (عمّان: جمعية عمال المطابع التعاونية، ١٩٧٧)، ص ١٨٥؛
CO 821/1/1926, Palestine Blue Book, p. 51, CO 821/2/1927, ibid., p. 112, CO 821/9/1934, ibid., p. 157.

في الجامع الجوقنداري في حارة الأكراد، وفي دار العائلة التي كانت بمثابة مدرسة للعلوم الدينية، واحتوت على أكبر مكتبة في المدينة. وبحسب ما أورده المؤرخ محمد كرد علي، فقد كانت مكتبة آل النحوي إحدى أكبر وأغنى المكتبات الخاصة في فلسطين قاطبة.[٤]

آل القاضي: من العائلات البارزة في مجال العلوم والوظائف الدينية خلال العهد العثماني. جد العائلة هو الشيخ عبد الكريم محمود القاضي، مفتي صفد في الفترة ١٨٧٦ ـ ١٨٨٦،[٥] وقد كان فقيهاً ومفسراً للحديث الشريف. برز من بعده ابنه الشيخ طه الذي عُيّن خطيباً وإماماً للجامع الأحمر سنة ١٣٢١هـ/١٩٠٣م، كما كان متولياً لوقف هذا الجامع الكبير.[٦] تصف المصادر الشيخ طه القاضي بأنه عالم كبير، حاز تقديراً واحتراماً كبيرين لضلوعه في الفقه الإسلامي. كما ورد اسمه سنة ١٩٢١ مع لقب مفوض باسم العلماء.[٧] ولكونه موضع ثقة فقد منحته سلطات الانتداب صلاحية تصديق الطلبات لإصدار جوازات السفر لأبناء المدينة.[٨] توفي الشيخ طه في ١١ نيسان/أبريل ١٩٣٧،[٩] وبعد وفاته عُيّن ابنه محمد إماماً للجامع الأحمر، وبذلك استمر في نهج الأسرة القديم.

يلاحظ أنه بعد الشيخ عبد الكريم فقد علماء الأسرة مكانة الصدارة التي كانوا يتبوأونها، وأخذوا يشغلون مناصب دينية متوسطة قياساً بدورهم في الماضي.

آل السعدي: بعكس أسرتي النحوي والقاضي تمكن آل السعدي (سعد الدين) من الحفاظ على مراكزهم الدينية.

تُعتبر هذه الأسرة من أسر الأشراف، وكانت رئاسة نقابة الأشراف آلت إليها في العهد العثماني، الأمر الذي أكسبها مكانة دينية مرموقة.[١٠] ترأس الشيخ مصطفى

(٤) محمد كرد علي، «خطط الشام» (دمشق: لا دار نشر، ١٩٢٨)، ج ٦، ص ٢٠٢.
(٥) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٢٨٨هـ/١٨٧١م، ص ٧٩، ١٢٩٨هـ/١٨٨٠م، ص ٢٠٠.
(٦) أرشيف دائرة أوقاف الشمال، ملف رقم ٦، الجامع الأحمر، ص ١٠، ٤٥، ٥٠ (ملفات دائرة أوقاف الشمال موجودة لدى المؤلف على ميكروفيلم).
(٧) «الكرمل»، ٢٣/١/١٩٢١.
(٨) «الدفاع»، ٢٧/٣/١٩٣٥.
(٩) المصدر نفسه، ٢٦/٥/١٩٣٧؛ «فلسطين»، ٢٧/٥/١٩٣٧.
(١٠) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ١٠٥/٢٢٦، تقرير بتاريخ ١٥/٤/١٩٤١، ص ٦.

سعد الدين النقابة في نهاية العهد العثماني حتى بداية عهد الانتداب.[١١] وبعد وفاته تولى النقابة ابنه الشيخ علي الذي شغل هذا المنصب حتى سنة ١٩٤٨.[١٢]

إضافة إلى الشيخ علي برز خلال عهد الانتداب الشيخ سليمان سعد الدين الذي عُيّن اعتباراً من ١ تموز/يوليو ١٩٢٠ قاضياً شرعياً في مدينة بيسان، وبقي في منصبه هناك حتى سنة ١٩٣٧ حين نقل إلى الخليل وتولى قضاءها الشرعي،[١٣] ومن ثم عُيّن قاضياً شرعياً في القدس.[١٤] أمّا أخوه محمد سعد الدين فشغل منصب وكيل القاضي الشرعي في صفد، بعد أن كان لأعوام طويلة السكرتير الأول للمحكمة الشرعية في المدينة.[١٥]

آل المفتي: كما سبق أن أشرنا، برزت هذه الأسرة في المجال الديني في التسعينيات من القرن التاسع عشر. جد الأسرة هو الشيخ سليم المفتي الذي شغل منصب الإفتاء في صفد خلال الفترة ١٨٩٢ ـ ١٩٠٠. ومنذ ذلك التاريخ عرفت الأسرة باسم آل المفتي بدلاً من الاسم الأصلي الحاج عيسى.[١٦] بعد الشيخ سليم برز ابنه الشيخ مصطفى المفتي، الذي عُيّن قاضياً في إمارة شرق الأردن، بدايةً في مدينة إربد،[١٧] ومن ثم في مدينة عمّان حتى وفاته سنة ١٩٤٦.[١٨]

آل قدّورة: بعكس العائلات الأربع المذكورة أعلاه، والتي شغلت مناصب دينية بصورة تقليدية في العهد العثماني، فإن عائلة قدّورة برزت في هذا المجال خلال فترة الانتداب، وذلك من خلال شخص واحد هو الشيخ أسعد قدّورة الذي شغل منصب الإفتاء في صفد طوال تلك الفترة.

(١١) «الكرمل»، ٢٥/٣/١٩٢١.

(١٢) «الدفاع»، ٩/٧/١٩٣٨؛ «فلسطين»، ١٧/٨/١٩٤٣.

(١٣) CO 821/9/1934, Palestine Blue Book, p. 157, CO 821/11/1936, ibid., p. 411, CO 821/12/1937, ibid., p. 437, CO 821/13/1938, ibid., p. 487;
«فلسطين»، ١/٨/١٩٣٧، ١٦/٨/١٩٣٩.

(١٤) «فلسطين»، ٢٢/٢/١٩٤١، ١٤/١٠/١٩٤٥.

(١٥) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، تقرير بتاريخ ١٥/٦/١٩٤١؛ «الدفاع»، ١٩/١/١٩٣٦، ٢٣/٣/١٩٣٨.

(١٦) سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣٠٩هـ/١٨٩٢م، ص ١٨٣، ١٣١٨هـ/١٩٠٠م، ص ٣٠٨.

(١٧) «فلسطين»، ٢٧/٥/١٩٣٧.

(١٨) «الدفاع»، ٢٦/٥/١٩٣٧، ٢٤/٦/١٩٤٦؛ أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، تقرير بتاريخ ٢١/٨/١٩٤٢.

ولكون الشيخ أسعد قدّورة خريج الأزهر الشريف ومن الموالين للدولة العثمانية، فقد عُيّن خلال الحرب العالمية الأولى في هذا المنصب. وبذلك كسر النهج القديم، إذ كان هذا المنصب في يد آل النحوي وآل القاضي وآل المفتي. وكان تعيين الشيخ أسعد إشارة واضحة إلى ارتفاع شأن آل قدّورة في المجال الديني، فضلاً عن المجال السياسي. وإضافة إلى منصب الإفتاء، عُيّن الشيخ أسعد في ١٠ تموز/يوليو ١٩٣٠ في منصب القضاء، بدايةً في الناصرة، ومن ثم قائماً بأعمال القاضي الشرعي في صفد.[١٩] وفي الفترة ١٩٣٥ ـ ١٩٤٨ شغل منصب القاضي الشرعي في عكا،[٢٠] الأمر الذي زاد في مكانته ووسع نفوذه إلى معظم أنحاء الجليل.[٢١] ولا بد من الإشارة إلى أنه باستثناء الشيخ أسعد لم يخرج من آل قدّورة أي عالم آخر. ومهما يكن من أمر، فقد قدم الشيخ أسعد الكثير لرفع شأن عائلته، كما سنرى لاحقاً.

* * *

إلى جانب العائلات المشار إليها يمكن ذكر بعض العائلات التي شغلت مناصب دينية متوسطة ومتدنية:

آل الأسدي: كانت هذه الأسرة من أكبر أسر صفد عدداً. زاول معظم أبنائها التجارة والبناء، وعمل قليلون في المجال الديني الذي انحصر بالنسبة إليهم في منصبين: الأول إمامة مسجد حارة الأكراد، إذ كان الإمام يُعين منهم بصورة تقليدية،[٢٢] والثاني إدارة الزاوية المعروفة باسمهم، زاوية الأسدية أو زاوية الصدر، وما لها من أوقاف. وقد كان الوقف الأسدي أكبر أوقاف صفد، ومن أكبر أوقاف الشمال، إذ بلغت مساحته ١٨,٠٠٠ دونم من أراضي جبل كنعان، أشرف عليه الشيخ أحمد الأسدي ومن ثم ابنه عبد الفتاح.[٢٣]

آل خليفة: أُسرة صغيرة نسبياً، عُيّن منها بصورة تقليدية إمام مسجد الغار، المعروف

(١٩) CO 821/5/1930, Palestine Blue Book, p. 125.

(٢٠) «الدفاع»، ٢٤/٦/١٩٤٦؛
CO 821/12/1937, Palestine Blue Book, p. 437, CO 821/16/1941, ibid., p. 487.

(٢١) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٩٦/١٠٥، تقريران بتاريخ ١٥/٥/١٩٤١، ص ٢، ٢١/٨/١٩٤٢.

(٢٢) «الكرمل»، ٢٥/٣/١٩٢١.

(٢٣) «فلسطين»، ١٤/١١/١٩٣٤؛ الأرشيف الصهيوني المركزي، ملف رقم S/25/4968، ٢٩/١٠/١٩٣٤، ص ١ ـ ٧؛ أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، تقرير بتاريخ ١٥/٥/١٩٤١، ص ٥.

أيضاً باسم جامع الشعرة الشريفة، في حارة الصواوين.[٢٤] شغل الشيخ أمين خليفة منصب إمام هذا المسجد حتى وفاته سنة ١٩٣١، فخلفه ابنه صلاح، بناء على طلب وجهاء صفد الذين برروا توجههم بكون آل خليفة يشغلون هذا المنصب منذ عهد السلطان سليم الأول، أي منذ أوائل القرن السادس عشر.[٢٥]

آل شمّا: عُرف آل شمّا أساساً كعائلة أعيان وتجار وموظفين. إضافة إلى ذلك كان سليم محمود شمّا مديراً للوقف التابع لدائرة أوقاف الشمال والخاضع للمجلس الشرعي الإسلامي الأعلى، الأمر الذي جعله يتمتع بنفوذ كبير ومكنه من تأجير عقارات الوقف والإشراف على مداخيله حتى نهاية فترة الانتداب.[٢٦]

آل حجازي: كان يُعيَّن من هذه الأسرة، عادة، أئمة الجامع اليونسي الواقع في حارة الوطاة قرب السوق، وهو من أكبر مساجد صفد.[٢٧] إضافة إلى ذلك كان الشيخ أحمد حجازي يتولى أوقاف هذا المسجد.[٢٨]

آل الحاج سعيد: من عائلات الأعيان، شغلت بصورة عامة الوظائف الإدارية والتجارية. لكن بعض أبنائها تخصص بالعلوم الدينية، وخصوصاً الشيخ عبد اللطيف، وابنه الشيخ الأزهري عز الدين، المدرس والواعظ الأبرز في منطقة الشمال. وكان عز الدين تابعاً لإدارة أوقاف المنطقة الشمالية، وأُوكلت إليه وظيفة واعظ متجول في القرى التي تخلو من المساجد والأئمة، فكان يتجول بين هذه القرى ممتطياً حصانه، يدرّس الطلاب ويعلّم الناس شؤون دينهم. وقد لاحقته سلطات الانتداب واعتقلته عدة مرات وأبعدته إلى الأردن.[٢٩]

يجب أن نذكر أن العائلات المشار إليها كانت، جميعها، مؤيدة لآل الحسيني عامة، وللحاج أمين الحسيني، مفتي القدس، خاصة، باستثناء آل قدّورة الذين سادت

(٢٤) بشأن مزيد من المعلومات عن هذا الموضوع، أنظر:
Evliya Tshelebi, *Travels in Palestine: 1648-1650*, Translated from Turkish by St. H. Stephan (Jerusalem: n. p., 1980), pp. 25-26.

(٢٥) «الكرمل»، ٢٠/١/١٩٣١.

(٢٦) «فلسطين»، ١٥/٤/١٩٣٢، ٢٥/١/١٩٤٠.

(٢٧) «الكرمل»، ٢٥/٣/١٩٢١.

(٢٨) مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية، ملف رقم 31/10. 11/24/1.

(٢٩) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، تقرير بتاريخ ١/١٠/١٩٤٠، ص ٤؛ العابدي، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٧.

بينهم وبين المفتي المقدسي علاقات فاترة بسبب ميلهم إلى معسكر آل النشاشيبي المعارض.

من الواضح أن ميل الأسر الصفدية العاملة في مجال المناصب الدينية إلى المعسكر الحسيني نبع من ارتباطاتها المالية، فضلاً عن المبادئ السياسية. فمرتباتها وإداراتها للأوقاف كانت خاضعة لقرارات الحاج أمين الحسيني، كونه رئيساً للمجلس الشرعي الإسلامي الأعلى.

ويلاحَظ أن مكانة العلماء والعاملين في المناصب الدينية تراجعت بعض الشيء خلال فترة الانتداب قياساً بالعهد العثماني. ولعل التحولات الاجتماعية، وظهور الطبقة المتوسطة، وتحديث شبكة التعليم، كانت من الأسباب التي أدت إلى هذا التراجع.

ثانياً: المساجد والزوايا ومقامات الأولياء والأوقاف

أ) المساجد

خلال فترة هذه الدراسة كان في صفد ٧ مساجد، ٣ منها مساجد جامعة، أقيمت فيها صلاة يوم الجمعة، و٤ مساجد متوسطة وصغيرة أقيمت فيها الصلوات الخمس العادية. وقد بُنيت هذه المساجد في الأحياء الإسلامية من المدينة، وهي: حارة الوطاة، وحارة الصواوين، وحارة الأكراد.

يرجع تاريخ اثنين من هذه المساجد إلى العهد المملوكي، وهما المسجد الجوقنداري والجامع الأحمر، بينما أقيم كل من مسجد السويقة ومسجد الشيخ الخفاجي في العهد العثماني المبكر في القرنين السادس عشر والسابع عشر. أمّا المساجد الثلاثة الأُخرى، مسجد الغار (الشعرة الشريفة) والمسجد اليونسي ومسجد السرايا، فبنيت في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ ـ ١٩٠٩).

يبدو أن عدد المساجد في المدينة كبير قياساً بعدد السكان. هذا الأمر متعلق برغبة العثمانيين في تعزيز الصبغة الإسلامية للمدينة، ولكون هذه المساجد معدة أيضاً لاستقبال أبناء القرى المجاورة.

وفيما يلي نبذة موجزة عن كل من المساجد السبعة:

١ ـ الجامع الأحمر الظاهري:

يقع هذا الجامع في حارة الوطاة إلى الجنوب الغربي من المدينة، وهو أقدم مساجد صفد على الإطلاق. بناه السلطان المملوكي الظاهر بيبرس سنة ٦٧٤هـ/

١٢٧٥م، كما يُستدل من اللوحة المنقوشة فوق بوابته، إذ كتب عليها:

بسم الله الرحمن الرحيم. أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك مولانا السلطان ركن الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسلمين قاتل الكفرة والفجرة والمتمردين، بيبرس الصالحي قسيم أمير المؤمنين وذلك في سنة أربع وسبعين وستمائة.(٣٠)

وقد بُني هذا المسجد على نمط القلاع الضخمة، إذ تحيط به أسوار يبلغ ارتفاعها ٧ أمتار. وهو على شكل مستطيل طوله ٤٠,٥ متراً، وعرضه ٢٨,٥ متراً. تقع بوابته وسط السور الشمالي، عرضها نحو ٣ أمتار وعلوها ٧,٢٠ أمتار، وتعلوها المقرنصات التي تميز المباني المملوكية. يقع خلف البوابة صحن المسجد الذي يحتل نحو ثلث مساحته، تحيط به القباب والأروقة والعقود القائمة على ٦ أعمدة حجرية ضخمة، وخلف هذه العقود غرف التدريس. في الزاوية الغربية الشمالية توجد الأدراج وعددها ٢٣ درجة كانت توصل إلى مئذنة المسجد التي يبدو أنها انهارت في مرحلة ما، فقد سبق أن وصفها الرحالة التركي أوليا شلبي بأنها مئذنة تشبه الأبراج في ضخامتها وعلوها. وفي وسط الصحن توجد البئر وبركة الطهارة وخلفها مدخل المسجد المكون من بابين كبيرين. يقوم الجامع الأحمر من الداخل على ٤ أعمدة حجرية دائرية الشكل، وهو من الداخل مربع تقريباً، عرضه ١٥,٥٠ متراً وطوله ١٥ متراً.

ولكونه المسجد الرئيسي فقد أقيمت فيه الصلوات الجامعة، بما فيها صلاة وخطبتا الجمعة. كما شكّل المسجد وساحته والمباني المرافقة له خلال العهدين العثماني والبريطاني مدرسة لتلقي شتى أنواع العلوم، بما فيها العلوم الدينية. وتولى إمامة وخطابة المسجد آل القاضي بصورة تقليدية. وهو اليوم في حالة سيئة، إذ أُزيل منبره وكثير من معالمه، ويستخدم كناد للأفراح والمناسبات.(٣١) (راجع ملحق رقم ٦: صور ووثائق).

(٣٠) موشيه شارون، «مدن أرض إسرائيل تحت الحكم الإسلامي»، «كتدرا»، العدد ٤٠، تموز/يوليو ١٩٨٦، ص ١١٦؛

Tshelebi, op. cit., p. 22;

مئير فونكنفيلد، «المباني المقدسة للمسلمين في دولة إسرائيل» (بالعبرية)، (القدس: لا دار نشر، ١٩٥٠)، ص ٣٨ ـ ٤١؛

M. Meiveche, *Die Mam Lukische Architektur in Agypten und Syrien Clichstadt* (n. p.: n. p., 1990), p. 23.

(٣١) «ثمرات الفنون»، ١٠/١٢/١٩٠٠؛ «الدفاع»، ٢٧/٣/١٩٣٥؛ أرشيف دائرة أوقاف الشمال، الجامع الأحمر، ١٣٢١هـ/١٩٠٣م.

٢ ـ الجامع اليونسي (جامع السوق):

يقع في حارة الوطاة قرب السوق الرئيسية للمدينة. ثاني أكبر ساجد صفد، إذ تبلغ مساحته مع الصحن والساحات المجاورة نحو دونم ونصف دونم. بُني سنة ١٣١٩هـ/١٩٠١م بأمر من السلطان عبد الحميد الثاني، الذي موّل نفقات بنائه. يحيط به سور مرتفع، وتقع بوابته الرئيسية في جهة الشرق، وهي بوابة خشبية ضخمة ترتفع نحو ٥ أمتار، وكُتب فوقها:

هذا مسجد الله سطع نوره ... مثل الكواكب في سماء المجد
لمّا رقت فيه العباد أرخت ... جاءت شعائر ديننا في المسجد

في الزاوية الشمالية الشرقية تقع مئذنة المسجد، وهي بنيت على الطراز العثماني، وترتفع نحو ١٠ أمتار. يوجد فوق مدخله الرئيسي، الذي يتألف من بابين خشبيين ضخمين في غاية من البداعة والإتقان، نقش لتاريخ البناء هذا نصه:

ذا مسجد جامع أمة ... حكمت جميع البرايا بالإيمان
وتنافست ببنائه فقلوبها ... مملوءة بالبشر والإيقان
كما يرى أثر العصور أمامها ... ملك الورى عبد الحميد الثاني
لا زال بالفتح المبين مؤيداً ... وبها بنوه وعمارة الرحمن

١٣١٩هـ

كان المسجد واحداً من المراكز الدينية الأكثر نشاطاً في المدينة، وقد شكل مركزاً مهماً للحركة الوطنية ونشاطاتها المتعددة طوال عهد الانتداب. تولى إدارة شؤونه شيوخ من عائلتي آل الحاج عيسى (المفتي) وآل حجازي، إذ تخصص بعض أبنائهما بالوعظ وتدريس الدين: فالشيخ يوسف الحاج عيسى كان مدرساً، والشيخ أسعد الحاج عيسى كان واعظاً، بينما كان الشيخ أحمد أفندي حجازي إماماً ومتولياً لأوقاف المسجد الغنية.(٣٢) ولا يزال هذا المسجد قائماً، ويستعمل كمعرض عام لرسوم اتحاد فناني صفد. (راجع ملحق رقم ٦: صور ووثائق).

٣ ـ المسجد الجوقنداري:

كان أكبر مساجد حارة الأكراد؛ إذ بلغ طوله ٢٢ متراً، وعرضه ٦ أمتار،

(٣٢) مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية، ملف رقم 3/80. 11/27/3؛ فونكنفيلد، مصدر سبق ذكره، ص ٤٢.

وارتفاعه ٤,٥ أمتار.[٣٣] بُني في العهد المملوكي، وعلى الأرجح بناه الأمير بكتمور الجوقندار، حاكم صفد خلال ١٣٠٩ ـ ١٣١١م. أشرفت أسرة النحوي على هذا المسجد، وحولته إلى أحد المراكز المهمة للعلوم الدينية، ولذلك سمي أحياناً المسجد النحوي. استمر التدريس فيه حتى أواخر عهد الانتداب، وكان آخر المدرسين فيه القاضي الشيخ أحمد النحوي.[٣٤] أُزيل المسجد ولم يبق له أثر، وأقيمت مكانه حديقة عامة تصل بين ساحة الميدان سابقاً وما تبقى من حارة الأكراد.

٤ ـ مسجد السويقة (الشيخ عيسى):

كان يقع شمالي شرقي حارة الصواوين، الحي المركزي. وكان، كما يظهر من صورته قبل الهدم، بناء ضخماً بُني على الطراز العثماني، وبلغ ارتفاعه نحو ٦ أمتار ومساحته الكلية نحو دونمين. كانت بوابته الرئيسية قائمة في السور الشرقي، يُدخل منها إلى صحن المسجد الفسيح المحاط بغرف التدريس، وفي الحائط الجنوبي للصحن يوجد الباب الذي يُفضي إلى داخل المسجد.

المسجد قديم، ويعود في بنائه إلى أوائل العهد العثماني. ذكره الرحالة التركي أوليا شلبي في أثناء رحلته سنة ١٦٤٨، وكان فيه قبر الشيخ عيسى ومن هنا جاء اسمه.[٣٥] أشرف على المسجد في أواخر عهد الانتداب الشيخ أحمد الأسدي، كما تولى الإمامة فيه.[٣٦] هُدم المسجد تماماً، إذ شُق شارع مكانه ولم يبق منه إلاّ مئذنته الجميلة.

٥ ـ مسجد القطب الشيخ أحمد الخفاجي:

كان يقع في حارة الجورة. بُني في القرن السادس عشر، وأعيد بناؤه وترميمه سنة ١٣٣١هـ/١٩١٣م. دُفن فيه الشيخ أحمد الخفاجي، جد آل النحوي. أشرفت على

(٣٣) أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم ج ٣١/ ٣١٠، وثائق من أيلول/ سبتمبر وتشرين الأول/ أكتوبر ١٩٤٨.

(٣٤) أرشيف دائرة أوقاف الشمال، ملف رقم ١١/١٣، وثيقة بتاريخ ٣٠/٨/١٩٤٧؛ فونكنفيلد، مصدر سبق ذكره، ص ٤١، ٤٢.

(٣٥) «فلسطين»، ١٠/٩/١٩٤٠؛

Tshelebi, op. cit., pp. 25-26;

منظمة التحرير الفلسطينية ـ دائرة الثقافة، «موسوعة المدن الفلسطينية» (دمشق: الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٤)، ص ٤٠٩.

(٣٦) أرشيف دائرة أوقاف الشمال، ملف رقم ٦، وثيقة بتاريخ ٢٢/٥/١٩٤٧.

إدارة شؤونه أسرة النحوي، وكانت أوقافه قليلة،[٣٧] أُوكلت وظيفة الإمامة فيه إلى الشيخ صالح القبراوي، من المقربين إلى آل النحوي.[٣٨] هُدم وأزيلت معالمه، ولم يبق له أي أثر.

٦ ـ مسجد الغار (الشعرة الشريفة):

من المساجد المهمة في المدينة، ويقع وسط حارة الصواوين قرب الجسر الأثري الضخم. تبلغ مساحته مع المغارة والمقبرة القائمة في جواره نحو دونم ونصف دونم. بُني الجزء الحديث منه في أواخر العهد العثماني، قرب المغارة المعروفة بغار نبي الله يعقوب، والتي يعتقد أن يعقوب عليه السلام سكنها بعد أن أخبره أبناؤه بما حدث لأخيهم يوسف، وأقام بها حزيناً حتى جاءه البشير منبئاً بأن يوسف حي يرزق في مصر،[٣٩] كما يستدل من النقوش على باب مغارته، حيث كُتب:

> بسم الله الرحمن الرحيم، «فلمّا أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيراً.» أمر بعمارة هذا المزار المبارك على ضريح سيدي الذي جاء بقميص حاجور الصديق إلى أبيه يعقوب عليه السلام العبد الفقير لله المقر السيفي فوزي أولاد أدهمي التنمي نائب السلطنة المعظمة بقلعة صفت المحروسة.... رحمت الله عليه بتاريخ شهر ربيع الأول سنة خمس وعشرين وثمان ومائة.

وفي هذا المسجد حُفظت الشعرة الشريفة المطهرة المأخوذة من لحية الرسول الكريم (ص) داخل خزانة خاصة، وذلك حتى حرب ١٩٤٨. وكانت العادة أن تفتح الخزانة مرة واحدة في السنة، يوم ذكرى مولد الرسول (ص)، في مراسم دينية حافلة مهيبة يحضرها الآلاف من سكان المدينة وقضائها، ويشرف على هذه الاحتفالات القاضي بنفسه. كما احتفظ مدير الوقف في المدينة، محمود شمّا، بمفاتيح الخزانة التي احتوت الشعرة؛ وكان هذا شرفاً عظيماً له ولأسرته.[٤٠]

(٣٧) مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية، ملف رقم 3/10. 11/24/1.

(٣٨) أرشيف دائرة أوقاف الشمال، ملف رقم ٥، وثيقة بتاريخ ٢٠ جمادى الأولى ١٣٥١هـ.

(٣٩) من الجدير بالذكر أن المغارة كانت قائمة منذ العهد المملوكي، لكن المسجد والمبنى المرافق أقيما في أواخر القرن التاسع عشر، أنظر:
Tshelebi, op. cit., pp. 25-26.

(٤٠) أرشيف دائرة أوقاف الشمال، ملف رقم ٦، وثيقة بتاريخ ٢٦/٣/١٩٣٢؛ فونكنفيلد، مصدر سبق ذكره، ص ٤٢.

تولى إمامة المسجد آل خليفة بصورة تقليدية منذ عهد السلطان سليم الأول،[٤١] في حين تولى وظيفة المؤذن أحياناً أمين الخضراء (أبو هاشم).[٤٢] ونظراً إلى أهمية المسجد كانت له أوقاف كثيرة في صفد وخارجها كما سنرى لاحقاً. ولا يزال المسجد قائماً، وقد حُوّل إلى كنيس يسمى كنيس سام وعابر. (راجع ملحق رقم ٦: صور ووثائق).

٧ ـ مسجد السرايا:

بناه السلطان عبد الحميد الثاني سنة ١٨٩٧ قرب السرايا الحكومية في حارة الصواوين، وقد أُعدّ أساساً لزائري السرايا وسكان الحي المجاور.[٤٣] تولى إمامته في الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين الشيخ سليم الخضراء.[٤٤] ولا يزال المسجد قائماً، وقد حُوّل إلى كنيس.

يتبين من هذا العرض أن عدد المساجد ارتفع من ٤ مساجد سنة ١٨٧١، إلى ٧ مساجد في أواخر العهد العثماني. وقد أقيمت المساجد الثلاثة الجديدة في عهد السلطان عبد الحميد، الذي عُرف عنه تشجيع بناء المساجد والزوايا توافقاً مع سياسة الجامعة الإسلامية التي انتهجها. وكانت هذه المساجد تشكل مصدر دخل ومعيشة لبعض العائلات التي شغلت وظائف متنوعة، كالإمامة والخطابة والتدريس، إضافة إلى إدارة الأوقاف التابعة لها. ويلاحَظ أن هذه الوظائف انتقلت في الأسرة نفسها من الآباء إلى الأبناء، كما أنها ساهمت في دعم مكانة هذه الأسر اجتماعياً.

ب) الزوايا

كان في صفد خلال فترة هذه الدراسة ٣ زوايا، بينما كان فيها سنة ١٦٤٨، خلال زيارة الرحالة التركي أوليا شلبي ٧ زوايا. وعلى ما يبدو كان للطرق الصوفية دور مهم في الحياة الدينية والاجتماعية في المدينة آنذاك.[٤٥] أمّا الزوايا الثلاث التي كانت في المدينة خلال فترة الانتداب فهي:

(٤١) «الكرمل»، ٢٠/١/١٩٣١.

(٤٢) أرشيف دائرة أوقاف الشمال، ملف رقم ٦، وثيقة بتاريخ ٢٤/٣/١٩٣٢؛ فونكنفيلد، مصدر سبق ذكره، ص ٤٢.

(٤٣) مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية، ملف رقم 3/2/45. 11/42/1، وثيقة بتاريخ ٢٧/ ٧/ ١٩٤١.

(٤٤) أرشيف دائرة أوقاف الشمال، ملف رقم ٥، وثيقة بتاريخ ٢٠ ذي الحجة ١٣٥١هـ.

(٤٥) Tshelebi, op. cit., p. 22.

١ ـ زاوية بنات حامد:

تقع في حارة الوطاة قرب الجامع الأحمر، وهي بناء أثري قديم من أروع المباني التي بقيت من العصر المملوكي. دُفن فيها الأمير مظفر الدين موسى بن أرقطاي (أقطاي)، نائب السلطنة في نيابة صفد والساحل والشقيف، المتوفى سنة ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م، وإلى جانبه زوجته بنت حامد التي كان أبوها أحد الدراويش الأتقياء. وقد كتب على قبر الأمير:

> بسم الله الرحمن الرحيم، «كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام» ـ توفي العبد الفقير إلى الله تعالى موسى بن أرقطاي في سادس ربيع الآخرة سنة سبع مئة وأربعة وسبعين.[٤٦]

كانت هذه الزاوية نشيطة وفعالة خلال مئات الأعوام، وهي بارزة ببنائها البديع الضخم المربع الشكل. يبلغ طولها ١٠ أمتار وعرضها ٨ أمتار وارتفاعها نحو ٧ أمتار، تعلوها قبة ضخمة. حيطانها مزدانة بالحجارة السود التي توشح الحجارة الصفدية البيض. لها بابان: الرئيسي من جهة الجنوب، والثاني من جهة الشمال. تكثر على حيطانها الخارجية النقوش الحجرية والكتابات التي تعود إلى العصر المملوكي، والتي لا يزال بعضها قائماً والبعض الآخر عرضة للزوال نظراً إلى إهمال هذا المبنى التاريخي.

تُوصف عائلة حامد الصفدي، التي سُميت الزاوية على اسمها، بأنها عائلة علماء وفقهاء كبار. ويذكر البوريني أن أحد أبنائها، وهو بدر الدين بن حامد الصفدي، كان من كبار علماء صفد، ولقب بشيخ الإسلام، وشغل منصب الإفتاء على المذهب الشافعي، وأحياناً منصب النائب (القاضي) في المدينة.[٤٧]

على الأرجح شكلت هذه الزاوية مقراً للطريقة السعدية التي ترأسها العلماء من آل سعد الدين (السعدي)، الذين تولوا نقابة الأشراف في صفد. وبرز من أبناء العائلة الشيخ مصطفى سعد الدين، وابنه الشيخ علي، والشيخ سليمان سعد الدين، القاضي الشرعي في الخليل والقدس الشريف.

(٤٦) مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية، ملف رقم 3/2/45. 11/42/1، وثيقة بتاريخ ٤/ ٥/ ١٩٤٢؛ Meiveche, op. cit., p. 168;
فونكنفيلد، مصدر سبق ذكره، ص ٣٥ ـ ٣٧.

(٤٧) بدر الدين حسن بن محمد البوريني، «تراجم الأعيان من أبناء الزمان» (دمشق: لا دار نشر، ١٩٦٣)، ج ٢، ص ١٠٦ ـ ١٠٧.

٢ ـ الزاوية الأسدية:

تقع في حارة الأكراد، حيث سكن معظم أفراد عائلة الأسدي. وقد سُمّيت الزاوية باسم جد العائلة، الشيخ محمد الأسدي، المتوفى سنة ٩٧٧هـ/١٥٦٩م.[٤٨]

كان الشيخ محمد الأسدي من كبار الصوفيين في القرن السادس عشر، أقام مدة بصفد، ثم غادرها مع كثيرين من أتباعه، وذلك بعد أن منحه السلطان سليم الأول، سنة ١٥١٦، الدير المعروف بدير البعنة والأراضي التابعة له،[٤٩] كما جاء في نص الوثيقة الأسدية التي أرّخت لهذا الأمر.[٥٠]

يذكر الباحث أهرون لاييش أن السلطان سليم هو الذي منح الشيخ الأسدي الدير والأوقاف، لا ابنه السلطان سليمان كما يدعي البوريني، وذلك لاعتبارات دينية وسياسية، ولدعم مكانة الشيخ وأتباعه. وبهذا الخصوص نشير إلى أنه عُرف عن السلطان سليم أنه كان يميل إلى الصوفيين. وقد أقام علاقات صداقة بشيوخهم في إستنبول، وأوكل إلى بعضهم عدة مناصب دينية.[٥١] من الواضح أيضاً أن منح الشيخ محمد الأسدي دير البعنة وأراضيه وأملاكه كان بهدف الحفاظ على خط المواصلات المهم الذي يربط بين عكا وصفد. ويرى لاييش أن هذه الخطوة تندرج أيضاً في إطار سياسة توطين المسلمين في المناطق الحساسة أمنياً، وذلك خدمة لأهداف الدولة العثمانية.[٥٢]

وعلى الرغم من أن الشيخ محمد انتقل إلى دير البعنة، الذي بات يُعرف منذ ذلك الحين بدير الأسدي؛ فإن ابنه أحمد بقي في صفد، وسار على نهج والده وأصبح من كبار شيوخ التصوف.[٥٣] واعترافاً بمكانته أورثه والده السُبّحة

(٤٨) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٧٨ ـ ١٧٩؛ محمد الأمين بن فضل الله المحبي، «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر» (بيروت: لا دار نشر، ١٩٦٦)، ص ١٧٧؛

Aharon Layish, «Waqfs and Sûfi Monasteries in the Ottoman Policy of Colonization, Sultan Selim's Waqf of 1516 in Favour of Dayr Al-Asad,» *Bulletin of the School of Oriental and African Studies*, University of London, vol. 50 (1987), p. 68.

(٤٩) محمود حجازي، «مقام الشيخ محمد الأسدي» (رمات غان: جامعة بار ـ إيلان، ١٩٨٤)، ص ١٤ ـ ١٩؛

Spencer Trimingham, *The Sufi Orders in Islam* (Oxford: Clarendon Press, 1971), p. 271.

(٥٠) لاييش، مصدر سبق ذكره، ص ٤٢.

(٥١) المصدر نفسه، ص ٢٤.

(٥٢) المصدر نفسه، ص ٢٥.

(٥٣) البوريني، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ١٧٨ ـ ١٧٩.

والسجادة،[٥٤] وهما من رموز رئاسة الزاوية والمشيخة.

أدار الشيخ أحمد هذه الزاوية وأوقافها الكبيرة، التي بلغت مساحتها ١٨,٠٠٠ دونم من أراضي جبل كنعان.[٥٥] ووفقاً لنص الوثيقة، التي كانت في حيازة المتولي الشيخ أحمد الأسدي،[٥٦] فإن السلطان سليم هو الذي أوقف أراضي جبل كنعان لمصلحة الزاوية.[٥٧] وعلى الرغم من أن مساحة الأراضي كانت واسعة فإن دخلها كان محدوداً، إذ استُغلّت لرعي المواشي ولقطع الحجارة، وفي بعض الأحيان أُجّرت لاستعمالات زراعية في مقابل ١٨ جنيهاً سنوياً، لكن زراعتها كانت شاقة بسبب كثرة الصخور فيها.[٥٨]

وكما أشرنا، فقد تولى أوقاف هذه الزاوية في بداية عهد الانتداب الشيخ أحمد الأسدي، ثم خلفه ابنه عبد الفتاح الأسدي، أحد وجهاء الأسرة.

خسرت الزاوية الأسدية أراضيها سنة ١٩٣٤، وعلى ما يبدو تمكنت هيئات يهودية متعددة، كجمعية صوفيا وساره ليفي، من شرائها. وفي السنة نفسها، بادرت ساره ليفي إلى إقامة مشروع سكني عليها، عُرف باسم حي كريات ساره.[٥٩]

أثارت هذه القضية خلافاً حاداً وطويلاً بين الوقف الإسلامي وساره ليفي. وفي نهاية الأمر رُدّت مطالب الوقف واتهم القيّمون عليه بسوء التعامل مع القضية والإهمال والتهاون، الأمر الذي أثار استياء الشيخ أسعد قدّورة مفتي صفد، فطالب إدارة الأوقاف في القدس بمعالجة القضية مباشرة، وخصوصاً أن سلطات الانتداب نفسها أرادت مصادرة مئة دونم من أراضي الزاوية لإقامة محطة الشرطة في صفد، والواقعة هي الأخرى على قمة جبل كنعان.[٦٠]

(٥٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٧٩.

(٥٥) «فلسطين»، ٢٤/١١/١٩٣٣، ١١/٦/١٩٤٣، ٢٨/٥/١٩٤٤؛ مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية، ملف رقم 39/10. 11/40/1، وثيقة بتاريخ ١٥/٦/١٩٤٠.

(٥٦) «فلسطين»، ٢٤/١١/١٩٣٣.

(٥٧) المصدر نفسه، ٢٩/١١/١٩٣٣.

(٥٨) «الدفاع»، ٢٢/١١/١٩٣٤؛ «فلسطين»، ١٨/١١/١٩٣٣، ١٤/١١/١٩٣٤، ١٥/١٢/١٩٣٤.

(٥٩) «فلسطين»، ١٤/١١/١٩٣٤؛ الأرشيف الصهيوني المركزي، ملف رقم S/25/4968، ص ١ ـ ٧؛ أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم ١١٢/٢٦٨٩س، وثيقة بتاريخ ٥/١٢/١٩٣٤.

(٦٠) مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية، ملف رقم 39/10. 11/40/1، وثيقتان بتاريخ ١٥/٦/١٩٤٠، ١٦/٦/١٩٤٠.

٣ ـ الزاوية الأحمدية:

تقع في حارة الصواوين إلى الغرب من السرايا، وتسمى أيضاً الزاوية العراقية، نسبة إلى الشيخ محمد بن عراق. وهو من أعيان شراكسة دمشق، كان يعيش حياة ترف وبذخ. لكنه عندما تعرف إلى الشيخ سيدي ابن ميمون تأثر به كثيراً وتبعه نحو التصوف. وخلال تجواله زار صفد وأسس فيها الزاوية المعروفة باسمه.[٦١] وقد استعملت هذه الزاوية لتعليم الدين، كما يُستدل من المرسوم السلطاني، الذي أصدره السلطان عبد العزيز بتاريخ ٥ ذي الحجة ١٢٩١هـ/ ١٣ كانون الثاني/ يناير ١٨٧٥م. ووفقاً لهذا المرسوم عُزل المدرّس الشيخ أحمد السلطي وعُيّن مكانه مدرّس آخر بمرتب قدره ٣٨٠ قرشاً سنوياً.

كان لهذه الزاوية أوقاف شملت طاحونة في وادي صفد (وادي الليمون) قرب عين الجن، عُرفت باسم طاحونة البستان، وقد أُجّرت بمبلغ ٣٥٠٠ قرش سنوياً.[٦٢]

خلال فترة متصرف سنجق عكا، أحمد باشا الصلح، وُسّعت الزاوية سنة ١٨٩٨، وحُوّل قسم منها إلى مدرسة ابتدائية للبنين، فعرفت منذ ذلك الحين باسم مدرسة الزاوية.

وعموماً مع تراجع مكانة الحركات الصوفية قل دور الزوايا وتراجعت مكانة مشايخ الطرق خلال فترة الانتداب، ولم يعد لهم ذلك النفوذ الذي كان خلال القرون السابقة.

إضافة إلى زوايا صفد، كان هنالك بعض الزوايا الفعالة التابعة للطريقة الرفاعية في بعض قرى قضاء صفد، وخصوصاً في طيطبا وعين الزيتون وسعسع والصفصاف وعلما والرأس الأحمر.[٦٣]

ج) مقامات الأولياء

بحسب معطيات سالنامة ولاية سوريا لعام ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م بلغ عدد مقامات الأولياء الصالحين ومزاراتهم في صفد ٤١ مقاماً ومزاراً.[٦٤] في مقابل ذلك تشير

(٦١) لايش، مصدر سبق ذكره، ص ٢٩؛
Trimingham, op. cit., pp. 89-90.

(٦٢) مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية، ملف رقم 1/2/25. 11/32/1.

(٦٣) «فلسطين»، ١٤/ ١٠/ ١٩٤٥، ٢٤/ ٦/ ١٩٤٦؛ ذياب موسى الرفاعي، «الرفاعية طريقة وأدب» (بيروت: جامعة القديس يوسف، ١٩٨٠)، ص ٥٨.

(٦٤) سالنامة ولاية سوريا لعام ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م، ص ٢٤٧.

سجلات الوقف لعام ١٩٣٥ إلى أن عدد المزارات بلغ ٣١ مزاراً فقط.[٦٥] وتدل كثرة المقامات والمزارات على أن صفد كانت أحد المراكز الكبرى للنشاط الصوفي في شمال فلسطين. وفي هذا الخصوص أشار ابن طولون إلى وجود نشاط صوفي يقظ في منطقة صفد في العهد المملوكي.[٦٦] وقد استمر هذا النشاط طوال العهد العثماني.

من المقامات الـ ٣١ المذكورة في سجلات الوقف لعام ١٩٣٥، كان ١٦ مقاماً لشيوخ صوفيين أطلق عليهم لقب ولي الله. ويدل هذا اللقب، عادة، على المكانة العالية للشيخ.

توزعت هذه المقامات في حارات المدينة كافة. ففي حارة الصواوين كان هناك ١٥ مقاماً، وفي حارة الوطاة ٨ مقامات، وفي حارة الأكراد ٤، أمّا في حارة الجورة والحي اليهودي فقد كان في كل واحد منهما مقامان.

إضافة إلى ذلك كان هناك مقامات أُخرى في محيط المدينة، أولها مقام ولي الله الشيخ محمد حديد الواقع على جبل كنعان. وكان هذا الشيخ من كبار مشايخ الطريقة النقشبندية، عاش في صفد وتوفي فيها سنة ١٨٦٠، وخُصص بعد وفاته للمقام أوقاف وأراض زراعية.[٦٧] المقام الثاني هو مقام الشيخ كويس الواقع على حافة مرتفع صخري غربي المدينة فوق مجرى وادي الطواحين. كانت لهذا المقام أوقاف في قرى مغر الخيط والظاهرية والقديرية، واعتبر وقفه ضمن الوقف المندرس، وأُدير مباشرة بواسطة دائرة أوقاف الشمال.[٦٨]

قبور ومقامات الصالحين في صفد، مواقعها وأوقافها

الموقع	الحارة/ الحي	الوقف
١. ولي الله صلاح الدين الصفدي	اليهودي الشرقي (سفارادي)	-
٢. ولي الله سيد خليف	اليهودي الغربي (أشكنازي)	-
٣. الشيخ محمود العثماني	الوطاة	بئر ماء
٤. الشيخ أحمد أبو قميص	الصواوين/ الميدان	قطعة أرض، أشجار زيتون
٥. الشيخ مبارك	الصواوين	-
٦. ولي الله الشيخ أحمد الملا	الصواوين	-

(٦٥) مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية، قائمة بأوقاف صفد، ٢٢/ ٥/ ١٩٣٥.

(٦٦) ابن طولون، «مفاكهة الخلان في حوادث الزمان» (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٢)، ج ١، ص ٨٨٤ ـ ٩٢١. أنظر أيضاً: ص ٥٧، ٥٨، ٣٢٨، ٣٣٥.

(٦٧) «الدفاع»، ١٦/ ١٠/ ١٩٣٤؛ «فلسطين»، ٢٤/ ١١/ ١٩٣٣.

(٦٨) مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية، ملف رقم 31/10. 11/24/1.

٧. ولي الله الشيخ شعبان	الصواوين	-
٨. ولي الله أبو حبيب الصفدي	الصواوين	-
٩. ولي الله الشيخ عمر	الصواوين	قسيمة أرض، سبع زيتونات
١٠. ولي الله المجاهد الشيخ أحمد	الصواوين	-
١١. ولي الله الشيخ محمد	الأكراد	-
١٢. ولي الله الشيخ حمودة	الجورة	-
١٣. الشيخ عبد الله	الجورة	-
١٤. الشيخ سعيد	الأكراد	-
١٥. الشيخ إبراهيم	الصواوين	-
١٦. مقام الخوالد	الصواوين	-
١٧. السيدة رقية	الصواوين/ العويقة	-
١٨. الشيخ أبو ريش	الوطاة	-
١٩. الشيخ محمد السعدي	الصواوين	زاوية
٢٠. الشيخ بدر الدين شيخ علاء الدين	الأكراد	-
٢١. الشيخ شمس الرفاعي	الأكراد	-
٢٢. الشيخ عامر	الصواوين	-
٢٣. الشيخ صالح	الوطاة	-
٢٤. ولي الله الشيخ سالم	الوطاة	جامع الأربعين
٢٥. ولي الله الشيخ صامت	الوطاة	-
٢٦. مقام الواحد وأربعين	الصواوين	-
٢٧. ولي الله الشيخ عمّار	الوطاة/ السوق	-
٢٨. ولي الله الشيخ سليمان	الوطاة	-
٢٩. ولي الله الشيخ حميد	الوطاة/ الظاهرية	-
٣٠. ولي الله الشيخ صمادي	الصواوين	-
٣١. ولي الله المزنجر	الصواوين/ السرايا	-

المصدر: مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية، قائمة بأوقاف صفد، ٢٢/٥/١٩٣٥، سجل ١، شريط ٢. أنظر أيضاً: ملفان رقم 2/10 .11/44/1، 14/10 .11/41/1.

د) الأوقاف

يعتبر الوقف من المؤسسات المهمة في الإسلام، هدفها الأساسي توفير مصادر مالية دائمة من أجل إدارة وصيانة المؤسسات الدينية والاجتماعية، كالمساجد والزوايا والمدارس والمستشفيات وغيرها. ويرجع إنشاء الأوقاف إلى فجر الإسلام. ومع مرور الزمن صار الوقف مؤسسة كبرى مهمة ذات تأثير في المجتمع الإسلامي الذي استمر في وقف كثير من أملاكه تصدقاً وتقرباً إلى الله عز وجل. وضمن ما تشمله الأملاك الموقوفة: الأراضي؛ المباني؛ الأشجار؛ آبار الماء؛ الطواحين؛ الحمامات؛ الحوانيت؛ الخانات.

كما هو معروف، فإن أملاك الوقف لا تباع ولا تنتقل بالوراثة ولا يمكن تحويلها إلى الغير، وإنما تُخصّص للأهداف الخيرية التي أقيمت من أجلها حتى قيام الساعة.(٦٩)

وكما في مدن المشرق الإسلامي عامة، أنشئ في صفد كثير من الأوقاف، وخصوصاً في العهدين المملوكي والعثماني. ويستدل من الإحصاء الأول الذي تم سنة ١٩٢٦ على أن أملاك الوقف في صفد كانت كبيرة جداً، وبصورة خاصة الأراضي الزراعية. وفيما يلي قائمة بأملاك أوقاف صفد ومداخيلها في تلك السنة:

أملاك الأوقاف ومداخيلها سنة ١٩٢٦

الوقف	نوع المُلك	الموقع	الدخل لسنة ١٩٢٦ بالقرش المصري
المسجد اليونسي(١)	١٠ دكاكين	سوق صفد القديمة	
	٥٠٪ من ٧ دكاكين	سوق صفد العلوية	
	دكان واحد	عكا	
	أرض زراعية	قرية الظاهرية	
	٢٨ زيتونة	قرية الظاهرية	٥٧٠٠
	كروم زيتون	قرية كفر سميع	

(٦٩) محمد أسعد الحسيني، «المنهل الصافي في الوقف وأحكامه» (القدس: المطبعة الوطنية، ١٩٨٢)، ص ٧ ـ ١٨؛

Gabriel Baer, «Jerusalem's Families of Notables and the Wakf in the Early 19th Century,» in David Kushner, ed., *Palestine in the Late Ottoman Period: Political, Social and Economic Transformation* (Jerusalem: Yad Izhak Ben Zvi Institute, 1986), pp. 109-122.

المسجد الأحمر[٢]	٥٠٪ من ٧ دكاكين دكان ٤٥ زيتونة قسيمتا أرض قسيمة أرض	سوق صفد عكا صفد قرية الظاهرية قرية كفر سميع	٣٥٣٣
مسجد الغار[٣]	٩٠٠ دونم أرض زراعية الكهف المقدس ٣ دكاكين أرض زراعية أرض بنات يعقوب حمام بنات يعقوب	خربة قطنة، قرية مغر الخيط، موقع عين العجلة صفد ـ حارة الصواوين صفد السوق ـ صفد قريتا كراد الخيط قريتا كراد الخيط قريتا كراد الخيط	٧٨١٧
مسجد الشيخ عيسى (السويقة)[٤]	٥٠٪ من حمام ٥٠٪ من طاحونة أرض زراعية عُشر حمام ٣ دكاكين ٤١ زيتونة	دمشق سهل البطيحة وادي الحمرة، صفد دمشق سوق السويقة، صفد صفد	١٨٠٠
مسجد الشيخ الخفاجي[٥]	٦ قسائم أرض أشجار زيتون	صفد صفد	١٢٠٠
المسجد الجوقنداري[٦]	أشجار زيتون ٨ قسائم أرض عُشر حمام	صفد قرية الظاهرية دمشق	١٢٠
الشيخ نعمة[٧]	٤ دكاكين طاحونة	صفد وادي صفد	١٦٠٠
الشيخ كويّس[٨]	أرض زراعية أرض زراعية	مرج الخيط قرية الظاهرية	١٦٠٠
الشيخ سعد[٩]	أشجار زيتون	قرية ميرون	١٠٠

زاوية الأسدية[١٠]	نحو ١٨,٠٠٠ دونم أراض ميري ١٥٠ دونماً	جبل كنعان جبل بيت أبو ذياب الأسدي	١٥٠٠
زاوية الأحمدية	طاحونة	وادي العمود	٣٥٠٠
		المجموع	٢٨,٤٧٠

المصادر:

١) مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية، ملفات رقم 3/80 .11/27/3، 4/80 .11/46/3، 14/80 .11/27/3.

٢) المصدر نفسه، ملفان رقم 4/80 .11/46/3، 31/10 .11/24/1.

٣) المصدر نفسه، ملف رقم 31/10 .11/24/1.

٤) المصدر نفسه، ملفات رقم 31/10 .11/24/1، 31/10 .11/23/1، 31/10 .11/23/1.

٥) المصدر نفسه، ملف رقم 31/10 .11/24/1؛ أرشيف دائرة أوقاف الشمال، ملف رقم ٦، وثيقة بتاريخ ١٩٣٢/١١/٦.

٦) مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية، ملف رقم 31/10 .11/23/1؛ Uri Kupferschmidt, *The Supreme Muslim Council: Islam under the British Mandate for Palestine* (Leiden: Brill, 1987), p. 154.

٧) مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية، ملف رقم 31/10 .11/24/1.

٨) المصدر نفسه.

٩) المصدر نفسه.

١٠) المصدر نفسه.

يتبين من القائمة أن أملاك الوقف كانت في الأساس أراضي وأشجار زيتون ودكاكين. وقد بلغ عدد الدكاكين ٣٦ دكاناً، اثنتين في عكا والباقي في صفد، أغلبيتها في سوق المدينة القديمة قرب الجامع اليونسي، هذا إضافة إلى حصة الوقف في حمامين وطاحونتين.

أمّا فيما يتعلّق بالأراضي فيبدو أن أوسعها مساحة كانت أراضي مسجد الغار والزاوية الأسدية، إذ بلغت مساحتها نحو ١٨,٩٠٠ دونم، وهي لا تقل عن مساحة أكبر الأوقاف في فلسطين. على سبيل المثال، تبلغ مساحة وقف النبي روبين ٣٢,٠٠٠ دونم، ووقف سيدنا علي ٢٨,٤٠٠ دونم.[٧٠] إلاّ إن الفارق الكبير هو أن الأراضي الوقفية في صفد، وخصوصاً أراضي الزاوية الأسدية، كانت في معظمها صخرية لا يمكن زرعها، فحُوّلت إلى مراع ومحاجر.

ثمة نوع آخر من الوقف هو أشجار الزيتون، ولا نعرف عددها الحقيقي، عدا وقفين أُشير إلى عدد أشجارهما، وهما وقف المسجد اليونسي ووقف مسجد الشيخ عيسى، إذ بلغ عدد أشجارهما ٦٩ شجرة. وبحسب تقدير مسؤولي الوقف لم يكن

(٧٠) مايكل دمبر، «سياسة إسرائيل تجاه الأوقاف الإسلامية في فلسطين، ١٩٤٨ ـ ١٩٨٨» (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٢)، ص ١٧ ـ ٣٨.

مجموع عدد الأشجار يزيد على ١٥٠ شجرة.

كذلك يتبين من القائمة أنه كان للوقف أملاك كثيرة في قرية الظاهرية قرب صفد، والتي تحمل اسم السلطان الظاهر بيبرس، وأيضاً في قريتي كراد الخيط جنوب غرب سهل الحولة، وجميعها أراض خصبة تصلح للزراعة.

كان أكبر الأوقاف من حيث الدخل وقف مسجد الغار، يليه وقف المسجد اليونسي، فوقف المسجد الأحمر. ويشار إلى أن المداخيل كانت تتغير سنوياً كما سنرى لاحقاً.

كانت المسؤولية العامة عن إدارة وقف المدينة موكلة إلى المدير العام للوقف، محمود شمّا، وإلى اللجنة المحلية، إذ أقيمت اللجان المحلية طبقاً للبند ١٩ من أنظمة المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى لعام ١٩٢١. وبناء على ذلك طُلب من كل مدينة تأليف لجنة من المفتي والمأمور واثنين من أعيان المسلمين، وإذا تنازل المفتي عن حقه يُعيّن مكانه أكبر العلماء سناً.(٧١)

في سنة ١٩٣٢، ضمت لجنة الوقف ثلاثة أعضاء هم الشيخ عز الدين عبد اللطيف الحاج سعيد رئيساً، وحسن الخضراء وخليل يوسف رستم عضوين. وكان الأخير عضو المجلس البلدي ومختار حارة الأكراد.(٧٢)

بقي الشيخ عز الدين رئيساً للجنة حتى نهاية عهد الانتداب، أمّا العضوان الآخران فتغيرا وحل مكانهما، سنة ١٩٤٧، كل من عبد القادر الأسدي والشيخ أحمد حجازي.(٧٣)

وكما هو معروف، كان لكل وقف متول يتولى إدارته، ويراقب أملاكه وتطبيق صيغة الوقفيات المتعلقة به.

وفي الفترة التي تغطيها هذه الدراسة برز أربعة متولين للأوقاف في صفد هم: الشيخ أحمد حجازي، متولي وقف وإمام المسجد اليونسي؛(٧٤) الشيخ أحمد الأسدي وبعده عبد الفتاح الأسدي، متولي وقف الزاوية الأسدية؛(٧٥) المحامي عبد الغني النحوي، متولي وقف المسجد الجوقنداري،(٧٦) بالإضافة إلى شيوخ آل

(٧١) Uri Kupferschmidt, *The Supreme Muslim Council: Islam under the British Mandate for Palestine* (Leiden: Brill, 1987), pp. 15-19, 57.

(٧٢) أرشيف دائرة أوقاف الشمال، ملف رقم ٤، وثيقة بتاريخ ٢٠/١١/١٩٣٢.

(٧٣) المصدر نفسه، ملف رقم ٥، وثيقة بتاريخ ٥/٦/١٩٤٧.

(٧٤) مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية، ملفان رقم 3/80. 11/27/3، 39/10. 11/40/1؛ «الكرمل»، ٢٥/٣/١٩٢١.

(٧٥) مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية، ملفان رقم 3/80. 11/27/3، 39/10. 11/40/1؛ «فلسطين»، ٢٩/١١/١٩٣٤.

(٧٦) مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية، ملف رقم 31/10. 11/24/1.

القاضي متولي وقف المسجد الأحمر.(٧٧)

لا يتوفر لدينا معلومات مفصلة عن المداخيل العامة لأوقاف صفد عن كل السنوات، والجدول التالي يشير إلى مداخيل سنوات ١٩٢٦، و١٩٣٢، و١٩٣٩:

المداخيل العامة للوقف في بعض السنوات

السنة	المداخيل
١٩٢٦	٢٧,٥٧٠ قرشاً مصرياً(١)
١٩٣٢	٢٢٤ جنيهاً فلسطينياً(٢)
١٩٣٩	٢٥١ جنيهاً فلسطينياً(٣)

المصادر:

١) مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية، ملف رقم 31/10 .11/23/1.

٢) أرشيف دائرة أوقاف الشمال، ملف رقم ٤.

٣) المصدر نفسه، ملف رقم ٤، ص ١٩، شهادة بتاريخ ٧/٢/١٩٣٩.

يلاحَظ أن هذه المداخيل متواضعة جداً. أمّا المصروفات فإنها لم تشذ عنها كثيراً، وقد خُصّصت في الأساس لدفع الرواتب وللصيانة الدائمة للمساجد، كما يبدو من الجدول التالي:

مصروفات أوقاف صفد لسنة ١٩٣٢

المصروف	بالجنيهات الفلسطينية
مرتب إمام المسجد اليونسي	٢٤
مرتب واعظ المسجد اليونسي	٦
مرتب مؤذن المسجد اليونسي	١٨
مرتب سادن المسجد اليونسي	١٢
مرتب إمام جامع الغار	١٩
مرتب مؤذن جامع الغار	١٢
مرتب إمام وواعظ جامع الشيخ عيسى	١٢
مرتب مؤذن وخادم جامع الشيخ عيسى	١١
مرتب إمام جامع السرايا	١٩
مرتب إمام الجامع الجوقنداري	١٥
مرتب إمام ومؤذن الجامع الخفاجي	١٥
مرتب واعظ عام لصفد والقضاء	٤٨
مرتب مصروفات جارية أُخرى	١٢
المجموع	**٢٢٣**

المصدر: أرشيف دائرة أوقاف الشمال، ملف رقم ٤، ص ٧١، وثيقة ليوم ١٣/١/١٩٣٣.

(٧٧) المصدر نفسه.

كما يستشف من جدول المصروفات، فقد نال إمام المسجد اليونسي المرتب السنوي الأعلى، الأمر الذي يدل على أن هذا المسجد كان المسجد الرئيسي والأكثر نشاطاً في المدينة.

وفيما يلي جدول بتوزيع المصروفات في آذار/مارس ١٩٤١.

مصروفات أوقاف صفد في آذار/مارس ١٩٤١

المصروفات	المبلغ (بالجنيهات الفلسطينية)
مرتبات الأئمة في المساجد	١١,٩٧٥
مرتب واعظ المسجد اليونسي	١,٥
مرتبات المؤذنين في المساجد	٢,١٠٠
مرتبات سدنة المساجد	٤,٠٠٠
مرتبات الواعظين	٤,٥٢٠
مرتبات عاملي المسجد الأحمر	٢,٥٠٠
دعم لمتضرري أحداث ١٩٢٩	٨,٧٠٠
المجموع	**٣٥,٢٩٥**

المصدر: أرشيف دائرة أوقاف الشمال، ملف رقم ٦، وثيقة ليوم ١٣/٤/١٩٤١.

إضافة إلى المداخيل من تضمين أملاك الوقف وتأجيرها، كان هناك مصدر دخل آخر هو ضريبة الأعشار التي كانت الحكومة تجبيها مع بقية الضرائب الزراعية، ومن ثم تُحوَّل إلى الوقف. وكان نصيب الوقف الصفدي من ضريبة الأعشار ضئيلاً، إذ تراوح بين ١٠٠ و٢٠٠ جنيه فلسطيني صرفت على ترميم المساجد والأماكن المقدسة.

إضافة إلى المؤسسات الدينية المشار إليها، أخذت جمعيات إسلامية تنشط في المدينة بدءاً من سنة ١٩٣١. وبمرور الزمن تعززت مكانتها، وارتفع شأنها إلى درجة أنها أضعفت دور المؤسسات التقليدية، التي لم تستطع مجاراتها في نشاطاتها المتنوعة.[٧٨]

ثالثاً: الجمعيات الإسلامية ونشاطها

في الفترة التي تغطيها هذه الدراسة كان ثمة جمعيتان دينيتان تعملان في صفد، هما النادي الرياضي الإسلامي وجمعية الشبان المسلمين، وكان معظم أعضائهما من أبناء الطبقة الوسطى وطبقة المثقفين الذين مثلوا جيلاً جديداً لديه طموحات وتطلعات

(٧٨) Kupferschmidt, op. cit., pp. 172-176.

مختلفة عن الجيل التقليدي الذي اتسم غالباً بالمحافظة.

كانت إقامة مثل هذه الجمعيات ظاهرة جديدة في الحياة الدينية الصفدية التي سارت بشكل روتيني ضمن أطر ومؤسسات مألوفة منذ قرون. فبعكس المؤسسات التقليدية، وسعت الجمعيتان مجال النشاط الديني ليشمل أُطراً وأمكنة جديدة، كالساحات والملاعب والنوادي. كما أنهما مزجتا بين النشاط الديني والشؤون السياسية والاجتماعية، الأمر الذي أدى في نهاية المطاف إلى تسييس النشاط الديني وربطه بالنشاط الوطني العام، فأصبحت هاتان الجمعيتان وأعضاؤهما من أهم روافد الحركة الوطنية، وهو ما رفع مكانتهما في نظر الناس.

إن ظاهرة إقامة الجمعيات ليست ظاهرة تتميز بها صفد. فمن المعروف أنه مع نهاية القرن التاسع عشر ازدادت حركة الإصلاح في الإسلام وقويت. وقد دعا المصلحون، أمثال الأفغاني والكواكبي ورضا، إلى إحياء أسس الإسلام من جديد.[٧٩] كما أنه لا يمكن إغفال ما كان لتأسيس حركة الإخوان المسلمين في مصر سنة ١٩٢٨ من تأثير في فلسطين. فقد تأثر الصفديون كإخوانهم في مدن أُخرى، مثل القدس وحيفا ويافا، وبادروا إلى إقامة جمعيات وحركات مشابهة في مدينتهم.

أ) النادي الرياضي الإسلامي

تأسس هذا النادي بتاريخ ١٨ أيلول/سبتمبر ١٩٣١، وكان عدد الأعضاء المؤسسين ١٣ عضواً، تراوحت أعمارهم بين عشرين وثلاثين عاماً.[٨٠] وقد برز منهم المحامي جمال حميد قدّورة الذي انتخب رئيساً للنادي، والمحامي عبد الرؤوف حجازي الذي شغل منصب السكرتير، وسعيد عزيز الحاج عيسى الذي كان يعمل خياطاً، ونصوح منوّر الذي كان يعمل في كتابة العرائض.[٨١] ومن الأعضاء الباقين: عبد القادر عبد الرحيم؛ عبد الرحمن الخضراء؛ صلاح شمّا؛ صبحي الشيخ طه؛ فؤاد الخضراء؛ رشدي علي؛ شفيق علي. وقد أصبح الأربعة الأوائل فيما بعد نشيطين جداً في صفوف الحركة الوطنية الصفدية، كما سنرى لاحقاً.

(٧٩) جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، «العروة الوثقى» (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٠)، ص ٧٥ ـ ٧٨.

(٨٠) أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم م/٢٢١ س/٢٦٨١، وثائق بتاريخ ٢٥/٨/١٩٣١، ٣١/٨/١٩٣١، ٦/٤/١٩٤٤؛ «فلسطين»، ٢/٥/١٩٣٣.

(٨١) أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم م/٥/١/٦١٧ س/٢٦٤١، وثيقة بتاريخ ٢٧/١١/١٩٤٦.

على الرغم من الهدف المعلن للنادي، والذي شمل عدة مجالات، كالاهتمام بالرياضة وتطوير التربية والآداب الإسلامية لدى الشبيبة،[٨٢] فإن أعضاءه اهتموا بمجالات أُخرى هي أقرب ما تكون إلى النشاط الوطني،[٨٣] إذ أسسوا حركة كشفية،[٨٤] وقاموا بنشاط وإرشاد وطنيين يرافقهما تنظيم ألعاب ونشاطات رياضية متنوعة. زد على ذلك أنهم عملوا على إلقاء محاضرات وتنظيم فعاليات تربوية إسلامية.[٨٥] كما نجحوا في توسيع اتصالاتهم إلى خارج صفد، فأقاموا تعاوناً مشتركاً مع نواد مشابهة في سورية والأردن.[٨٦] كذلك كان النادي يشارك في الاحتفال السنوي بذكرى المولد النبوي الشريف. وكان هذا الاحتفال أبرز تظاهرة إسلامية في المدينة والمنطقة، إذ كان يشارك فيه الآلاف من أبناء المدينة وقضائها. فعلى سبيل المثال، قدر عدد المشاركين في احتفالات سنة ١٩٣٥ بنحو أربعة آلاف شخص.[٨٧]

بالإضافة إلى ذلك، أصبح النادي أحد مراكز النشاط الوطني في المدينة. ومع نشوب ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ شارك كثيرون من أعضائه في صفوفها، وبرز منهم قائدا الثورة في المنطقة، رشيد محمود الشاعر وعبد الله الأصبح. وقد حظي هذا النشاط بالتقدير لدى كثيرين، وبدعم المفتي المقدسي الحاج أمين الحسيني، الأمر الذي أثار قلق السلطات فأغلقت النادي سنة ١٩٤٠ واعتقلت كثيرين من أعضائه.[٨٨]

ب) جمعية الشبان المسلمين

تأسست هذه الجمعية بتاريخ ١١ حزيران/يونيو ١٩٣٣، وضمت لجنتها الإدارية ١٢ عضواً، من أبرزهم المحامي عبد الرحمن النحوي الذي تولى رئاستها، ونصوح منوّر الذي عين سكرتيراً. أمّا باقي الأعضاء فهم: المحامي عبد الغني النحوي؛ سعيد عزيز الحاج عيسى؛ مصطفى النقيب؛ فؤاد الخضراء؛ محمد عبد الرحيم قدّورة؛ أحمد قاسم السلطي؛ عبد القادر حسين عبد الرحيم؛ حسن مصطفى عرب؛ علي

(٨٢) المصدر نفسه، ملف رقم ف/٣٤٨٤/٤٠١، وثائق من حزيران/يونيو ١٩٤٦.
(٨٣) «فلسطين»، ٢٨/١٢/١٩٣٢.
(٨٤) المصدر نفسه، ٢/٥/١٩٣٣.
(٨٥) المصدر نفسه، ٨/١١/١٩٣٢.
(٨٦) المصدر نفسه، ١١/٤/١٩٣٣.
(٨٧) «الدفاع»، ١٦/٦/١٩٣٥.
(٨٨) أرشيف دولة إسرائيل، م/٥/١/٦١٧ س/٢٦٤١، وثيقة بتاريخ ٢٧/١١/١٩٤٦.

حسين سويد؛ محمد سعيد صالح الأسدي.[٨٩]

تراوح سن المؤسسين بين ثلاثين وأربعين عاماً. ولا بد من الإشارة إلى أن المحامي عبد الرحمن النحوي هو أخو علي رضا، وأن عائلتهما تُعتبر من أعرق عائلات الأعيان في المدينة. وكان عبد الرحمن هو الذي بادر إلى إقامة الجمعية وترأسها، وربما فعل ذلك بهدف دعم مكانة عائلته الدينية التي تراجعت في عهد الانتداب.[٩٠]

في ٣٠ حزيران/يونيو ١٩٣٥، تم انتخاب لجنة إدارية جديدة ضمت وجوهاً جديدة من عائلات أُخرى، إلاّ إن عبد الرحمن النحوي واصل ترؤسه لها. وإذا قارنا تركيبة اللجنة الإدارية المنتخبة في ١١ حزيران/يونيو ١٩٣٣ بتلك المنتخبة في ٣٠ حزيران/يونيو ١٩٣٥، نرى اتساعاً في التمثيل العائلي، إذ انضم إليها أبناء عائلات أُخرى كسعد الدين والأسدي والكبرا والنقيب ومراد. وفي سنة ١٩٣٥ أصبح نصوح منوّر، الذي كان سكرتيراً، نائب الرئيس؛ وهذا ما ينسجم مع النشاط الفعال الذي قام به.[٩١] كما يبرز بصورة خاصة غياب أبناء عائلة قدّورة، الأمر الذي يدل على جو التنافس بينها وبين آل النحوي.[٩٢]

في تلك السنة افتتحت الجمعية مركزين لها: الأول في ساحة سوق الجمعة، والثاني في حارة الصواوين. وتمحور نشاطها حول ما سمته الطقوس الإسلامية الوطنية، وهذا ما يدل على رغبتها في ربط النشاط الديني بالشؤون الوطنية. وقد شاركت الجمعية في احتفالات ذكرى المولد النبوي الشريف.[٩٣] وعارضت بيع الأراضي لليهود في منطقتي صفد وسهل الحولة.[٩٤] كما اهتمت بدعم عائلات صفد التي كانت تضررت نتيجة أحداث سنة ١٩٢٩ واعتقال العشرات من أبنائها، والتي باتت من دون مصدر رزق.

(٨٩) المصدر نفسه، ملف رقم م/١٣٥ س/٢٦٧٨، وثائق بتاريخ ١١/٦/١٩٣٣، ٢٩/٦/١٩٣٣، ٩/١٢/١٩٣٣؛ بيان نويهض الحوت، «القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين، ١٩١٧ ـ ١٩٤٨» (عكا: دار الأسوار، ١٩٨٤)، ص ٨٦٣.
(٩٠) أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم م/١٣٥ س/٢٦٧٨، وثيقة بتاريخ ٩/٩/١٩٣٣.
(٩١) المصدر نفسه، ملف رقم م/١٣٥ س/٢٦٧٨، وثيقة بتاريخ ٣/٧/١٩٣٥.
(٩٢) المصدر نفسه، ملف رقم م/١٣٥ س/٢٦٧٨، وثيقتان بتاريخ ٣٠/٦/١٩٣٥، ٣/٧/١٩٣٥.
(٩٣) «الدفاع»، ٤/٦/١٩٣٥، ٧/٦/١٩٣٥.
(٩٤) «فلسطين»، ٢٠/٧/١٩٣٣.

ولا بد من الإشارة إلى أن عضوين بارزين في الجمعية، هما نصوح منوّر وسعيد عزيز الحاج عيسى، كانا أيضاً عضوين في النادي الرياضي الإسلامي، وهو ما يدل على العلاقة والتعاون المشترك بين النادي والجمعية اللذين تلاقيا، إلى حد كبير، بالنهج والأهداف. إلاّ إن جمعية الشبان المسلمين كان لها تأثير أوسع؛ فرئيسها المحامي عبد الرحمن النحوي كان من منظّري الحركة ومثقفاً واسع المعرفة، فضلاً عن أنه يتحدر من أسرة علماء وأعيان.

شكلت إقامة كل من النادي والجمعية نقطة انطلاق في النشاط الديني، جاء ليلبي التطلعات والتحديات الوطنية. فقد صعب على العلماء القدامى العمل بطرق جديدة، ولذلك حل محلهم الشباب المثقف ذو الانتماء الديني والقومي. وقد عرف هؤلاء الشبان كيف يوجهون الشعور الديني ليصب بكل ثقله في الصراع الوطني، وذلك عن طريق النشاط التربوي والرياضي، الأمر الذي أوصلهم في نهاية المطاف إلى مواجهة مباشرة مع سلطات الانتداب البريطاني.

* * *

تلخيصاً لهذا الفصل يمكن القول إن صفد كانت مركزاً دينياً بارزاً، ويدل على ذلك كثرة عدد المؤسسات الدينية فيها: ٧ مساجد و٣ زوايا، فضلاً عن أملاك الأوقاف الواسعة. كذلك كان عدد العلماء الكثير والعائلات النشيطة في المجال الديني بارزاً وملحوظاً. فالقضاة الصفديون من عائلات النحوي وسعد الدين والمفتي وقدّورة عملوا في عدة مدن في فلسطين، حتى إنهم وصلوا إلى شرق الأردن.

ولعل من ميزات عهد الانتداب التحولات في الزعامة الدينية، وخصوصاً تراجع المكانة الدينية لعائلة النحوي التي أخذت تهتم أكثر بالعمل في مجالي المحاماة والإدارة.

كذلك يلاحَظ أنه طوال فترة الانتداب، وخلافاً للفترة العثمانية، لم يُبنَ في المدينة أي مسجد، كما أن المسلمين خسروا نهائياً أراضي الوقف الأسدي في جبل كنعان.

يتناول هذا الفصل
علاقات الأعيان العرب،
القروي والبدوي، ومجـ
على الصعيدين السياسي
هناك عدة دراسا
تطرق إلى المنطقة بكام
في فلسطين فلم تحظَ
تمت كجزء من دراسة
١٩٣٦ ـ ١٩٣٩.(٢)

(١) ...ory (London: Frank ...Change in the Middle ...anis, eds., *The Rural* ...stine: Merchants and* ...ersity of California ...uction to the Sources* ...ik, «The Emergence ... (1984), pp. 105-126; غبرائيل باير، «مدخ... (بالعبرية)، (تل أبيـ...

(٢) بشأن مزيد من المعل... الوطنية العربية الف... ١٩٧٨)؛ يوفال أرن... الفلسطينية، ١٩٢٩ ... أوحانه، «الفلاحون... elm, 1984), pp. 65-...reat Revolt (1936-...n & New York:

الفصل السادس

صفد والمنطقة القروية في عهد الانتداب

علاقات وتوترات

يتناول هذا الفصل العلاقات بين المدينة والريف في قضاء صفد، وبصورة خاصة علاقات الأعيان العرب، من أصحاب الأراضي والتجار، بزعامة المنطقة الريفية بقطاعيها القروي والبدوي، ومجريات تطور هذه العلاقات، ومميزاتها والعوامل التي أثرت فيها على الصعيدين السياسي والاقتصادي، وذلك منذ أواخر الفترة العثمانية حتى سنة ١٩٤٨.

هناك عدة دراسات تناولت علاقات المدينة والريف في الشرق الأوسط، بعضها تطرق إلى المنطقة بكاملها، وبعضها الآخر تناول الموضوع في دول محددة.[١] أمّا في فلسطين فلم تحظَ هذه العلاقة حتى الآن بدراسة جادة شاملة، وفي أغلب الأحيان تمت كجزء من دراسة العلاقة السياسية الأوسع أو الأحداث القطرية الأشمل، كثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩.[٢]

(١) G. Baer, *Fellah and Townsman in the Middle East: Studies in Social History* (London: Frank Cass, 1982); R. Antoun & I. Harik, eds., *Rural Politics and Social Change in the Middle East* (Bloomington: Indiana University Press, 1972); K. & P. Glavanis, eds., *The Rural Middle East* (London: n. p., 1989); B. Doumani, *Rediscovering Palestine: Merchants and Peasants in Jabal Nablus, 1700-1900* (Berkeley, California: University of California Press, 1995); S. Faroqhi, *Approaching Ottoman History: An Introduction to the Sources* (Cambridge: Cambridge University Press, 1999), pp. 82-110; H. Inalcik, «The Emergence of Big Farms, Giftliks: State Landlords and Tenants,» *Turcica*, vol.3 (1984), pp. 105-126;

غبرائيل باير، «مدخل إلى تاريخ العلاقات الزراعية في الشرق الأوسط، ١٨٠٠ ـ ١٩٧٠» (بالعبرية)، (تل أبيب: لا دار نشر، ١٩٧٢).

(٢) بشأن مزيد من المعلومات، أنظر: يهوشواع بورات، «من الاضطرابات إلى الثورة: الحركة الوطنية العربية الفلسطينية، ١٩٢٩ ـ ١٩٣٩» (بالعبرية)، (تل أبيب: لا دار نشر، ١٩٧٨)؛ يوفال أرنون ـ أوحانه، «سيف من الداخل: الصراع الداخلي في الحركة الوطنية الفلسطينية، ١٩٢٩ ـ ١٩٣٩» (بالعبرية)، (تل أبيب: لا دار نشر، ١٩٨١)؛ يوفال أرنون ـ أوحانه، «الفلاحون في الثورة العربية» (بالعبرية)، (تل أبيب: لا دار نشر، ١٩٧٨)؛

P.A. Sniith, *Palestine and the Palestinians, 1876-1983* (London: Groom Helm, 1984), pp. 65-68; T. Swedenburg, «The Role of the Palestinian Peasantry in the Great Revolt (1936-1939),» in I. Pappe, ed., *The Israel/Palestine Question* (London & New York: Routledge, 1999), pp. 129-167.

لا شك في أن فترة الثورة مهمة ومثيرة، إذ برز فيها الفلاحون عاملاً أساسياً في الصراع ضد الإنكليز والحركة الصهيونية. لكن كي نفهم التحول الذي حدث في ميزان القوى، وفي علاقات المدينة بالريف، لا بد من دراسة هذه العلاقات في الفترة التي سبقت الثورة، وفي الفترة التي تلتها.

نحن لا نزعم هنا إعطاء أجوبة عن مجمل تطور العلاقات بين المدينيين والقرويين في مناطق أُخرى من فلسطين، فهذا يتطلب إجراء أبحاث أُخرى. على العموم سنحاول الإجابة عن قضايا وأسئلة رئيسية هي: كيف كانت طبيعة ونوعية العلاقات في نهاية العهد العثماني؟ متى وكيف تمكن الأعيان في المدينة من السيطرة على مساحات شاسعة من الأراضي في القضاء، وكيف كانت ردة فعل البدو والفلاحين على ذلك؟ هل كان هناك فارق بين طبيعة علاقة كل من البدو والفلاحين بالمدينة، وما هي طبيعة العلاقات التي سادت بين الجانبين في العقدين الأولين للانتداب قبل ثورة ١٩٣٦؟ هل كان ثمة تنسيق بين قرى القضاء والهيئات السياسية القروية الأُخرى في البلد؟ ما هو الدور الذي أداه كامل الحسين، الزعيم القروي البارز من قرية الخالصة؟ لماذا ساءت العلاقات بين المدينة والقرية بعد سنة ١٩٣٦، الأمر الذي أدى إلى ازدياد التوتر والعداوة بينهما، وما هو الدور البريطاني والدور الصهيوني في هذا الخصوص؟ أخيراً، كيف أثرت علاقات العداوة بين المدينة والقرية في إمكان الصمود والوحدة بين عرب القضاء عشية حرب ١٩٤٨؟

أولاً: مساحة القضاء ومبناه الديموغرافي

حدّ قضاء صفد من الشمال والشرق كل من لبنان وسورية، ومن الغرب قضاء عكا، ومن الجنوب قضاء طبرية. وكان قضاء صفد أحد الأقضية الكبيرة في فلسطين، وقد طرأ على مساحته بعض التغيير. ففي سنة ١٩٢٢ كانت مساحته ٩٤٣ كم^2، وطبقاً للإحصاء البريطاني الرسمي في ١٨ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٣١ امتد القضاء على مساحة ٧١٢ كم^2، وفي سنة ١٩٤٤ تقلصت المساحة إلى ٦٨١,٩ كم^2. أمّا الكثافة السكانية لكل كم^2 فكانت ٤٦,٢ نسمة سنة ١٩٢٢، ووصلت إلى ٥٥,٨ نسمة سنة ١٩٣١، وإلى ٧٨,٦ نسمة سنة ١٩٤٤.(٣)

منذ سنة ١٩٢٣ ضم قضاء صفد ٩٠ قرية؛ وبهذا يأتي في المرتبة الثانية بعد

(٣) CO 821/19/4/1944, Palestine Blue Book, p. 262.
من الجدير بالذكر أن مساحة القضاء تغيرت سنة ١٩٤٥ وبلغت ٦٩٦ كم^2.

قضاء نابلس الذي ضم ٩٨ قرية سنة ١٩٣١. أمّا الأقضية المجاورة لصفد فكانت أصغر كثيراً. فقضاء عكا مثلاً ضم ٦٠ قرية، وقضاء طبرية ٤٨ قرية. وكانت قرى صفد موزعة بين سهل الحولة والمنطقة الجبلية.

بلغ عدد البيوت في القضاء ٨٤٣١ بيتاً، منها ٢١٢٦ في صفد و٦٣٠٥ في القرى. وكان معدل عدد الأشخاص في البيت الواحد ٤,٧١، في حين بلغ عدد البيوت في كل كم^2 ١١,٨٤ بيتاً.(٤)

كانت أغلبية قرى القضاء متوسطة وصغيرة، وفي ١٠ منها فقط بلغ عدد سكانها أكثر من ١٠٠٠ نسمة. وكانت قرية الخالصة الواقعة في الطرف الشمالي الغربي من سهل الحولة أكبرها، إذ بلغ عدد سكانها سنة ١٩٤٥ نحو ١٨٤٠ نسمة. وكانت قرية هونين القريبة من الخالصة أكبر قرى المنطقة الجبلية، إذ بلغ عدد سكانها ١٦٢٠ نسمة في السنة نفسها.(٥)

وكان سكان القضاء، في معظمهم، من القرويين كما يتضح من الجدول التالي الذي يشمل السكان اليهود أيضاً.

التوزيع الديموغرافي لسكان صفد وقضائها

السنة	عدد الأشخاص في القضاء	عدد الأشخاص في صفد	النسبة المئوية لسكان المدينة
١٩٢٢	٢٢,٧٩٠	٨٧٦١	٪٣٨,٤٤
١٩٣١	٣٩,٧١٣	٩٤٤١	٪٢٣,٧٧
١٩٤٤	٥٣,٦٢٠	١١,٩٣٠	٪٢٢,٢٤

المصدر: CO 123/821/11/1936, Palestine Blue Book, p. 123, CO 821/13/1938, ibid., pp. 330-331, CO 821/19/1944, ibid., p. 260.

تشير المعطيات إلى ازدياد دائم في عدد سكان القرى، وإلى تراجع عدد سكان المدينة إلى الخُمس. وقد نتج هذا التراجع الواضح بعد سنة ١٩٢٢، في الأساس، من ضم آلاف القرويين إلى القضاء بعد اتفاقية الحدود الموقعة بين سلطتي الانتداب الفرنسي والبريطاني سنة ١٩٢٣، وكذلك من الهجرة من صفد، وخصوصاً هجرة

(٤) CO 821/13/1938, Palestine Blue Book, pp. 330-331.

(٥) مصطفى مراد الدباغ، «بلادنا فلسطين» (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٤)، الجزء السادس - القسم الثاني، ص ٣٥.

السكان اليهود. وأدى كل ذلك إلى اتساع الفارق في النسبة بين صفد وقضائها.[٦] أضف إلى ذلك أن صفد لم تشكل في الواقع مركزاً جاذباً للهجرة، إذ إن كل من كان يرغب في الهجرة من القرويين كان يفضل الانتقال إلى حيفا لا إلى صفد.

إن مقارنة المعطيات الديموغرافية بين نسبة المدينيين والقرويين في أقضية مجاورة، سنة ١٩٣١، تشير إلى أن نسبة المدينيين في قضاء طبرية كانت ٣٢٪، وفي قضاء الناصرة ٣١٪، وفي قضاء حيفا ٥٦٪.[٧] وهذا يعني أن أغلبية سكان قضاء صفد، أي ٧٨٪، كانت من القرويين. وقد أثر هذا الفارق في النسبة بين الفئتين في العلاقات المتبادلة بينهما بعد سنة ١٩٣٦، كما سنرى لاحقاً.

نشير إلى أن القرويين لم يكونوا متجانسين اجتماعياً. فبين القرى التسعين كان هناك ثلاثة عشر تجمعاً بدوياً قبلياً، هي: عرب السياد؛ عرب الحمدون؛ عرب الخرانبه؛ عرب الدكّة؛ عرب الزبيد؛ عرب الشمالنة؛ عرب القديرية؛ عرب الهيب؛ الرساتمة؛ عرب التلاوية؛ عرب النميرات؛ عرب السمكية؛ عرب الغوارنة.[٨]

إضافة إلى ذلك كان في القضاء ٥ قرى سكنها المهاجرون الجزائريون، الذين قدموا إلى المنطقة مع أميرهم عبد القادر الجزائري في أعقاب احتلال فرنسا للجزائر سنة ١٨٣٠، وهي ديشوم وماروس وعموقة والتليل والحسينية، وثمة قرية شركسية هي قرية ريحانية، و٦ قرى شيعية هي آبل القمح وهونين والنبي يوشع وصلحة وقَدَس والمالكية، وقرية مسيحية واحدة هي قرية كفر برعم، ثم قرية الجش المختلطة من المسيحيين والمسلمين، وقرية مختلطة أُخرى من الدروز والمسيحيين والمسلمين هي قرية حرفيش، أمّا بقية القرى فكانت كلها مسلمة سنّية.[٩]

(٦) من الجدير بالذكر أن عدد يهود صفد انخفض من ٢٦٨٨ نسمة سنة ١٩١٨ إلى ١٩٥٢ نسمة خلال ١٩٤٤ ـ ١٩٤٥.

(٧) CO 821/13/1938, Palestine Blue Book, pp. 331-332.

(٨) CO 742/3, «Safad Sub-District Tribal Areas,» *Official Gazette*, 163, 16 May 1926, pp. 252-256.

(٩) الدباغ، مصدر سبق ذكره، الجزء السادس ـ القسم الثاني، ص ١٤١ ـ ٢٤١.

التركيبة الدينية لسكان المنطقة القروية في قضاء صفد، بحسب إحصاءي ١٩٢٢ و١٩٣١ وتقدير سنة ١٩٤٤

السنة	جميع الديانات	مسلمون (سنة وشيعة ودروز)		يهود		مسيحيون		آخرون	
		العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
١٩٢٢	١٤,٠٢٩	١١,٨٧٥	٨٤,٦٥	٨٥٨	٦,١١	٩١٠	٦,٤٨	٣٨٦	٢,٧٦
١٩٣١	٣٠,٢٧٢	٢٧,٥١٠	٩٠,٨٨	١١٣١	٣,٧٤	١١٤٩	٣,٨٠	٤٨٢	١,٥٨
١٩٤٤	٤١,٦٩٠	٣٥,٤١٠	٨٤,٩٤	٤٣٠٠	١٠,٣١	١٢٠٠	٢,٨٨	٧٨٠	١,٨٧

المصدر: Area Houses and Population Censuses, 1922 and 1931; CO 821/11/1936, Palestine Blue Book, p. 124, CO 821/19/1944, ibid., p. 260.

على الرغم من الفوارق الاجتماعية فإنه يبدو أن الأكثرية الساحقة من السكان كانت من المسلمين. وقد ازداد عددهم ازدياداً ملحوظاً من ١١,٨٧٥ نسمة سنة ١٩٢٢ إلى ٢٧,٥١٠ نسمات سنة ١٩٣١. وكان السبب الأساسي في هذا الازدياد التعديلات التي أجريت على الحدود سنتي ١٩٢٢ و١٩٢٣، علماً بأن الحد بين كل من سورية ولبنان وبين فلسطين كانت أقرته نهائياً لجنة نيوكومب ـ بوليه، وصادقت عليه حكومتا الدولتين المنتدبتين في ٧ آذار/مارس ١٩٢٣. وألحق الحد الجديد بقضاء صفد ١٩٢ كم^2 إضافياً، بما فيها ٢٠ قرية كانت تخضع سابقاً للحكم الفرنسي،[١٠] وقد قدّر البريطانيون عدد سكان هذه المنطقة بنحو ١٠,٠٠٠ نسمة.[١١] أغلبيتهم الساحقة من المسلمين

ولا بد من الإشارة إلى أمر آخر هو الزيادة الملموسة في عدد السكان اليهود، إذ ارتفع عددهم من ١١٣١ نسمة سنة ١٩٣١ (٣,٧٤٪) إلى ٤٣٠٠ نسمة سنة ١٩٤٤ (١٠,٣١٪). وقد نجم هذا الارتفاع عن اتساع حركة الاستيطان خلال العقد الأخير من الانتداب.

(١٠) موشيه برابر، «حدود أرض إسرائيل، ماضياً وحاضراً ومستقبلاً: دراسة جغرافية سياسية» (بالعبرية)، (تل أبيب: مطبعة يبني، ١٩٨٨)، ص ١٠٥ ـ ١١٠.

(١١) «Rural Population,» CO 821/13/1938, Palestine Blue Book, p. 331.

ثانياً: ضعف المنطقة القروية وترسيخ قوة العائلات المدينية

خلافاً لمناطق أُخرى في فلسطين، لم يكن في المنطقة القروية لقضاء صفد عائلات ذات نفوذ بارز وقوي.[١٢] فمنذ القضاء على حكم الشيخ ظاهر العمر والأسرة الزيدانية سنة ١٧٧٥، لم يبرز في المنطقة أي عائلة قروية. كما أن الحكم المصري (١٨٣١ ـ ١٨٤٠) قمع بقوة عائلات المدينة خلال ثورة ١٨٣٤ ونفى بعض زعمائها. ومن بعده طبق العثمانيون، خلال حقبة التنظيمات، أنماط إدارة تختلف عن تلك التي كانت مألوفة في القرنين السابع عشر والثامن عشر. فالتنظيمات، بما فيها قانون الولايات لعام ١٨٦٤، أوجدت مبنى إدارياً مركزياً منظماً ومستقراً، الأمر الذي دعم وعزز مكانة السلطة في مدن الألوية والأقضية معاً.

لقد كان للمؤسسات الإدارية التي أنشئت بعد تطبيق التنظيمات تأثير كبير في المبنى الاجتماعي للمدينة وقضائها. فإقامة المجالس الإدارية أضعفت شيوخ الريف، وعززت في المقابل ارتباط عائلات الأعيان بالحكم المركزي. وشيئاً فشيئاً سيطرت هذه العائلات على الأجهزة الإدارية الجديدة، كالمجلس البلدي ودائرتي المالية والطابو والمجالس والمحاكم المدنية، بالإضافة إلى سيطرتها التقليدية على المحاكم الشرعية والأمور الدينية والتجارة.[١٣] كذلك تمكنت عائلات الأعيان من السيطرة بطرق متعددة على مساحات شاسعة من أراضي المنطقة القروية، مستغلة بذلك قانون الأراضي الصادر في ١٤ كانون الأول/ديسمبر ١٨٥٨، والذي سمح ببيع أراضي الميري التابعة للدولة لكل من يرغب في الشراء في مقابل استغلالها ودفع ضرائبها.

(١٢) إحسان النمر، «تاريخ جبل نابلس والبلقاء» (نابلس: مطبعة النصر، ١٩٦١)، ج ١، ص ١٦٦؛ مصطفى العباسي، «تاريخ آل طوقان في جبل نابلس» (شفاعمرو: دار المشرق، ١٩٩٠)، ص ٣١ ـ ٤٥.

(١٣) نوفل نعمة الله نوفل (مترجم)، «الدستور العثماني: مجموعة التنظيمات العثمانية» (بيروت: المطبعة الأدبية، ١٣٠١هـ)، ج ١، ص ٨ ـ ١١؛

A. Cohen, *Palestine in the 18th Century: Patterns of Government and Administration* (Jerusalem: The Magnes Press, The Hebrew University, 1973), pp. 55-66, 92-97; M. Ma'oz, *Ottoman Reform in Syria and Palestine, 1840-1861: The Impact of the Tanzimat on Politics and Society* (Oxford: Clarendon Press, 1968), pp. 89-92; A.H. Hourani, «Ottoman Reform and the Politics of Notables,» in W.R. Polk & R.L. Chambers, eds., *Beginnings of Modernization in the Middle East: The Nineteenth Century* (Chicago, Ill.: University of Chicago Press, 1968), pp. 44-49.

في أغلب الحالات كان الذين اشتروا الأراضي من أغنياء المدن.[١٤] وبمرور الزمن امتلك هؤلاء آلاف الدونمات الإضافية، وذلك جرّاء الهيمنة والحماية اللتين بسطوهما على القبائل وسكان القرى التي كانت بحاجة إلى دعمهم ووساطتهم.

تنبهت صحيفة «ثمرات الفنون» البيروتية لهذه الظاهرة، فأشارت إلى أن كل قبيلة من قبائل القضاء كانت مرتبطة بأحد الأعيان الذي دافع عنها أمام السلطة، إذ كتبت: «وكل قبيلة من هذه القبائل منسوبة إلى أحد الوجوه في صفد، فإن شكا أحد من الناس إلى الحكومة من أعمال هذه القبائل تصدى له حاميها.»[١٥]

كذلك، ونظراً إلى تخوف القرويين والبدو من دفع الضرائب والتجنيد فقد كانوا يمتنعون من تسجيل أراضيهم بأسمائهم. فاستغل أعيان المدن ذلك وسجلوا الأراضي بأسمائهم، مبقين في الوقت نفسه سكانها مكانهم، فحرث هؤلاء تلك الأراضي وزرعوها في مقابل الحصول على قسم من الغلة. وفي حالات أُخرى كان القرويون يستدينون الأموال من أعيان المدن ويرهنون أراضيهم في مقابل ذلك. وقد يحدث ألاّ يتمكن هؤلاء من إعادة تلك الأموال فتصبح الأراضي المرهونة ملكاً للأعيان. وأحياناً أُخرى كان القرويون يلجأون إلى الأعيان في حال وقوع جرائم القتل فيما بينهم، تماماً كما حدث مع سكان من قرية حرفيش اتُهموا بجريمة قتل. وبغض النظر عما إذا كانت هذه التهمة صحيحة أم لا، فقد طلبوا مساعدة آل قدّورة من صفد للتوسط لدى السلطات. وفي مقابل تلك الوساطة حصل آل قدّورة على مساحات واسعة من أراضي القرية.[١٦]

يبين الجدول التالي عائلات كبار الملاّك وقراهم وأراضيهم ومساحتها:

(١٤) A. Granott, *The Land System in Palestine: History and Structure* (London: Eyre and Spottiswoode, 1952), pp. 73-82; Smith, op. cit., pp. 17-29.

(١٥) «ثمرات الفنون»، ٧/٩/١٨٨٧.

(١٦) Horace B. Samuel, *Unholy Memories of the Holy Land* (London: L. and Virginia Woolf, 1930), p. 204.

قرى ومساحات أراضي العائلات الصفدية في المنطقة القروية

العائلة	القرى/ الأراضي	مساحة الملكية بالدونمات
قدّورة	كراد البقارة، كراد الغنامة	٤١٤٧
	الزنغرية	١١,٠٣٣
	القديرية	٢٣٠٣
	السموعي	٦٠٠٠
	الشونة	١٩٠٣
	حرفيش	٥٦٠٠
	غباطية والحميمة	٢٩٣٣
	فارة	٧٢٢٩
	جب يوسف	١٨١٢
	المجموع	٤٢,٩٦٠*
صبح	جاحولا	٢٢٠٠
	البويزية	١٣٢١
	ميرون	٣٠٠٠
	المجموع	٦٥٢١
مراد	عرب الشمالنة	١٤,٨١٠
النحوي	بيسمون	١٩٣٠
حسن بك شركس	دلاتا	٣٥٠٠
خوري	عرب السمكية/ يرداة	٢٠٠٠
الكنيسة المارونية	٣٠٪ من أراضي قديتا	٥٣٠
	الحسينية	٢٨٦
	خربة الحقاب	٢١٢
	المفتخرة	١٢٣٠
	المجموع	٢٤,٤٩٨
	* المجموع	٧٣,٩٧٩ دونماً

المصدر: الأرشيف الصهيوني المركزي، ملف رقم KKL 5/17001، قائمة ملكية الأراضي، بتاريخ ١٩٤٧/١٢/٣١، وبيانات أُخرى من دون تاريخ؛ أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم ف/ ٢٦٧٣/٣٧٩، لا تاريخ؛ أرشيف الهاغاناه، سجلات القرى، ملفان رقم ٨/١٩٨، ٨/٢٠٤، دلاتا، عرب الشمالنة؛ أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم م/ ٤١٨ من/ ٢٦٨٤، رسالة من زكي قدّورة إلى دائرة الأراضي بتاريخ ١٩٤١/١٠/١٤.

* بلّغني السيد حكمت محمد قدّورة أن مساحة أراضي آل قدّورة بلغت نحو ١٠٠,٠٠٠ دونم. ونظراً إلى عدم تمكني من الوصول إلى وثائق العائلة، فقد كان من غير الممكن التحقق من صحة هذا الرقم. وبالتالي اعتمدت على المصادر التي في حيازتي والتي تشير إلى المساحة المذكورة آنفاً.

تشير المعطيات في الجدول أعلاه إلى أن سيطرة عائلات الأعيان كانت واسعة، وشملت أراضي في ٢٠ قرية، تبلغ مساحتها الإجمالية ٧٣,٩٧٩ دونماً، وهذا يدل على مدى ارتباط السكان في تلك القرى بكبار الملاّك. وإذا أضفنا إلى هذا الجدول كبار الملاّك من السوريين واللبنانيين، الذين سيطروا على ٧٦,١٨٥ دونماً إضافياً،[١٧] يصبح مجموع المساحة التي كانت في حيازة كبار الملاّك ١٥٠,١٦٤ دونماً؛ أي ما يساوي ٢٢٪ من مساحة القضاء.

من هنا يتبين أن هيمنة هؤلاء الملاّك على شؤون الريف كانت كبيرة، وخصوصاً في منطقة سهل الحولة.[١٨]

ثالثاً: القبائل البدوية والملاّك المدينيون

أشرنا سابقاً إلى أنه كان في قضاء صفد ١٣ قبيلة بدوية، انتشر معظمها في المناطق الواقعة جنوبي المدينة وشرقيها.[١٩] ولعل هذا الوجود البدوي الكبير نابع من المبنى الجغرافي للجليل الأعلى الشرقي ولمنطقة الحولة، حيث تكثر الأراضي الوعرة الغنية بالمراعي والينابيع. أضف إلى ذلك قرب قضاء صفد من شرق الأردن والجولان اللذين كانا يتميزان بوجود بدوي كثيف.[٢٠]

معظم هذه القبائل عاش من تربية المواشي، والبعض من الزراعة، والبعض الآخر من صيد السمك وصناعة الحصر من نباتات البردي التي كانت تنمو بكثرة في مستنقعات الحولة.[٢١]

(١٧) أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم ف/ ٢٦٧٣/ ٣٧٩، جدول من دون تاريخ.
أنظر أيضاً: الأرشيف الصهيوني المركزي، ملف رقم KKL5/1700، قائمة أراضي الملاّك الغائبين من سورية ولبنان.

(١٨) بشأن هذه الصراعات، أنظر: يعقوب هروزين، «رؤيا الاستيطان في الجليل» (بالعبرية)، (القدس: لا دار نشر، ١٩٧١)، ص ٨٢ ـ ٨٣؛ ي. غولدشتاين و ي. بن ـ آرتسي، «موشافاه غير آهلة: قضية عين زيتيم، ١٨٥٠ ـ ١٩١٠» (بالعبرية)، (حيفا: لا دار نشر، ١٩٩٠)، ص ٤٨.

(١٩) خريطة صفد، Sheet 2، ١٩٣١، مقياس رسم ١:١٠٠,٠٠٠.

(٢٠) أ. مدزيني، «استيطان البدو في الجليل»، في: أ. شموئيل (تحرير)، «بلاد الجليل» (بالعبرية)، (حيفا: جامعة حيفا ووزارة الدفاع، ١٩٨٣)، الجزء الثاني، ص ٥٤٩ ـ ٥٥١؛ دافيد غروسمان، «القرية العربية وبناتها: مسيرات في الاستيطان العربي في أرض إسرائيل في العهد العثماني» (بالعبرية)، (القدس: لا دار نشر، ١٩٩٤)، ص ٨٦ ـ ٩٠.

(٢١) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، سهل الحولة، ص ٥ ـ ٩، ملف رقم ١٠٥/ ٩٦، تقرير بن مئير، أخبار من صفد.

لعل من أهم التغيرات التي شهدها الوسط البدوي في عهد الانتداب تحول البدو من حياة الترحال إلى الاستقرار الدائم. فقد أخذ أبناء هذه العشائر في الاستقرار وبناء بيوت اللَبِن والحجر بدلاً من الخيام. وهذا ما نتج منه ازدياد الارتباط بين البدو والأرض. كما أن إقامة الحواجز الحدودية بين فلسطين وكل من سورية ولبنان والأردن عرقلت حركة الترحال، وشجعت على الاستقرار. ويلاحَظ أنه كلما تعمقت وازدادت رابطة البدو بالأرض ازداد قلق الملاّك في صفد، ولا سيما أن البدو كانوا مسلحين ومتضامنين ويشكلون قوة لا يستهان بها.

إضافة إلى الاستقرار أخذ البدو يظهرون قدراً أكبر من الاستقلالية، ويستغنون عن خدمات ووساطة أعيان المدن التي كانوا بحاجة ماسة إليها في العهد العثماني. ففي عهد الانتداب أصبح الحكم مباشراً ومركزياً، الأمر الذي أدى إلى تراجع وضعف مكانة الوسطاء من أبناء عائلات الأعيان.

في هذا الإطار أخذ البدو يعملون للتحرر من الهيمنة عليهم في المجال الأهم عندهم، وهو مجال الأراضي، الأمر الذي أدى إلى نشوب نزاعات مستمرة بينهم وبين عائلات الأعيان. وأكثر النزاعات بروزاً، في الفترة التي تغطيها هذه الدراسة، النزاع بين الملاّك من آل مراد وبين قبيلة عرب الشمالنة القاطنة شمالي بحيرة طبرية.

بلغت مساحة أراضي هذه القبيلة نحو ١٤,٨١٠ دونمات. وقد سُجلت هذه الأراضي سنة ١٨٨٤ باسم الطرفين مناصفة. لكن يبدو أن زعماء العشيرة باعوا حصتهم لآل مراد سنة ١٨٩٤، فباتت الأرض كلها ملكاً لهذه العائلة.

مع بداية الانتداب أنكر شيوخ العشيرة أنهم باعوا حصتهم من الأرض، ورفعوا قضية أمام المحاكم ضد آل مراد، فصدر الحكم لمصلحة هذه العائلة، الأمر الذي أدى إلى تصعيد الخلاف. ولمّا فشلت القبيلة في الوصول إلى مبتغاها بالطرق القانونية لجأت إلى أمر غير مسبوق، إذ أعلن أبناؤها ارتدادهم عن الإسلام واعتناقهم اليهودية، وأخذوا يمارسون الطقوس الدينية اليهودية ويقدسون يوم السبت، وتوجهوا إلى السلطات بطلب تسجيلهم يهوداً.[٢٢]

أثارت هذه القضية أصداء واسعة في أرجاء فلسطين كافة، فتدخل كثيرون من الوجهاء والزعماء لتدارك الموقف. وقد برز بين الوسطاء الحاج محمد أمين الحسيني، مفتي القدس، والشيخ أسعد الشقيري، كبير علماء عكا في حينه. وبعد ضغوط وتهديدات نفى زعيم القبيلة، الشيخ مصطفى الصالح، ما نشر في الصحف من أن

(٢٢) «الكرمل»، ١٣/٨/١٩٢٤، ٢٣/٨/١٩٢٤.

القبيلة ارتدت عن الإسلام، واتهم يهودياً من مستعمرة عين زيتيم بالتسبب بهذه الفتنة، إذ كان وعدهم أن الحركة الصهيونية ستقدم لهم يد العون والمساعدة ضد آل مراد إذا ارتدوا عن الإسلام. وقد ادعى الشيخ مصطفى أيضاً أن هذا الارتداد لم يكن إلاّ ظاهرياً، وأن أبناء عشيرته مسلمون متمسكون بعقيدتهم.[٢٣]

لم تنته هذه القضية عند هذا الحد، وإنما بقيت معلقة طوال فترة الانتداب. ونظراً إلى استمرار الخلاف هدد أفراد من آل مراد بأنهم سيقومون ببيع أراضيهم لليهود،[٢٤] فرد عرب الشمالنة بإطلاق النار واغتيال أحد أبناء الأسرة في ١٣ أيار/مايو ١٩٤٦.[٢٥]

ثمة نزاع آخر نشب بين عائلة قدّورة وقبيلة عرب القديرية، التي كانت تقيم جنوبي شرقي مدينة صفد. وكما كانت الحال بين آل مراد وعشيرة الشمالنة، أخذ أبناء عشيرة القديرية في الاستيطان الدائم وبناء المنازل على أراضي آل قدّورة. فثار نزاع بين الطرفين تخلله أعمال عنف متبادلة. وأصر زعيم القبيلة الشيخ خالد المعجل على التمسك بحق العشيرة في الأرض. وبعد أعوام من الأخذ والرد توصل الطرفان إلى حل سنة ١٩٤٣، وحصلت القبيلة على جزء من الأراضي.[٢٦]

كذلك نشب خلاف بين آل قدّورة وقبيلة الزنغرية التي كانت تقيم شرقي صفد، حيث كانت مساحات مهمة من أراضي الزنغرية ملكاً لآل قدّورة. وعندما حاول زعماء العشيرة الاستيلاء على هذه الأراضي هدد آل قدّورة ببيعها،[٢٧] الأمر الذي ردع عشيرة الزنغرية عن تنفيذ نياتها.

إضافة إلى هذه الحالات الثلاث من النزاع، جرت عدة نزاعات بين أفندية صفد والسكان البدو، لكنها لم تصل إلى الحدة والعنف أنفسهما.

من هذه النزاعات نذكر النزاع بين آل خوري وقبيلة عرب السمكية التي كانت تقطن في المنطقة الشمالية المشاطئة لبحيرة طبرية. وكان سبب النزاع مرتبطاً بحقوق

(٢٣) المصدر نفسه، ٣٠/٨/١٩٢٤.

(٢٤) ملف جمعية الشبان العرب، وثيقة رقم ٢٣، بتاريخ ٦/٣/١٩٣٤. هذا الملف محفوظ لدى أسرة عبّو اليهودية السفارادية في صفد. وبودي تقديم شكري إلى السيدة عتسمونة عبّو على إتاحتها لي مراجعة هذا الملف.

(٢٥) CO 537/1707, District Commissioner's Office Fortnightly Report, 20 May 1946, p. 2.

(٢٦) «فلسطين»، ١٩/٨/١٩٤٣؛ أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٩٦/١٠٥، تقرير بن مئير، بتاريخ ١٥/٧/١٩٤٢؛ غروسمان، مصدر سبق ذكره، ص ٩٠.

(٢٧) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٩٦/١٠٥، تقرير بن مئير، بتاريخ ١٢/٣/١٩٤٣.

الصيد في البحيرة.

وكنا أشرنا إلى أن عائلة خوري احتكرت امتياز صيد السمك في شمال بحيرة طبرية، وفي بحيرة الحولة منذ أواخر العهد العثماني. لكن أبناء قبيلة عرب السمكية حاولوا خرق هذا الاحتكار كونهم يقيمون على شاطئ البحيرة، معتبرين أن من حقهم صيد السمك. إلاّ إنهم لم يفلحوا في ذلك.

وفي مرحلة معينة توصل الطرفان إلى اتفاق سمحت عائلة خوري بموجبه لعرب السمكية بالصيد، بل مدتهم بأدوات الصيد والشباك، شرط أن تكون هي الجهة الوحيدة التي تبتاع السمك منهم وتحدد سعر الشراء. وهكذا كانت تشتري منهم رطل السمك بـ ٢٠٠ مليم فلسطيني في حين كان السعر في الأسواق جنيهاً فلسطينياً لكل كيلوغرام.[٢٨] وعندما قام أبناء عشيرة السمكية ببيع سمكهم لجهة أُخرى استصدر آل خوري أمراً ضدهم وأجبروهم على دفع غرامات مالية. عندها توجه بعض أفراد العشيرة بالشكوى إلى منظمة النجادة في المنطقة طالبين تخليصهم من استغلال وعبودية آل خوري، على حد قولهم.[٢٩]

ما من شك في أن هذه الخلافات عمقت الفجوة والبغضاء بين القطاع البدوي والمدينيين، وخصوصاً الأعيان منهم. فقد نظر البدو بعين الريبة والشك إلى كل ما هو مديني، وفضلوا الابتعاد عن القيادات المدينية، وبقوا طوال فترة الانتداب بعيدين عن إطار الحركة الوطنية، حتى إنهم عملوا ضدها علانية في بعض الأحيان.

رابعاً: العلاقات المدينية ـ القروية خلال الفترة ١٩٢٠ ـ ١٩٤٥

إن دراسة طبيعة العلاقة بين مدينة صفد وظهيرها القروي دلت على أنها مرت بمرحلتين مختلفتين: الأولى كانت في الفترة ١٩٢٠ ـ ١٩٣٦، حين سادت علاقات تعاون مشترك وتنسيق في أمور تتعلق بالقرويين وبالنشاط الوطني في الريف. وكانت السيطرة في هذه الفترة للمدينيين. لكن في نهاية هذه المرحلة بدأت مظاهر الاستقلالية الريفية تزداد، وازداد نفوذ زعماء المنطقة القروية، وفترت العلاقات بينهم وبين القيادات المدينية. ولعل نهج الإدارة البريطانية عزز هذا التوجه. فالسلطات البريطانية

(٢٨) المصدر نفسه، ملف رقم ١٠٥/٢٢٦، تقرير بن مئير، بتاريخ ٢٤/٤/١٩٤١.

(٢٩) أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم ف/٧٩١/٣٢٩، رسالة من ممثلي صيادي السمك في بحيرة طبرية إلى رئيس منظمة النجادة، بتاريخ ٢/١٠/١٩٤٦.

انتزعت من الأعيان كثيراً من صلاحياتهم التي تمتعوا بها في نهاية العهد العثماني، واحتفظ الإنكليز لأنفسهم بالوظائف المهمة في الألوية والأقضية. كما أن مستوى التعليم والوعي السياسي لدى قسم من القرويين شهد تحسناً ملموساً، الأمر الذي قلص مدى اعتمادهم على المدينيين.

أمّا المرحلة الثانية فكانت خلال الفترة ١٩٣٧ ـ ١٩٤٥. وهي، بعكس المرحلة الأولى، سادها توتر في العلاقات، حتى إنه بلغ حد العنف، الأمر الذي أثر سلباً في الحركة الوطنية وفي وحدة الصفوف في قضاء صفد، وهو ما جعل سلطات الانتداب تستغل الأوضاع من أجل تعميق الهوة بين أبناء الشعب الواحد لمصلحتها.

كان طرفا المعادلة في هذا الصراع قادة الحركة الوطنية، الأعيان والأفندية والتجار المدينيين من جهة، وشيوخ القرى والمخاتير من جهة أُخرى.

وفيما يلي سنتطرق بتوسع إلى التحولات التي طرأت على العلاقات المدينية ـ القروية في المرحلتين المشار إليهما.

أ) المرحلة الأولى (مرحلة التعاون، ١٩٢٠ ـ ١٩٣٦)

كامل الحسين اليوسف والجمعية القروية العربية

كانت عائلة اليوسف العائلة السائدة والأكثر ثروة وقوة وجاهاً في سهل الحولة، إذ امتلكت آلاف الدونمات من أخصب أراضي السهل.

أصل هذه العائلة ـ كما يبدو ـ من شمال جبل نابلس، وبالتحديد من منطقة أم الفحم. قدم الجد الأول، إبراهيم اليوسف، إلى الحولة في بداية القرن التاسع عشر على الأرجح، واستوطن أطراف بحيرة الحولة في منطقة المستنقعات حيث كانت تقيم قبيلة عرب الغوارنة، وهي خليط من السودانيين والمصريين وغيرهم. وبمرور الزمن استطاع إبراهيم توحيد صفوف هذه القبيلة لتصبح أكبر قبائل الحولة، إذ بلغ عدد قراها ١٣ قرية.

تأقلم الغوارنة وفق أوضاع المكان الصعبة، حيث كان ينتشر البعوض والملاريا، وجففوا نحو ١٥,٠٠٠ دونم من المستنقعات وحولوها إلى أرض زراعية.[٣٠] إضافة إلى ذلك قاموا بتربية قطعان الجاموس التي بلغ تعدادها آلاف الرؤوس. وبحسب وصف التميمي وبهجت من سنة ١٩١٥ كان عدد أفراد القبيلة ٣٠٠٠ نسمة، يخضعون

(٣٠) غروسمان، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٠ ـ ١٢٣؛ محمود العابدي، «صفد في التاريخ» (عمّان: جمعية عمال المطابع التعاونية، ١٩٧٧)، ص ١٣٣.

تماماً لمشايخهم المتنفذين في منطقة سهل الحولة.[٣١]

كان الوضع الاجتماعي والاقتصادي لعرب الغوارنة وعرب الحولة عامة صعباً. فقد عاشت الأغلبية الساحقة منهم في حالة فقر، عدا طبقة صغيرة من الملاّك الذين امتلك بعضهم ما بين ٥٠ و١٠٠ دونم، أمّا الباقون فكانوا حراثاً عند الأفندية.

وقد وصف تقرير لجهاز استخبارات الهاغاناه من سنة ١٩٤١ وضعهم الصعب كما يلي: «أوضاع الحراث في الحولة سيئة جداً. فقد كان على الحارث أن يفرز ٣٧,٥٪ من محصوله لمالك الأرض. كما كانت المصاريف والبذور والحراثة والقطف والعمل كلها على حساب الحارث. ومع الوقت أصبح الحارث عبداً لدى المالك.»[٣٢]

بعد إبراهيم، زعيم القبيلة الأول، برز ابنه الحاج يوسف، ومن ثم حفيده حسين الذي قُتل سنة ١٩١٧ جرّاء نزاع قبلي مع عشيرة عرب الحمدون. وحينها آلت الزعامة إلى ابنه كامل الذي تزعم القبيلة طوال فترة الانتداب.

كان مركز القبيلة في قرية الخالصة، أكبر القرى في قضاء صفد، إذ بلغ تعداد سكانها سنة ١٩٤٥ نحو ١٨٤٠ نسمة. وسيطر كامل، من مقره الفخم الجميل، على الحولة والمناطق المجاورة. ووفقاً للتقارير البريطانية كان في تصرفه نحو ٢٠٠ مسلح عند الضرورة.[٣٣]

تسلم كامل الزعامة في فترة حرجة. فبعد الحرب العالمية الأولى بدأت المفاوضات بشأن ترسيم الحدود بين منطقتي الانتداب الفرنسي في لبنان والانتداب البريطاني في فلسطين، وبحسب اتفاقيتي الحدود لسنة ١٩١٩ وسنة ١٩٢٠، أصبحت منطقتا الخالصة والحولة منطقتين حدوديتين.

---

(٣١) محمد رفيق التميمي ومحمد بهجت، «ولاية بيروت، القسم الجنوبي» (بيروت: دار لحد خاطر، الطبعة الثالثة، ١٩٨٧)، ج ١، ص ٣٣٧ ـ ٣٤١؛

Y. Karmon, «The Settlement of the North Huleh Valley since 1838,» *Israel Exploration Journal*, vol. 3 (1953), pp. 8-19.

(٣٢) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، سهل الحولة، تقرير بتاريخ ١٩٤١/١١/٢٣، ص ٦؛ غروسمان، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٣ ـ ١٢٤.

(٣٣) FO 371/2339/85، تقريران عن حوادث تل ـ حاي، بتاريخ ١٩٢٠/٣/٢، ١٩٢٠/٣/٦؛ محمد حزماوي، «ملكية الأراضي في فلسطين، ١٩١٨ ـ ١٩٤٨» (عكا: دار الأسوار، ١٩٩٨)، ص ٢٤٦ ـ ٢٤٧؛ إيريس أغمون، «القبائل البدوية في سهل الحولة وسهل بيسان في أواخر العهد العثماني»، «كتدرا»، العدد ٤٥، ١٩٨٨، ص ٩١ ـ ٩٢؛ أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٩٦/١٠٥، تقرير بتاريخ ١٩٤١/١١/١٦، ملف رقم ٣٨٠/١٠٥، تقرير بتاريخ ١٩٤٧/٦/٨.

هذه التطورات أدت إلى ازدياد الخوف والقلق عند السكان العرب الذين عارضوا هذا التقسيم الذي قطع أوصال مناطقهم، وحد حرية تنقلهم. وسرعان ما تصاعد هذا القلق وتحول إلى أعمال احتجاجية وصدامات عنيفة ضد الفرنسيين ومن يؤيدهم.

اجتاحت أعمال العنف أجزاء من الجنوب اللبناني وشمال فلسطين. وقد انضم كامل الحسين ومؤيدوه إلى هذه الأعمال، وشارك في الهجوم على مستعمرتي متولاه وتل ـ حاي في ١ آذار/مارس ١٩٢٠.[٣٤]

وعلى الرغم من قمع هذه الأحداث على يد الفرنسيين والوضع الصعب الذي آل إليه كامل بعد ذلك. فإنه أصبح الزعيم القوي في نظر كثيرين. فالتصدي للفرنسيين أكسبه شعبية كبيرة، وعزز علاقته برموز الحركة الوطنية في صفد. وكان لزواجه بكريمة أحد الملاّك الشراكسة في صفد دور في تعزيز هذه العلاقة بالمدينة.

خلال العقد الأول للانتداب، وطد كامل مكانته في القضاء وترأس الجمعية القروية التي أقيمت بمبادرة منه سنة ١٩٣٢، وحظيت بدعم السلطة. وقد أصبحت هذه الجمعية، خلال فترة وجيزة، الجسم القوي والرائد في الوسط القروي، واتخذت من صفد مقراً دائماً لها؛ وهذا ما يدل على حالة التعاون بين شيوخ القرى وأعيان صفد.[٣٥]

عملت الجمعية خلال الفترة ١٩٣٢ ـ ١٩٣٤ بزعامة كامل الحسين، والشيخ توفيق عبد الله من قرية الرأس الأحمر. كما ضمت بعض شيوخ قرى ناحية الجيرة، وقد برز منهم: الشيخ محاسن السيد من قرية سعسع، والشيخ محمد علي شناعة من قرية طيطبا، والشيخ موسى الحاج حسين الكبير من قرية التليل، والشيخ محمد العبد كعوش من قرية ميرون، والشيخ محمد سليم زيد من قرية الظاهرية.[٣٦]

شمل نشاط الجمعية عدة نواح ابتداء من إرشاد ودعم الفلاحين بتسويق محاصيلهم الزراعية وتحسين أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية،[٣٧] وانتهاء بنشاط سياسي مشترك مع الأعيان وممثلي الحركة الوطنية في صفد، ومقاومة بيع الأراضي لليهود.[٣٨]

---

(٣٤) دينور بن ـ تسيون (تحرير)، «كتاب تاريخ الهاغاناه» (بالعبرية)، (لا مكان: لا دار نشر، ١٩٥٧)، ج ١، قسم ٢، ص ٥٤٦ ـ ٥٤٨، ٥٦٦ ـ ٥٨٠؛ FO 371/2398، أحداث سنة ١٩٢٠ في الحولة والخالصة والمطلة، وثيقتان بتاريخ ١٩٢٠/٣/٢٦، ١٩٢٠/٣/٣١.

(٣٥) «فلسطين»، ١٩٣٢/١٠/٢٥، ١٩٣٧/٧/٢٦.

(٣٦) المصدر نفسه، ١٩٣٣/٧/٢٦، ١٩٣٣/١٠/٥.

(٣٧) المصدر نفسه، ١٩٣٣/٧/٢٧، ١٩٣٣/١٢/٢٩، ١٩٣٤/٢/٦.

(٣٨) المصدر نفسه، ١٩٣٣/٧/٢٦؛ «الدفاع»، ١٩٣٤/١١/١١.

وقد أشاد مراسل صحيفة «فلسطين» بنشاط الجمعية في منع بيع أراضي قرى كراد الغنامة وكراد البقارة والتليل، وأشار إلى أن كثيرين من أعيان صفد كانوا يشجعون الجمعية، ومنهم من انضم إلى صفوفها.[٣٩]

وخلافاً لأقضية أُخرى، كنابلس والناصرة وجنين والخليل، لم يكن في قضاء صفد أي نشاط لحزب الزرّاع الذي أُسس سنة ١٩٢٤ بتشجيع من الحركة الصهيونية والبريطانيين وجهات معارضة للحسينيين. وهذا ما يدل على حالة الوفاق في القضاء في هذه المرحلة، كما أن قرويي صفد ظلوا بعيدين عن المؤتمرات القروية التي أقيمت خلال ١٩٢٩ ـ ١٩٣٠، والتي كانت توجه النقد القاسي إلى سكان المدن.

في هذا المجال يشير الباحث أرنون ـ أوحانه إلى أن الشرخ بين المدينيين والقرويين ظهر جلياً بعد أحداث سنة ١٩٢٩، حين اكتشف القرويون أنهم دفعوا ثمناً غالياً من خلال الاعتقالات والغرامات والعقوبات الأُخرى، وقد رأوا في المجلسيين، وعلى رأسهم المفتي المقدسي، المسؤولين عما أصابهم.

أحد مظاهر هذا الشرخ كان إرسال عرائض احتجاج ضد استغلال المدينيين للفلاحين، وعقد مؤتمرات الفلاحين، كمؤتمر يافا سنة ١٩٢٩، ومؤتمر قرية عجور في ٢٠ آذار/مارس ١٩٣٠، والمؤتمر الذي عقد في شباط/فبراير ١٩٣٢. وقد عقدت هذه المؤتمرات بتشجيع من العائلات المعارضة في المدن، وخصوصاً في يافا ونابلس، وبتشجيع من الحركة الصهيونية والبريطانيين.[٤٠] وعلى الرغم من كل هذا النشاط المعارض للمدينيين فقد فضل قرويو صفد، في هذه المرحلة، العمل في إطار الجمعية القروية، مبتعدين عن جميع الهيئات التي دعمها النشيط الصهيوني حاييم كالفارسكي، وعن الذين ساروا في ركبه من العرب.[٤١]

ثمة هيئة أُخرى كانت دعمت وعززت تعاون المدينة والقرية في هذه المرحلة، وهي جمعية الشبان العرب، التي أسست في ٢١ آب/أغسطس ١٩٣٣ فرعاً لها في

(٣٩) «فلسطين»، ٢٢/٨/١٩٣٣.

(٤٠) أرنون ـ أوحانه، «سيف من الداخل...»، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٩ ـ ١١٤.

(٤١) بشأن المزيد من التفصيلات عن مؤتمرات الفلاحين، أنظر: يهوشواع بورات، «نشوء الحركة الوطنية العربية الفلسطينية، ١٩١٨ ـ ١٩٢٩» (بالعبرية)، (تل أبيب: لا دار نشر، ١٩٧٦)، ص ١٨٦. وقد كان حاييم مرغليت كالفارسكي (١٨٦٨ ـ ١٩٤٧) من مؤسسي «رابطة السلام» أو «عهد السلام» سنة ١٩٢٦، وكان أيضاً أحد المسؤولين عن الشؤون العربية في الإدارة الصهيونية.

صفد بمبادرة كل من يعقوب الغصين وكامل الحسين.[٤٢]

اختلفت هذه الجمعية عن سابقتها، أي الجمعية القروية، في نوعية نشاطها. فالأولى كانت ذات طابع محلي، بينما كانت هذه مرتبطة بهيئة إقليمية، ولها علاقات وطيدة بالفروع الأُخرى في أنحاء فلسطين كافة. وكان أعضاؤها في معظمهم من الشباب المثقف، ومن أبناء الطبقة الوسطى الذين لم تكن لهم علاقات وارتباطات بالسلطة، ولم يخضعوا لتأثيرها.

وقد قوّى ترؤس كامل الحسين للجمعية مركزه، وحوّله من زعيم قروي في سهل الحولة إلى زعيم سياسي في صفد وخارجها. فكامل، صاحب التأثير البارز في المنطقة القروية، استطاع تجنيدها للنشاط السياسي المتزايد، إذ عمل على انضمام القرويين إلى الجمعية،[٤٣] التي تبنت منذ البداية خطاً قومياً متشدداً يتلاءم مع الميثاق العام لشبان فلسطين الذين طالبوا بالوحدة العربية، ومقاومة الاستعمار، والدفاع عن الأراضي والامتناع من بيعها.[٤٤]

أمّا على الصعيد المحلي فقد نشطت الجمعية في مجالات التربية والرياضة، كما عملت على تعميق الوعي السياسي لدى السكان من خلال عقد لقاءات جماهيرية سياسية مشتركة. ولعل أبرز هذه اللقاءات اجتماع ٩ نيسان/أبريل ١٩٣٤ الذي شارك فيه معظم زعماء المنطقة القروية، وضمنهم المخاتير ورجال الدين. تداول المجتمعون الشؤون السياسية التي يعانون جرّاءها، وخصوصاً قضايا الهجرة اليهودية وبيع الأراضي والسياسة البريطانية.

ويشير محضر هذا الاجتماع إلى مدى تفاعل القرويين واستعدادهم للعمل ضد السياسة البريطانية في فلسطين. وقد نددوا بشدة بهذه السياسة، مطالبين بوضع حد لنتائجها بعيدة المدى التي تبشر بالكارثة على حد قولهم.[٤٥]

قامت الجمعية، في محاولة منها لمنع الهجرة اليهودية غير القانونية عن طريق حدود سورية ولبنان، بتنظيم تحريات ودوريات من القرويين لمراقبة الحدود، حتى إن

(٤٢) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، رسالة بتاريخ ١٦/١١/١٩٤١؛ ملف جمعية الشبان العرب، وثيقة رقم ٦٤، بتاريخ ٢٢/٨/١٩٣٣.

(٤٣) «فلسطين»، ٢٥/٨/١٩٣٣، ٤/١٠/١٩٣٣.

(٤٤) عيسى السفري، «فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية» (يافا: مطبعة مكتبة فلسطين الجديدة، ١٩٣٧)، ص ١٩٤.

(٤٥) ملف جمعية الشبان العرب، وثيقة رقم ٦٢، من رؤوف حجازي إلى يعقوب الغصين، ٩/٤/١٩٣٤.

زعماءها ـ وعلى رأسهم كامل ـ تجندوا لهذا الهدف وقاموا بجولات ميدانية لشرح الموضوع.[٤٦]

في خطوة غير متوقعة، وفي أوج نشاط الجمعية، استقال كامل الحسين من رئاستها بتاريخ ٢٨ أيار/مايو ١٩٣٥. وبقيت أسباب استقالته غامضة، إذ لم يأتِ كامل إلى ذكرها في كتاب الاستقالة، وربما جاءت على خلفية فشله في فتح فرع للبنك الزراعي في صفد. ومهما تكن الأسباب فإنها تشير إلى بداية نهاية فترة التعاون الوطيد بين القطاعين القروي والمديني، لأن كامل هو الذي تزعم المنطقة القروية وقادها نحو التعاون مع زعامة المدينة.

على الرغم من استقالة كامل فإن القرويين واصلوا في هذه المرحلة التنسيق مع زعامة المدينة. وخير مثال لذلك الاجتماع الكبير الذي عُقد بتاريخ ١٣ أيار/مايو ١٩٣٦، بعد بداية الإضراب العام في فلسطين، حين دعي إلى صفد نحو ٣٠٠ من الشيوخ والقادة والوجهاء الذين مثّلوا ٣٧ قرية. ومن الجدير بالذكر أن كامل كان بين الحاضرين. تمخض هذا الاجتماع عن قرار مواصلة الإضراب والنضال إلى حين تحقيق الأهداف الوطنية.[٤٧] كما تقرر إقامة لجان قومية في جميع قرى القضاء، مهمتها الإشراف على النشاط الوطني. وفعلاً أقيمت خلال فترة قصيرة ٤٦ لجنة قومية ترأسها المخاتير وشيوخ القرى. وبلغ عدد أعضاء هذه اللجان نحو ٩٠ عضواً،[٤٨] وعملت بتعاون تام مع اللجنة القومية المركزية في صفد.

وفي أحد تقارير الشرطة لسنة ١٩٣٦، ادعى البريطانيون أن القرويين انساقوا مع الدعاية المدينية، الأمر الذي أساء إلى العلاقات بينهم وبين السلطة.[٤٩] ودام هذا الوضع الوحدوي خلال الأشهر الأولى للإضراب والثورة. إلاّ إن العلاقات بين القرويين والمدينيين تغيرت في بداية سنة ١٩٣٧، وخصوصاً في سنة ١٩٣٨، وبدل التعاون بدأت حالة من القطيعة والتصعيد.

(٤٦) المصدر نفسه، وثيقة رقم ٤٠، بتاريخ ١٩٣٤/٧/٢٩.
(٤٧) «الدفاع»، ١٩٣٦/٥/١٤.
(٤٨) المصدر نفسه، ١٩٣٦/٥/١٨.
(٤٩) أرنون ـ أوحانه، «الفلاحون في الثورة...»، مصدر سبق ذكره، ص ٣١ ـ ٣٦؛
CO 814, The Palestine Police Force Annual Administration Report, 1936, pp. 55-56.

ب) المرحلة الثانية (١٩٣٧ ـ ١٩٤٥):
تأزم العلاقات وإقامة «لجنة تحسين القرية العربية في قضاء صفد والحولة»

على الرغم من الدور الريادي لسكان الريف والثمن الذي دفعوه بالأرواح والأملاك في فلسطين عامة،[٥٠] وفي قضاء صفد خاصة،[٥١] فإن قادة الحركة الوطنية في صفد ومؤيديهم أظهروا نوعاً من الفتور، وحتى العداوة، تجاه زعماء المنطقة القروية، وخصوصاً تجاه كامل الحسين، الذي اتهم بالميل إلى البريطانيين والصهيونيين، وبدعم المعارضة النشاشيبية.

لا يمكن الجزم بشأن طبيعة علاقات كامل بالحركة الصهيونية، على الرغم من أن تقارير جهاز استخبارات الهاغاناه تشير إلى وجود تعاون بينه وبين الصهيونيين. فقد جاء في أحد التقارير من سنة ١٩٤١ ما يلي: «ما يميز سكان الحولة الغوارنة هو استقلالهم التام سياسياً، وخضوعهم لزعامة كامل الحسين، الذي رُقّع إلى منصب زعيم الحولة بمساعدة السلطات، وخصوصاً بعد المهمة التي أسندها إليه الصندوق القومي اليهودي كوسيط بينه وبين الحراث العرب.»[٥٢]

بكلمات أُخرى: يدعي التقرير أن كامل سهّل وساعد في بيع الأراضي العربية للحركة الصهيونية. ودفعت هذه الشبهات بشأن دوره ومواقفه الثوار إلى مطاردته. وحين طورد أصبح موالياً علناً لبريطانيا.

وفي خطوة احترازية من أجل الحفاظ على حياته، بادرت سلطات الانتداب إلى «اعتقاله» ونقله إلى لبنان، حيث مكث بضعة أشهر إلى أن هدأت الأوضاع.[٥٣]

(٥٠) بشأن المزيد عن دور الفلاحين في الثورة، أنظر كلاً من: بورات، «من الاضطرابات إلى الثورة...»، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠٩ ـ ٣١٢؛ أرنون ـ أوحانه، «الفلاحون في الثورة...»، مصدر سبق ذكره، ص ٨١ ـ ١١٤؛
Swedenburg, op. cit., pp. 152-157.

(٥١) بشأن المزيد عن قادة الثورة في ريف صفد، أنظر: أرشيف الهاغاناه، ملفات رقم ١٠٥/ ٢٢٦، ١٠٥/٩٦، ١٠٥/١، قرية عموقة، تقرير سنة ١٩٤٣؛ قرية الجاعونة، تقرير بتاريخ ١٩٤١/١٠/٨؛ قرية فراضية، تقرير بتاريخ ١٩٤٢/٦/٢١؛ قرية التليل، تقرير بتاريخ ١٩٤١/٨/١٧.

(٥٢) المصدر نفسه، ملف رقم ١٠٥/٢٢٦، سهل الحولة، تقرير بتاريخ ١٩٤١/١١/٢٣، ص ١.

(٥٣) المصدر نفسه، ملف رقم ١٠٥/٩٦، تقرير بتاريخ ١٩٤١/١١/١٦.

وبعد عودة كامل وقف للدفاع عن نفسه وعن مؤيديه، ولإقرار النظام والأمن في شمال الحولة.

علاوة على ذلك دأب كامل على توطيد التعاون بين سكان الحولة وقوات الأمن البريطانية. وقد أكد حاكم لواء الشمال أن التعاون المشترك في منطقة الحولة فاق بقية المناطق العربية في فلسطين.(٥٤)

إضافة إلى ملاحقة كامل، اتُّهم قادة الحركة الوطنية ومؤيدوهم من الثوار بتنفيذ عدة عمليات قتل واغتيال طالت شخصيات بارزة في القضاء. ففي ٢٦ نيسان/أبريل ١٩٣٨ قُتل الشيخ محمد العبد كعوش، مختار قرية ميرون وأحد أكثر زعماء القضاء وجاهة ونفوذاً في منطقة الجبل.(٥٥) وكان قُتل قبل ذلك بعام كل من مختار قرية سعسع الشيخ زيدان عبد الكريم وهبة الزعيم القروي البارز، ومختار قرية الجاعونة الحاج سليمان التميمي حين كان يسير في الشارع الرئيسي في صفد.(٥٦)

هذه الاغتيالات غير المبررة والتي لا تستند إلى أي دليل، أثارت الزعامة القروية التي اتهمت اللجنة القومية في صفد بتشجيع الثوار، وخصوصاً أنه لم يُقتل أي زعيم صفدي، مع أن بعضهم كان من معارضي المعسكر الحسيني.

حين تعمق الصراع بين القرويين والقيادات المدينية، انحاز زعماء القبائل في معظمهم إلى جانب كامل الحسين. ومنذ سنة ١٩٣٩ قام ائتلاف بدوي قروي يدعمه الزعيم البدوي الكبير في الجولان الأمير فاعور محمود الفاعور، زعيم قبيلة عرب الفضل.

سيطر الأمير فاعور من مركزه في قرية واسط في الجولان على منطقة شاسعة ضمت أجزاء من شرق وشمال سهل الحولة، حيث امتلك أراضي في عدة قرى، وخصوصاً في بانياس والخصاص. ومن المعروف أن كامل والأمير فاعور كانا من مؤيدي آل النشاشيبي. وقد قام الأمير فاعور، بغية دعم حضوره في القضاء وتأكيداً لتقاربه مع كامل، بترميم قصره في قرية الخصاص الذي كان الفرنسيون دمروه في أثناء اضطرابات سنة ١٩٢٠. ويشار إلى أن قبيلة الفضل كانت من أكبر قبائل المنطقة، إذ بلغ عدد أفرادها في الأربعينيات من القرن العشرين ١٢,٦٠٠ نسمة، وقد بسطت

(٥٤) CO 733/372/18, District Commissioner's Office Monthly Report, 4 January 1939, p. 9.

(٥٥) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٩٦/١٠٥، تقرير بتاريخ ١٦/١١/١٩٤٦، ملف رقم ١٠٥/ ٢١٢، تقرير بتاريخ ١٣/٣/١٩٤٦؛ «الدفاع»، ٢٧/٤/١٩٣٨.

(٥٦) «الدفاع»، ١٣/١٠/١٩٣٧؛ «فلسطين»، ١٣/١٠/١٩٣٧؛

CO 773/370/9, Detailed List of Assassinations of Arabs, p. 12.

نفوذها وهيبتها على المنطقة بكاملها. هذا، وعزز وقوف الأمير فاعور إلى جانب كامل قوة حركة المعارضة في القضاء، وزاد في حدة الانقسام الداخلي الذي وصل إلى أوجه في الفترة ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥.(٥٧)

استمد بعض شيوخ البدو تشجيعاً من الخلاف المديني ـ القروي، ومن التقارب بين الأمير فاعور وكامل الحسين، وأخذوا يعملون علانية على توطيد علاقاتهم بالحركة الصهيونية. وعلى سبيل المثال وطد الشيخ حسين العلي (أبو يوسف)، زعيم عرب الهيب، علاقاته بزعماء حركة الاستيطان، ولم يتردد في إرسال تهديد إلى زعماء الحركة الوطنية في صفد. فقد كتب في إحدى رسائله: «من الآن وصاعداً سأكون إلى جانب اليهود كحزب واحد، ما يرضيهم يرضيني وما يغضبهم يغضبني.»(٥٨) ونجد تأكيداً لتوجه زعيم عشيرة الهيب هذا في وثائق أرشيف مستعمرة روش بينا المجاورة لمضارب القبيلة، إذ يتضح منها أنه اعتباراً من سنة ١٩٤٦ وطد أبو يوسف علاقاته باليهود، ووصلت هذه العلاقة إلى أوجها في أثناء حرب ١٩٤٨، حين أقيمت فرقة عسكرية من أبناء القبيلة، عرفت باسم «بالهيب»، حاربت إلى جانب قوات البلماح.(٥٩)

مع اندلاع الحرب العالمية الثانية وقف كامل الحسين إلى يمين البريطانيين، إذ قدم لهم الدعم والتسهيلات في إبان اجتياحهم سورية في حزيران/يونيو ١٩٤١. وتقديراً لجهوده عُيِّن رئيساً لمجلس الخالصة حين تأسيسه في ٢٣ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٤٤.(٦٠)

استغلت السلطات البريطانية العلاقات السيئة بين السكان العرب، وعملت على

(٥٧) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٢١٢/١٠٥، تقرير بتاريخ ١٣/٣/١٩٤٦، ملف رقم ١٠٥/ ١، تقرير بتاريخ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٤١؛ أنظر أيضاً: ملف رقم ٢٧٠/١٠٥، الأمير فاعور، تقرير من دون تاريخ.
بشأن المزيد من المعلومات عن عشيرة عرب الفضل، أنظر: أحمد وصفي زكريا، «عشائر الشام» (دمشق: مطبعة دار اليقظة العربية، ١٩٤٧)، ص ٣٩٢ ـ ٣٩٨.

(٥٨) وثائق صبحي الخضراء، من الشيخ محمد حسين علي إلى أعيان صفد، وثيقة بتاريخ ٤/١١/١٩٤٠.

(٥٩) أرشيف الموشافاه روش بينا، ملف يغآل ألون وقبيلة الهيب، من حياة قبيلة عرب الهيب، أبو يوسف، ص ٣؛ ش. دغان وش. كوزوينر، «بالهيب: البدو في البلماح في حرب ١٩٤٨» (بالعبرية)، (لا مكان: لا دار نشر، ١٩٩٣)، ص ٩.

(٦٠) أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم م/٥٢٠ س/٢٦٨٤، أنظمة إدارة القرى، مجلس قرية الخالصة، وثيقة بتاريخ ٢٩/٥/١٩٤٥.

تعميق الهوة بينهم بهدف إضعاف الزعامة الوطنية الصفدية. ففي سنة ١٩٤٣ بادر قائمقام صفد، موسى ناصر، إلى إقامة لجنة «تحسين القرية العربية في قضاء صفد والحولة»، وعيَّن كامل الحسين رئيساً لها.[٦١] عندها شعر كامل بالقوة أكثر من أي وقت مضى، وكان مستعداً لمواجهة الصفديين في أكثر المجالات حيوية بالنسبة إليهم، وهو المجال الاقتصادي. فأقدم على إقامة مراكز تجارة خاصة باللجنة، مهمتها إمداد الفلاحين بالبضائع مباشرة.[٦٢] وكانت هذه المراكز تتسلم البضائع من الحكومة وتوزعها بأسعار معقولة على القرى من دون وساطة تجار صفد. وقد خُصص قسم من الدخل لتمويل نشاط اللجنة.[٦٣]

بالإضافة إلى ذلك شرع القرويون، وبتشجيع من السلطات، في تطبيق خطة واسعة شملت تنظيم الأسواق الأسبوعية في المناطق القروية، كسوق قرية الصفصاف، لتكون بديلاً من سوق صفد الأسبوعية.[٦٤] وهذه الخطوة زادت في حدة التوتر بين الفريقين. وقد تنبهت تقارير جهاز استخبارات الهاغاناه لهذا التطور، فوصفته قائلة:

> الآن نهض القرويون من سباتهم بجهود اللجنة التي أقاموها، وبمساعدة متصرف اللواء. فقد أقاموا لهم مركزاً خاصاً لتجارة الجملة، وحصلوا على مخزنين في مبنى الحكومة... عيّنوا موظفين وانشقوا عن تجار صفد... لديهم خطة عمل واسعة، يدعمها كامل الحسين. السلطات معنية بذلك، وكامل معني بإيجاد كتلة قروية قوية مؤيدة له...
>
> الحكومة، كما يبدو، معنية بتحويل كامل إلى أداة سياسية في يدها، وبأن يكون قوياً ومهيمناً.[٦٥]

أدى هذا النشاط إلى ازدياد المرارة لدى تجار صفد، وخصوصاً بعد افتتاح سوق الجمعة في الصفصاف في يوم انعقاد سوق صفد الأسبوعية نفسه. وقد أضرت السوق القروية بسوق صفد، التي انخفض دخل تجارها انخفاضاً ملحوظاً،[٦٦] الأمر الذي أدى إلى تفاقم التوتر بين الفريقين، واتهام تجار صفد اللجنة القروية بسلب مصدر رزقهم.

(٦١) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٩٦/١٠٥، تقرير بن مئير، أخبار من صفد، بتاريخ ١٢/٧/ ١٩٤٣، ص ٣.
(٦٢) «فلسطين»، ١٨/٣/١٩٤٥، ٢٤/٣/١٩٤٥.
(٦٣) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٥/١٠٥، تقرير بن مئير، أخبار من صفد، بتاريخ ٢٠/٣/ ١٩٤٥، ٩/٤/١٩٤٥.
(٦٤) المصدر نفسه، ملف رقم ٥/١٠٥، تقرير بن مئير، أخبار من صفد بتاريخ ٢٠/٣/ ١٩٤٥؛ «فلسطين»، ٢١/٣/١٩٤٥.
(٦٥) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٥/١٠٥، تقرير بن مئير، أخبار من صفد، ص ١.
(٦٦) المصدر نفسه.

وبتاريخ ٩ نيسان/أبريل ١٩٤٥، وُزعت وعُلقت في شوارع صفد إعلانات ومناشير هاجمت اللجنة القروية ورئيسها. وقد جاء في أحد المناشير: «يعمل القرويون بمبادرة السلطات على سلب مصادر معيشة أبناء المدينة. ولذلك نطلب من أبناء المدينة التوقف عن التبرعات لصندوق الأمة الذي يحوِّل بعض دخله لتحسين ظروف القرية.» كما طالب كاتبو المنشور بالتعاون مع يهود صفد لمنع الفلاح من السيطرة لأنه «جاهل ومتخلف»، على حد زعمهم.[٦٧]

مع نهاية الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٥ تراجعت حدة العداوة بين القطاعين، لا نتيجة التفاهم، وإنما بسبب اتساع حركة الاستيطان وتصاعد التهديد الصهيوني. كما أن نشاط صندوق الأمة أوجد قاعدة محدودة للتعاون بين المدينة والقرية في قضية الدفاع عن الأراضي.[٦٨] ومع ذلك، دامت حالة عدم الثقة والشكوك المتبادلة حتى سنة ١٩٤٧.

في تلك الفترة وصلت العلاقات مع كامل الحسين إلى الحضيض، وثمة من ذكّره بمقتل أبيه وأن مصيره سيكون شبيهاً به.[٦٩] وحين شعر كامل بالضائقة بعث برسالة في ٨ كانون الثاني/يناير ١٩٤٧ إلى جمال الحسيني، نائب رئيس الهيئة العربية العليا، ناكراً جميع التهم الموجهة إليه، وطالباً تأليف لجنة تحقيق قبل أن يحل الخراب والدمار في المنطقة بحسب قوله. وقد أقسم كامل في رسالته بالمحافظة على المصلحة الوطنية.[٧٠] كذلك توجه كامل إلى علي رضا النحوي، الزعيم الوطني البارز، طالباً تدخله لدى قادة الحزب العربي الفلسطيني، ومشيراً إلى استعداده للعمل لمصلحة الأمة، ولدفع مبلغ من المال في مقابل عدم التعرض لحياته. وقد أنذر كامل بضرورة الوصول إلى تسوية، وإلاّ فسيبيع أرضه، التي تبلغ مساحتها نحو ٢٤٠٠ دونم، لليهود، ويترك فلسطين مع أخيه محمود.[٧١]

مع نشوب حرب ١٩٤٨ اضطر كامل إلى ترك البلد، مع الأغلبية الساحقة من

(٦٧) المصدر نفسه،، ملف رقم ٥/١٠٥، أخبار من صفد، التوتر بين القرويين والمدينيين، تقريران بتاريخ آذار/مارس ١٩٤٥، ١٩/٦/١٩٤٥، ص ٣.
(٦٨) «فلسطين»، ٢٨/٥/١٩٤٤، ٢٠/٧/١٩٤٤، ٣/٨/١٩٤٤، ٤/٨/١٩٤٤.
(٦٩) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٥/١٠٥، أخبار من صفد، تقرير بتاريخ ١٤/٥/١٩٤٥.
(٧٠) أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم ف/٢٨٧٠/٣٨٥، رسالة من كامل الحسين إلى نائب رئيس الهيئة العربية العليا، بتاريخ ٨/١/١٩٤٧.
(٧١) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٣٨٠/١٠٥، علي رضا النحوي، صفد، تقرير بتاريخ ٦/٨/ ١٩٤٧، ص ٣.

عرب الحولة. إلاّ إنه، على ما يبدو، واصل علاقاته ببعض الجهات الإسرائيلية، وزار المنطقة عدة مرات، إلى أن اغتاله عملاء استخبارات سوريون سنة ١٩٤٩ في أثناء توجهه من الخالصة إلى لبنان.

ختاماً، يمكن القول إن دراسة طبيعة العلاقات بين المدينة والقرية في هذه المنطقة بالذات خلصت إلى عدة نتائج، بعضها في المجال الاقتصادي، والبعض الآخر في المجال المحلي.

في المجال الاقتصادي رأينا أنه منذ بداية الانتداب حدث تراجع مستمر في سيطرة الأعيان والزعماء المدينيين على المنطقة القروية. ونجم ذلك في الأساس عن الحكم المباشر والمركزي للانتداب، الأمر الذي أضعف دور المدينيين كحلقة وصل بين القرويين والسلطات.

كما أن الأعيان في المدينة فقدوا أغلبية مناصبهم التي تمتعوا بها في العهد العثماني، والتي تسلمها في معظم الحالات موظفون بريطانيون ويهود. كما أن التحسن في الوضع الأمني والاقتصادي والتربوي كان له دور في هذا المجال.

نتيجة أُخرى حري بنا أن نشير إليها هي ظهور منظمات وهيئات قروية مستقلة، كالجمعيات القروية التي عبّرت عن تصاعد الوعي والنشاط السياسي لدى القرويين، وشكلت نمطاً جديداً للتضامن فيما بينهم. ففي حين كان القرويون سابقاً جزءاً من مجلس إدارة القضاء الذي شملهم هم والأعيان، أصبحوا الآن يعملون بشكل مستقل إلى حد بعيد.

كذلك رأينا أن النزاعات بشأن الأراضي كانت السبب الأساسي في الصراع بين المدينة والقرية، وخصوصاً مع قبائل البدو. إلاّ إنه مع مرور الزمن أصبحت العوامل الاقتصادية والمكانة والجاه الشخصي أسباباً مهمة في هذا الصراع.

انعكس هذا الوضع وهذه العلاقات بوضوح على قدرة العرب في قضاء صفد على الصمود والمواجهة في أثناء حرب ١٩٤٨، كما سنرى في الفصل الأخير؛ فقد دخلوا الحرب وهم في حالة تمزق وانعدام تام للثقة.

الفصل السابع

النشاط السياسي في العقد الأول من الانتداب ١٩١٨ - ١٩٢٨

أولاً: انطلاق الحركة القومية العربية في أواخر العهد العثماني وفترة حكم الأمير فيصل في دمشق

يجمع معظم المؤرخين على أن بداية الحركة القومية العربية ترجع إلى منتصف القرن التاسع عشر. ويرى جورج أنطونيوس في كتابه «يقظة العرب» أن هذه الحركة انطلقت من بلاد الشام سنة ١٨٤٧، حين تأسست أول جمعية أدبية عربية في بيروت، عرفت باسم جمعية الآداب والعلوم.(١)

خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر تعززت هذه الحركة وازداد أنصارها بفضل جهود وكتابات الأدباء والمثقفين كاليازجي والبستاني والكواكبي.

وكان لسياسات السلطان عبد الحميد، التي قمعت الميول القومية العربية، أثر في تنامي الشعور القومي لدى العرب، وخصوصاً لدى المفكرين والكتّاب الذين أصدروا كثيراً من الصحف والمجلات، دعوا من خلالها إلى المزيد من الوعي القومي والتصدي للنهج الحميدي.(٢)

هناك نقطة تحول أُخرى ساهمت في تعزيز الحركة القومية العربية بدأت بعد أحداث سنة ١٩٠٨ وسنة ١٩٠٩ التي أطاحت السلطان عبد الحميد الثاني، وجاءت بالأتراك الشباب إلى سدة الحكم في الدولة العثمانية. فقد تبنى الأتراك الشباب القومية التركية الطورانية، الأمر الذي زاد في حدة الانقسام بين العرب والأتراك، وعزز الميول

(١) G. Antonius, *The Arab Awakening: The Story of the Arab National Movement* (New York: n. p., 1965), p. 13.

(٢) Z. Zeine, *Arab-Turkish Relations and the Emergence of Arab Nationalism* (Beirut, Lebanon: Khayat's College Book Cooperative, 1958), pp. 73-89.

القومية العربية.[٣]

لقد تجلى نمو الوعي القومي العربي في تلك الأيام في عدة مجالات، مثل إحياء اللغة العربية وآدابها، وإصدار عشرات الصحف والمجلات العربية، وتأسيس جمعيات متعددة نذكر منها: جمعية الإخاء العربي ـ العثماني التي تأسست في إستنبول سنة ١٩٠٨؛ جمعية المنتدى الأدبي التي تأسست في إستنبول سنة ١٩٠٩؛ الجمعية العربية الفتاة التي تأسست في باريس سنة ١٩١١؛ جمعية العهد التي تأسست في إستنبول سنة ١٩١٣؛ الجمعية الإصلاحية التي تأسست في بيروت سنة ١٩١٣، وغيرها من الجمعيات التي لا مجال لذكرها هنا، والتي أدت جميعها دوراً مباشراً وغير مباشر في تعزيز الميول القومية العربية.

وصل نشاط أنصار ودعاة الفكرة القومية العربية إلى أوجه في المؤتمر العربي الأول الذي عقد في باريس بتاريخ ١٨ حزيران/يونيو ١٩١٣، وحضره ممثلو الجمعيات والهيئات الفاعلة الأخرى. وقد خلص المؤتمر إلى المطالبة بمنح العرب حقوقاً سياسية كاملة، والسماح لهم بالاشتراك بصورة فعالة في إدارة شؤون الدولة العثمانية من خلال إقامة نظام حكم لامركزي.[٤]

ومن الشباب الصفدي كان علي رضا النحوي أول من شارك في النشاط القومي على المستوى القطري، إذ كان عضواً في جمعية المنتدى الأدبي التي تأسست في إستنبول سنة ١٩٠٩، وكان رئيسها عبد الكريم الخليل، وهو من مثقفي بيروت البارزين.[٥] إلى جانب علي رضا النحوي ضم المنتدى بعض الطلاب العرب الفلسطينيين الذين كانوا يدرسون في عاصمة السلطنة.

بدايةً تركزت نشاطات المنتدى في المجالات الأدبية، لكنه تحول شيئاً فشيئاً إلى النشاط السياسي، وكان من جملة المطالبين بالحكم اللامركزي.[٦]

(٣) محمد عزة دروزة، «حول الحركة العربية الحديثة: تاريخ ومذكرات وتعليقات» (صيدا: المكتبة العصرية، ١٩٥٠ ـ ١٩٥١)، ج ١، ص ٢٠ ـ ٢٢.

(٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٥ ـ ٤٢؛
Antonius, op. cit., p. 114.

(٥) ترجمة حياة علي رضا النحوي، وثائق آل نحوي، وثيقة رقم ١٥، ص ١؛ بيان نويهض الحوت، «القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين، ١٩١٧ ـ ١٩٤٨» (عكا: دار الأسوار، ١٩٨٤)، ص ٨٤٧.

(٦) دروزة، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٢٦ ـ ٢٧؛
Antonius, op. cit., pp. 108-109;
الحوت، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨ ـ ٢٩.

شهد علي رضا، في أثناء وجوده ودراسته في إستنبول، الأجواء المعادية للعرب، التي تفاقمت بعد إقصاء السلطان عبد الحميد وتسلم الأتراك الشباب دفة الحكم. وبعد عودته إلى صفد تابع نشاطه السياسي، وأصبح أحد قادة الحركة الوطنية فيها طوال الفترة التي تغطيها هذه الدراسة.

إذا كانت الجمعيات الأدبية والسياسية تشكل المرحلة الأولى من النشاط القومي العربي، فإن فترة الثورة العربية التي نشبت سنة ١٩١٦، ومن ثم إقامة حكم الأمير فيصل في دمشق في الفترة ١٩١٨ ـ ١٩٢٠، تمثل المرحلة الثانية.

لقد ساهمت هذه المرحلة في دعم الوعي القومي العربي بشكل لم يسبق له مثيل. فكثيرون من أعضاء الجمعيات رأوا في الثورة مرحلة شرعية وضرورية لتحقيق الطموحات القومية. كما أن مئات الضباط والجنود شاركوهم في الرأي، وأخذوا يتركون صفوف الجيش العثماني ليلتحقوا بصفوف الثورة، وكان بين هؤلاء صبحي سعيد الخضراء. ولد صبحي في صفد سنة ١٨٩٥ لأسرة كبيرة ومعروفة في المدينة، وأنهى دراسته الثانوية في المدرسة السلطانية في بيروت، ثم التحق بالكلية العسكرية في إستنبول. شارك في الحرب العالمية الأولى، ووقع في أسر الجيش البريطاني على الجبهة المصرية، ومن ثم انضم إلى قوات الثورة العربية. هنا بدأت المرحلة المهمة في حياته،[٧] إذ شارك في عدة معارك جنوب الأردن في منطقة أبو اللسن؛ ولكونه ضابطاً متميزاً تم تعيينه مسؤولاً في فرع الاستخبارات.[٨]

بعد احتلال دمشق وتأسيس الحكم الفيصلي فيها عُيِّن صبحي الخضراء قائداً للجندرمة في المدينة،[٩] وفي فترة لاحقة أصبح المساعد العسكري الأبرز للأمير.[١٠] وفي سنة ١٩١٩ انضم إلى النادي العربي الذي أسس في الشام في أواخر سنة ١٩١٨، وكان أعضاؤه في معظمهم من الفلسطينيين، برز بينهم الشيخ عبد القادر المظفر من القدس، وسليم عبد الرحمن من طولكرم، ومحمد علي التميمي من نابلس.[١١]

(٧) يعقوب العودات، «من أعلام الفكر والأدب في فلسطين» (عمان: لا دار نشر، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢)، ص ١٦١؛ أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، تقرير بتاريخ ١/١٠/١٩٤٠، ص ٢.

(٨) وثائق صبحي الخضراء، وثيقة رقم ١٦١٧.

(٩) يهوشواع بورات، «نشوء الحركة الوطنية العربية الفلسطينية، ١٩١٨ ـ ١٩٢٩» (بالعبرية)، (تل أبيب: لا دار نشر، ١٩٧٦)، ص ٦٢.

(١٠) العودات، مصدر سبق ذكره، ص ١٦١.

(١١) بورات، مصدر سبق ذكره، ص ٦٢.

بعد تأسيس النادي العربي بمدة وجيزة افتتح فرعاً له في صفد، ترأسه نايف صبح رئيس المجلس البلدي آنذاك. في تلك الفترة، أصبح النادي العربي جسماً سياسياً مهماً في دمشق وفي فلسطين أيضاً، فقد روجت له صحيفة «سورية الجنوبية» التي أصدرها عارف العارف في القدس.[١٢] كما تأسست خلال مدة وجيزة فروع للنادي في عدة مدن فلسطينية، وانضم إلى صفوفه المئات من الشبان.[١٣]

في هذا السياق نذكر أن النادي العربي كان يطالب بالاعتراف باستقلال سورية في حدودها الطبيعية وضمنها فلسطين، وبرفض أي تدخل أجنبي في شؤون المنطقة، معتبراً أن فلسطين هي سورية الجنوبية.[١٤]

كان انضمام صبحي الخضراء إلى النادي مرحلة مهمة في بلورة هويته ورؤيته الوطنيتين. وخلافاً لعلي رضا النحوي، كان صبحي ابناً لأسرة كثيرة العدد، إلاّ إن أبناءها لم يتبوأوا أي مناصب مهمة حتى ذلك الحين، إذ كانوا في معظمهم ملاّكاً متوسطين ومزارعين ومن العاملين في قطاع الخدمات.[١٥]

ما يهمنا في هذا السياق أن علي رضا النحوي وصبحي الخضراء أصبحا النشيطين المركزيين في الحركة الوطنية في الساحة الصفدية خاصة والساحة الفلسطينية عامة. وقد وضع تقرير جهاز استخبارات الهاغاناه صبحي في المركز الأول متهماً إياه بأنه وراء بعث الحركة الوطنية في صفد، الأمر الذي حول المدينة إلى مركز سياسي مهم.[١٦]

إضافة إلى علي رضا النحوي وصبحي الخضراء نشط صفديون آخرون في صفوف الحركة الوطنية في إبان الحكم الفيصلي لدمشق، إذ شارك في المؤتمر السوري العام، الذي عقد بتاريخ ٧ حزيران/يونيو ١٩١٩، أربعة أشخاص من قيادات المدينة هم: صلاح الدين قدّورة؛ المحامي عبد الرحمن النحوي؛ نايف صبح؛ نايف سرحان. وقد مثل هؤلاء عملياً عائلات الأعيان الأبرز.[١٧] وكانت هذه العائلات

(١٢) المصدر نفسه، ص ٦٢ ـ ٦٣.

(١٣) الحوت، مصدر سبق ذكره، ص ٨٦ ـ ٨٧؛ دروزة، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ١٠٠ ـ ١٠١.

(١٤) خيرية قاسمية، «الحكومة العربية في دمشق بين ١٩١٨ ـ ١٩٢٠» (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٢)، ص ١٠٨ ـ ١١٢؛ الحوت، مصدر سبق ذكره، ص ١١٥.

(١٥) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، تقرير بتاريخ ١٩٤١/٥/١٥، ص ٤.

(١٦) المصدر نفسه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، تقرير عن الحركة العربية في صفد، لا تاريخ، ص ١.

(١٧) الحوت، مصدر سبق ذكره، ص ٨٥١ ـ ٨٥٢؛ دروزة، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ١٠٧. بموجب ما أورده دروزة فإن فقط عبد الرحمن النحوي وصلاح قدّورة شاركا في المؤتمر.

اختارتهم، تماماً كما كان عليه الحال بالنسبة إلى ممثلي جميع أنحاء سورية الجنوبية والساحل الغربي، إذ لم تتم أية انتخابات في هذا الشأن.[١٨]

عبّر ممثلو صفد بصورة قاطعة عن رغبة سكان مدينتهم في الانضمام إلى سورية بزعامة الأمير فيصل.[١٩] فبالنسبة إليهم لم يكن الأمر مجرد تحقيق أمانٍ سياسية، بل كان ذا أبعاد اقتصادية أيضاً، لأن مدينتهم كانت مرتبطة أكثر من أية مدينة فلسطينية أخرى بسورية ولبنان.

وعبر الصفديون عن احتجاجهم على الفصل بين فلسطين وسورية ولبنان عدة مرات. فبتاريخ ١٨ آذار/مارس ١٩٢٠ جرت في المدينة مسيرة حاشدة شارك فيها جمهور كبير من صفد والقرى المجاورة. وقدم ممثلو صفد، وعلى رأسهم الشيخ أسعد قدّورة والشيخ أحمد النحوي، رسالة احتجاج رسمية إلى حاكم اللواء البريطاني، طالبوا فيها باحترام الحقوق الوطنية للعرب، وأعربوا عن اعتراضهم الشديد على فكرة الوطن القومي اليهودي والهجرة اليهودية، وحذروا من مغبة السياسة البريطانية تجاه الشعب الفلسطيني.[٢٠]

كما هو معروف، فإن فكرة سورية الجنوبية لم تتحقق بسبب قيام الجيش الفرنسي باحتلال سورية بعد معركة ميسلون في ٢٤ تموز/يوليو ١٩٢٠، وإبعاد الأمير فيصل عن سدة الحكم فيها. عندها بات من الواضح للفلسطينيين أن عليهم مواجهة مصيرهم ومواصلة نضالهم الوطني منفردين.

وكما أشرنا في الفصل الاقتصادي (الرابع)، فإن سكان قضاء صفد تضرروا كثيراً جرّاء تقسيم المنطقة بين الفرنسيين والإنكليز، إذ أقيمت الحواجز الجمركية ونقاط التفتيش. وقد قسمت أراضي ٣١ قرية حدودية في الجليل فبات جزء منها ضمن لبنان والجزء الآخر ضمن فلسطين.[٢١]

ولعل هذا ما يفسر تزايد النقمة في قضاء صفد، ومشاركة كثيرين من السكان في الاضطرابات التي اندلعت في نهاية سنة ١٩١٩ وبداية سنة ١٩٢٠ في مناطق شمال الحولة والجنوب اللبناني.[٢٢]

خلال تلك الاضطرابات هاجم عشرات المسلحين المستعمرات اليهودية في

(١٨) قاسمية، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٩.

(١٩) بورات، مصدر سبق ذكره، ص ٦٦.

(٢٠) «الكرمل»، ١٩/٣/١٩٢٠، ٢٣/٣/١٩٢٠، ٢٦/٣/١٩٢٠.

(٢١) CO 765/2, *Official Gazette*, 1st June 1924, p. 6.

(٢٢) FO 371/E.727/85/44, 18th, 19th May 1920.

منطقة الحولة. فهوجمت مستعمرة تل ـ حاي شمالي الخالصة في ١ آذار/مارس ١٩٢٠، الأمر الذي أدى إلى مقتل ٨ مستوطنين، برز منهم يوسف ترومبلدور الذي أصبح رمزاً وبطلاً من أبطال الحركة الصهيونية.[٢٣] كما هوجمت مستعمرة أييلت هَشحَر (نجمة الصبح)، في ٢٤ نيسان/أبريل ١٩٢٠، من جانب مجموعة من أبناء عشيرة عرب الهيب ومسلحين بدو من شرق الأردن. كذلك هوجمت مستعمرة يسود همعلا (زبيد) من جانب سكان قرية التليل المجاورة.

هذه الاضطرابات لم تهدأ إلاّ حين وجه البريطانيون قوات معززة من الشرطة لقمعها.[٢٤]

إن نشوب هذه الأحداث يؤكد أن الصفديين كانوا في طليعة المناوئين للانتداب البريطاني وللحركة الصهيونية في مرحلة مبكرة نسبياً.

ثانياً: النشاط الوطني في المدينة: من الوحدة إلى الانقسام

أ) زعامة المفتي الشيخ أسعد قدّورة خلال الفترة ١٩٢٠ ـ ١٩٢٣

على الرغم من أن الشيخ أسعد قدّورة كان مفتياً وعالماً كبيراً فإنه قام بدور مركزي على الصعيدين السياسي والاجتماعي، إضافة إلى دوره الديني. وكما أشرنا سابقاً، فإن الشيخ أسعد من مواليد سنة ١٨٨٠، أنهى دراسته الدينية في الأزهر الشريف سنة ١٩٠٦، وعُيِّن مفتياً لصفد في بداية الحرب العالمية الأولى.[٢٥] ويجمع معظم المصادر على تحلي الشيخ أسعد بالحنكة والرزانة وبصفات الزعامة، فقد وصفته صحيفة «مرآة الشرق» على النحو التالي:

الحسيب النسيب سليل المجد والكرم... وسيد صفد والطور، إنه متصل بنسب بطل

(٢٣) دينور بن ـ تسيون (تحرير)، «كتاب تاريخ الهاغاناه» (بالعبرية)، (لا مكان: لا دار نشر، ١٩٥٧)، ج ١، قسم ٢، ص ٥٦٧ ـ ٥٨٠.

(٢٤) «كتاب الشرطي العبري في عهد الانتداب» (بالعبرية)، (تل أبيب: وزارة الدفاع، لا تاريخ)، ص ٤٤ ـ ٤٥؛ أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ١٠/١٤، يعقوب برغمان، شهادة بتاريخ ١٤/٢/١٩٥٢.

(٢٥) «مرآة الشرق»، ٢٤/١١/١٩٢٧؛ هيئة الموسوعة الفلسطينية، «الموسوعة الفلسطينية ـ القسم العام» (إيطاليا: ميلانوستامبا، ١٩٨٤)، المجلد ١، ص ٢٤٢.

اليرموك.. تربى تربية شيوخ ومشايخ فرضع الوقار والوجاهة والرزانة، شأن من يسعى للسيادة والسلطة، يحمل وسامات تركية وبراءات سلطانية تشهد له بالجاه والوجاهة والعلم والنباهة، يعلم ويعرف أن أركان الوجاهة أربعة عوامل: المال، العلم، العائلة الكثيرة والحكومة. وقد توفر لديه المال والعلم وكثرة العائلة.. هو أنفذ شخص في صفد، بل في المنطقة الشمالية... صاحب الحول والطول فإن كلمته عالية ومسموعة في بلاده.[٢٦]

كان تعيين الشيخ أسعد قدّورة مفتياً هو التعيين الأول الذي حظيت به عائلة قدّورة في المجال الديني. وفي المقابل حافظ الشيخ أسعد على إخلاصه للعثمانيين حتى آخر يوم في حكمهم المنطقة، خلافاً لعلي رضا النحوي وصبحي الخضراء اللذين أيدا الأمير فيصل والثورة العربية. كما أنه لم يشارك في المؤتمر السوري العام سنة ١٩١٩، وإنما اكتفى بإرسال ابن أخيه صلاح الدين عز الدين قدّورة.

تمكن الشيخ أسعد، الذي عرف عنه الاعتدال والحذر، من توسيع نشاطه السياسي في المدينة والحلبة المحلية في الأعوام الأولى للحكم البريطاني، حين كان النشيطان المركزيان اللذان برزا في الفترة العثمانية خارج صفد، إذ كان علي رضا النحوي، سنة ١٩٢٤، متصرف لواء عجلون في إمارة شرق الأردن، بينما تجند صبحي الخضراء في صفوف الشرطة البريطانية وعمل مساعداً لقائد فرقة محاربة التهريب حتى سنة ١٩٢٥.[٢٧]

في آذار/مارس ١٩٢١، ترأس الشيخ أسعد اللجنة العربية التي أسسها رجالات المدينة، لتكون الهيئة التي توحد حولها عرب صفد منذ الاحتلال البريطاني حتى سنة ١٩٢٥.[٢٨] وكان معه في اللجنة بعض الشيوخ وممثلي عائلات الأعيان، برز منهم:

نايف صبح، زعيم العائلة ورئيس المجلس البلدي والنادي العربي في المدينة؛

الشيخ أحمد النحوي، زعيم آل النحوي ونائب رئيس اللجنة؛

صلاح الدين قدّورة ابن شقيق المفتي، رجل إدارة مثقف؛

سعيد محمود مراد، مالك كبير وزعيم آل مراد، مدير مدرسة ورجل علم وأدب؛

محيي الدين الحاج عيسى من عائلة علماء، كاتب وشاعر؛

الشيخ طه عبد الكريم، من كبار علماء صفد؛

(٢٦) «مرآة الشرق»، ٢٤/١١/١٩٢٧.

(٢٧) وثائق صبحي الخضراء، تقرير بتاريخ ٣/١/١٩٢٥؛ «الكرمل»، ٨/١١/١٩٢٤.

(٢٨) «الكرمل»، ٢٥/٣/١٩٢١، ٢٨/٥/١٩٢١.

محمد حسن عبد الرحيم الحاج سعيد، زعيم عائلته ورئيس المجلس البلدي في الفترة ١٩٢٦ ـ ١٩٢٩.

في هذه المرحلة تمحور النشاط الوطني الذي أداره الشيخ أسعد قدّورة وأعضاء اللجنة العربية حول تعميق الوعي لدى سكان صفد والقضاء جرّاء الأخطار الناجمة عن السياسة البريطانية ووعد بلفور. فعقدوا اجتماعات، وقاموا بمسيرات، وأرسلوا احتجاجات كثيرة. على سبيل المثال، رفع زعماء صفد، وعلى رأسهم الشيخ أسعد، طلباتهم إلى هربرت صامويل في أثناء زيارته المدينة في ١٨ آذار/مارس ١٩٢٠، معبّرين عن احتجاجهم الشديد على وعد بلفور.[٢٩]

دام هذا النشاط خلال أعوام الانتداب الأولى. فقد أُرسلت عرائض كثيرة في مناسبات متعددة، كعريضة التأييد لقرارات المؤتمر العربي الفلسطيني الثالث الذي عقد في حيفا بتاريخ ١٣ ـ ١٩ كانون الأول/ديسمبر ١٩٢٠. وقد وقّع هذه العريضة كثيرون من وجهاء المدينة والقرى المجاورة، وفيما يلي أسماؤهم:

رئيس اللجنة العربية في صفد، المفتي أسعد محمد الحاج يوسف قدّورة؛ الخوري يواكيم؛ نقيب الأشراف، مصطفى سعد الدين (السعدي)؛ نائب رئيس اللجنة العربية، الشيخ أحمد حامد النحوي؛ رئيس المدرسين، أسعد الحاج عيسى عن رئيس النادي العربي محيي الدين الحاج عيسى؛ عن العلماء الشيخ طه عبد الكريم؛ عضو المجلس البلدي حسين مراد؛ عضو المجلس البلدي شحادة خوري؛ محمد سليم شمّا؛ محمد حجازي؛ عبد الله الكبرا؛ سليم شمّا؛ عن التجار توفيق الخولي؛ عن المسيحيين الياس حداد؛ مختار حارة الأكراد، خليل يوسف رستم؛ مختار حارة الوطاة، محمود حيفاوي؛ مختار حارة الصواوين، محمود جرادة؛ مختار قرية علما، علي المصطفى؛ مختار قرية المغر (مغر الخيط)، علي العمر؛ أمين محمد الخضراء (أبو هاشم)؛ مختار قرية البعنة، عيسى القاسم؛ مختار مسيحيي صفد، جبران غنطوس؛ توما الصباغ.[٣٠]

وفي عريضة الاحتجاج الإضافية التي أرسلها زعماء صفد إلى وزير المستعمرات تشرشل، عبر هؤلاء عن تأييدهم للوفد المنتخب في المؤتمر العربي الفلسطيني الرابع برئاسة موسى كاظم الحسيني. يُذكر أن مهمة الوفد كانت إدارة المفاوضات مع البريطانيين في شأن المطالب الوطنية في البلد.[٣١]

(٢٩) المصدر نفسه، ٢٦/٣/١٩٢٠.
(٣٠) المصدر نفسه، ٢٣/١/١٩٢١، ٢٥/٣/١٩٢١.
(٣١) المصدر نفسه، ٢٥/٣/١٩٢١؛ الحوت، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٨ ـ ١٥١.

تبين قائمة موقّعي العريضة أعلاه أنها ضمت: العلماء وعلى رأسهم المفتي رئيس اللجنة العربية؛ الكهنة المسيحيين؛ رئيس المجلس البلدي وأعضاءه؛ أعياناً؛ تجاراً؛ مخاتير حارات صفد؛ ممثلي العائلات البارزة. وكان القاسم المشترك بينهم أنهم من زعامة المدينة التقليدية.

ونتيجة نشاط الشيخ أسعد قدّورة السياسي فإن السلطات البريطانية تجاهلته في هذه المرحلة، إذ إن المندوب السامي حين أراد تعيين المجلس الاستشاري الذي ضم موظفين بريطانيين وممثلين عن اليهود والمسلمين والمسيحيين، في آب/أغسطس ١٩٢١، اختار من صفد المالك سعيد مراد والمالك شحادة خوري على الرغم من أن نفوذ آل قدّورة كان أكبر.[٣٢]

ونذكر في هذا الشأن أن البريطانيين أرادوا إشراك الفلسطينيين في المشاورات المتعلقة بطبيعة الحكومة ومبناها وسن دستور، لكن هذا المجلس الاستشاري لم ينجح بسبب معارضة الحركة الوطنية الفلسطينية.[٣٣]

في تلك الأيام ساد اتفاق واسع بين زعماء المدينة على المطالب الوطنية. فقد حظي الشيخ أسعد بتأييد واسع من القطاعات كافة، وعلى رأسها نقيب الأشراف مصطفى سعد الدين، ورئيس المجلس البلدي نايف صبح، وأعضاء المجلس البلدي، ومخاتير الحارات، وممثلو نقابات المعلمين والمحامين والتجار، وكذلك الشيخ أحمد النحوي الذي كان نائباً لرئيس اللجنة العربية.[٣٤]

من خلال دراسة وثائق ومراسلات زعماء صفد في أعوام الانتداب الأولى يتبين بوضوح أنهم كانوا مدركين تماماً التطورات السياسية، وكانت القضايا التي انشغلوا بها هي: وعد بلفور؛ الهجرة اليهودية إلى فلسطين؛ تصاعد قوة اليهود وسيطرتهم على معظم الوظائف في الأجهزة الإدارية المحلية والقطرية، بالإضافة إلى القوانين التي أقرت لمصلحتهم.[٣٥] هذا على صعيد الحلبة السياسية المحلية. أمّا على صعيد الحلبة السياسية القطرية، فقد شارك ممثلو صفد في المؤتمرات العربية الفلسطينية كافة، من المؤتمر الأول حتى السابع.

في المؤتمر الأول، الذي عقد في القدس ما بين ٢٧ كانون الثاني/يناير

(٣٢) «الكرمل»، ٢٠/٨/١٩٢١.
(٣٣) الحوت، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٥ ـ ١٦٦؛ عبد الوهاب الكيالي، «تاريخ فلسطين الحديث» (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٠)، ص ١٥٤ ـ ١٥٥.
(٣٤) «الكرمل»، ٢٥/٣/١٩٢١، ١٧/٥/١٩٢٢.
(٣٥) أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم ف/٢٥/٩٨٤، وثيقة بتاريخ ٤/٣/١٩٢٢.

و٩ شباط/فبراير ١٩١٩، شارك كل من صلاح الدين قدّورة والشيخ أحمد النحوي ومحيي الدين الحاج عيسى.[٣٦]

كذلك كان لصفد تمثيل لائق في المؤتمر الثالث الذي عقد في حيفا بتاريخ ١٣ ـ ١٩ كانون الأول/ديسمبر ١٩٢٠، والذي ضم كلاً من صلاح الدين قدّورة والشيخ أحمد النحوي وإبراهيم رضا.[٣٧] وفي المؤتمر الرابع، الذي عقد في القدس بين ٢٩ أيار/مايو و٤ حزيران/يونيو ١٩٢١، شارك كل من الشيخ أسعد قدّورة وعلي رضا النحوي ونايف صبح. كما انتخب نايف صبح في هذا المؤتمر لعضوية اللجنة التنفيذية.[٣٨] كان هذا الانتخاب مؤشراً واضحاً إلى تعزيز العلاقة بين الحركة الوطنية في صفد والحركة الوطنية الفلسطينية.

عقد المؤتمر الخامس في نابلس بتاريخ ٢٠ آب/أغسطس ١٩٢٢، وقد شارك فيه الشيخ أسعد قدّورة الذي انتخب أيضاً لعضوية اللجنة التنفيذية.[٣٩] ولا تشير المصادر إلى ما إذا كان انتخاب الشيخ أسعد لعضوية اللجنة التنفيذية جاء على حساب عضوية نايف صبح أو إضافة إليه. وفي أية حال فإن الشيخ أسعد واصل عضويته هذه في المؤتمر السادس الذي عقد في يافا بتاريخ ١٦ حزيران/يونيو ١٩٢٣.

كان المؤتمر السادس آخر مؤتمر سادته الوحدة الوطنية الفلسطينية، إذ برز الانقسام في المؤتمر السابع الذي عقد في القدس بتاريخ ٢٠ ـ ٢٧ حزيران/يونيو ١٩٢٨. وقد مثّل المدينة في هذا المؤتمر كل من المفتي الشيخ أسعد قدّورة والمحامي عبد الرحمن النحوي وصبحي الخضراء وشحادة خوري.[٤٠]

(٣٦) الحوت، مصدر سبق ذكره، ص ٨٥١؛ دروزة، مصدر سبق ذكره، ج ٣، ص ٣٦.
(٣٧) الحوت، مصدر سبق ذكره، ص ٨٥٣.
(٣٨) بورات، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥١؛ الحوت، مصدر سبق ذكره، ص ٨٥٣؛ «الكرمل»، ٢٨/٥/١٩٢١.
(٣٩) بورات، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢١؛ «الكرمل»، ٣٠/٨/١٩٢٢.
(٤٠) الحوت، مصدر سبق ذكره، ص ٨٦٥.

الأعضاء المشاركون من أبناء صفد
في المؤتمرات العربية الفلسطينية

المؤتمر الأول ـ القدس ١٩١٩	صلاح الدين قدّورة؛ محيي الدين الحاج عيسى؛ الشيخ أحمد النحوي.
المؤتمر الثالث ـ حيفا ١٩٢٠	صلاح الدين قدّورة؛ الشيخ أحمد النحوي؛ إبراهيم رضا.
المؤتمر الرابع ـ القدس ١٩٢١	الشيخ أسعد قدّورة؛ علي رضا النحوي؛ نايف صبح (انتخب لعضوية اللجنة التنفيذية).
المؤتمر الخامس ـ نابلس ١٩٢٢	الشيخ أسعد قدّورة (انتخب لعضوية اللجنة التنفيذية).
المؤتمر السادس ـ يافا ١٩٢٣	الشيخ أسعد قدّورة (عضو اللجنة التنفيذية).
المؤتمر السابع ـ القدس ١٩٢٨	الشيخ أسعد قدّورة (عضو اللجنة التنفيذية)؛ عبد الرحمن النحوي؛ صبحي الخضراء (انتخب لعضوية اللجنة التنفيذية)؛ (شحادة خوري عن مسيحي صفد).

ملاحظة: بالنسبة إلى المؤتمر الثاني فقد كان مقرراً أن يعقد في ١٥ أيار/مايو ١٩٢٠، لكن السلطات منعت عقده بالقوة، لذا فهو لم يعقد على الصعيد الرسمي، وعلى الرغم من ذلك اعتبر المؤتمر الذي تلاه المؤتمر الثالث.

تدل مشاركة مندوبي صفد، بهذا العدد والمستوى، مرة أُخرى على توطيد العلاقة بين نشيطي الحركة الوطنية في المدينة وبين القيادة القطرية ومؤسساتها. وكما يتضح من الجدول أعلاه فإن المؤتمرات الستة الأولى عُقدت بين سنة ١٩١٩ وسنة ١٩٢٣، أمّا السابع والأخير فعقد سنة ١٩٢٨. شارك الشيخ أسعد في أربعة منها، ومنذ سنة ١٩٢٢ أصبح عضواً في اللجنة التنفيذية. وقد شارك إلى جانبه خمسة من زعماء المدينة هم: صلاح الدين قدّورة؛ محيي الدين الحاج عيسى؛ الشيخ أحمد النحوي؛ علي رضا النحوي؛ نايف صبح. أمّا في المؤتمر السابع فقد برز زعيمان آخران هما صبحي الخضراء وشحادة خوري.

يمكن القول إن الفترة بين سنة ١٩٢٠ وسنة ١٩٢٣ شكلت قمة النشاط السياسي للشيخ أسعد قدّورة ولزملائه أعضاء اللجنة العربية في صفد. وقد تميز هذا النشاط بوحدة الصف والعمل المشترك.

إلاّ إنه منذ سنة ١٩٢٣، بدأ يظهر تراجع وتباطؤ في النشاط السياسي في المدينة عامة وفي نشاط الشيخ أسعد خاصة. وقد ظهر ذلك من خلال غيابه المتكرر عن جلسات اللجنة التنفيذية.[٤١]

(٤١) أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم ف/ ٢/٩٨٤، وثيقتان بتاريخ ٢/١٠/١٩٢٢، ٣٠/٦/١٩٢٣.

كما ورد أعلاه فإن بوادر تراجع النشاط السياسي والوطني بدت واضحة بعد سنة ١٩٢٣، إذ بدأت تظهر مرحلة من الضعف والركود. ولم يقتصر هذا الوضع على الحركة الوطنية في صفد فحسب، بل شمل أيضاً أنحاء فلسطين كافة. ومن العوامل التي أدت إليه فشل المساعي الفلسطينية في منع المصادقة على صك الانتداب بكل ما فيه من تأييد للمشروع الصهيوني، وازدياد اللامبالاة السياسية لدى الفلسطينيين، إضافة إلى بداية النزاع بين العائلات وازدياد المعارضة للجنة التنفيذية.(٤٢)

تبلورت هذه المعارضة علانية مع تأسيس الحزب الوطني العربي في القدس وعقد اجتماعه الأول في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٢٣. ومن الأعضاء البارزين في هذا الحزب المعارض نذكر كلاً من: الشيخ أسعد الشقيري من كبار علماء عكا؛ عارف الدجاني من القدس؛ فهمي النشاشيبي من القدس؛ راغب النشاشيبي من القدس؛ الشيخ سليمان التاجي الفاروقي من الرملة؛ بولس شحادة صاحب صحيفة «مرآة الشرق» من رام الله؛ عمر الصالح البرغوثي من رام الله.(٤٣)

عبرت اللجنة التنفيذية عن قلقها جرّاء إقامة حزب المعارضة، فطلبت من أعضائها، ومنهم الشيخ أسعد قدّورة، الالتفاف حولها وحول زعامة موسى كاظم الحسيني، رئيس اللجنة التنفيذية، والامتناع من أي اعتراف بالحزب الجديد.(٤٤)

أعتقد أن توجه اللجنة التنفيذية إلى الشيخ أسعد لم يكن مصادفة، لأنه منذ سنة ١٩٢٣ زاد ميله إلى المعسكر النشاشيبي. وربما كان ذلك على خلفية التعيينات الدينية التي قام بها الحاج أمين الحسيني، رئيس المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى. فالخطوة الأولى للحاج أمين كانت تعيين الشيخ أحمد النحوي قاضياً شرعياً في الناصرة بتاريخ ٢٦ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٢٢، وبهذا نال الحاج أمين دعم عائلة النحوي ذات التأثير الكبير والوجاهة، إذ دعمته هذه العائلة طوال الوقت حتى نهاية عهد الانتداب.(٤٥)

(٤٢) بورات، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٦.

(٤٣) الحوت، مصدر سبق ذكره، ص ١٨١؛ دروزة، مصدر سبق ذكره، ج ٣، ص ٤٧ ـ ٤٨.

(٤٤) أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم ف/٣٤٠٥/٩٨٦، وثيقة بتاريخ ١٠/١١/١٩٢٣.

(٤٥) وثائق آل النحوي، وثيقة رقم ٤؛
CO 821/9/1934, Palestine Blue Book, p. 157.

بالإضافة إلى ذلك، أيد الحاج أمين الحسيني استمرار الشيخ سليمان سعد الدين في عمله قاضياً شرعياً في بيسان، وبهذا حظي بدعم عائلته التي ترأست نقابة الأشراف في صفد.(٤٦) كما أنه عيّن محمود شمّا مديراً لأوقاف المدينة.(٤٧)

خلافاً لهذا التقارب مع آل النحوي وسعد الدين فإن الحاج أمين تجاهل في هذه المرحلة الشيخ أسعد قدّورة ولم يعيّنه في منصب قاض. صحيح أن الشيخ أسعد كان آنذاك مفتي صفد، لكن وظيفة الإفتاء كانت من دون مرتب. ويبدو أن السلطات حتى سنة ١٩٢٥ كانت تدفع، بواسطة المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى، مرتب المفتي في كل من القدس ونابلس والخليل فقط، وامتنعت من الدفع في بقية المدن، الأمر الذي أثار غضب بقية المفتين وعلى رأسهم الشيخ أسعد قدّورة، الذي طالب بإلحاح بدفع مرتب له، مؤكداً أن الأتراك دفعوا مرتبات جميع المفتين من دون استثناء حتى آخر يوم في حكمهم.

اعتبر الشيخ أسعد الحاج أمين الحسيني مسؤولاً عن هذا الموضوع. وبعد كثير من الأخذ والرد بين الطرفين سوّي الأمر سنة ١٩٢٥، حين وافق الحاج أمين على تخصيص مرتب للشيخ أسعد قدّورة قدره ١٤٤ جنيهاً فلسطينياً سنوياً. لكن، على الرغم من ذلك، ظلت العلاقة فيما بينهما فاترة.(٤٨) فبالإضافة إلى قضية المرتب يبدو أنه كان هناك اعتبارات داخلية عند الشيخ أسعد، الذي نظر بعين الريبة إلى العلاقة الوطيدة بين الحاج أمين الحسيني وعائلة النحوي، المنافسة المركزية لعائلة قدّورة في صفد. كما أنه لا يمكن التغاضي عن اعتبارات الوجاهة، لأن الشيخ أسعد وأفراد أسرته، الذين كانوا العامل القوي والبارز في صفد والجليل الأعلى الشرقي، صعب عليهم قبول سلطة عائلة مقدسية بعيدة جداً عن صفد.

هذا الوضع أضعف كثيراً النشاط السياسي في المدينة في الفترة ١٩٢٤ ـ ١٩٢٥، الأمر الذي أثار نقداً على صفحات الجرائد.(٤٩) كذلك شمل النقد الجمعية الإسلامية ـ المسيحية في صفد التي كانت برئاسة المحامي عبد الرحمن النحوي والتي اتهمت باللامبالاة والتقاعس.(٥٠)

إلاّ إن التحول المهم الذي أدى إلى شرخ بارز في المدينة حدث سنة ١٩٢٦،

(٤٦) CO 821/12/1937, Palestine Blue Book, p. 437.

(٤٧) دائرة أوقاف الشمال، ملف رقم ٦، تقارير من الفترة ١٩٣٥ ـ ١٩٣٦.

(٤٨) أرشيف جمعية الدراسات العربية، القدس، ملفات رقم ٢٩١٨، ٢٩١٩، ٢٩٢٠، ٢٩٢١، ٢٩٢٤، ٢٩٢٥، ٢٩٢٧، ٢٩٢٨، ٢٩٣١.

(٤٩) «فلسطين»، ٥/٨/١٩٢٤؛ «الكرمل»، ١٣/٨/١٩٢٤.

(٥٠) «الكرمل»، ١٣/٨/١٩٢٤.

حين انتقل الشيخ أسعد قدّورة مع محمد سليم شمّا إلى صفوف المعارضة، وشاركا في مؤتمر معارضي الحسينيين الذي عقد في القدس بتاريخ ١٧ شباط/فبراير ١٩٢٦. وفي هذا المؤتمر انتخب الشيخ أسعد عضواً في هيئته التنفيذية.(٥١) فازدادت نتيجة هذه الخطوة القطيعة بينه وبين الحسينيين، إذ أخر الحاج أمين الحسيني تعيينه في منصب قاض في هذه المرحلة. فتدخل صبحي الخضراء، بناء على طلب الشيخ أسعد، للوساطة بين الطرفين. عندها استجاب الحاج أمين له وعرض على الشيخ أسعد منصب قاضي الناصرة، إلاّ إن الأخير كان يطمح إلى منصب قاضي حيفا، لأن مكانته أكبر وأهم كما أن راتبه أعلى.

في نهاية الأمر قبل الشيخ أسعد التعيين بتردد، فعُيِّن قاضياً للناصرة بتاريخ ١٥ حزيران/يونيو ١٩٣٠، وظل فيها حتى سنة ١٩٣٥، حين نقل إلى محكمة عكا الشرعية، وبقي يشغل منصب قاضي عكا الشرعي حتى النكبة.(٥٢)

في الوقت الذي سادت العلاقات الفاترة بين الشيخ أسعد قدّورة والمفتي المقدسي، وطد كل من صبحي الخضراء وعلي رضا النحوي علاقته بالحاج أمين الحسيني الذي أيدهما وسلمهما إدارة جهاز الوقف في عكا والشمال عامة. ففي سنة ١٩٣٤ عيَّن المفتي علي رضا النحوي مديراً لأوقاف الشمال، وصبحي الخضراء مديراً لأوقاف عكا.

وفي سنة ١٩٣٥ عُيِّن صبحي الخضراء مستشاراً قضائياً ومحامياً للوقف، أمّا علي رضا النحوي فقد نقل لإدارة الوقف في عكا بدلاً منه. وبقي الرجلان يشغلان هذين المنصبين حتى نهاية الانتداب.(٥٣)

يجب الإشارة إلى أن العلاقات التي رعاها الحاج أمين الحسيني وطورها لم تقتصر على العائلات وزعمائها فحسب، بل شملت أيضاً القطاعات الشعبية، كالمخاتير والشيوخ ورؤساء العائلات ومواطنين عاديين. اهتم المفتي، من ناحيته، بتوزيع الأموال على شكل دعم للمؤسسات الدينية والمساجد وغيرها، وقد رأى في مدينة صفد إحدى قلاعه الوفية. ففي حين ظهرت في المدن الأخرى معارضة قوية،(٥٤) لم

(٥١) الحوت، مصدر سبق ذكره، ص ٨٦٦.
(٥٢) وثائق صبحي الخضراء، وثيقة رقم ٩٠؛
CO 821/7/1932, Palestine Blue Book, p. 68.
(٥٣) وثائق صبحي الخضراء، وثائق رقم ٩٢، ٩٣، ٩٣ب، ٩٣ج.
(٥٤) يوسف نبو، «التطور السياسي للحركة الوطنية العربية الفلسطينية، ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥»، رسالة دكتوراه (بالعبرية)، (تل أبيب: جامعة تل أبيب، ١٩٧٧)، ص ٣٨.

تشهد صفد مثل هذا الأمر على الرغم من العلاقات الباردة بين الحسينيين وآل قدّورة.

وقد تحدثت تقارير جهاز استخبارات الهاغاناه، التي أُرسلت من صفد إلى مقر الهاغاناه في تل أبيب منذ سنة ١٩٤٠، كثيراً عن الانتماء الحزبي للشيخ أسعد قدّورة وآل قدّورة عامة إذ جاء فيها: «بالنسبة إلى رؤيتهم الحزبية ينتمي معظمهم إلى آل النشاشيبي.»(٥٥) وجاء في تقرير آخر: «هنالك دعاية بأن الشيخ أسعد ما زال مؤيداً لآل النشاشيبي سرّاً.»(٥٦)

هذه المعطيات تدل على أن آل قدّورة حذروا من إبراز انتمائهم المؤيد لآل النشاشيبي في مدينة أيدت أغلبية سكانها المعسكر الحسيني. ونجد تأكيداً لهذا الحذر بُعيد حادثة مقتل فخري النشاشيبي، إذ لم يصدر في صفد أي تنديد أو أية إشارة معارضة لعملية الاغتيال، وكذلك لم يشارك أحد في جنازته.

وقد تنبه عميل استخبارات الهاغاناه للأمر إذ كتب في تقريره: «حتى المؤيدون القليلون لآل النشاشيبي الموجودون في صفد لم يتجرأوا على التعبير عن رأيهم علانية.»(٥٧)

ويبدو أن الشيخ أسعد قدّورة، الذي عُيِّن سنة ١٩٣٠ قاضياً، عدّل نوعاً ما في موقفه من الحاج أمين الحسيني، وشارك في مؤتمر علماء فلسطين الأول الذي عقد في ٢٦ كانون الثاني/يناير ١٩٣٥، والذي تم بمبادرة المفتي الحاج أمين. وكان هذا المؤتمر من أكبر المؤتمرات التي شهدتها فلسطين، ومن جملة قراراته الإفتاء بتحريم بيع الأراضي لليهود، واعتبار كل من يفعل ذلك كافراً ويفرض عليه الحرمان ويُمنع دفنه في مقابر المسلمين.(٥٨)

أمّا فيما يتعلق بحجم المعسكرين المتنافسين في صفد، فقد كان المعسكر الحسيني الأكثر عدداً، وقد ترأسه علي رضا النحوي ومعه عائلات: سعد الدين؛ الخضراء؛ منوّر؛ حجازي؛ الحاج عيسى؛ الأسدي؛ سويد. بينما ضم معسكر المعارضين، الذي تزعمه الشيخ أسعد قدّورة وأخوه، عائلات: قدّورة؛ خوري، مراد؛ الخولي؛ رستم؛ عبد الرحيم؛ شمّا.(٥٩)

(٥٥) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، تقرير بتاريخ ١/١٠/١٩٤٠، ص ١.
(٥٦) المصدر نفسه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، تقرير بتاريخ ١٥/٥/١٩٤١، ص ٢.
(٥٧) المصدر نفسه، ملف رقم ١/١٠٥، تقرير بتاريخ ١٦/١١/١٩٤١.
(٥٨) هيئة الموسوعة الفلسطينية، مصدر سبق ذكره، المجلد ٣، ص ٣١٠ ـ ٣١١؛ الحوت، مصدر سبق ذكره، ص ٢٩٤ ـ ٢٩٥.
(٥٩) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، تقرير بتاريخ ١٥/٥/١٩٤١، ص ٦.

صنفت تقارير جهاز استخبارات الهاغاناه سنة ١٩٤٠ الانتماء الحزبي لعرب صفد على النحو التالي: ٨٠٪ اعتبروا من حزب المفتي (الحسينيين)؛ ١٥٪ غير حزبيين؛ ٥٪ أيدوا آل النشاشيبي.

ووفقاً لهذه التقارير، التي وضعت بعد «بحث دقيق» بحسب مصادرها، فإن ٨٤٪ من عرب صفد رأوا في الحكومة البريطانية المصدر الأخطر على القضية الفلسطينية، والبقية رأت الخطر في الحركة الصهيونية. وورد في أحدها: «ترى الأغلبية من عرب صفد في الاستيطان اليهودي نتيجة مباشرة للسيطرة البريطانية على البلد، وهي على ثقة بأنه لو لم يكن هنا يهود لأحضر الإنكليز أوروبيين بدلاً منهم.»[٦٠]

وفي تقرير إضافي لجهاز استخبارات الهاغاناه، بعنوان إحصاءات وتراجم لعرب صفد والقضاء، ورد أن ٩٠٪ من سكان مدينة صفد يؤيدون الحسينيين، في مقابل ٧٠٪ فقط من سكان القرى في القضاء.[٦١]

وفي تقرير آخر بتاريخ ١٥ أيار/مايو ١٩٤١، تناول التوزيع الحزبي لعرب صفد، جاء أن ٩٠٪ منهم يؤيدون الحسينيين، و٢٪ يؤيدون آل النشاشيبي، و٨٪ غير حزبيين. وأضاف مرسل التقرير أن مؤيدي آل النشاشيبي يعملون سراً.[٦٢]

إن مقارنة النسب لسنة ١٩٤٠ وسنة ١٩٤١ تدل بوضوح على ارتفاع نسبة مؤيدي الحسينيين وانخفاض نسبة مؤيدي آل النشاشيبي، وذلك على الرغم من إخماد الثورة وإبعاد المفتي المقدسي عن البلد. وكانت أغلبية نسبة غير الحزبيين تميل إلى الحسينيين. وفي تقدير عام، فإن نسبة تتراوح ما بين ٨٠٪ و٩٠٪ كانت من أنصار الحسينيين.

وتشير المعطيات إلى أن نسبة مؤيدي الحسينيين في المنطقة القروية كانت أقل مما كانت عليه في صفد. ويرتبط تعليل ذلك بموقف وتأثير كامل الحسين، الزعيم القروي البارز، الذي وقف ضد الحسينيين بوضوح.

كما أن آل قدّورة حظوا بتأثير كبير في المنطقة القروية، وخصوصاً في القرى التي امتلكوها. فسكان هذه القرى ساروا في معظمهم على خطهم السياسي. زد على ذلك تأثير النزاع الذي قوي بين القرية والمدينة، والنزاعات الداخلية في القرى. فكانت كل حمولة تنحاز إلى معسكر غير المعسكر الذي يضم منافستها.

(٦٠) المصدر نفسه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، تقرير عن الحركة العربية في صفد، لا تاريخ، ص ٢.

(٦١) المصدر نفسه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، تقرير بتاريخ ١/١٠/١٩٤٠.

(٦٢) المصدر نفسه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، تقرير بتاريخ ١٥/٥/١٩٤١، ص ٢.

من الأهمية بمكان الإشارة إلى أنه على الرغم من الانقسام الحزبي لم تشهد المدينة أي أعمال عنف على هذه الخلفية. فقد حافظ الصفديون على علاقات مميزة فيما بينهم؛ إذ كان يربط ما بين كثير من الأسر علاقات قربى ومصاهرة.

وفي تلخيص هذا الفصل نقول إن براعم النشاط السياسي الوطني بدأت في نهاية العهد العثماني وفي إبان الثورة العربية وحكم الأمير فيصل في دمشق. في تلك الفترة برز دور علي رضا النحوي وصبحي الخضراء. إلاّ إن هذا النشاط تضرر وضعف مع إبعاد الأمير فيصل عن سورية واحتلالها من جانب الفرنسيين. ومع بداية عهد الانتداب، وخصوصاً في الفترة ١٩١٨ ـ ١٩٢٣، تبلورت الحركة الوطنية في صفد وتوطدت بقيادة طبقة الأعيان.

إن التطورات في صفد وقضائها في هذه الفترة لم تختلف كثيراً عن بقية أنحاء فلسطين. وعدا أحداث سنة ١٩٢٠ في الحولة، عمّ الهدوء المنطقة، وكانت العلاقات بسلطات الانتداب واليهود في المدينة طبيعية إلى حد كبير.

لقد وجّه الشيخ أسعد قدّورة، الذي كان يرئس اللجنة العربية في المدينة آنذاك، النشاط السياسي بهدوء وحذر، وهو ما يتلاءم وشخصيته، ونجح في المناورة بين قادة الحركة الوطنية المحليين وبين السلطات مع المحافظة على مصلحته ومصلحة عائلته. وقد وصف مراسل صحيفة «مرآة الشرق» نهجه السياسي بقوله:

> لم يقطع علاقته مع الحكومة ولعل له عذراً... لا يزال يتردد بين عاملي الحكومة والحركة الوطنية، فيما إذا خُيّر أن يهاجم أحدهما، فإنه يدرس أين يكون الكسب ليقتنصه... ولكنه متحفظ متردد أمام الحكومة. فلا يجب أن يجابهها بنكر أو ما يخالف سياستها الأساسية إلاّ مضطراً أو من وراء جدار.
>
> فضّل الاعتزال مع تقوية نفوذه في بلاده ليظهر بمظهر القوة ليخطب وده خصومه وأصدقاؤه... قلما يخرج من منطقته، بل لا يبرحها إلاّ لعذر أو لأمر مهم.[٦٣]

أخيراً نشير إلى أن وضع الركود والضعف الذي شهدته الحركة الوطنية في الفترة ١٩٢٤ ـ ١٩٢٦ أخذ يتغير مع عودة صبحي الخضراء إلى المدينة سنة ١٩٢٧، بعد أن كان أُرغم قبل ذلك على الاستقالة من صفوف الشرطة البريطانية، بتهمة مساعدة الثورة السورية التي نشبت سنة ١٩٢٥.[٦٤]

أحيت عودة صبحي الخضراء إلى صفد من جديد النشاط السياسي والوطني في

(٦٣) «مرآة الشرق»، ٢٤/١١/١٩٢٧.

(٦٤) العودات، مصدر سبق ذكره، ص ١١٦.

المدينة. وليس مصادفة أن تصفه تقارير جهاز استخبارات الهاغاناه بأنه محرك النشاط الوطني في المدينة. فقد جاء في أحدها: «بدأ النشاط السياسي بين عرب صفد سنة ١٩٢٨، وقد أثاره صبحي بك الخضراء الذي جعل صفد مركزاً سياسياً مهماً...»[٦٥]

يشار إلى أن مكانة صبحي ارتفعت على الصعيدين المحلي والقطري حين انتخب لعضوية اللجنة التنفيذية في المؤتمر العربي الفلسطيني السابع. هذا الانتخاب دفع به إلى الواجهة فأصبح أحد زعماء الحركة الوطنية المعروفين، ومن جملة الأعضاء الثمانية والأربعين في اللجنة التنفيذية.[٦٦]

في سنة ١٩٢٩، عيّن صبحي الخضراء مديراً عاماً لمكتب اللجنة التنفيذية وبات أقرب أكثر فأكثر من مراكز صنع القرار. وعلى هذه الخلفية اتهمه اليهود بتنظيم أحداث تلك السنة في صفد.[٦٧]

كان هذا النشاط، الذي أثاره صبحي وأنصاره، بداية التحوّل ومؤشراً إلى الدور المتنامي لجيل الشباب من أبناء الطبقتين الوسطى والدنيا، الذين ساءتهم حالة الانقسام والتشرذم في الصف الوطني، ولعل أحداث حائط البراق سنة ١٩٢٩ كانت إشارة واضحة إلى ضعف وتراجع معينين في صفوف زعامة المدينة من الرعيل الأول، وهذا ما سنعالجه بتوسع في الفصل التالي.

(٦٥) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، تقرير عن تطور الحركة الوطنية العربية في صفد والقضاء، لا تاريخ، ص ١.
(٦٦) الحوت، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٥، ٨٦٥.
(٦٧) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، تقرير بتاريخ ١٥/٥/١٩٤١، ص ٥.

الفصل الثامن

أحداث حائط البراق سنة ١٩٢٩ في صفد

أولاً: قضية حائط البراق وانعكاساتها على صفد

كانت أحداث حائط البراق التي بدأت تتفاعل اعتباراً من آب/أغسطس ١٩٢٨ بمثابة مرحلة جديدة في الصراع الفلسطيني - الصهيوني عامة، وفي الصراع في مدينة صفد خاصة. وقد نجم عنها نتائج بعيدة المدى في العلاقات بين العرب واليهود.[١] كما هو معروف، يرى المسلمون في حائط البراق جزءاً لا يتجزأ من الحرم القدسي الشريف، وقد ارتبط هذا الموقع بواقعة الإسراء والمعراج. أمّا اليهود فيعتبرونه من بقايا الهيكل ويسمونه حائط المبكى أو الحائط الغربي، ومن هنا تنبع قدسيته لديهم. وكانت سلطات الدولة العثمانية أتاحت لهم بشكل تقليدي الصلاة في منطقة الحائط، إلاّ إنها منعتهم من إحضار أية تجهيزات ومرافق كالمقاعد والطاولات ووضعها بصورة دائمة، وذلك لتؤكد أن ليس لليهود أي حق قانوني في المكان.

وقد قرر البريطانيون، منذ بداية حكمهم، السير وفق نهج العثمانيين من خلال المحافظة على هذا الوضع، إلى أن وقعت أحداث ٢٣ أيلول/سبتمبر ١٩٢٨. في ذلك اليوم، عشية يوم الغفران، اجتمع مئات اليهود في باحة الحائط للصلاة، وخلافاً للمعتاد أحضروا المقاعد والطاولات، وأقاموا السواتر بين النساء والرجال وغيرها من الأمور. رأى العرب في هذه الخطوة تجاوزاً وخروجاً عن الوضع المتعارف عليه، واحتجوا على ذلك لدى السلطات البريطانية، فبادرت إلى إزالة السواتر وإعادة الوضع إلى ما كان عليه.[٢]

(١) يهودا سلوتسكي، «كتاب تاريخ الهاغاناه، من الدفاع إلى الصراع» (بالعبرية)، (لا مكان: لا دار نشر، الطبعة الثانية، ١٩٦٤)، ج ٢، ص ٣٠١.
(٢) عبد الوهاب الكيالي، «تاريخ فلسطين الحديث» (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٠)، ص ١٩٨.

أثارت هذه الخطوة غضب اليهود، إذ رأوا فيها مساً فظاً بقدسية يوم الغفران. لكن الأمر لم ينته عند هذا الحد، فقد اعتقد العرب أن إجراءات اليهود ما هي إلاّ خطوة أولى في سبيل السيطرة على الأماكن الإسلامية المقدسة بكاملها وضمنها حائط البراق.

أثير موضوع حائط البراق بصورة واسعة بعد المؤتمر الإسلامي الذي عقد في القدس في الأول من تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٢٨، حين قام كل من اللجنة التنفيذية والمجلس الشرعي الإسلامي الأعلى بحملة دعائية واسعة فحواها أن اليهود يُخططون للسيطرة على المسجد الأقصى.(٣) وقد وجدت هذه الحملة آذاناً صاغية لدى الجماهير الإسلامية في البلد وفي العالم الإسلامي.

قامت اللجنة القومية اليهودية، من جهتها، بحملة مضادة، فنشرت بياناً أعلنت فيه للعرب أنه لا يوجد أية نية عند اليهود للمس بحقوق المسلمين في الأماكن المقدسة، وأن اليهود يودون الصلاة في باحة حائط المبكى بسلام وهدوء، ولا ينوون الهجوم على المساجد، وأن كل الأقوال في هذا الشأن هي ثمرات خيال كاذب وفِرْية مغرضة.(٤) إلاّ إنه من المشكوك فيه أن فحوى هذا البيان وصل إلى الجماهير العربية التي صدقت أقوال المفتي ومؤيديه من علماء الدين المسلمين.

وفي ١٩ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٢٨، وبهدف تهدئة الأوضاع وتخفيف حدة التوترات، أصدرت سلطات الانتداب الكتاب الأبيض بشأن حائط البراق، أكدت فيه حق اليهود في الصلاة في باحته مع التشديد في الوقت نفسه على ملكية العرب للحائط وللباحة. وطالبت السلطات الفريقين بالعودة إلى الوضع الذي كان سائداً من قبل.(٥)

إلاّ إن الأمور لم تسر على هذا النحو، فالمفتي الحاج أمين الحسيني واللجنة التنفيذية رأيا في قضية الحائط قضية لا يمكن التهاون بها، ولذلك واصلا إثارتها في المحافل كافة.

أمّا أعضاء الحاخامية العليا وقادة الييشوف فاعتقدوا أن صلاة اليهود في المكان لا يمكن أن تكون مرهونة بأي شرط لا بريطاني ولا إسلامي.(٦)

(٣) المصدر نفسه؛ محمد عزة دروزة، «حول الحركة العربية الحديثة: تاريخ ومذكرات وتعليقات» (صيدا: المكتبة العصرية، ١٩٥٠ ـ ١٩٥١)، ج ٣، ص ٦١ - ٦٣.

(٤) سلوتسكي، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠٥ - ٣٠٦.

(٥) بيان نويهض الحوت، «القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين، ١٩١٧ - ١٩٤٨» (عكا: دار الأسوار، ١٩٨٤)، ص ٢٢١؛ الكيالي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٠.

(٦) FO 371/13746, from the High Commissioner to Secretary of State for the Colonies, 4/9/1929.

استمر الوضع على هذا الحال من الأخذ والرد والحملات المتبادلة حتى الثاني من آب/أغسطس ١٩٢٩ حين وقع الصدام الأول بين الطرفين. في أعقاب ذلك ازداد التوتر في البلد، فقام اليهود بإنشاء لجان بغية دعم مطالبهم بالحائط، في حين قام العرب بتأليف جمعيات للدفاع عن المسجد الأقصى، وعندها أصبح من الصعب إيقاف التدهور.

وفي ١٤ آب/أغسطس ١٩٢٩ جرت تظاهرة صاخبة في تل أبيب احتفالاً بمناسبة صوم يوم التاسع من آب/أغسطس، ذكرى خراب الهيكل. وفي اليوم التالي، أقيمت مسيرة في القدس ضمت الآلاف من أبناء الشبيبة اليهودية من أعضاء عصبة ترومبلدور اليمينية المتشددة (بيتار)، اتجهت نحو منطقة حائط البراق. وكردة فعل قام العرب بمسيرة كبرى، في السادس عشر من الشهر نفسه، بمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف.(٧)

حيال هذا الجو المتوتر حدث انقسام في صفوف قيادة الييشوف، إذ طالب بعضهم بمواصلة المشروع الصهيوني المركزي المتمثل في امتلاك الأراضي والهجرة والاستيطان والامتناع من توجيه كل الجهود نحو قضية الحائط. كما اعتقدوا أنه يجب الامتناع من إعطاء الصراع العربي - اليهودي في فلسطين صبغة دينية، لأن الأمر سيؤدي إلى توحيد المسلمين ضدهم.(٨) إلاّ إن هذه الأصوات لم تكن قادرة على التأثير ووقف التدهور.

وعقب المسيرات استمر التوتر في التصاعد، وخصوصاً بعد طعن مواطن يهودي في القدس في أثناء نزاع نشب بين سكان عرب ويهود. وفي الوقت نفسه استمرت الدعاية والتعبئة في الجانب العربي، إذ طُلب من الناس القدوم إلى القدس لأداء صلاة الجمعة في ٢٣ آب/أغسطس ١٩٢٩. عندها شعرت السلطات البريطانية بالقلق، فأعلن هاري لوك، السكرتير الأول في حكومة الانتداب، منع المسيرات بأشكالها كافة، وطالب جميع الزعماء العرب واليهود بتهدئة الأوضاع.

وفي ٢٢ آب/أغسطس ١٩٢٩، استدعى لوك ممثلين عرباً ويهوداً إلى اجتماع طارئ في بيته. مثّل العرب في هذا الاجتماع ٣ أعضاء من اللجنة التنفيذية هم جمال الحسيني وعوني عبد الهادي وصبحي الخضراء. ومثّل الجانب اليهودي ٣ من قادة الحركة الصهيونية هم يتسحاق بن - تسفي ويتسحاق ليفي ويشعياهو برويدا.

(٧) دافيد شيمش (تحرير)، «أحداث سنة ١٩٢٩ والصراع بشأن الحائط الغربي» (بالعبرية)، (القدس: لا دار نشر، ١٩٧٩)، ص ١١؛ الحوت، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٢؛ الكيالي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٢ - ٢٠٣.

(٨) سلوتسكي، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠٧ - ٣١١.

بعد نقاش مستفيض قرر الطرفان إصدار بيانين يدعوان الجمهور فيهما إلى التزام الهدوء. فصاغ عوني عبد الهادي بياناً باسم الجانب العربي الإسلامي تضمن اعترافاً بحق اليهود في زيارة المكان وفقاً للأوضاع التي كانت سائدة قبل النزاع. وصاغ يتسحاق ليفي بياناً آخر باسم ممثلي المؤسسات اليهودية تضمن اعترافاً يهودياً بحق المسلمين الكامل في حائط البراق. إلاّ إن ممثلي اليهود تراجعوا ورفضوا توقيع البيانين بسبب عدم وضوح عبارتي حائط البراق والزيارة بحسب قولهم، وبدلاً من ذلك اقترحوا نشر بيان آخر رفضه الممثلون العرب، وبذلك فشل الجانبان وفوتا الفرصة الأخيرة لإنقاذ الأوضاع ومنع الصدام. وفي اليوم التالي، ٢٣ آب/أغسطس ١٩٢٩، اندلعت الأحداث الدامية في القدس.[٩]

يذكر أنه في تلك الأيام العصيبة كان كثيرون من كبار المسؤولين الإنكليز خارج فلسطين. فكان المندوب السامي، جون تشانسلور، في لندن، كما كان قائد الشرطة وعدد من الضباط الكبار وحكام الألوية يمضون إجازتهم الصيفية. كذلك كان كثيرون من قادة الحركة الصهيونية في زوريخ، حيث شاركوا في المؤتمر الصهيوني السادس عشر. وفي غياب القيادات القادرة على اتخاذ القرار وحسم الموقف أصبح من الصعب تجنب الصدام.

وفي يوم الجمعة الواقع فيه ٢٣ آب/أغسطس ١٩٢٩، لبى السكان العرب في المدن والقرى وتجمعات البدو نداء المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى وجاؤوا للصلاة في المسجد الأقصى. وفي ساعات الظهر، وبعد انتهاء الصلاة، بدأت الاضطرابات في المدينة، وما لبثت أن امتدت إلى مدن أُخرى، وخصوصاً إلى الخليل وحيفا ويافا.[١٠] وبعد مضي خمسة أيام، وتحديداً في ٢٩ آب/أغسطس ١٩٢٩، اندلعت الصدامات في صفد.[١١]

(٩) المصدر نفسه، ص ٣٠٥ - ٣١١؛ أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم ف/٣٣١٧/٣٩٧، ص ٥، شهادة صبحي الخضراء أمام لجنة شو في ٣٠/١١/١٩٢٩؛ الحوت، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٩؛

Palestine Commission of Inquiry, Jerusalem, 30 November 1929, Twenty Seventh Sitting, pp. 4-5;

محسن محمد صالح، «القوات العسكرية والشرطة في فلسطين ودورها في تنفيذ السياسة البريطانية، ١٩١٧ - ١٩٣٩» (عمان: دار النفائس، ١٩٩٦)، ص ٢٨٤ - ٢٩١.

(١٠) الحوت، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣٠.

(١١) الأرشيف الصهيوني المركزي، ملف رقم A1/239، رسالة من يهود صفد إلى المندوب السامي، لا تاريخ.

ثانياً: امتداد الاضطرابات إلى صفد، الهجوم على الحي اليهودي ونتائجه

بعد اندلاع الاضطرابات في القدس، سارت في صفد تظاهرتان صاخبتان، الأولى في الثالث والعشرين من آب/أغسطس والثانية في الخامس والعشرين منه، وسادت المدينة حالة من التوتر، وخصوصاً في ضوء الشائعات والأخبار المتواصلة عن مهاجمة اليهود لباحة الحرم القدسي الشريف وارتكاب المجازر بحق العرب.[١٢]

في خضم تلك الأحداث حاول زعماء صفد تهدئة الأوضاع. ففي ٢٦ آب/أغسطس ١٩٢٩، أصدر المفتي الشيخ أسعد قدّورة وعلي رضا النحوي بياناً طالبا من خلاله السكان العرب بالخلود إلى السكينة.[١٣] بعد ذلك غادر وفد صفدي مؤلف من الشيخ أسعد وعلي رضا وصبحي الخضراء قاصداً القدس، إلاّ إن الشيخ أسعد وعلي رضا قفلا عائدين في ٢٩ آب/أغسطس لأن السلطات منعتهما من دخول المدينة. وفي تلك الأثناء قُطع الاتصال الهاتفي بالقدس، الأمر الذي صعّب كثيراً الحصول على أخبار موثوق بها، ثم انتشرت الشائعات مجدداً عن قيام اليهود بهجوم على الحرم القدسي وذبح العرب.[١٤] ولانعدام وسائل اتصال متطورة صدق كثيرون هذه الشائعات، وخصوصاً عمال السوق وزوارها وسكان حارة الوطاة المجاورة للحي اليهودي.

وفي ساعات ما بعد الظهر من يوم ٢٩ آب/أغسطس، عقد اجتماع شعبي حاشد في المسجد الكبير، المعروف بالمسجد اليونسي، تكلم فيه كل من رؤوف حجازي ونصوح منوّر من دون أن ينفيا نفياً قاطعاً تلك الشائعات الواردة من حيفا والقدس. عندها اقتنع الناس الغاضبون بصحة تلك الأخبار، فقاموا بمهاجمة الحي اليهودي في المدينة. تراوح عدد المهاجمين بين ٤٠٠ و٦٠٠ شخص، واستمر الهجوم نحو عشرين دقيقة قُتل خلالها ١٢ يهودياً وجُرح ٣٣ آخرون.[١٥]

(١٢) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٨٠/٦٠٨/١، تقرير بتاريخ ٢٢/٨/١٩٤٢؛ الأرشيف الصهيوني المركزي، ملف رقم A1/239، رسالة من يهود صفد إلى المندوب السامي، لا تاريخ، ص ١ - ٢؛ وثائق صبحي الخضراء، وثيقة رقم ٣٧٥، بتاريخ ٢٤/١٢/١٩٢٩، شهادة محمد الطويل.

(١٣) «كتاب سجلات لجنة التحقيق في أحداث سنة ١٩٢٩» (بالعبرية)، (تل أبيب، لا دار نشر، لا تاريخ)، ج ٢، ص ٦؛ أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم ف/١٤٥/٩٨٧، وثيقة بتاريخ ٢/١١/١٩٢٩، ص ٤.

(١٤) «كتاب سجلات لجنة التحقيق...»، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٥٠، ج ٢، ص ٩ - ١٠.

(١٥) CO 733/180/4, Summary and Classification of Casualties, Showing Deaths and Injuries, p. 3.

كان الضحايا في الأساس من سكان الحي اليهودي الشرقي السفارادي المجاور لحارة الوطاة، التي خرج منها معظم الناشطين في مختلف الأحداث.

أذهلت نتائج الهجوم، وما تخلله من قتل وأضرار، معظم سكان المدينة من عرب ويهود. وقد وجهت أصابع الاتهام إلى السلطات البريطانية بالتقصير والفشل، لأن الأحداث بدأت بعيداً في القدس، ولم تصل إلى صفد إلاّ بعد مضي خمسة أيام، وهي مدة كافية كي تتخذ السلطة الإجراءات اللازمة وتمنع الاحتكاك بين اليهود والعرب. فعلى الرغم من مؤشرات الهدوء النسبي خلال ٢٧ و٢٨ آب/أغسطس، فإنه سبق ذلك يومان من التوتر والتظاهرات، الأمر الذي حدا بعض التجار العرب على إخلاء حوانيتهم في الحي اليهودي، كما أن الموظفين والأطباء العرب أخلوا مكاتبهم وبيوتهم في هذا الحي، في الوقت الذي لازم اليهود منازلهم.

اتهمت لجنة الجالية اليهودية السلطات بالإهمال والتقصير علانية. وفي رسالة منها إلى المندوب السامي ورد ما يلي: «في الأيام التي سبقت اندلاع الأحداث، لم تتخذ الشرطة أية إجراءات جدّية... سمحت للعصابات العربية بالتجوال في الشوارع اليهودية، الأمر الذي شجع العرب.»[١٦] كذلك اعتقد يحزقيئيل همئيري، الكاتب اليهودي الصفدي، أن هذه الأحداث كانت نتيجة تقصير السلطات التي تبنت سياسة فرّق تسد لتوطيد سيطرتها على البلد.[١٧]

على الرغم من التوتر الكبير الذي سبق الأحداث فإن قوة الشرطة الصغيرة المكونة من ١٩ نفراً لم تعزز، فجنود قوة حدود شرق الأردن وعناصر وحدات الجيش البريطاني وصلوا إلى صفد بعد ساعتين من بداية الهجوم.[١٨] ويبدو أن يهود صفد تفاجأوا بحجم الهجوم ولم يكونوا مستعدين له. وقد ادعى قائد الهاغاناه أن اليهود رفضوا قبول السلاح كي لا يثير الأمر جيرانهم العرب، كما أنهم عارضوا إقامة مواقع دفاعية أمام بيوتهم.[١٩]

---

(١٦) الأرشيف الصهيوني المركزي، ملف رقم A1/239، رسالة من يهود صفد إلى المندوب السامي، لا تاريخ، ص ٣ - ٤.

(١٧) يحزقيئيل همئيري (تحرير)، «الأحداث الدامية» (بالعبرية)، (صفد: بيت همئيري، لا تاريخ)، ص ٤.

(١٨) CO 733/147/4, pp. 107-108;
يغآل أيال، «الانتفاضة الأولى: قمع الثورة العربية على يد الجيش البريطاني في أرض إسرائيل، ١٩٣٦ - ١٩٣٩» (بالعبرية)، (تل أبيب: وزارة الدفاع، ١٩٩٨)، ص ٣١؛ ناتان شور، «تاريخ صفد» (بالعبرية)، (تل أبيب: لا دار نشر، ١٩٨٩)، ص ٢٥٢.

(١٩) شور، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥٣.

بعد وصول القوات البريطانية المعززة تم إخلاء سكان الحي اليهودي جميعهم إلى دار السرايا العثمانية، حيث بقوا حتى صباح السبت في ٣٠ آب/أغسطس حين سُمح لهم بالعودة إلى بيوتهم.[٢٠]

تتهم المصادر العبرية في معظمها صبحي الخضراء بالوقوف وراء تدبير الأحداث، وذلك من خلال التحريض وإثارة المشاعر في المدينة وقضائها. وقد أتى هذا الاتهام على خلفية جولات صبحي في المدينة وقضائها قبل اندلاع أحداث القدس وبعدها، وخصوصاً جولاته في ٢٥ و٢٦ آب/أغسطس، كما يستشف من شهادة يوئيل بارشاد، أحد ممثلي يهود صفد وعضو المجلس البلدي. فبحسب أقواله، شرع صبحي في جولاته في قرى الشمال في بداية آب/أغسطس، حين جاء ومعه بعض السياسيين والنشيطين الفلسطينيين الذين برز منهم عبد الحميد شومان وعمر الصالح البرغوثي.

وادعى بارشاد أن صبحي كان يخرج صباحاً إلى المنطقة القروية ويعود مساء. وفي أثناء وجوده في صفد كان يلتقي كثيرين من شبابها ونشيطيها، منهم فؤاد حسن حجازي الذي اتهم بالقيام بدور بارز في الأحداث.[٢١]

وفي أثناء استجواب لجنة التحقيق لصبحي الخضراء اعترف بقيامه بجولات في أول أسبوعين من آب/أغسطس إلى أن عاد إلى القدس في الثالث عشر منه. وقال إن زيارته كانت بهدف الاستجمام، ونفى نفياً قاطعاً ما أُشيع بشأن قيامه بتحريض السكان.[٢٢]

وفيما يتعلق بتحركات صبحي الخضراء، نذكر أنه في اليوم التالي لوقوع أحداث القدس، أي في ٢٤ آب/أغسطس، غادر العاصمة وقدم إلى صفد حيث مكث فيها أربعة أيام، ثم عاد إلى القدس يوم الأربعاء في ٢٨ من الشهر نفسه، أي قبل يوم واحد من وقوع الأحداث في صفد. وقد ادعى اليهود أن هدف جولته هذه كان التحريض فقط.

---

(٢٠) همئيري، مصدر سبق ذكره، ص ٥؛
CO 733/180/4, p. 3;
الأرشيف الصهيوني المركزي، ملف رقم A1/239، رسالة من يهود صفد إلى المندوب السامي، لا تاريخ، ص ٣.

(٢١) أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم ف/٢٨٦٨/٩٨٧، بروتوكول لجنة التحقيق البريطانية، جلسة بعد ظهر يوم الاثنين، ٢٣/١٢/١٩٢٩، ص ١.

(٢٢) المصدر نفسه، ملف رقم ف/٢٨٦٨/٩٨٧، بروتوكول لجنة التحقيق البريطانية، جلسة بتاريخ ١٣/١٢/١٩٢٩، ص ٦ - ٧.

أنكر صبحي هذه التهمة في شهادته أمام لجنة شو (Shaw) التي أُرسلت لتقصي الحقائق بشأن أحداث حائط البراق. وقال إن سفره كان بهدف دعوة أعضاء اللجنة التنفيذية وتأمين قدومهم إلى القدس لمداولات مستعجلة، وإنه زار بعض المدن الأُخرى للهدف نفسه. وأضاف أنه ساعد في أثناء وجوده في صفد على تهدئة الأوضاع، وخصوصاً أن أعمال عنف متعددة وقعت في ٢٤ آب/أغسطس، بعد التظاهرة الأولى. فقد تظاهر نحو ٨٠٠ من العرب في شوارع الحي اليهودي ملحقين الأضرار الخفيفة بالأملاك. وفي اليوم التالي، حين جرت تظاهرة ثانية قرب بيت المفتي الشيخ أسعد قدّورة، توجه قائد شرطة المدينة إلى صبحي طالباً مساعدته في تفريق المتظاهرين، فلبى الطلب موجهاً السكان إلى الجامع اليونسي الكبير، وألقى خطاباً قال فيه إن الوضع هادئ في القدس، وطلب من الناس الخلود إلى السكينة.[٢٣]

بعد هاتين التظاهرتين أصدر حاكم اللواء بياناً منع بموجبه أي تجمهر داخل حدود بلدية صفد.[٢٤] وفي المقابل أعلن العرب الإضراب ثلاثة أيام خيم خلالها الهدوء على المدينة.[٢٥]

من خلال استجواب الشاهد محمد الطويل أمام لجنة شو، والذي أجراه المحامي بويد مريمان، ممثل الوكالة اليهودية في اللجنة، تبين أن السبب الأساسي في التوتر نجم عن الأخبار التي وردت وفحواها أن اليهود هجموا على المسجد الأقصى وقبة الصخرة. وبحسب محمد الطويل فقد ساد قبل تلك الشائعات علاقات طبيعية وجيدة بين الطرفين.

وكان أشار الطويل إلى أن المشاركين في تظاهرات صفد كانوا، في معظمهم، من أصحاب الحوانيت والعاملين في السوق، وأضاف أن أياً من الأعيان لم يشارك في هذه التظاهرات، وأن عوامل خارجية هي التي أثارت الشغب في المدينة. وفيما يلي بعض أسئلة مريمان وإجابات الطويل عنها:

س: أُذكر أهم الأسباب التي أدت إلى الشغب؟

ج: لم يكن هناك سبب لذلك.

(٢٣) Palestine Commission of Inquiry, 30 November 1929, pp. 11-12; «فلسطين»، ٦/١٢/١٩٢٩، ٧/١٢/١٩٢٩، ٨/١٢/١٩٢٩؛ «الكرمل»، ١٩/١٠/١٩٢٩.

(٢٤) الأرشيف الصهيوني المركزي، ملف رقم A1/239، رسالة من يهود صفد إلى المندوب السامي، لا تاريخ.

(٢٥) «الكرمل»، ١٩/١٠/١٩٢٩.

س: إذاً، لماذا حدثت؟

ج: الأصابع حركتها...

س: ماذا تقصد بقولك أن الأصابع حركتها؟

ج: أعني أن الأمور لا تحدث من دون سبب، ولولا التدخل بين سكان صفد لما وقعت أحداث المدينة!

س: نريد أن نعرف إلى أية أصابع تشير؟

ج: أصابع ذوي النيات والباحثين عن الثروة... الذين انتهزوا الفرصة كي يبينوا للحكومة أن لهم تأثيرهم في البلد...[٢٦]

حقاً لم يشر الطويل بوضوح إلى الذين أدى تدخلهم إلى وقوع الأحداث، لكن كان الاعتقاد أنه يقصد صبحي الخضراء والمجموعة التي وصلت معه خلال آب/أغسطس. أنكر الصفديون بشدة أقوال الطويل معتقدين أن كل ما حدث كان عاصفة مشاعر بعد وصول أخبار مقلقة من القدس وحيفا، وادعوا أن الطويل ليس شاهداً موثوقاً به، إذ ارتبط بعلاقات مشبوهة بمؤسسات الاستيطان الصهيونية وبرئيس المجلس البلدي في طبرية، اليهودي زاكي الحديف، وقبض منه أموالاً في مقابل ذلك. وقد فرضوا عليه المقاطعة رافضين المشاركة في جنازته بعد موته.[٢٧]

أمّا شهادة قائد شرطة المدينة، الكابتن فارادي، فتشير إلى أنه لا يوجد حقاً أي تنظيم أو تخطيط مسبق من جانب العرب للهجوم على الحي اليهودي. وقد تبين ذلك خلال استجواب محامي اللجنة التنفيذية العربية، ستوكر، لفارادي أمام لجنة شو، إذ جاء فيه ما يلي:

ستوكر: أيمكنك أن تجيب عما إذا كانت تظاهرة ٢٥ آب/أغسطس ١٩٢٩ نجمت عن الأخبار التي وصلت من القدس بأن اليهود ذبحوا العرب فيها، أم لا؟

فارادي: نعم نجمت.

ستوكر: نجمت عن الخبر القائل بأن اليهود في القدس ذبحوا العرب؟

(٢٦) أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم ف/٢٨٦٨/٩٨٧، بروتوكول لجنة التحقيق البريطانية، جلسة قبل الظهر بتاريخ ٤/١٢/١٩٢٩؛ وثائق صبحي الخضراء، وثيقة رقم ٣٧٥، بتاريخ ١٤/١٢/١٩٢٩، ص ١ - ٢؛ «كتاب سجلات لجنة التحقيق...»، مصدر سبق ذكره، شهادة محمد الطويل، ج ٣، ص ٤٩ - ٥٠.

(٢٧) الأرشيف الصهيوني المركزي، ملف رقم S/25/4121، وثيقة بتاريخ ٢٧/٢/١٩٣٠؛ وثائق صبحي الخضراء، وثيقة رقم ٣٧٥، بتاريخ ١٤/١٢/١٩٢٩، ص ١ - ٦؛ شور، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥٢؛ «فلسطين»، ١٨/٢/١٩٣٣.

فارادي: نعم.[٢٨]

في جواب آخر أكد فارادي أن الهجوم لم يكن منظماً، وأن هدوءاً نسبياً خيم على المدينة في ٢٧ و٢٨ آب/أغسطس، وأن الأخبار التي وردت إلى صفد هي التي أدت إلى تفجر الأوضاع.[٢٩]

عن مواقف زعماء المدينة يقول فارادي إن المفتي الشيخ أسعد قدّورة وعلي رضا النحوي ساهما في تفريق المتظاهرين في ٢٥ آب/أغسطس بعد أن حذّر، أي فارادي، المفتي من أنه يرى فيه المسؤول الشخصي عن النتائج، وأنه هو فقط القادر على المحافظة على النظام بين مسلمي المدينة.[٣٠]

إضافة إلى الضحايا مني اليهود جرّاء الهجوم بأضرار جسيمة في الأملاك. فقد جاء في تقرير الأضرار، الذي رفعه زعماء اليهود إلى حاكم اللواء في السادس من كانون الأول/ديسمبر ١٩٢٩، أن عدد العائلات المتضررة والمطالبة بالتعويض هو ٤٩ عائلة، وأن قيمة الأضرار بلغت ٣٦٣٨ جنيهاً فلسطينياً. وقد بلغ عدد الحوانيت المحروقة أو المنهوبة أو المتضررة ٣٧ حانوتاً، بينما بلغ عدد البيوت ٣١ بيتاً.[٣١] وبحسب ناتان شور، الذي تطرق أيضاً إلى أضرار الأحداث وقدم معطيات مبالغاً فيها، بلغ عدد الشقق السكنية المحروقة ١٥٦ شقة، في حين بلغ عدد الحوانيت التي نهبت أو تضررت ٤٨ حانوتاً.[٣٢] مهما يكن من أمر فإن الحديث يدور عن أضرار كبيرة. ومن الآثار بعيدة المدى لهذه الأحداث هجرة كثيرين من يهود صفد، الأمر الذي أضعف هذه الجالية أكثر فأكثر.

ثالثاً: تأثير الأحداث في سكان المدينة العرب

جبت أحداث سنة ١٩٢٩ ثمناً باهظاً من السكان العرب، فقد قُتل منهم أربعة هم عبد الغفور الحاج سعيد، وعبد سليم الخضراء، وفوزي أحمد الدبدوب، وعبد

(٢٨) أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم ف/٢٨٦٨/٩٨٧، بروتوكول لجنة التحقيق البريطانية، جلسة رقم ١٠، ص D3.

(٢٩) «كتاب سجلات لجنة التحقيق...»، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٨.

(٣٠) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٩.

(٣١) الأرشيف الصهيوني المركزي، ملف رقم A1/239، رسالة من يهود صفد إلى المندوب السامي، لا تاريخ، ص ٦.

(٣٢) شور، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥٣.

ذياب عيساوي، وجُرح ثمانية بنيران القوات البريطانية،[٣٣] واعتقل نحو ٢٦٣ شخصاً، نُقلوا جميعاً إلى السجن المركزي في قلعة عكا.[٣٤] وقد وجد السكان العرب أنفسهم، جرّاء هذه الإجراءات، أمام مشكلة عسيرة كان لها انعكاسات سلبية عليهم. وفيما يلي سنتحدث عن تلك الانعكاسات في ثلاثة مجالات هي: القضائي؛ الاجتماعي/الاقتصادي؛ السياسي.

أ) المجال القضائي

من خلال مراجعة الملفات القضائية يتضح أن موضوع مواجهة الاعتقالات والمحاكم كان صعباً جداً بالنسبة إلى الزعامات الصفدية، وذلك بسبب عدد المعتقلين الكبير والمصاريف الباهظة المترتبة على ذلك، إذ أصبح هذا الأمر محور الاهتمام والشغل الشاغل لزعماء المدينة خلال سنة ١٩٣٠.

كانت العقبة الأولى كيفية توفير الدفاع القضائي لعدد كثير من المعتقلين، وخصوصاً أنه لم يكن في قدرة السكان تحمل مصاريف المحاكم.

بعد جهود كبيرة وافق محاميان حيفاويان، هما المحامي حنا عصفور والمحامي فؤاد عطا الله، على تمثيل معتقلي صفد، وانضم إليهما لاحقاً المحامي عبد الغني النحوي.[٣٥]

أخذ صبحي الخضراء على عاتقه متابعة موضوع الدفاع. ويتضح من الرسائل التي تبادلها مع المحاميين المشار إليهما مدى صعوبة الوضع، ومدى صعوبة تجنيد المبالغ المطلوبة. فالمحاميان أصرا على الحصول على المبالغ المطلوبة كافة، حتى إنهما اتهما لجنة دعم المعتقلين بالتقصير.[٣٦]

في بداية الأمر أُرسل رفيق بيضون، متصرف لواء حيفا، لإجراء التحقيق في أحداث صفد. فاحتج يهود المدينة على ذلك وطالبوا بأن يكون المحقق غير عربي.[٣٧] استجابت سلطات الانتداب لطلبهم وأرسلت إلى المدينة قاضي تحقيق

(٣٣) CO 733/180/4, Summary and Classification of Casualties, Showing Deaths and Injuries, pp. 3-4.

(٣٤) CO 733/190/5, 22/2/1930, p. 2,
تقرير شامل من المندوب السامي جون تشانسلور إلى باسفيلد.

(٣٥) أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم ف/١٤٥/٩٨٧، وثائق بتاريخ ١٩٢٩/١٢/٢٩، ١٩٢٩/١٢/٣١، ١٩٣٠/٢/٢٥.

(٣٦) المصدر نفسه، وثيقة بتاريخ ١٩٢٩/١٢/١٦.

(٣٧) «فلسطين»، ١٩٢٩/٩/٢.

بريطانياً يدعى ليويك. وعندها احتج العرب واتهموا قاضي التحقيق الجديد بالتقرب من اليهود، وباتخاذ موقف معاد من العرب.[٣٨] كذلك احتجوا على بقاء ضابط التحقيقات اليهودي كوهين في وظيفته، واتهموه بالانحياز إلى اليهود، وبممارسة الضغط على الشهود وتلفيق التهم بحق الأبرياء.[٣٩]

بدأت العملية القضائية بسرعة، وجرت كل المحاكمات في محكمة الجنايات الكبرى في حيفا وذلك على الرغم من احتجاج الصفديين الذين طالبوا بإجراء المحاكمات في مدينتهم. ترأس المحكمة كل من كبير قضاة فلسطين ورئيس المحكمة اللوائية في حيفا.

نظرت المحكمة في قضايا ٤٦ متهماً صفدياً، وبعد مداولات مطولة فرضت عليهم عقوبات متنوعة وفقاً للتوزيع التالي: ١٤ متهماً حُكم عليهم بالإعدام، و١٤ متهماً حكم عليهم بالسجن المؤبد، و١٨ متهماً حكم عليهم بالسجن لفترات تتراوح بين ٣ أعوام و١٥ عاماً. وفيما يلي قائمة بأسماء المحكومين:

أسماء المحكومين بالإعدام:

أحمد جابر خطيب	رشيد سليم الحاج درويش	علي سليم الحاج درويش
عارف توفيق غنيم	محمد سليم زينب	توفيق عبيد أحمد
نايف توفيق غنيم	فؤاد حسن حجازي	رشيد محمد خرطبيل
أحمد مصطفى شريفة	محمد عبد الغني حجازي	أحمد صالح الكيلاني[٤٠]
مصطفى أحمد دعيبس	جمال سليم الخولي	

أسماء المحكومين بالسجن المؤبد:

علي خليل غنيم	الحاج إبراهيم خالد	محمود عثمان الكردي

(٣٨) المصدر نفسه، ١٣/ ١٠/ ١٩٢٩.

(٣٩) أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم ف/ ١٤٥/ ٩٨٧، رسالة الجمعية الإسلامية - المسيحية إلى نائب مدير شرطة صفد، تشرين الأول/أكتوبر ١٩٢٩.

(٤٠) المصدر نفسه، ملف رقم ف/ ١٥٨/ ٩٨٧، ف/ ١٤٥/ ٩٨٧، وثيقة بتاريخ ٣١/ ٥/ ١٩٣٠، ص ٥؛ وثائق صبحي الخضراء، وثيقة رقم ٣٧٤. جداول بأسماء المحكومين من العرب وعدد الجرائم التي اتهموا فيها؛ «الكرمل»، ١٢/ ١٠/ ١٩٢٩، ١٩/ ١٠/ ١٩٢٩، ٢٣/ ١٠/ ١٩٢٩، ٢٦/ ١٠/ ١٩٢٩، ٣٠/ ١١/ ١٩٢٩؛ «كتاب سجلات لجنة التحقيق...»، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٨٠ - ١٨٦، ج ٢، ص ٨٧ - ١٤٣.

إبراهيم حجازي	محمد إبراهيم خالد	محمد أبو زيد
عبد الكريم البستوني	عطا إبراهيم خالد	عبد الهادي حمودة
هاشم سعيد النحوي	أحمد طافش	علي زينة[٤١]
عبد الغني قدّورة	حمد الخولي	

أسماء المحكومين بالسجن لفترات متوسطة وقصيرة:

أحمد عبد الغني قدّورة - ٥ أعوام	محمد عبد الغني قدّورة - ٥ أعوام
الحاج طاهر المغربي - ١٥ عاماً	عبد الغني حجازي - ١٠ أعوام
عبد الكريم سمارة - ١٠ أعوام	عبد الرحيم قدّورة - ١٥ عاماً
سليم حسن البستوني - ١٥ عاماً	إسماعيل عبد الرحيم حديد - ١٥ عاماً
محمد علي محيي الدين - ١٥ عاماً	رضا السيد أحمد - ١٥ عاماً
حسين علي حجازي [؟]	حسن حديد - ١٠ أعوام
حسين حديد - ١٠ أعوام	محمد علي حجازي - ١٠ أعوام
قاسم زينب - ٧ أعوام	إبراهيم يعقوب - ١٠ أعوام
حسن المدني - ٣ أعوام	صبري منصور - ٣ أعوام[٤٢]

إن مراجعة القوائم أعلاه تدل على أن المحكومين كانوا، في أغلبيتهم، من أبناء الطبقتين الوسطى والدنيا. وكانوا في معظمهم من أصحاب الحوانيت والأكشاك، أو عملوا في السوق المركزية الفاصلة بين الحي اليهودي وحارة الوطاة، ويبدو هذا الأمر جلياً في قائمة المحكومين بالإعدام. أمّا قائمة المحكومين بالسجن المؤبد فشملت اثنين من أبناء عائلات الأعيان أحدهما من آل النحوي والآخر من آل قدّورة. وما يلفت الانتباه أن القوائم تخلو من أبناء عائلة الخضراء التي اتهم زعيمها بتدبير الأحداث، وربما مرد ذلك إلى بُعد حارة آل الخضراء عن الحي اليهودي.

كذلك يلاحظ أن عدد المحكومين بالإعدام من صفد بلغ ١٤ شخصاً، في حين كان عددهم في الخليل ١١ شخصاً، علماً بأن نتائج الأحداث في الخليل كانت

(٤١) «فلسطين»، ٢٥/ ١٠/ ١٩٢٩؛ أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم ف/ ١٤٥/ ٩٨٧، وثيقة بتاريخ ٣١/ ٥/ ١٩٣٠، ص ١ - ٤.

(٤٢) «فلسطين»، ١٢/ ١٢/ ١٩٢٩؛ «الكرمل»، ٣٠/ ١١/ ١٩٢٩؛ أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم ف/ ١٤٥/ ٩٨٧، وثيقة بتاريخ ٣١/ ٥/ ١٩٣٠، ص ١ - ٤.

أصعب كثيراً، يضاف إليهم مواطن يهودي يافاوي، حكم عليه هو أيضاً بالإعدام.

وعليه، بلغ مجموع عدد المحكومين بالإعدام في فلسطين ٢٦ شخصاً، خففت عقوبة ٢٣ منهم إلى السجن المؤبد، وفقاً لقرار المندوب السامي الصادر بتاريخ ٣١ أيار/مايو ١٩٣٠. أمّا عقوبة كل من فؤاد حسن حجازي وعطا الزير ومحمد جمجوم فبقيت على حالها.

كان فؤاد حسن حجازي الصفدي الوحيد الذي أُعدم، وهو من عائلة معروفة ومثقفة، عمل أبناؤها في معظمهم في مجالي الوظائف والإدارة. وقد برز منهم الأخوان المحاميان رؤوف وعارف حجازي المعروفان بنشاطهما الواسع في الحركة الوطنية في صفد. تلقى فؤاد تعليمه الجامعي في الجامعة الأميركية في بيروت، وبعد عودته إلى صفد عمل موظفاً في دائرة الصحة ولم يكن نشيطاً في صفوف الحركة الوطنية قبل اندلاع أحداث سنة ١٩٢٩.[٤٣] وعلى الرغم من نفيه التهم الموجهة إليه فإن السلطات البريطانية حكمت عليه بالإعدام. وقد باءت بالفشل كل محاولات اللجنة التنفيذية لتخفيف عقوبته، كما أن طلب استئناف الحكم أمام مجلس الملك البريطاني الذي يشكل المرجع القضائي الأعلى تم رفضه، وكذلك لم يجدِ نفعاً تدخل كل من عبد العزيز آل سعود، ملك السعودية، وفيصل بن الحسين، ملك العراق، وعبد الله، أمير شرق الأردن.[٤٤]

لم يكن الصفديون على استعداد للتسليم بهذا الحكم، وحين خاب أملهم بإمكان الاسترحام لدى مجلس الملك، توجهوا ثانية إلى المندوب السامي، وطالبوه بالبحث في الموضوع من جديد، وأثاروا أمامه بعض النقاط الجديدة المتعلقة بأحداث المدينة. وقد جاء فيها أن إدانة المتهمين كانت بموجب المادة ١٧٠ من قانون العقوبات والتي تنص على أن من يقتل عامداً متعمداً يُعدم، وأن أعمال القتل التي وقعت في صفد لم تكن متعمدة، والبرهان على ذلك إفادة قائد شرطة صفد الذي قال إن الأحداث لم تكن مدبرة. كذلك ادعت اللجنة التنفيذية أن المتهمين العرب لم يحظوا بمحاكمة عادلة، لأن الحكام أنفسهم جلسوا في مراحل الحكم كافة، واتهمت نورمان بنتويتش، المستشار القضائي الأول، بالميل إلى اليهود وبالانحياز ضد العرب.

(٤٣) أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم ف/١٥٨/٩٨٧، وثيقة بتاريخ ٤/٦/١٩٣٠.

(٤٤) المصدر نفسه؛ وثائق صبحي الخضراء، وثيقة رقم ٣٧٧. مذكرة من اللجنة التنفيذية العربية إلى المندوب السامي، بتاريخ ٣/١١/١٩٣٠. رسالتان إلى الملك فيصل والملك عبد العزيز في ٥/٤/١٩٣٠؛ أكرم زعيتر، «بواكير النضال: من مذكرات أكرم زعيتر، ١٩٠٩ - ١٩٣٥» (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٤)، ص ١٣٦ - ١٣٧.

طالبت اللجنة التنفيذية المندوب السامي بكل إصرار بإلغاء هذه الأحكام وفتح صفحة جديدة للسلام مع العرب.[٤٥] إلاّ إن هذه الطلبات رفضت، ويوم الثلاثاء الواقع فيه ١٧ حزيران/يونيو ١٩٣٠ نفذ حكم الإعدام بفؤاد حجازي ورفيقيه عطا الزير ومحمد جمجوم من سكان الخليل.

أرسل فؤاد حجازي، قبل إعدامه، رسالة إلى نائب رئيس اللجنة التنفيذية جاء فيها:

> إنني أكتب هذا التحرير وقلبي مفعماً بالسرور والغبطة لأني سأقضي تجاه فلسطين البلد المحبوب، ولكن لعلمي بأنه إذا نفذ حكم الإعدام فهنالك الطامة الكبرى على العرب والإسلام.... لهذا جئت حضرتكم بتحريري هذا لأطلعكم للتوسط لدى من له الاختصاص بخلاصي. وأمّا إذا كان لا بد من تنفيذ الحكم فأوصيكم بعائلتي وأخواني الذين أصبحوا بلا معين دائم، شقيقي الصغير سينهي الكلية الإسكتلندية هذه السنة وسيقدم امتحان حكومة فلسطين، وكان قصدي أن أدخله الكلية الأميركية، فلذلك أرجوكم غاية الرجاء بمساعدته لدخول الكلية، وإني لجواب حضرتكم لمنتظرين.[٤٦]
>
> فؤاد حجازي ٣/٦/٣٠

وفي رسالة ثانية إلى نائب رئيس اللجنة التنفيذية بدا فؤاد حجازي أكثر إلحاحاً بضرورة العمل لإنقاذه من حكم الإعدام، وفيما يلي النص الكامل للرسالة:

> تحية وسلاماً، أمّا بعد لقد تبلغت تنفيذ حكم الإعدام بتاريخ ١٧/٦/٣٠ الساعة الثانية صباح الثلاثاء. فالآن قد أصبح الموقف حرجاً أرجوكم التوسط لدى من يهمه الأمر لخلاص شاب يرى كادت روحه تذهب هدراً من جرّاء تلفيقات اليهود الكاذبة. سيدي إذا رأيتم من الضروري حضور والدي لطرفكم لأجل الذهاب لعند المندوب السامي فلا مانع ويمكنكم إعلامنا لسجن عكا، نمرة التلفون ٢٢، وإذا رأيتم لا ضرورة أخبرونا أيضاً وليكن هذا على جناح السرعة لأن الوقت بات قريباً. لم أعلم السبب الذي من أجله انتخبت من بين تسعة أشخاص في قضية واحدة مع أن الشهادة الموجهة ضدي هي التحريض ليس إلاّ والله يعلم بأنني بريء ولكن العداوات الشخصية رضت بذلك ليس إلاّ. أرجوكم بذل كل ما أوتيتم من قوة لتخليص شاب على حياته تتوقف حياة عائلة وبموته يقضى على عموم عائلته... بريء... وكل شيء تريدون الاطلاع عليه يمكنكم

(٤٥) أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم ف/١٤٥/٩٨٧، وثيقة بتاريخ ٤/١٢/١٩٢٩، ملف رقم ف/٢٨٦٨/٩٨٧، وثيقة بتاريخ ٤/٥/١٩٣٠؛ وثائق صبحي الخضراء، وثيقة رقم ٣٧٧، بتاريخ ٣/٤/١٩٣٠، ص ١ - ٣.

(٤٦) أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم ف/١٥٨/٩٨٧، رسالة بتاريخ ٣/٦/١٩٣٠.

سؤال حضرة مدير سجن عكا المركزي المستر ستيل رقم التليفون ٢٢، ما السبب الذي من أجله رخص لليهودي باستئناف دعواه ونحن لا.[٤٧]

فؤاد حجازي

ب) المجال الاجتماعي/الاقتصادي

كان لأحداث سنة ١٩٢٩ أبعاد اجتماعية واقتصادية صعبة جداً على سكان صفد، وخصوصاً على عائلات المعتقلين الذين باتوا يعرفون بمجموعة منكوبي صفد.

بلغ عدد أعضاء هذه المجموعة ٢٦٣ معتقلاً.[٤٨] وإذا أضفنا إليهم أبناء أسرهم الذين فقدوا معيليهم فإن العدد يرتفع إلى نحو ١٠٠٠ شخص. وكانت أغلبية أسر منكوبي صفد من حارة الوطاة المجاورة للحي اليهودي. وقد عانى المنكوبون جرّاء أوضاع معيشية واقتصادية صعبة. ووصف مراسل صحيفة «الكرمل» في صفد وضع هذه العائلات قائلاً:

> كانت هذه المدينة زاهرة في الداخلية ولكن منذ الاحتلال أخذ الشقاء والبؤس يحلان بها فالتجزئة عطلت تجارتها إذ عزلتها عن الجولان وبلاد بشارة وحبست منافعها عنها إذ جعلتهما تابعين لفرنسا وجعلتها تابعة لإنكلترا فاستهلكت ثروتها وصار معظم أهلها يشتغلون للقوت اليومي....
>
> يوجد اليوم نحو ثلثماية عائلة فقيرة أودع التحقيق رجالها في السجن ليحاكموا كقتلة ولصوص ومتوحشين أمام محاكم المتمدنين ونساء هذه العائلات يحتاجون إلى القوت والكساء ويقاسون ألم الجوع وسيقاسون من البرد....
>
> ماذا يراد يا ترى بهذه البلدة التعسة أيتنازل عنها العرب للصهيونيين؟[٤٩]

شهادة أُخرى على حالة الجوع والفقر التي كانت من نصيب منكوبي صفد نجدها في النداء الحار الذي وجهه مفتي صفد الشيخ أسعد قدّورة إلى سكان المدينة وقضائها طالباً جمع التبرعات ودعم المنكوبين. وقد جاء في ندائه:

> أدعوكم جميعاً إلى مد يد المساعدة والمعونة بما تسمح به نفوسكم الكريمة من الأموال إعانة لعائلات إخوانكم العرب المنكوبين من أبناء فلسطين وأطلب إليكم أن تجدوا وتجتهدوا لجمع الإعانات بقدر ما تجود به أنفسكم لتسدوا بها ريق إخوانكم المنكوبين والجائعين من شيوخ ونساء وصغار الذين هم يذرفون الدمع السخين وبذلك تخففون عنهم آلامهم بمصابهم العظيم....

(٤٧) المصدر نفسه، ملف رقم ف/١٥٨/٩٨٧، رسالة من دون تاريخ.
(٤٨) «فلسطين»، ٢/١/١٩٢٩.
(٤٩) «الكرمل»، ٢٣/١١/١٩٢٩.

> هذا هو اليوم الذي تدخرون فيه عند الله أجراً حسناً لتذكروا فتشكرون وتؤجرون....
>
> أناشدكم الله أيها المواطنون الكرام وأناشدكم الإنسانية أن لا تتقاعدوا عن عمل الخير والقيام بتحقيق ما كلفتكم به هذا والسلام على من سمع هذا النداء وعمل به بجد وأمانة وإخلاص ورحمة الله وبركاته. في ٢٤ أيلول سنة ١٩٢٩ الموافق ٢٠ ربيع ثاني سنة ١٣٤٨
>
> مفتي صفد
>
> أسعد محمد يوسف[٥٠]

على الرغم من الإلحاح وطلبات العون والدعم فإن التجاوب مع المنكوبين كان جزئياً. ومما زاد في معاناة العائلات الأوضاع الصعبة التي واجهتها في شتاء سنة ١٩٢٩ القاسي.[٥١]

ألّف زعماء المدينة، جرّاء ضغط أسر المنكوبين وانتقاداتها، لجنتي دعم وعون، واحدة للرجال وأُخرى للنساء. ترأس لجنة الرجال نايف صبح، وكان أعضاؤها كلاً من حسن الخضراء وجمال عز الدين قدّورة من صفد، والشيوخ توفيق الأيوب ومحمد علي شناعة وحمدي المغربي من زعماء المنطقة القروية المجاورة لصفد.

أمّا لجنة النساء فضمت حريم السادة: عبد الفتاح الأسدي؛ سعيد مراد؛ محيي الدين الخضراء؛ الشيخ علي سعد الدين؛ كريمة عزو أفندي صبح. إن اشتراك القرويين في اللجنة يدل على الوضع الصعب لدى أهالي صفد الذين كانوا بحاجة إلى دعم المنطقة القروية، حتى إن رئيس المجلس البلدي، محمد حسن عبد الرحيم، اضطر إلى السفر إلى القرى من أجل جمع التبرعات للمنكوبين.[٥٢]

وكما ذكرنا سابقاً، فإن الاستجابة لضائقة أهالي صفد كانت جزئية. ففي سنة ١٩٣٠، زار المدينة وفد الاتحاد النسائي العربي في حيفا. وقد وصفت العضو في الوفد، ساذج نصار، زوجة نجيب نصار، محرر صحيفة «الكرمل» التي تصدر في حيفا، الوضع بقولها:

> في ١١ شباط [فبراير] الجاري غادرنا حيفا ووجهتنا صفد. كنا سبع سيدات ومهمتنا تفقد حال المنكوبين وتوزيع ما تبرع به المحسنون في حيفا عليهم....
>
> وصلنا صفد حول الساعة الواحدة بعد الظهر وحللنا ضيوفاً على فضيلة مفتيها فلاقينا من حسن الضيافة والكرم الحاتمي واللطف والإيناس ما يعجز اللسان عن وصفه وما يدل على أن أكابر الصفديين لا يزالون يحافظون على عادات وتقاليد الأسلاف الطيبة....

(٥٠) المصدر نفسه، ٢/١٠/١٩٢٩.
(٥١) المصدر نفسه، ٥/١٢/١٩٢٩، ١٢/١٢/١٩٢٩.
(٥٢) «فلسطين»، ١٣/١٢/١٩٢٩، ٢١/١٢/١٩٢٩.

فذهبنا بعد تناول طعام الإفطار على مائدة حرم فضيلة المفتي إلى دار الجمعية الإسلامية فوجدنا رصيف ودرج وساحة الجمعية تعج بجماهير المنكوبات وصغارهن لا ثياب عليهم تقيهم شدة البرد وكان المنظر مؤلماً محزناً يلين القلوب القاسية ويقطع الأحشاء ويسيل الدموع وأبكينا ولكن البكاء لا يدفع مصيبة. . .

خلاصة القول

إن حالة البؤس والشقاء في صفد لا تستطيع ريشتي أن تصورها وعدد المنكوبين فيها يربو على ٥٠٠ نفس من النساء والأطفال الذين ليس لهم من يعولهم ويعتني بهم عدا الفقراء والبائسين.[٥٣]

على الرغم من الوضع الصعب فإن أموال الدعم المقدمة كانت رمزية كما يتضح من الجدول التالي:

المبالغ التي قدمت لمنكوبي صفد

الهيئة التي استلمت الدعم ووزعته	المبلغ/ بالجنيهات الفلسطينية
الجمعية الإسلامية في صفد	١٥٠
الجمعية الإسلامية - المسيحية	١٣١
المفتي الشيخ أسعد قدّورة	١٩
اللجنة التنفيذية لنساء القدس	٥٠
المجموع	٣٥٠

المصدر: وثائق صبحي الخضراء، وثيقتان رقم ٣٧٨، ٣٧٩. بيان نفقات اللجنة العربية المركزية لإعانة منكوبي فلسطين.

يتضح من الجدول أن كل عائلة من عائلات المنكوبين حصلت في نهاية المطاف على دعم مباشر بقيمة جنيه واحد تقريباً، يضاف إلى ذلك مبلغ ١٠٤٣ جنيهاً أتعاب المحامين والمحاكم.

يجب الإشارة إلى أن مجموع مصاريف اللجنة العربية المركزية لإعانة منكوبي فلسطين، بما في ذلك مصاريف المحاكمات، بلغ ١٠,٤٢٣ جنيهاً فلسطينياً، أي أن نصيب صفد من مجمل الميزانيات كان ٣,١٣٪ من هذا المبلغ، وهذا لا يتلاءم أبداً مع حجم الصعوبات والتحديات التي واجهها سكانها.

اتُّهمت اللجنة المركزية بإدارة غير سليمة، وكذلك باستغلال أموال التبرعات التي جمعت لدعم منكوبي صفد والخليل لأهداف أُخرى بما في ذلك امتلاك الأراضي.[٥٤]

(٥٣) «الكرمل»، ١٥/ ٢/ ١٩٣٠.

(٥٤) المصدر نفسه، ٣١/ ١٢/ ١٩٣٠.

غني عن القول إن المبالغ التي حصل عليها أهالي صفد لم تسد ولو جزءاً ضئيلاً من متطلبات المنكوبين الذين أخذ وضعهم يسوء عاماً بعد عام.

ويتضح من رسالة أرسلها مدير مدرسة الزاوية الابتدائية في صفد، محمود العابدي، لطلب العون مدى تأثير الأحداث في عائلات المعتقلين. فقد ذكر أن ١٠ من نساء وبنات المعتقلين اضطررن إلى العمل خادمات لدى اليهود لتأمين معيشتهن، وهذا لم يكن مألوفاً من قبل. كذلك أشار العابدي إلى أن نساء أُخريات كن يتسولن في شوارع المدينة.[٥٥]

بالإضافة إلى ذلك هناك الضرر الذي لحق بتجار المدينة العرب جرّاء المقاطعة الاقتصادية للحي اليهودي، وعدم عبور البضائع بين المركزين التجاريين، وهبوط عدد المشترين في المدينة عامة، فضلاً عن قيام اليهود بإحراق ٤٣ حانوتاً تعود ملكيتها إلى التجار العرب، وخصوصاً التجار من آل قدّورة الذين امتلكوا ٢٣ من تلك الحوانيت.[٥٦]

كما أن الأحداث أدت إلى ترك اليهود كل حوانيتهم وبيوتهم التي استأجروها في الأحياء العربية.[٥٧] واستمرت المقاطعة التجارية المتبادلة من آب/ أغسطس ١٩٢٩ حتى الأشهر الأولى لسنة ١٩٣٠.

في ضوء ذلك نرى أن الثمن الاجتماعي والاقتصادي للأحداث كان باهظاً، فقد اتسع التقاطب الاجتماعي في المدينة، وازدادت معه خيبة الأمل والمرارة، كما ترك بصماته على النشاط السياسي.

ج) المجال السياسي

أدت أحداث سنة ١٩٢٩ على الصعيد القطري الفلسطيني إلى إخراج الحركة الوطنية العربية من حالة الجمود التي لازمتها في الفترة ١٩٢٣ - ١٩٢٨، وإلى ارتفاع مكانة الحسينيين ومؤيديهم ومكانة المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى ورئيسه الحاج أمين الحسيني. لكن على الصعيد المحلي في صفد كانت الصورة مغايرة بعض الشيء. فبعد أن تبين للسكان العرب أبعاد الأزمة التي حلت بمدينتهم بدأت مرحلة تبادل اللوم والاتهامات بين المعسكر المعتدل والمعسكر الأكثر تشدداً. والسؤال الذي تردد هو: لماذا عُمّمت أخبار مبالغ فيها عما جرى في القدس ومدن أُخرى؟ مَنْ كان

(٥٥) أرشيف جمعية الدراسات العربية، القدس، ملف رقم ٢٧٨٨، بتاريخ ٣٠/ ١٢/ ١٩٣٤.

(٥٦) أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم ف/ ١٤٥/ ٩٨٧، وثيقة بتاريخ ٢١/ ١١/ ١٩٢٩.

(٥٧) «فلسطين»، ١١/ ١٠/ ١٩٢٩.

وراء نشر هذه الأخبار؟

وجهت أصابع الاتهام إلى الزعماء المحليين، وبصورة أقل إلى الزعماء القطريين. فنجد إشارة إلى ذلك في شهادة محمد الطويل الذي ادعى أن للزعماء دوراً في اندلاع الأحداث رغبة منهم في توطيد مكانتهم وتأثيرهم، ولولا تدخّلهم هذا لما حدث ما حدث في المدينة.[٥٨] إلاّ إن الطويل وآخرين لم يذكروا أسماء السياسيين المعنيين بوضوح، لكن كانوا يعنون ضمناً صبحي الخضراء والمجموعة التي رافقته في أثناء جولته في المدينة في بداية آب/أغسطس. يُذكر أن تلك المجموعة قامت بجولات في المنطقة وأجرت لقاءات داخل المدينة، ومن هنا جاء اتهامها بتصعيد التوتر كما يدعي البعض.[٥٩]

خلافاً للمصادر العربية فإن المصادر العبرية تتهم صبحي الخضراء علانية بالوقوف خلف هذه الأحداث. كما أن أصابع الاتهام وجهت إلى المقربين منه في المدينة، وهم نصوح منوّر وسعيد عزيز الحاج عيسى. وقد جاء في تقرير جهاز استخبارات الهاغاناه في ١٥ أيار/مايو ١٩٤١ ما يلي: «قدم صبحي إلى البلد فشرع في حملة ضد اليهود وضد بريطانيا، فالأعمال القاسية في صفد سنة ١٩٢٩ تُنسب إليه.»[٦٠]

وكما ذكر سابقاً، نفى صبحي هذه الاتهامات بشدة في إفادته أمام لجنة شو التي قامت بالتحقيق في أسباب اندلاع الأحداث.

ومهما يكن الدور الذي قام به صبحي الخضراء، فإن في أقوال منكوبي صفد أكثر من إشارة إلى أنهم عملوا وفقاً لطلب زعماء الوطن مدافعين عن قدسية الأماكن المقدسة. والآن يحظون بعلاقة باردة وعون جزئي، وأحياناً لا ينالون أي دعم كان.[٦١]

هذا الوضع أدى إلى حالة من الاستياء وأحياناً إلى السخط على زعماء المدينة، إلى درجة أن نساء المعتقلين والموقوفين اتهمن الشيخ أسعد بالتقاعس، وأن وعوده بدعم الأسرى لم تنفذ بالكامل،[٦٢] فبالنسبة إليهن كان الشيخ أسعد الشخصية

(٥٨) أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم ف/٢٨٦٨/٩٨٧، بروتوكول لجنة التحقيق البريطانية، جلسة بتاريخ ١٤/١٢/١٩٢٩؛ وثائق صبحي الخضراء، وثيقة رقم ٣٧٥، بتاريخ ١٤/١٢/١٩٢٩، ص ٢.

(٥٩) أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم ف/٢٨٦٨/٩٨٧، بروتوكول لجنة التحقيق البريطانية، جلسة بتاريخ ٢٣/١٢/١٩٢٩.

(٦٠) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، تقرير بتاريخ ١٥/٥/١٩٤١، ص ٥.

(٦١) «فلسطين»، ٢٣/٨/١٩٣٠.

(٦٢) المصدر نفسه.

المركزية والعنوان لقضاياهن ومآسيهن كافة. كما أن اليهود لم يعفوه من المسؤولية غير المباشرة وترك الساحة لنشيطين وطنيين يفتقرون إلى التجربة السياسية بحسب قولهم، علماً بأن المفتي لم يتهم بالتحريض وتنظيم الأحداث، إلاّ إنه اتهم بعدم العمل بما فيه الكفاية لمنعها.

وكتب عميل جهاز استخبارات الهاغاناه عن ذلك قائلاً: «في أحداث سنة ١٩٢٩ شغل الشيخ أسعد منصب مفتي المدينة، وأنا على ثقة بأنه لو كانت عنده رغبة صادقة وحاول لما وقعت تلك الأحداث المؤلمة في صفد.»[٦٣] كما أن فارادي، قائد شرطة المدينة، ادعى أن زعماء المدينة اختفوا في أثناء الساعات الحرجة،[٦٤] علماً بأنهم قدموا له المساعدة كما أشرنا سابقاً.

السؤال المطروح هنا هو: هل كان في قدرة الزعامة المحلية، والشيخ أسعد على رأسها، حقاً منع هذه الأحداث؟ وهل حقاً تُركت الحلبة في الساعات الحرجة؟

أعتقد أن الجواب ليس بالسهولة التي خلصت إليها تقارير جهاز استخبارات الهاغاناه وقائد شرطة المدينة. فعدم تمكن الشيخ أسعد والزعامة التقليدية للمدينة من منع وقوع الأحداث كان مؤشراً إلى عدم سيطرتهما التامة، وذلك نتيجة الانقسام المتزايد في صفوف الحركة الوطنية منذ سنة ١٩٢٣، والذي أدى إلى تقوية مجموعة النشيطين من الشبان الذين تماثلوا أكثر مع خط صبحي الخضراء السياسي، ومع الخط الحسيني المتصلب.

رأينا أن الشيخ أسعد قدّورة وعلي رضا النحوي قاما بجهود صادقة لمنع وقوع الأحداث في المدينة، وأصدرا بياناً طالبا فيه بالخلود إلى السكينة. إلاّ إن النتائج دلت على أن قدرتهما على فرض الطاعة على الشارع الصفدي، المعروف بتدينه الشديد وغيرته الإسلامية، لم تكن سهلة.

من الآن فصاعداً أخذ دور الشيخ أسعد قدّورة السياسي بالتراجع، وفي المقابل ازداد دور وتأثير المعسكر الحسيني الذي كان أكثر تشدداً في مواقفه السياسية.

وكان المؤشر الواضح إلى تنامي دور هذا المعسكر نشاط تنظيم الكف الأخضر الذي ظهر في بداية تشرين الأول/أكتوبر ١٩٢٩، وبدأ نشاطه المسلح في المنطقة الجبلية حول صفد.

ضم هذا التنظيم ٢٧ شاباً من شباب المدينة تزعمهم كل من أحمد طافش من صفد ومحمد عثمان الكردي من قرية فرعم المجاورة. كان هذا التنظيم الأول من

(٦٣) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٩٦/١٠٥، تقرير بتاريخ ٢١/٨/١٩٤٢.

(٦٤) «كتاب سجلات لجنة التحقيق...»، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٤.

نوعه داخل الحركة الفلسطينية عامة. والنواة الأولى التي التفت حول أحمد طافش كانت من مطلوبي أحداث سنة ١٩٢٩ الذين فروا من المدينة. ولاحقاً انضم إليهم شبان آخرون من القرى المجاورة، وفارون من سورية كانوا مطلوبين من السلطات الفرنسية منذ الثورة السورية الكبرى (١٩٢٥ - ١٩٢٧)، وبرز من لاجئي سورية فؤاد اللبناني (فؤاد علامة).

بعد انطلاق أعضاء تنظيم الكف الأخضر من صفد وسعوا مجال نشاطهم المسلح في اتجاه الحدود اللبنانية، متنقلين بين قرى صفد والناصرة وعكا. وبعد بضع حوادث إطلاق نار على الحي اليهودي، قامت السلطات بعملية واسعة ضدهم استخدمت فيها الطائرات. وفي كانون الثاني/يناير ١٩٣٠ اعتقل بعضهم، في حين فر أحمد طافش إلى الأردن حيث اعتقل، ومن ثم سلم إلى السلطات البريطانية في ١٣ آذار/مارس من السنة نفسها، وهكذا أفل نشاط المجموعة.(٦٥)

مرة أُخرى عادت السلطات فاتهمت صبحي الخضراء بأنه مدبر التنظيم المسلح والمحرض ضد سلطات الانتداب في صفد والمنطقة الشمالية.(٦٦)

على أية حال فإن نشاط التنظيم كان إشارة إضافية واضحة إلى ضعف الزعامة التقليدية وتصاعد دور الشباب الذين اختاروا أسلوباً أكثر صرامة وعنفاً. وفي مقابل هذا النهج في مواقف الشباب، قامت محاولة جديدة للتحاور مع اليهود وإعادة العلاقات إلى سابق عهدها. تزعم هذه المحاولة كل من محمد سليم شمّا ونايف صبح اللذين حظيا بتأييد غير معلن من المفتي الشيخ أسعد قدّورة.

رابعاً: محاولات تحسين العلاقات بين العرب واليهود في الفترة ١٩٣٠ - ١٩٣٢

مست أحداث سنة ١٩٢٩، وما نجم عنها، كثيراً بالعلاقات بين العرب واليهود الذين لم يتوقعوا أنها ستقود إلى نتائج مأساوية على هذا النحو. فمنذ بداية حكم

(٦٥) CO 733/190/5, 22/2/1930، تقرير من المندوب السامي جون تشانسلور إلى باسفيلد. أنظر أيضاً تقارير إضافية بتاريخ ٢٨/٢/١٩٣٠، ١٥/٣/١٩٣٠، ١٨/٣/١٩٣٠؛ «فلسطين»، ٢٤/١٠/١٩٢٩، ١٥/٤/١٩٣١، ١٧/٤/١٩٣١؛ الكيالي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٠ - ٢٢١؛ زعيتر، مصدر سبق ذكره، ص ١٢١، ١٣٠.

(٦٦) «فلسطين»، ٣١/٨/١٩٣٠؛ «الكرمل»، ٣/٩/١٩٣٠.

الانتداب سادت علاقات تعايش طبيعية بين الطرفين، حتى إن اضطرابات سنة ١٩٢٠ والتي وقعت شمال الحولة وفي الجنوب اللبناني لم تصل إلى داخل صفد ولم تؤثر في هذه العلاقات، وإنما على العكس، قام زعماء صفد خلالها بدور إيجابي وساعدوا في تهدئة الأوضاع.

بعد فترة من تفجر الأحداث أخذ زعماء المدينة يبحثون عن طرق للتصالح ولإعادة العلاقات إلى طبيعتها. ويشار إلى أن محاولات الصلح لم تقتصر على المستوى الصفدي المحلي فحسب، بل أيضاً كانت على المستوى القطري. ففي تلك الفترة بذلت جهود للتقارب بين العرب واليهود، ومن أجل ذلك أقيمت دائرة يهودية خاصة للإشراف على العلاقات بين الطرفين، برز من أعضائها يتسحاق بن - تسفي والكولونيل كيش وحاييم كالفارسكي.(٦٧)

على المستوى الصفدي المحلي، تتحدث المصادر في معظمها عن وجود علاقات طبيعية بين الشعبين قبل سنة ١٩٢٩، فيقول يعقوب برغمان الذي كان أول قائد شرطة في صفد في عهد الانتداب، وشخصية معروفة في أوساط يهود المدينة وقضائها، ما يلي: «لقد سادت علاقات طبيعية بين اليهود والعرب في صفد قبل اندلاع الاضطرابات هناك. وكانت التجارة والعلاقات عادية.»(٦٨)

وجاء في شهادة أُخرى ليوسف نحماني، أحد مسؤولي الصندوق القومي اليهودي الكبار في منطقة الشمال، بحسب قوله: «حتى سنة ١٩٢٩ كانت العلاقات بين اليهود والعرب وطيدة، إلاّ إن التحريض الديني الأرعن الذي ساد البلد سمم مسلمي صفد المتزمتين.»(٦٩)

كما ورد في شهادة نجدها في تقرير الهاغاناه عن الشيخ أسعد قدّورة ما يلي: «لقد أمضى المفتي أوقاتاً كثيرة في الحي اليهودي، وأصدقاؤه هناك كثر.»(٧٠)

وهناك شهادة نجدها في تقرير لجنة الجالية اليهودية في صفد، الذي أُرسل إلى المندوب السامي بعيد الاضطرابات، تقول:

منذ أجيال سادت علاقات وطيدة بين يهود صفد وجيرانهم العرب. وقد تجلى ذلك لا

(٦٧) بشأن عمل الدائرة، أنظر: إلياكيم روبنشتاين، «معالجة القضية العربية مباشرة بعد أحداث سنة ١٩٢٩، وإقامة الدائرة الموحدة»، في: إيلان بابِه (تحرير)، «العرب واليهود في فترة الانتداب» (بالعبرية)، (غفعات حفيفا: لا دار نشر، ١٩٩٥)، ص ٦٥ - ١٠٢. أنظر أيضاً: سلوتسكي، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٤٥٦.

(٦٨) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ١/٦٠٨/٨٠، تقرير بتاريخ ٢٢/٢/١٩٥٢.

(٦٩) الأرشيف الصهيوني المركزي، ملف رقم S/25/5111، وثيقة بتاريخ ٢٧/٣/١٩٣٨.

(٧٠) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٩٦/١٠٥، تقرير بتاريخ ٢١/٨/١٩٤٢.

في العلاقات التجارية فحسب، بل أيضاً في علاقات الصداقة الخاصة بين أبناء الطوائف المتعددة في المدينة. وبعد احتلال الإنكليز للبلد، لم تتعكر هذه العلاقات، حتى إن تأجج المشاعر خلال ١٩٢٠/ ١٩٢١ لم يؤد إلى أي فصل بين السكان، فالهدوء بقي سائداً حتى الأحداث المؤلمة التي هزت صفد في نهاية آب/ أغسطس.[٧١]

ثمة شهادة أُخرى للكابتن فارادي، قائد شرطة صفد في إبان الأحداث، عن طبيعة هذه العلاقات، جاء فيها: «عاش اليهود والعرب في هذه المدينة أعواماً طويلة. وكان كثيرون من اليهود، شيوخاً وشباباً يتكلمون العربية كلغتهم الأصلية... وكثيرون منهم كانوا يتزيون بالزي العربي.»[٧٢]

كما أن المصادر العربية تتحدث عن متانة هذه العلاقات، وخصوصاً باليهود الشرقيين الذين دعاهم العرب بـ «اليهود العرب»، لتمييزهم من الأشكناز الذين اعتبروا أوروبيين. وقد اندمج «اليهود العرب»، اجتماعياً في أغلبية السكان.[٧٣]

ووصف صبحي الخضراء اليهود الناطقين بالعربية بأنهم جزء من النسيج الاجتماعي الفلسطيني، وقال إن اضطرابات سنة ١٩٢٩ كانت ثورة مشاعر ليس إلاّ.[٧٤]

هذه الشهادات وغيرها لا تترك مجالاً للشك في أن علاقات تعايش حسنة سادت قبل سنة ١٩٢٩، وخصوصاً أن شهادة الجالية اليهودية في صفد، والتي كُتبت فوراً بعد الأحداث، أشارت بوضوح وبإيجابية إلى حسن العلاقات على الرغم من الألم.

كان مئير عبّو الناشط الأبرز في مجال الجهود لإعادة العلاقات بعرب صفد إلى سابق عهدها، وهو من زعماء طائفة السفارديم ومن عائلة أعيان يهودية غنية لها تأثيرها في المدينة وخارجها. وقد قام بمبادرته بصورة مستقلة من دون اتصال بالدائرة الموحدة، وهي الجهة الصهيونية المخولة الإشراف على العلاقات بالعرب. إلاّ إنه طلب عونها فيما بعد. أمّا الشريك العربي الذي علق مئير آماله عليه لإعادة هذه العلاقات فكان نايف صبح، أحد ألمع أعيان المدينة، الذي كان له دور بارز في نهاية العهد العثماني وبداية عهد الانتداب، فقد كان رئيساً للمجلس البلدي ومالكاً معروفاً.

(٧١) الأرشيف الصهيوني المركزي، ملف رقم A1/239، رسالة من يهود صفد إلى المندوب السامي، لا تاريخ، ص ١.
(٧٢) «كتاب سجلات لجنة التحقيق...»، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٩.
(٧٣) منظمة التحرير الفلسطينية - دائرة الثقافة، «موسوعة المدن الفلسطينية» (دمشق: الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٤)، ص ٣٩٦.
(٧٤) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ١٠٥/ ٥، تقرير بتاريخ ١٥/ ١/ ١٩٤٥.

وفي ٢٩ آب/ أغسطس ١٩٣٠، توجه مئير عبّو إلى يتسحاق بن - تسفي، الشخصية المركزية في الدائرة الموحدة، طالباً دعمه في تحقيق مشروعه. وجاء في رسالته:

كوني فاعلاً بين زعماء عرب صفد ومقرباً منهم، أرى أن الوحدة الإسلامية - اليهودية ضرورية وخصوصاً في صفد. وهذه هي الفرصة الملائمة لتطبيقها، وكنت أشرت إلى ذلك قبل الاضطرابات، لكن، لم يُصغ إليّ أحد. وأنا على ثقة بأنه لو نُظر إلى هذه الفكرة بجدية لما كنا وصلنا إلى هذه النتائج المؤلمة في آب/ أغسطس ١٩٢٩. من محادثاتي مع بعض الزعماء العرب، تأكدت أن الأمر ضروري الآن... وأخشى أن نضيّع الفرصة.[٧٥]

تشير أقوال عبّو إلى رغبته وتصميمه على التقارب بين الشعبين، إذ رأى أن مستقبل صفد يتطلب وحدة إسلامية - يهودية. وطلب من بن - تسفي تعيين شخص من جانبه لمعالجة الموضوع، ورأى أن هذه الوحدة يمكن أن تحل مكان الوحدة الإسلامية - المسيحية بحسب قوله.

لم يتحمس بن - تسفي للفكرة، فقد توجه إلى زاكي الحديف، رئيس المجلس البلدي في طبرية طالباً رأيه فيما إذا كان اقتراح عبّو جدياً، وهل هناك أمل بنجاحه، وما هي الإمكانات والوسائل لتحقيقه.[٧٦] شارك عبّو في جهوده هذه آخرون من يهود المدينة، مثل تريفون، ممثل جمعية الاستعمار اليهودي في فلسطين (بيكا)، وحاييم زايدمان، مدير بنك أنغلو - فلسطين، والذي بعث إلى بن - تسفي برسالة سرية طالباً منه دعم مئير عبّو، لأن جهوده أثرت إيجابياً في العلاقات بين الشعبين. وقال زايدمان إن يهود صفد يقومون بـ «كل الجهود لنسيان الماضي والتغاضي عن الأيام الدامية التي مرت.» وأضاف أن زيارات الزعماء العرب لزعماء يهود ازدادت كثيراً عن زيارات الفترة التي سبقت الاضطرابات.[٧٧]

في البداية عمل نايف صبح بتواضع وهدوء، وكان على استعداد للسفر إلى مكاتب الدائرة الموحدة في القدس لتنسيق العمل. يُشار إلى أن نايف صبح والنشيطين العرب معه حصلوا على مبالغ مالية لتمويل نشاطهم في الشارع العربي. بدايةً، حصل على ٧٢ جنيهاً فلسطينياً، وفي مرحلة لاحقة طلب مبلغ ١٠٠ جنيه إضافية، كما يستشف من رسالة تريفون، ممثل جمعية بيكا، الذي طلب من الكولونيل كيش دعم نايف صبح، لأن له الفضل في دفع اليهود إلى تجديد العلاقات بالعرب وتحسينها.

(٧٥) الأرشيف الصهيوني المركزي، ملف رقم S/25/4121، وثيقة بتاريخ ٢٩/ ٨/ ١٩٣٠.
(٧٦) المصدر نفسه، ملف رقم S/25/4121، وثيقة بتاريخ ٣/ ٩/ ١٩٣٠.
(٧٧) المصدر نفسه، ملف رقم S/25/4121، وثيقة بتاريخ ١٤/ ٤/ ١٩٣١.

كما رأى تريفون أن العلاقات بنايف ضرورية في المستقبل كذلك، لأن ثلاثة أرباع شيوخ صفد لا يخرجون عن طوعه، بحسب قوله.[٧٨]

تدل مكاتبات تريفون وعبّو وزايدمان على نجاح المبادرة في البداية، فقد عادت العلاقات إلى مسارها. وشجع هذا النجاح عبّو الذي حاول إقامة حزب عربي - يهودي في المدينة سماه «حلف السلام». وعلى الرغم من دعم بعض العرب له فإن الصعوبات كانت كثيرة ولم يكتب النجاح لهذه المحاولة.[٧٩]

من خلال مراجعة الرسائل بين الدائرة الموحدة وأصحاب الشأن في صفد، يبدو أن القضية المركزية، التي أعاقت استمرار المبادرة، كانت لامبالاة الدائرة الموحدة. فزاكي الحديف، الذي دعم عبّو، توجه إلى الدائرة مبيناً دوافع نشاط الأخير في هذا المجال بقوله: «عليّ أن أشير إلى أن السيد عبّو صادق تماماً في توجهاته لأنه عايش الأحداث، وهو راغب في القيام بعمل ما كي لا تتكرر.» ويبدو أن الدائرة الموحدة لم تأخذ برأي زاكي الحديف أو عبّو، وفشلت المبادرة.

بالإضافة إلى هذا يمكن الإشارة إلى بعض العوامل التي أدت إلى الفشل، منها أن كلاً من عبّو وصبح لم ينجح في زيادة عدد مؤيديه، وخصوصاً في القطاع العربي، وأن مكانة ونفوذ حليفي عبّو، نايف صبح ومحمد سليم شمّا، كانا يشهدان انحساراً مستمراً، زد على ذلك معارضة بعض الأوساط العربية في المدينة، وخصوصاً مُقربي صبحي الخضراء.

لا بد من الإشارة هنا إلى أنه منذ آب/أغسطس ١٩٣٠ حتى آب/أغسطس ١٩٣١ أبعدت السلطات صبحي الخضراء عن القدس إلى صفد ومنعته من مغادرة المدينة طوال عام. ولعل مكوثه الدائم في صفد آنذاك ساعد في إفشال المبادرة.[٨٠]

أخيراً، نشير إلى أنه على الرغم من فشل الفكرة شهدت صفد خلال الفترة ١٩٣٠ - ١٩٣١ فترة هدوء، وذلك خلافاً للفترات اللاحقة حين عادت حالة التصعيد والتوتر.

(٧٨) المصدر نفسه، ملف رقم S/25/4121، وثائق بتاريخ ٢٢/٥/١٩٣٠، ٩/٩/١٩٣٠، ١٨/٩/١٩٣٠.

(٧٩) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، تقرير عن الحركة العربية في صفد، ص ٣.

(٨٠) «فلسطين»، ٢٨/٨/١٩٣٠، ٤/٩/١٩٣٠، ١٨/٩/١٩٣٠؛ «الكرمل»، ٣٠/٨/١٩٣٠، ٢٠/٩/١٩٣٠، ٢٤/٩/١٩٣٠، ١٠/١٠/١٩٣٠، ٨/١١/١٩٣٠.

الفصل التاسع

الحركة الوطنية في الفترة ١٩٣٠-١٩٣٩

أولاً: جمعية الشبان العرب

مع نهاية العقد الأول للانتداب أخذ يبرز في صفد جيل جديد من الشباب الذين انضموا إلى صفوف الحركة الوطنية، وكانوا في أغلبيتهم من أبناء الطبقة الوسطى من المستقلين والمثقفين، وممن نشأوا في عهد الانتداب، وتأثروا بنشاط الحركات الوطنية في الدول العربية المجاورة. لم يكن هؤلاء الشباب راضين عن النهج السياسي للزعامة الفلسطينية عامة، لذا تبنوا نهجاً أكثر تشدداً وآمنوا بالنضال وسيلة للتحرير.[١]

من هؤلاء الشباب نذكر: المحامي عارف حجازي؛ المحامي عبد الرؤوف حجازي (رؤوف)؛ د. صبري عز الدين قدّورة؛ حامد أحمد النحوي؛ نصوح منوّر؛ سعيد عزيز الحاج عيسى؛ المحامي جمال حميد قدّورة؛ الصحافي كمال سعد الدين. ولعل من أبرز المؤشرات إلى ازدياد نشاط جيل الشباب في صفد تأسيس فرع جمعية الشبان العرب في المدينة بتاريخ ٢١ آب/أغسطس ١٩٣٣.

وقد بادر إلى تأسيس هذه الجمعية رئيس اللجنة التنفيذية لمؤتمر الشباب العربي الفلسطيني يعقوب الغصين، الذي توجه إلى كامل الحسين بهذا الخصوص، ومعاً تمكنا خلال آب/أغسطس من بلورة النواة الأولى للجمعية، التي انتخبت كامل الحسين رئيساً لها. ومنذ ٢٠ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٣٣، أصبح كامل ممثل صفد في اللجنة التنفيذية لمؤتمر الشباب العربي الفلسطيني.[٢]

كان فرع جمعية صفد تابعاً للجنة التنفيذية لمؤتمر الشباب التي انبثقت من أول اجتماع عقده المؤتمر في يافا في الرابع من كانون الثاني/يناير ١٩٣٢، وحضره

(١) يوسف نبو، «التطور السياسي للحركة الوطنية العربية الفلسطينية، ١٩٣٩ - ١٩٤٥»، رسالة دكتوراه (بالعبرية)، (تل أبيب: جامعة تل أبيب، ١٩٧٧)، ص ٥ ـ ٦.

(٢) «فلسطين»، ٢٥/٨/١٩٣٣، ١٠/١٠/١٩٣٣؛ وثائق عائلة عبّو، ملف جمعية الشبان العرب، وثيقة رقم ١، بتاريخ ٢٢/٨/١٩٣٣، وثيقة رقم ١٥، بتاريخ ٢٠/١٠/١٩٣٣.

عشرات الشباب من أرجاء فلسطين كافة. وجاء عقد هذا الاجتماع على خلفية خيبة أمل الشباب الفلسطيني بالزعامة التقليدية التي ارتكزت على قواعد عائلية.

بدايةً، ترأس راسم الخالدي اللجنة التنفيذية للمؤتمر، وبعد استقالته آلت الرئاسة إلى يعقوب الغصين المالك الثري وأحد أبرز نشيطي الحركة الوطنية في منطقة الرملة.(٣)

تبنت الجمعية، منذ إنشائها، خطاً وطنياً قومياً شبيهاً بخط حزب الاستقلال. فقد صاغت الميثاق العام لشبان فلسطين، الذي شمل، من جملة ما شمله، المطالبة بالوحدة العربية، ومقاومة الاستعمار، والدفاع عن الأراضي ومنع بيعها منعاً باتاً.(٤)

لا بد من الإشارة إلى أن كامل الحسين انتخب رئيساً للجمعية في صفد، وذلك بالإضافة إلى منصبه رئيساً للجمعية القروية العربية الناشطة في المدينة.

مما لا شك فيه أن تعيين كامل جاء على خلفية مكانته ووزنه الكبير في المنطقة القروية، الأمر الذي ساعد ناشطي الجمعية من المدينيين وسهل عليهم الوصول إلى هذه المناطق وتجنيد الأفراد للعمل الوطني.(٥)

وضع كامل، خلال مدة ترؤسه الجمعية (١٩٣٣ - ١٩٣٥)، الأسس لنشاطات الفرع. وكانت علاقاته بزملائه الصفديين وطيدة جداً، إلى حين استقالته من رئاسة الجمعية في ٢٨ أيار/مايو ١٩٣٥.

بعد استقالة كامل الحسين انتخب رؤوف حجازي رئيساً للجمعية. وكان رؤوف من أوائل المنتسبين إليها، كما كان نشيطاً في النادي الرياضي الإسلامي وسكرتيراً له. وتصفه تقارير جهاز استخبارات الهاغاناه بأنه أحد الناشطين البارزين في الحركة الوطنية في صفد، وخصوصاً في مجال تجنيد الشبيبة.(٦)

(٣) هيئة الموسوعة الفلسطينية، «الموسوعة الفلسطينية - القسم العام» (إيطاليا: ميلانوستامبا، ١٩٨٤)، المجلد ٣، ص ٦١٦ - ٦١٧؛ بيان نويهض الحوت، «القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين، ١٩١٧ - ١٩٤٨» (عكا: دار الأسوار، ١٩٨٤)، ص ٢٦٠ - ٢٧٥.

(٤) عيسى السفري، «فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية» (يافا: مطبعة مكتبة فلسطين الجديدة، ١٩٣٧)، ص ١٩٤؛ وثائق عائلة عبّو، ملف جمعية الشبان العرب، وثيقة رقم ١، بتاريخ ١٩٣٣/٨/٢٤؛ يوفال أرنون - أوحانه، «سيف من الداخل: الصراع الداخلي في الحركة الوطنية الفلسطينية، ١٩٢٩ - ١٩٣٩» (بالعبرية)، (تل أبيب: لا دار نشر، ١٩٨١)، ص ١٨٥ - ١٨٨.

(٥) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٩٦/١٠٥، أخبار من صفد، ١٩٤٣/٣/١٠، ص ١.

(٦) المصدر نفسه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، تقرير عن الحركة العربية في صفد، لا تاريخ، ص ٥؛ «فلسطين»، ١٩٣٣/٥/٢؛ أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم م/٢٢١ س/ ٢٦٨١، وثيقة بتاريخ ١٩٣١/٨/٢٥.

كانت جمعية الشبان العرب هي الجمعية الرائدة في المدينة في تلك الفترة، ويستدل على ذلك من حجم نشاطها السياسي ومن عدد أعضائها. ففي سنة ١٩٣٣، وبعد مضي بضعة أشهر على تأسيسها، كانت تضم في صفوفها ١٥٠ عضواً.(٧)

أمّا مجالات نشاط الجمعية الأساسية فكانت تنظيم الاجتماعات السياسية، والمسيرات، والتظاهرات، بالإضافة إلى المشاركة في نشاطات الشباب القطرية. كذلك شملت أنشطتها تنظيم جولات في القرى الحدودية لمراقبة هجرة اليهود غير المشروعة ومحاولة منعها بالتنسيق مع سكان القرى. كما عارضت الجمعية أية محاولة للتقارب العربي - اليهودي في المدينة، وقدمت المساعدة إلى عائلات منكوبي صفد، وجمعت التبرعات لصندوق الأمة، وأسست منظمات كشفية وفرقاً رياضية وغير ذلك.(٨)

أدت الجمعية من خلال نشاطها المتنوع دوراً مهماً في بعث الحركة الوطنية في صفد، وفي تهيئة الخلفية للمواجهة العنيفة في المستقبل.

شددت الجمعية في بياناتها على الحاجة إلى تغيير النهج القائم، فجاء على سبيل المثال في أحد البيانات:

> أيتها الأمة!!
>
> لقد سلبت حقوقك في هذه الحياة، فحرمت لذة الحرية ونعمة الاستقلال وهما حق طبيعي، وتسربت أراضيك إلى أيدي الخصوم فأصبحت بلادك المقدسة مفتحة الأبواب، يدخلها الغرباء الآن من كل حدب وصوب يؤسسون فيها وطناً قومياً صهيونياً على أنقاض الوطن، ولقد كافحت وظللت خمسة عشر عاماً تجاهدين، برهنت أثناءها على خلودك للسكينة وحبك للسلام، ولكنك لم تصلي إلى شيء مما تريدين ولذلك حق عليك اليوم أن تضاعفي الجهود وتتخذي لك خطة جديدة في الجهاد وآن لك أن تبرهني على أن العربي ما زال أبياً يعاف الضيم ويحافظ على حقوقه بشتى الوسائل...(٩)

وقد رُددت نداءات مماثلة شديدة اللهجة في عدة اجتماعات كانت عقدتها الجمعية في صفد وقضائها.

(٧) «فلسطين»، ١٩٣٣/١٠/٤.

(٨) وثائق عائلة عبّو، ملف جمعية الشبان العرب، وثيقة رقم ٦، بتاريخ ١٩٣٣/٩/١٣، وثيقة رقم ١٢، بتاريخ ١٩٣٣/١٠/١٠، وثيقة رقم ٢٣، بتاريخ ١٩٣٤/٣/٣، وثيقة رقم ٢٤، بتاريخ ١٩٣٤/٣/٦، وثيقة رقم ٢٨، بتاريخ ١٩٣٤/٣/١٠، وثيقة رقم ٣١، بتاريخ ١٩٣٤/٣/١٦، وثيقة رقم ٣٣، بتاريخ ١٩٣٤/٤/٩، وثيقة رقم ٤٠، بتاريخ ١٩٣٤/٧/٢٩؛ «الدفاع»، ١٩٣٥/٦/٤؛ «فلسطين»، ١٩٣٣/٧/١١، ١٩٣٣/١٢/١٨.

(٩) وثائق عائلة عبّو، ملف جمعية الشبان العرب، وثيقة رقم ١٣، بتاريخ ١٩٣٣/١٠/١٠.

ونشير إلى اجتماعين من الاجتماعات المهمة التي بادرت إليها الجمعية: عقد الأول في صفد في التاسع من نيسان/أبريل ١٩٣٤، وشارك فيه، في خطوة لم يسبق لها مثيل، زعماء القضاء في معظمهم من مخاتير وشيوخ ورجال دين، وهم:

- محمد العبد كعوش عن ميرون
- محمد سليم زيد عن الظاهرية
- توفيق الأيوب وفياض عبد الله عن الرأس الأحمر
- سليم الأحمد عن فراضية
- عبد القادر صالح عن السموعي
- إبراهيم عبد الرحمن وإبراهيم عيسى عن عين الزيتون
- موسى شحادة عن الجاعونة
- سعيد عمر عن ماروس
- محمد سليم الصالح عن عموقة
- الحاج أحمد صوان عن بيريا
- الحاج سليم عثمان عن فرعم
- يونس هارون عن ريحانية
- أمين السلطي عن الوادي
- الحاج إبراهيم الحاج شحادة ومحمد الحاج شحادة عن قيطية
- حميد نمر محمود وحسين الجمعان عن العباسية
- حسين أبو عيد عن المنصورة
- عبد الهادي زعيتر وحسين علي الصالح عن الناعمة
- الحاج عبد الله حميد وداود الأيوب وحسن سليمان ومحمد حمادة عن الخالصة
- الحاج صالح الموسى وعلي حلاوة عن الصالحية
- يوسف عزوز وأحمد عزوز وعلي المحمود عن الدوارة
- أحمد الميعاري عن عكبره
- وكل من محمد سليم شمّا، إبراهيم حجازي، الشيخ عز الدين عبد اللطيف الحاج سعيد، الشيخ أحمد حجازي، نجيب الطيب، محمد حجازي، حمدي المغربي، حسين مراد، سيحان البيطار، سعيد البرادعي، الحاج نايف الخضراء، الشيخ عبد الله القاضي عن صفد.

وقد عكس هذا الاجتماع وحدة الآراء في القضاء في معارضة السياسة البريطانية

بالوسائل كافة. وكان هناك أكثر من إشارة إلى إمكان اللجوء إلى المقاومة المسلحة في المستقبل.

بحث المجتمعون في أربعة موضوعات هي: الهجرة اليهودية؛ سياسة الاعتقالات؛ بيع الأراضي لليهود؛ امتياز بحيرة الحولة. وقد عبروا عن غضبهم وخيبة أملهم بالسياسة البريطانية التي لا مثيل لها في أية مستعمرة بريطانية. واتهموا الحكومة بفقدان الحساسية والاستهانة بطلبات العرب، الأمر الذي أدى إلى وقوع كوارث وقلاقل. كذلك عبروا في بيانهم عن قلقهم جرّاء تعنت البريطانيين في مواصلة السياسة نفسها، محذرين من الأبعاد السلبية التي قد تنجم عنها. وجاء في البيان:

> نحن أهالي صفد والقضاء العرب أصحاب البلاد نعتقد بأن السلطة البريطانية تطبق في البلاد نوعاً من السياسة الخرقاء لم تطبق في أية مستعمرة، وأنها تحكم البلاد حكماً مباشراً شاذاً لا رأي لأهل البلاد فيه، وقد كانت خلافاً للمنطق والحكمة ومصلحة البلاد تصم آذانها عن سماع صوتنا. وطالبنا وبعثنا الشكوى تلو الشكوى وأبّنا في مختلف الظروف والمناسبات ما تجره هذه السياسة من البلايا والنكبات لا على رؤوس أصحاب البلاد فقط، بل على رأس الحكومة أيضاً، وكانت أن وقعت اضطرابات كثيرة اهتز لها الشرق والغرب، وقد اعتقدنا بعد حدوث ما حدث أنكم سترجعون عن ما ذهبتم إليه وتعدلون عن المضي في ذلك السبيل المعوج وتهدئة الجو وإحلال الأمن والسلام في البلاد. إلاّ إنه لم نرَ دليلاً يؤيد ظننا بل العكس كان أن تماديتم في سياستكم وضربتم صفحاً عن ذلك كله، إلاّ إننا نعود فنرسل لحكومتكم هذا الاحتجاج وأنتم المسؤولون عما قد يحدث فيما إذا أصررتم على الإهمال. لا تزال الهجرة الصهيونية الدافقة تجتاح البلاد ولا يزال متشردو الآفاق من مهجري بولونيا وأواسط أوروبا يحتلون أماكن أهل البلاد وأسيادهم فيطردونهم من بيوتهم ويقاسمونهم أرزاقهم أي أن الحكومة تريد أن تجعل العبيد أسياداً والأسياد عبيداً وهذا لن يتم إلاّ بعد أن تسفك آخر نقطة من دمائنا.(١٠)

وقد تجاوب الزعماء القرويون وشاركوا في تمثيل معبر لا يكاد يسبقه مثيل. ولا شك في أن كامل الحسين كان له دور في تجنيدهم لصفه على خلفية تزايد بيع الأراضي، وخصوصاً قضية بيع امتياز بحيرة الحولة من جانب علي سلام المالك البيروتي المعروف.

عقد الاجتماع الثاني بتاريخ ١٤ آذار/مارس ١٩٣٥ في الخالصة في بيت كامل الحسين، وشاركت فيه وفود من أرجاء البلد كافة. شارك من صفد كل من الشيخ

(١٠) المصدر نفسه، وثيقة رقم ٦٢، بتاريخ ٩/٤/١٩٣٦.

أسعد قدّورة، وصبحي الخضراء، وعلي رضا النحوي. وقدم من القدس كل من المفتي الحاج أمين الحسيني، وأحمد حلمي باشا عبد الباقي، وعوني عبد الهادي، وإميل الغوري، ويعقوب الغصين، وعزة دروزة، وآخرون. كما شارك مندوبون من سورية ولبنان. وفي الاجتماع تم البحث في طرق المحافظة على أراضي الحولة. وفي نهاية النقاش أُقرّ إقامة شركة زراعية، بالإضافة إلى لجنة توفيق مهمتها حل مشكلات الأراضي بين الفلاحين والملاّك.[١١]

يعتبر هذان الاجتماعان قمة نشاط كامل الحسين الوطني، وذلك قبل أن يغير خطه السياسي في إبان الإضراب والثورة.

على الرغم من مشاركة القرويين في نشاط الجمعية فإن المبادرة والقيادة كانتا للمدينيين الذين وجهوا نشاط الحركة الوطنية. تمتع نشيطو الجمعية بتأثير متزايد، فبالإضافة إلى رؤوف حجازي، برز سعيد عزيز الحاج عيسى، الذي كان من مؤسسي جمعية الشبان المسلمين وناشطاً فيها، كما كان ناشطاً في الوقت نفسه في جمعية الشبان العرب ورئيس منظمة الكشافة.[١٢] وقد وصفه تقرير جهاز استخبارات الهاغاناه بالكلمات التالية: «خياط وزعيم شباب، متطرف ومحرض نشيط. تأثيره في الشباب العربي الصفدي كان ملحوظاً، يميل إلى الألمان، ويبغض بريطانيا، إنه لاسامي عنصري.»[١٣]

وكان هناك ناشط بارز آخر هو نصوح منوّر الذي كان يعمل في كتابة العرائض، وتصفه التقارير بأنه أحد أكثر الناشطين سياسياً في المدينة، وكان من مؤسسي النادي الرياضي الإسلامي سنة ١٩٣١، وحين أُسست جمعية الشبان المسلمين اختير سكرتيراً لها.[١٤]

---

(١١) صحيفة «الجامعة العربية»، ١٥/٣/١٩٣٥.

(١٢) أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم م/١٣٥ س/٢٦٧٨، وثيقة بتاريخ ١١/٦/١٩٣٣، ملف رقم م/٥/١/٦١٧ س/٢٦٤١، وثيقة بتاريخ ٢٧/١١/١٩٤٦، ملف رقم م/٢٢١ س/٢٦٨١، وثيقة بتاريخ ٤/١١/١٩٣٨؛ «فلسطين»، ١٤/٧/١٩٣٣.

(١٣) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، تقرير عن الحركة العربية في صفد، لا تاريخ، ص ٥.

(١٤) المصدر نفسه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥،تقرير بتاريخ ٣٠/١٠/١٩٤١، ص ١، ملف رقم ٥/١٠٥، تقرير بتاريخ ١٥/١/١٩٤٥، ص ١؛ أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم م/٥/١/٦١٧ س/٢٦٤١، وثيقة بتاريخ ٢٧/١١/١٩٤٦؛ وثائق عائلة عبّو، وثيقة رقم ١٠، بتاريخ ١٩/٩/١٩٣٣؛ «الدفاع»، ١٠/٤/١٩٣٥؛ «فلسطين»، ١٩/٩/١٩٣٧.

وكان القاسم المشترك بين الناشطين الثلاثة، رؤوف وسعيد ونصوح، نجاحهم في تجنيد الشباب بشكل ملحوظ في صفوف الحركة الوطنية، ومساهمتهم البارزة في إنجاح الإضرابات والمسيرات والسيطرة على الشارع الصفدي. وقد وصف تقرير جهاز استخبارات الهاغاناه هذا التطور بما يلي:

> منذ سنة ١٩٢٩ ازدادت القوة السياسية للشباب، ففي الفترة ١٩٣١ - ١٩٣٢، أقيمت منظمة الكشافة العربية بقيادة سعيد عزيز وآخرين، وفي الفترة نفسها أقيم النادي الرياضي الوطني وعلى رأسه المحرض المعروف نصوح منوّر المكنّى أبو غاندي. هاتان المنظمتان حصلتا على دعم مالي من دار الأيتام العرب في القدس... وطلبتا من الشباب معارضة اليهود والبريطانيين.[١٥]

أخيراً، يمكن الإشارة إلى عدة تطورات أساسية شهدتها الحركة الوطنية في صفد في الفترة ١٩٣٠ - ١٩٣٥، أهمها حدوث تراجع ملحوظ في المكانة السياسية للقيادة التقليدية التي نشطت في العقد الأول للانتداب، وخصوصاً مكانة كل من: الشيخ أسعد قدّورة؛ نايف صبح؛ محمد حسن عبد الرحيم؛ سعيد مراد؛ شحادة خوري؛ محمد سليم شمّا. ويبدو أن هذه المجموعة القيادية أخذت تهتم أكثر بأمورها الخاصة، وصعب عليها الاندماج في النشاط الجديد لجيل الشباب.

وفي الوقت الذي تراجعت سيطرة الأعيان التقليديين واصل بعض زعماء تلك الفترة الأصغر سناً العمل والنشاط على الصعيدين الداخلي والمحلي. وقد برز منهم كل من: علي رضا النحوي؛ صبحي الخضراء؛ عبد الرحمن النحوي؛ عبد الغني النحوي؛ عبد القادر عبد الرحيم؛ وآخرون. وانضم إلى هؤلاء جيل جديد من النشيطين الشباب نسبياً، وهم أعضاء الجمعيات والنوادي المتعددة، الذين انتهجوا خطاً متشدداً أكثر من سابقيهم تجاه الإنكليز والحركة الصهيونية. وقد استمر الشباب في تصعيد نضالهم بالتدريج حتى وصل إلى أوجه في أثناء الثورة الفلسطينية الكبرى، ١٩٣٦ - ١٩٣٩.

---

(١٥) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، تقرير عن المدينة العربية صفد، بتاريخ ٥/١٥/١٩٤١، ص ١.

ثانياً: الحركة الوطنية الصفدية في إبان الإضراب والثورة الفلسطينية الكبرى، ١٩٣٦ - ١٩٣٩

خلال الثمانية عشر عاماً الأولى لحكم الانتداب، لم تغيّر القيادة الفلسطينية، التي تزعمها الحسينيون، تعاملها ونهجها تجاه سلطة الانتداب البريطانية. فقد اقتصر نشاطها على إرسال العرائض، والاحتجاجات، وإيفاد البعثات والوفود، ومناقشة الأمور من خلال المؤتمرات والاجتماعات الكثيرة.

هذا النهج لم يؤد إلى أي تغيير في السياسة البريطانية. أضف إلى ذلك أن الانقسام الذي بدأ سنة ١٩٢٣ بين الحسينيين ومعارضيهم أصبح حقيقة راسخة، كما أن الصراعات الطبقية أخذت تزداد.

وبينما كان الفلسطينيون العرب غارقين في انقساماتهم، كانت موجات الهجرة اليهودية تتدفق على فلسطين. وكان واضحاً أن القيادة الفلسطينية لا تملك الردود الناجعة على هذه التطورات المتسارعة. فعدا تنظيم حركة الشيخ عز الدين القسّام، لم يقم الفلسطينيون بأي عمل مسلح منظم ومستمر ضد سلطات الانتداب.

بدأ التحول في هذا الوضع في ١٥ نيسان/أبريل ١٩٣٦، حين هاجم ثلاثة مسلحين عرب قافلة سيارات يهودية قرب قرية عنبتا، فقتلوا يهوديين وجرحوا ثلاثة آخرين. وفي اليوم التالي، هاجم مسلحان يهوديان حراساً عرباً قرب الخضيرة فقتلا اثنين منهم. بعد هذين الحادثين أخذ الوضع يتدهور بسرعة.[١٦]

وفي ١٩ نيسان/أبريل ١٩٣٦، انطلقت المبادرة من اجتماع نابلس الذي وضع، عملياً، الخطوط العريضة للنشاط السياسي في المستقبل. شارك في هذا الاجتماع كثيرون من زعماء وشباب المدينة الذين دعوا إلى إعلان الإضراب العام، وإلى إقامة لجان قومية تراقب الإضراب وتديره. كما طالبوا بإقامة هيئة قيادة تستند إلى قاعدة وطنية بعيداً عن التحزبات العائلية، وبتوجيه النضال ضد البريطانيين أولاً، ومواصلته حتى تحقيق الأهداف الوطنية. كذلك طلب المجتمعون في نابلس من كل

(١٦) أكرم زعيتر، «الحركة الوطنية الفلسطينية، ١٩٣٥ - ١٩٣٩: يوميات أكرم زعيتر» (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٢)، ص ٥٣ - ٥٤؛ يهودا سلوتسكي، «كتاب تاريخ الهاغاناه، من الدفاع إلى الصراع» (بالعبرية)، (لا مكان: لا دار نشر، الطبعة الثانية، ١٩٦٤)، ج ٢، ص ٦٣٢؛ يهوشواع بورات، «من الاضطرابات إلى الثورة: الحركة الوطنية العربية الفلسطينية، ١٩٢٩ - ١٩٣٩» (بالعبرية)، (تل أبيب: لا دار نشر، ١٩٧٨)، ص ١٩٥.

المدن في فلسطين أن تحذو حذوهم. وفعلاً، لم تتأخر الاستجابة، ففي ٢٠ نيسان/أبريل ١٩٣٦ لبى كثيرون الطلب وأعلنوا الإضراب في القدس ويافا وفي بقية المدن الفلسطينية.[١٧]

وفي خطوة أُخرى بادر بعض قادة الحركة الوطنية في حيفا، وهم رشيد الحاج إبراهيم والمحامي معين الماضي ومحمد التميمي والمحامي حنا عصفور، إلى إقامة قيادة عليا للإضراب تشمل الأحزاب الفلسطينية الستة، وقد تكللت هذه المبادرة بالنجاح. ففي ٢٥ نيسان/أبريل أقيمت اللجنة العربية العليا برئاسة المفتي الحاج محمد أمين الحسيني وعضوية رؤساء الأحزاب الستة وهم: عوني عبد الهادي، رئيس حزب الاستقلال؛ حسين فخري الخالدي، رئيس حزب الإصلاح؛ عبد اللطيف صلاح، رئيس حزب الكتلة الوطنية؛ يعقوب الغصين، رئيس اللجنة التنفيذية لمؤتمر الشباب العربي الفلسطيني؛ جمال الحسيني، رئيس الحزب العربي الفلسطيني؛ راغب النشاشيبي، رئيس حزب الدفاع الوطني؛ وكل من: ألفرد روك، ممثل المسيحيين الكاثوليك؛ يعقوب فرّاج، ممثل المسيحيين الأورثوذكس؛ أحمد حلمي عبد الباقي، محاسباً.[١٨]

دعت اللجنة العربية العليا، في جلستها الأولى في ٢٥ نيسان/أبريل ١٩٣٦، إلى مواصلة الإضراب حتى تغير الحكومة سياستها تغييراً جذرياً، وتوقف الهجرة، وتمنع بيع الأراضي، وتوافق على إقامة حكومة فلسطينية وطنية مسؤولة أمام برلمان منتخب.[١٩] مع إقامة هذه اللجنة بدأت مرحلة جديدة في تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية.

كذلك قررت اللجنة إقامة لجان قومية في جميع مدن فلسطين للإشراف على

(١٧) يغآل أيال، «الانتفاضة الأولى: قمع الثورة العربية على يد الجيش البريطاني في أرض إسرائيل، ١٩٣٦ - ١٩٣٩» (بالعبرية)، (تل أبيب: وزارة الدفاع، ١٩٩٨)، ص ٦٠ - ٦١؛ زعيتر، مصدر سبق ذكره، ص ٦٤ - ٧٥؛ الحوت، مصدر سبق ذكره، ص ٣٣١ - ٣٣٥؛ بورات، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٦ - ١٩٧؛ محمد عزة دروزة، «حول الحركة العربية الحديثة: تاريخ ومذكرات وتعليقات»، (صيدا: المكتبة العصرية، ١٩٥٠ ـ ١٩٥١)، ج ٣، ص ١٢٢ - ١٢٧.

(١٨) الحوت، مصدر سبق ذكره، ص ٨٨٨؛ سلوتسكي، مصدر سبق ذكره، ص ٦٣٨؛ Herbert Sidebotham, *Great Britain and Palestine* (London: Macmillan, 1937), pp. 192-194.

(١٩) أيال، مصدر سبق ذكره، ص ٦٩؛ عبد الوهاب الكيالي، «تاريخ فلسطين الحديث» (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٠)، ص ٢٦٤ - ٢٦٥؛ زعيتر، مصدر سبق ذكره، ص ٧٦ - ٧٩؛ الحوت، مصدر سبق ذكره، ص ٣٣٥، ٣٣٧؛ بورات، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٩.

الأمور وإدارة الإضراب فيها.

في بداية أيار/مايو أقيمت في صفد لجنة قومية موسعة ضمت كلاً من: علي رضا النحوي؛ عبد القادر عبد الرحيم؛ عارف حجازي؛ يوسف حجازي؛ رؤوف حجازي؛ عبد الرحمن النحوي؛ عبد الغني النحوي؛ د. صبري عز الدين قدّورة؛ جمال حميد قدّورة؛ الياس رشيد؛ نصوح منوّر؛ كمال سعد الدين.

لا بد من الإشارة إلى أن هذه التركيبة لم تنشط معاً وبكامل أعضائها في آن واحد، لأن الأعضاء كانوا يعتقلون ويطلقون في فترات متقاربة.[٢٠] لكن اللافت للانتباه أن الأعضاء كانوا في معظمهم من مؤيدي الحسينيين، ومن مقربي آل النحوي في المدينة.

ترأس اللجنة القومية المحامي عبد الرحمن النحوي، في حين انتخب رؤوف حجازي سكرتيراً لها.[٢١] وكان الأعضاء في معظمهم من الشباب المثقف، فعارف حجازي وعبد الرحمن النحوي وعبد الغني النحوي وجمال حميد كانوا محامين، وصبري عز الدين قدّورة كان طبيباً. أمّا عبد القادر عبد الرحيم فكان عضو المجلس البلدي، ونصوح منوّر كان سكرتير جمعية الشبان المسلمين، الأمر الذي يؤكد ما ورد سابقاً من انتقال القيادة والمبادرة إلى أبناء جيل جديد جاءت أغلبية أعضائه من أصحاب المهن الحرة.

كانت اللجنة القومية، عملياً، طوال فترة الإضراب والثورة، الجسم الوطني الأبرز في صفد وقضائها. وقد أشرفت على عدة مجالات نذكر منها: مراقبة سير الإضراب؛ مراقبة المقاطعة الاقتصادية لليهود وتطبيقها؛ جمع التبرعات والمؤن وتوزيعها على المحتاجين والمصابين؛ عقد اجتماعات ومسيرات والدعوة إلى مواصلة النضال بالوسائل كافة.[٢٢]

في المجال الخارجي اهتمت اللجنة بالمحافظة على العلاقة باللجنة العربية العليا والتنسيق معها. ففي السابع من أيار/مايو ١٩٣٦، شارك ممثلو لجنة صفد، وهم علي رضا النحوي وعارف حجازي وعبد القادر عبد الرحيم، في مؤتمر اللجان القومية الذي عقد في القدس.

(٢٠) الحوت، مصدر سبق ذكره، ص ٨٨٩؛ أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ١/١٠٥، تقرير بتاريخ ١٧/٨/١٩٤١؛ «الدفاع»، ١٤/٥/١٩٣٦، ١١/١٠/١٩٣٦، ١٥/١٠/١٩٣٦؛ «فلسطين»، ٢٧/٤/١٩٣٦.

(٢١) «الدفاع»، ٢٨/٥/١٩٣٦.

(٢٢) «فلسطين»، ٢٧/٤/١٩٣٦؛ «الدفاع»، ٤/٥/١٩٣٦، ١١/١٠/١٩٣٦.

قرر المجتمعون بالإجماع أنه اعتباراً من ١٥ أيار/مايو ١٩٣٦ سيتوقف السكان الفلسطينيون عن دفع الضرائب، ويبدأون تطبيق المقاطعة الاقتصادية على اليهود، ولهذا أقيمت لجان المقاطعة.[٢٣]

وكردة فعل على هذه التطورات قام البريطانيون بحملة اعتقالات بين أعضاء لجنة صفد، شملت كلاً من: نصوح منوّر؛ جمال حميد قدّورة؛ كمال سعد الدين؛ سعيد عزيز الحاج عيسى؛ فؤاد الخضراء. وقد أُرسل المعتقلون إلى سجني عكا والصرفند.[٢٤] كذلك اعتُقل صبحي الخضراء في ٢٩ أيار/مايو ١٩٣٦ وأرسل إلى معتقل عوجا الحفير في النقب، ومكث هناك حتى التاسع من تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٣٦ حين أفرج عن معتقلي صفد كافة.[٢٥]

لم يحل اعتقال أعضاء اللجنة القومية وإطلاقهم دون إجراء السلطات اتصالات بهم، ذلك بأنها كانت تعرف أن القدرة على التأثير في الشارع الصفدي باتت في يد هؤلاء الزعماء. وكانت الاتصالات بين الفريقين تتم بواسطة القائمقام العربي، أو بواسطة قائد الشرطة الذي كان ينقل البيانات والتنبيهات وطلبات السلطة إلى أعضاء اللجنة.[٢٦]

مع إقامة اللجنة القومية في صفد بادر أعضاؤها إلى تأسيس فروع لها في المنطقة القروية. ففي ١٣ أيار/مايو ١٩٣٦، دُعي أعيان ووجهاء المنطقة القروية إلى اجتماع في المدينة شارك فيه نحو ٣٠٠ شخص مثلوا ٤٧ قرية. برز بين هؤلاء الشيخ محمد العبد كعوش مختار قرية ميرون، وكامل الحسين زعيم الحولة. وفي ختام الاجتماع الذي عقد في الجامع اليونسي الكبير، عبر القرويون عن دعمهم التام لقرارات مؤتمر اللجان القومية الذي عقد في القدس في السابع من أيار/مايو ١٩٣٦. كذلك قرر المجتمعون رفع مذكرة احتجاج إلى المندوب السامي، فيما يلي نصها:

> نحن وجوه ومختاري قرى قضاء صفد المجتمعين اليوم في الجامع اليونسي الكبير نعلن استنكارنا الشديد للسياسة القائمة في البلاد ونؤيد بكل قوانا المطالب الوطنية وهي منع الهجرة اليهودية ومنع بيوع الأراضي وتأليف حكومة وطنية. وإننا مع مثابرتنا على الإضراب والمقاطعة على استعداد لتنفيذ قرارات مؤتمر اللجان القومية في القدس إذا لم

(٢٣) الكيالي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦٥؛ زعيتر، مصدر سبق ذكره، ص ٩٠ - ٩٥؛ دروزة، مصدر سبق ذكره، ج ٣، ص ١٢٤؛ الحوت، مصدر سبق ذكره، ص ٣٣٧.

(٢٤) «الدفاع»، ١٥/١٠/١٩٣٦، ٢٧/١٠/١٩٣٦.

(٢٥) زعيتر، مصدر سبق ذكره، ص ١١٩، ٢٣٣؛ «فلسطين»، ١٥/١١/١٩٣٦.

(٢٦) «الدفاع»، ٢٢/٥/١٩٣٦، ١١/١٠/١٩٣٦.

تلب الحكومة الطلبات التي قدمها المؤتمر المذكور وتفضلوا...

... بالنيابة عن المؤتمرين...

توفيق الأيوب، محيي الدين طه الخطيب عن [الرأس] الأحمر، عبد الله خالد الزغموت عن الصفاف، حمود حسن عبد الهادي، محمد الحاج عبد الله عن دلاتا، محمد العبد كعوش عن ميرون، كامل حسين اليوسف عن الحولة، محاسن السيد، زيدان عبد الكريم وهبة عن سعسع، محمود الحاج طاهر عن التليل، أحمد العزيز، علي العبد الله عن عرب البقارة، أحمد سعيد، فارس الحاج، حسين عقل عن علما، إبراهيم الصالح عن فارة، يونس هارون ويعقوب علي عن ريحانية، الخوري يوسف الياس وسليمان شقور عن كفر برعم، الحاج سليم عثمان، الحاج سليمان عوده عن فرعم، موسى شحادة عن الجاعونة، عبد الرحمن الميزاري عن ديشوم، خالد المعجل وخليل أبو شله عن القديرية، محمد سليم الصالح، كامل صالح عبد الرحمن عن عموقة، ياسين الحاج عن الملّاحة، سعيد عمر، قاسم محمد عمر عن ماروس، أحمد حسن ديب، علي الرفاعي عن عين الزيتون، خليل إبراهيم الشمالي عن العلمانية، علي الحسن عن عرب الزبيد، حسين الحاج حمود عن قيطية، حميد محمود عبد العزيز عن بيسمون، محمد علي شناعة عن طيطبا، سليم علي أيوب، سمعان جبران، حسين علي مصطفى، أحمد عبد الحميد عن الجش.[٢٧]

وبهذا تمت الاستعدادات في قضاء صفد وأصبحت قضية المواجهة مع البريطانيين مسألة وقت. وفي تقرير الشرطة السنوي لسنة ١٩٣٦ ادعى البريطانيون أن القرويين انجروا خلف الدعاية الأمر الذي أساء إلى العلاقات بينهم وبين السلطة.[٢٨]

خلال الثورة تم توزيع المهمات وتقاسم الأدوار بين المدينة والقرية، فمن القرويين خرج معظم الناشطين الميدانيين الذين كانوا يقومون بتجنيد الشباب، ومهاجمة الأملاك البريطانية واليهودية، وضرب خطوط المواصلات، وقطع خطوط الكهرباء والهاتف، وقطع وإزالة الشريط على الحدود الشمالية مع لبنان. أمّا القادة المدينيون فقد اهتموا أساساً بالمجال التنظيمي والسياسي، وتجنيد الأموال، والدعاية، ومراقبة المقاطعة الاقتصادية.[٢٩]

على الرغم من توزيع المهمات والأدوار فإن عدد القرويين الذين شاركوا في الثورة بشكل فعال كان أكبر كثيراً من عدد المدينيين.

(٢٧) المصدر نفسه، ١٤/٥/١٩٣٦، ١٨/٥/١٩٣٦.

(٢٨) CO 814/11, The Palestine Police Force Annual Administration Report, 1936, pp. 55-56.

(٢٩) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، تقرير بتاريخ ٣٠/١٠/١٩٤١.

وقد توصل يهوشواع بورات، الذي بحث في الخلفية الاجتماعية لِ ٢٨٢ شخصاً ممن شاركوا بشكل فعال في صفوف الثورة، إلى المعطيات التالية: ١٨٣ (٦٥٪) كانوا قرويين؛ ٨ (٣٪) كانوا قرويين ممن هاجروا إلى المدينة؛ ٦١ (٢٢٪) كانوا من المدينيين؛ ٢٢ (٨٪) كانوا من البدو؛ ٨ (٢٪) كانوا من الدول العربية المجاورة.[٣٠]

وبرز بين سكان صفد، الذين شاركوا بفعالية في صفوف الثورة، قائدان: الأول، عبد الله محمود الشاعر، وهو من أسرة عمالية كانت تسكن في حارة الوطاة. انضم إلى الثورة في مراحلها الأولى وأصبح قائد مجموعة تضم عشرات الثوار، كما شارك في المعارك التي جرت حول صفد، وخصوصاً في معارك وادي الطواحين وجب يوسف وجرن الحلاوة، حيث استشهد أخوه رشيد.[٣١] واصل عبد الله نشاطه طوال فترة الثورة، وفر عند توقفها سنة ١٩٣٩ إلى العراق حيث اعتقل. وحين عاد إلى صفد اعتقل ثانية ثم أطلق سنة ١٩٤٤. هذا التشديد والاعتقال لم يمنعاه من المشاركة في حرب ١٩٤٨ كما سنرى لاحقاً.[٣٢]

القائد الثاني هو محمود عثمان الكردي (أبو سلطان)، الذي كان قائداً لجماعة من الثوار، وسبق أن شارك في أحداث سنة ١٩٢٩ واعتُقل مدة خمسة أعوام. ومع اندلاع الثورة عاد فترأس مجموعة ضمت عشرات الثوار. لوحق في إبان الثورة، ففر إلى سورية وبقي هناك حتى سمح له بالعودة سنة ١٩٤٣.[٣٣]

هذا بالنسبة إلى القادة من أبناء المدينة، أمّا القرويون فقد أخذوا زمام المبادرة في يدهم بعد سنة ١٩٣٧، وأصبحوا، عملياً، المجموعة الأبرز حتى انتهاء الثورة سنة ١٩٣٩.

برز في المنطقة القروية ثلاثة قادة لمجموعات الثوار: الأول، عبد الله الأصبح،

(٣٠) بورات، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠٩ - ٣١٢.

(٣١) «الدفاع»، ١٦/٨/١٩٣٦؛ محمود العابدي، «صفد في التاريخ»، (عمّان: جمعية عمال المطابع التعاونية، ١٩٧٧)، ص ١٥٠ - ١٥٤؛ منظمة التحرير الفلسطينية - دائرة الثقافة، «موسوعة المدن الفلسطينية» (دمشق: الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٤)، ص ٤٠٢ - ٤٠٣؛ أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٩٦/١٠٥، تقرير بتاريخ ١٥/١٢/١٩٤٣.

(٣٢) يسار العسكري، «قصة مدينة صفد» (تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، لا تاريخ)، ص ٨٣ - ٨٥؛ أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٩٦/١٠٥، تقارير بتاريخ ٢١/٤/١٩٤٣، ٣٠/١٢/١٩٤٣، ١/٢/١٩٤٤.

(٣٣) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، تقرير بتاريخ ٢٤/٤/١٩٤١، ملف رقم ١٠٥/٩٦، تقريران بتاريخ ٢١/٦/١٩٤٢، ١٦/٣/١٩٤٣، ملف رقم ٥/١٠٥، تقرير بتاريخ ٢٧/١٢/١٩٤٥.

من قرية الجاعونة، انضم إلى الثورة منذ بدايتها وقاد مجموعة من عشرات الثوار، وكان الشخصية الأبرز بين ثوار القضاء. شارك في كل المعارك المهمة إلى أن استشهد في معركة خربة رخصون جنوبي قرية حرفيش سنة ١٩٣٨.[٣٤]

القائد الثاني هو محمود سليم صالح (أبو عاطف) من قرية عموقة شمالي صفد، وهي من القرى الجزائرية الخمس في القضاء. وصل إلى رتبة مساعد قائد،[٣٥] وكان بإمرة زعيم الجزائريين في المنطقة، موسى الحاج حسين الملقب بالكبير.[٣٦]

والقائد الثالث هو أحمد عبد الله أبو شاكر، المعروف بأبو ديّة، من قرية فراضية، وكان قائد سرية من الثوار.[٣٧]

بالإضافة إلى هؤلاء الثلاثة قام زعيم الجزائريين موسى الحاج حسين، من سكان قرية التليل، بدور بارز في الثورة. ففي تقرير لجهاز استخبارات الهاغاناه، بتاريخ الرابع من أيلول/سبتمبر ١٩٣٨، ورد أن موسى نجح في توحيد المتخاصمين معاً، وأصبح يملك زمام الأمور في يده.[٣٨]

وبعد أن تقرب كامل الحسين إلى السلطات البريطانية سنة ١٩٣٦ تصدى له موسى بشدة، الأمر الذي أدى إلى ملاحقته. عندها فر إلى الجانب السوري من الحدود، ومن هناك واصل إدارة نضاله بواسطة رجاله في القرى الجزائرية.[٣٩]

في المرحلة الأولى من الإضراب والثورة، أي من ٢٠ نيسان/أبريل ١٩٣٦ إلى أيلول/سبتمبر ١٩٣٧، شهدت مدينة صفد كثيراً من الأحداث والصدامات بين الإنكليز والسكان العرب. ففي مرحلة مبكرة من الثورة نشطت في المنطقة مجموعات من الثوار، وقامت بكثير من الهجمات على أهداف بريطانية وأُخرى يهودية. وبمناسبة مرور مئة يوم على إعلان الإضراب، أقام الصفديون احتفالاً كبيراً

(٣٤) هيئة الموسوعة الفلسطينية، مصدر سبق ذكره، المجلد ٣، ص ١٧٥؛ أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، قرية الجاعونة، تقرير بتاريخ ٨/١٠/١٩٤١؛ بورات، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨١، ٣٦٢.

(٣٥) الحوت، مصدر سبق ذكره، ص ٨٩٧.

(٣٦) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، قرية عموقة، تقرير لسنة ١٩٤٣/١٩٤٤.

(٣٧) المصدر نفسه، ملف رقم ٩٦/١٠٥، قرية فراضية، تقرير بتاريخ ١/٦/١٩٤٢.

(٣٨) المصدر نفسه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، تقرير بتاريخ ٤/٩/١٩٣٨، ص ٣، ملف رقم ١/١٠٥، تقرير بتاريخ ١٧/٨/١٩٤١.

(٣٩) المصدر نفسه، ملف رقم ٢٢٦/١٠٥، تقرير بتاريخ ٤/٩/١٩٣٩، ص ١ - ٤.

في حارة الصواوين شارك فيه جمع غفير من السكان. وقد أكد المجتمعون مواصلة الإضراب حتى لو استغرق ٣٠٠ يوم.[٤٠] وخلال حزيران/يونيو، كثرت التقارير عن الصدامات بين الثوار وقوات الحكومة، ومعها استمرت إجراءات السلطة من اعتقالات وإبعاد.[٤١] واستمرت حالة التصعيد في آب/أغسطس إذ وقعت معركة كبيرة بين فصائل الثوار والجيش في موقع جرن الحلاوة، حين هاجم فريق من الثوار قافلة باصات وآليات عسكرية على طريق صفد - روش بينا. وقد شارك في المعركة كثيرون من الجنود، وأسفرت عن استشهاد رشيد محمود الشاعر الذي كان عضواً في النادي الرياضي الإسلامي، وفي فرقة كشافة المثنى التابعة لذلك النادي. ويشير هذا إلى دور أعضاء النادي في النشاط الوطني.[٤٢]

وانتقاماً من آل الشاعر قامت السلطات بنسف دار الشهيد رشيد الشاعر واعتقلت إخوانه الثلاثة وعمه. كما نسفت دوراً أُخرى تابعة لعائلتي الغوراني والكوري، وقد تسببت أعمال النسف بأضرار بالغة في البيوت المجاورة، بما فيها الكنيسة الكاثوليكية.[٤٣]

وقد أرسل رئيس المجلس البلدي في صفد، زكي قدّورة، احتجاجاً شديد اللهجة إلى المندوب السامي طالب فيه بالعدول عن سياسة القمع والتنكيل والهدم، والحفاظ على أرواح الناس وأملاكهم.[٤٤]

في هذه المرحلة أقدمت السلطات على اعتقال العشرات من أبناء المدينة وقضائها، وعلى رأسهم أعضاء اللجنة القومية الذين سجنوا وأُبعدوا إلى مناطق نائية.

بالإضافة إلى الاعتقالات عزز البريطانيون صلاحيات مساعد حاكم اللواء. وبحسب أنظمة الدفاع (الطوارئ)، بات في إمكانه إجراء محاكمات ميدانية وفرض عقوبات متعددة كالاعتقال أو النفي أو فرض غرامات مالية باهظة على السكان.[٤٥]

بعد الموجة الأولى من الصدام، التي انتهت بتعليق الإضراب في ١٢ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٣٦، حاول البريطانيون تهدئة الأوضاع في صفد، فأطلقوا المعتقلين في سجون عوجا الحفير والصرفند وعكا. ومن جملة من أفرج عنهم: المحامي عارف

(٤٠) «الدفاع»، ٣٠/٧/١٩٣٦.

(٤١) المصدر نفسه، ٢٣/٦/١٩٣٦.

(٤٢) المصدر نفسه، ١٧/٨/١٩٣٦، ٢٦/٨/١٩٣٦.

(٤٣) «فلسطين»، ١٨/٨/١٩٣٦.

(٤٤) المصدر نفسه، ٢٢/٨/١٩٣٦.

(٤٥) المصدر نفسه، ٨/٦/١٩٣٦، ٦/٥/١٩٣٧؛ أيال، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٣.

حجازي؛ المحامي رؤوف حجازي؛ فؤاد سعد الدين؛ المحامي عبد الرحمن النحوي؛ المحامي عبد الغني النحوي؛ سعيد عزيز الحاج عيسى؛ المحامي صبحي الخضراء، وجميعهم من أبرز الناشطين في صفوف الحركة الوطنية في صفد.[٤٦]

منذ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٣٦ شهدت الأوضاع حالة من الهدوء النسبي، إلاّ إن محاكمات المفرج عنهم استمرت على قدم وساق بتهم متنوعة، مثل الانتماء إلى اللجنة القومية، والحث على المقاطعة، ومساعدة الثوار وغير ذلك. وقد طبقت السلطات أنظمة الدفاع (الطوارئ) لفرض الإقامة الجبرية والسجن والغرامات الباهظة.[٤٧] وقد سارت الأمور على هذا النحو بين أخذ ورد إلى حين مقتل لويس أندروز، حاكم لواء الجليل، في ٢٦ أيلول/سبتمبر ١٩٣٧، فانقلبت الأوضاع تماماً.

بعد مضي خمسة أيام على مقتل أندروز، أي في الأول من تشرين الأول/أكتوبر ١٩٣٧، بادر الإنكليز إلى حل اللجنة العربية العليا، والمجلس الشرعي الإسلامي الأعلى، ومختلف اللجان القومية.[٤٨]

أمّا على الصعيد المحلي في صفد فاعتقل البريطانيون مجدداً كثيرين من أعضاء اللجنة القومية هم: د. صبري عز الدين قدّورة؛ الشيخ عز الدين عبد اللطيف الحاج سعيد؛ عارف حجازي؛ رؤوف حجازي؛ نصوح منوّر؛ سعيد الأموي وآخرون. أمّا علي رضا النحوي فغادر إلى الشام بعد أن نسف البريطانيون بيته سنة ١٩٣٧، حيث انضم إلى صفوف لجنة الجهاد المركزية.[٤٩]

كان مقتل أندروز مؤشراً إلى بدء المرحلة الثانية من الثورة التي وصلت إلى ذروتها في صيف سنة ١٩٣٨. ففي هذه الفترة سجل ازدياد ملحوظ في الصدامات المسلحة في قضاء صفد بما في ذلك نصب الكمائن، وإطلاق النار، وقطع وإزالة سياجات الحدود وخطوط الهاتف وغيرها.[٥٠]

وفي أحد التقارير الأمنية التي قدمها السكان اليهود في ٤ أيلول/سبتمبر ١٩٣٨

(٤٦) «الدفاع»، ١٥/١٠/١٩٣٦، ٢٧/١٠/١٩٣٦، ١٢/١١/١٩٣٦.
(٤٧) المصدر نفسه، ٤/٣/١٩٣٧ - ٣/٥/١٩٣٧.
(٤٨) سلوتسكي، مصدر سبق ذكره، ص ٧٦٠ - ٧٦٢؛ أيال، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠٩ - ٣١٧؛ محسن محمد صالح، «القوات العسكرية والشرطة في فلسطين ودورها في تنفيذ السياسة البريطانية، ١٩١٧ - ١٩٣٩» (عمان: دار النفائس، ١٩٩٦)، ص ٤٦٥ - ٤٦٧.
(٤٩) «فلسطين»، ٢٨/٩/١٩٣٧.
(٥٠) أيال، مصدر سبق ذكره، ص ٣٧٤ - ٣٧٩؛ «فلسطين»، ٢٢/٦/١٩٣٨، ٢٣/٦/١٩٣٨، ١/٧/١٩٣٨، ١٣/٧/١٩٣٨، ١٦/٧/١٩٣٨.

وصفوا الوضع بما يلي: «إننا نشهد تدهوراً حاداً في الوضع الأمني وفي السيطرة البريطانية على منطقة صفد وسهل الحولة.» كما جاء في التقرير أن السلطات أهملت اللواء، وأن القرويين المسلحين يفعلون به ما يشاؤون.[٥١]

تشير هذه الأوصاف بصدق إلى الوضع الذي ساد عدة مناطق في تلك الأيام خلال حزيران/يونيو وتموز/يوليو. فبعد انتهاء موسم الحصاد انضم كثيرون من الفلاحين إلى صفوف الثورة. وفي بداية تموز/يوليو طرأ تصاعد ملحوظ جداً في نشاط الثوار في أرجاء فلسطين كافة. وفي آب/أغسطس نجح الثوار في السيطرة على معظم الطرق في المنطقة الجبلية، وفي أيلول/سبتمبر، ضعفت السيطرة البريطانية في فلسطين تماماً. وقد اعترف قائد الجيش البريطاني بذلك قائلاً: «باتت السيطرة البريطانية في فلسطين شكلية، وكأنها لم تكن.»[٥٢]

ومن أجل مواجهة هذا الوضع الأمني المتردي، شكّل يهود صفد في آذار/مارس ١٩٣٨ لجنة أمنية ضمت أربعة أعضاء، اهتمت بالإشراف على الترتيبات الأمنية في الحي اليهودي، وخصوصاً أن عدد الخفراء البريطانيين فيه كان قليلاً. لكن في أعقاب تدهور الوضع بعد أيلول/سبتمبر ١٩٣٨ هاجم الثوار هذا الحي، الأمر الذي أسفر عن مقتل أربعة من سكانه.[٥٣]

لم يهدأ الوضع المضطرب في فلسطين إلاّ بعد أن تسلم المندوب السامي الجديد، هارولد مكمايكل، مهماته خلفاً للمندوب آرثر واكهوب في الثالث من آذار/مارس ١٩٣٨، إذ انتهج المندوب الجديد سياسة القبضة الحديدية، وأعدم العشرات، وطبق عقوبات جماعية على القرويين. كما قام بإنشاء الشريط الحدودي الفاصل بين لبنان وفلسطين، والذي امتد من رأس الناقورة حتى المطلة وذلك بهدف الحد من تحركات الثوار.[٥٤]

كذلك شرعت السلطات في إقامة مراكز شرطة قرب الحدود الشمالية، وفي شق طرقات على طول الحدود لتسهيل تحركات الجيش في أرجاء القضاء كافة. يضاف إلى ذلك استمرار عمليات التفتيش والمداهمة وفرض الغرامات الباهظة لأقل الأسباب. وأدى كل ذلك، في نهاية المطاف، إلى إضعاف جذوة المقاومة واضمحلال الثورة.

(٥١) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ١٠٥/٢٥٤، تقرير بتاريخ ٤/٩/١٩٣٨، ص ١ - ٤.
(٥٢) بورات، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨١ - ٢٨٣.
(٥٣) الأرشيف الصهيوني المركزي، ملف رقم S/25/8246، وثيقة بتاريخ ٢٤/٣/١٩٣٨؛ أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ١٦٦/٢٤، شهادة يسرائيل بروخشتاين، ص ٧.
(٥٤) «فلسطين»، ٢٨/٤/١٩٣٨؛ أيال، مصدر سبق ذكره، ص ٣٥٠ - ٣٥٣.

من جهة أُخرى، وعلى الصعيد السياسي، قررت الحكومة البريطانية التراجع عن فكرة تقسيم فلسطين، كما جاء في تقرير لجنة بيل، والتي عارضها الفلسطينيون بشدة. وبدلاً من ذلك دعت إلى عقد مؤتمر للتفاوض بشأن مستقبل فلسطين عرف باسم مؤتمر المائدة المستديرة أو مؤتمر سانت جيمس. لم تكن دعوة الإنكليز عفوية، إذ كانت التطورات في أوروبا تتسارع مع تصاعد الخطر النازي، ولذا أرادوا إنهاء الأزمة في فلسطين والتفرغ لمواجهة الطموحات الألمانية.

في هذه المرحلة دار جدل كثير بشأن مَنْ سيمثل الفلسطينيين في المؤتمر، وهل سيسمح الإنكليز للمفتي بالمشاركة فيه. في صفد كان هناك إجماع تام على دعم المفتي، باعتباره الممثل الوحيد للفلسطينيين. فقد نشر الصفديون عشرات الإعلانات في الصحف بهذا الخصوص.(٥٥) وكما هو معروف اضطر البريطانيون إلى التراجع عن موقفهم من المفتي، وأطلقوا القادة الفلسطينيين الذين كانوا معتقلين في جزر سيشيل، وعندها قام المفتي ومؤيدوه باختيار الممثلين الفلسطينيين إلى مؤتمر المائدة المستديرة الذي عقد في لندن، واستمرت أعماله من ٧ شباط/فبراير إلى ٢٧ آذار/مارس ١٩٣٩.

لم ينجح هذا المؤتمر في التوفيق بين مواقف الفلسطينيين واليهود. عندها قام الإنكليز بإصدار الكتاب الأبيض في ١٧ أيار/مايو. وقد جاء فيه أن الهدف الذي ترمي إليه بريطانيا هو أن تؤلّف في أعقاب الانتداب، بالتشاور مع عصبة الأمم، حكومة فلسطينية مستقلة ترتبط مع المملكة المتحدة بمعاهدة تضمن للبلدين مصالحهما التجارية والحربية. وفي الدولة المقترحة يساهم العرب واليهود في الحكومة بما يحفظ مصالح الطرفين. كما ورد في الكتاب الأبيض أنه سيسمح لليهود بإدخال ٧٥,٠٠٠ مهاجر في الأعوام الخمسة المقبلة، وبعد ذلك تتوقف الهجرة، ويشترط موافقة العرب على استمرارها. كذلك تضمن الكتاب الأبيض تحديد تدابير انتقال الأراضي العربية إلى اليهود بحيث لا يلحق الضرر بالجانب العربي. رفض اليهود الكتاب الأبيض بشدة، وكذلك رفضه الحاج أمين الحسيني واللجنة العربية العليا، في حين قبل به قسم من الفلسطينيين، وخصوصاً أولئك المعارضين للحسينيين.

في هذه الأثناء حاول قادة الحركة الوطنية تجديد الثورة، التي كانت تراجعت وخمدت حتى قبل بداية محادثات مؤتمر لندن. إلاّ إن الفلسطينيين كانوا متعبين

(٥٥) «فلسطين»، ١٩٣٨/١١/٣، ١٩٣٨/١١/٢١، ١٩٣٨/١١/٢٦، ١٩٣٨/١١/٢٧، ١٩٣٨/١١/٢٩.

ومنهكين، كما أن إجراءات البريطانيين العنيفة وخطوات الفرنسيين أثقلت على ناشطي الثورة في الشام وبيروت، ومع اندلاع الحرب العالمية توقفت الثورة تماماً.(٥٦)

في الختام، يمكن القول إنه خلال الثورة طرأت عدة تطورات كانت لها آثار بعيدة المدى في السكان العرب في صفد. فقد ترسخت قيادة الجيل الجديد من الشباب، وتراجع دور القيادة التقليدية التي لم تشارك تقريباً في الأحداث. كذلك يلاحظ أنه على الرغم من ازدياد شعبية عائلة النحوي جرّاء دورها الفعال في الثورة، فإنها خرجت منهكة وقد دفع أفرادها ثمناً باهظاً من اعتقالات وأعمال تعسفية. كذلك يمكن القول إن الثورة أدت إلى تغيرات في طبيعة علاقة القرية بالمدينة، إذ برز القرويون كقوة فاعلة على الساحة، وأخذوا يعملون باستقلالية أكثر. هذا من جهة، ومن جهة أُخرى أدت النزاعات الداخلية، وخصوصاً أعمال الاغتيال التي تعرض لها بعض الزعماء القرويين بسبب تهم متنوعة، إلى انقسام في صفوف سكان القضاء. وقد تفاقم هذا الانقسام إلى حد التنافس الحاد كما رأينا سابقاً في الفصل السادس.

أخيراً، يُلاحظ أن الحركة الوطنية التي وصلت إلى ذروتها خلال الفترة ١٩٣٨ - ١٩٣٩ أخذت تضعف جرّاء هذه الانقسامات. وعلى الرغم من ممارسات بريطانيا القمعية قام كثيرون من زعماء الريف والمدينة بالدعوة إلى التجنيد في صفوف الجيش البريطاني عند نشوب الحرب العالمية الثانية الأمر الذي زاد، كما سنرى، في حالة الضعف الفلسطيني.

(٥٦) يوسف نبو، «الحركة الوطنية العربية الفلسطينية في أثناء الحرب العالمية الثانية»، في: موشيه معوز (تحرير)، «الحركة الوطنية الفلسطينية من المواجهة إلى التصالح» (بالعبرية)، (تل أبيب، وزارة الدفاع، ١٩٩٦)، ص ٩٣ - ٩٥.

سلسلة المدن الفلسطينية

٥

صفد

في عهد الانتداب البريطاني
١٩١٧ - ١٩٤٨
دراسة اجتماعية وسياسية

مصطفى العباسي

مؤسسة الدراسات الفلسطينية مواطن - المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية مؤسسة الدراسات المقدسية

الفصل العاشر

صفد في إبان الحرب العالمية الثانية
حالة الضعف العربي إزاء تصاعد قوة اليهود

أولاً: موقف السكان من البريطانيين خلال الحرب

على غرار أكثرية الفلسطينيين، لم يتخذ السكان العرب في صفد موقفاً موحداً من الحرب، ولا سيما في مراحلها الأولى. ولعل غياب كثيرين من القادة البارزين، الذين لجأوا إلى الشام أو اعتقلوا في إبان الثورة، يفسر حالة التردد. وكان السؤال المطروح هو: هل تكمن المصلحة الفلسطينية في دعم الحلفاء، أم في دعم دول المحور، أم في الوقوف على الحياد؟

لكن، على الرغم من هذا التردد، يمكن القول إن تيارين رئيسيين كانا تبلورا خلال سنة ١٩٤٠، نادى الأول بدعم علني وصريح للحلفاء بغض النظر عن نتائج الحرب، ورأى الثاني أن الحرب قضية أوروبية لا صلة للفلسطينيين بها، وأن في كل الحالات لا يمكن دعم البريطانيين الذين أصدروا وعد بلفور، ودعموا فكرة إقامة الوطن القومي اليهودي، وعارضوا المطالب الوطنية الفلسطينية كافة. كان مؤيدو التيار الثاني في معظمهم من أبناء جيل الشباب ومن أنصار الحسينيين.[١]

يبدو أن أنصار التيار الأول، الذين دعموا البريطانيين، كانوا أكثر نشاطاً في هذه المرحلة من أنصار التيار الثاني. وكان أعضاؤه في معظمهم من شريحة الأعيان وأصحاب المناصب الكبرى، ومن زعماء المنطقة القروية، وفي طليعتهم برز كامل الحسين، زعيم الحولة، الذي أعلن دعمه للمجهود الحربي البريطاني علانية، وعقد اجتماعاً شعبياً كبيراً في بيته في الخالصة لهذا الهدف. كذلك عقدت في صفد اجتماعات مماثلة، ففي ١٢ أيلول/سبتمبر ١٩٤٠ دعت السلطات نحو ٤٠ مختاراً

(١) CO 733/420/22, District Commissioner's Office Fortnightly Report, 6th June 1940;
يوسف نبو، «التطور السياسي للحركة الوطنية العربية الفلسطينية، ١٩٣٩ - ١٩٤٥»، رسالة دكتوراه (بالعبرية)، (تل أبيب: جامعة تل أبيب، ١٩٧٧)، ص ١٠٣.

وزعيماً من القرى والمدينة للبحث في وسائل دعم المجهود الحربي البريطاني، وخصوصاً تجنيد الشباب العرب في الجيش. وإزاء الإلحاح البريطاني وافق المخاتير على تجنيد أبناء قراهم شرط أن تكون الخدمة العسكرية داخل حدود فلسطين.[٢]

عقد بعض وجهاء صفد اجتماعات مشابهة لأبناء المدينة، ودعوا علانية إلى تجنيد الشباب الصفدي في الجيش البريطاني. وكان رئيس المجلس البلدي، زكي قدّورة، وأمين الخضراء الأكثر وضوحاً بين وجهاء صفد في هذا المجال. وقد عبرا عن أملهما بأن الوقوف إلى جانب بريطانيا هذه المرة قد يحملها على تصحيح السياسة التي انتهجتها تجاه العرب منذ الحرب العالمية الأولى.[٣]

يُذكر أن هذه الدعوات لم تلق صدى واسعاً، فالإقبال على التجنيد كان مرتبطاً أكثر بالتطورات على الجبهة. ففي بداية الحرب كان عدد المجندين قليلاً جداً، لكن في مطلع سنة ١٩٤٣ ازداد الميل إلى التجند بعد أن اتضح أن انتصار الحلفاء بات مسألة وقت، وذلك بعد معركتي العلمين وستالينغراد الحاسمتين.[٤]

يبدو أن أنصار التيار الثاني المؤيد للحسينيين وحزب الاستقلال أخذوا ينتقلون شيئاً فشيئاً من حالة تمني الهزيمة لبريطانيا والحلفاء إلى الميل الواضح إلى دول المحور. ويشير تقرير حاكم لواء الشمال إلى أن الطبقة المثقفة في صفد أعجبت بإنجازات الألمان، وإلى أن المشاعر المناوئة للبريطانيين والمؤيدة لدول المحور تزايدت، وقد برز الأمر لدى المسلمين خاصة. واعتقد الحاكم أن نجاح دول المحور في بداية الحرب قوى هذا الشعور وشجع الدعاية المؤيدة لألمانيا.[٥]

إن تمنيات أنصار هذا المعسكر بانتصار ألمانيا وحلفائها لم تنبع من عوامل أيديولوجية، وإنما كانت اعتقاداً منهم أنه سيؤدي إلى تغيير الوضع السياسي في فلسطين. وتحولت هذه الميول والمشاعر شيئاً فشيئاً إلى دعوة لمصلحة دول المحور. ويبدو أن العملاء الألمان الذين قدموا من سورية إلى فلسطين شجعوا هذا الاتجاه.[٦]

يشير تقرير جهاز استخبارات الهاغاناه إلى أن رجال الدعاية الألمانية وزعوا الأموال سراً على مؤيديهم، وخصصوا مرتبات شهرية لبعضهم. ومن الذين تلقوا راتباً شهرياً كان سعيد عزيز الحاج عيسى، الذي اتهمه التقرير بمقابلة عملاء ألمان في

---

(٢) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ١٠٥/٢٢٦، تقرير بتاريخ ٢٢/٩/١٩٤٠.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه، ملف رقم ١٠٥/٢٢٦، تقرير بتاريخ ٢/٢/١٩٤٣.

(٥) CO 733/420/22, Fortnightly Report, 15th May 1940, p. 1.

(٦) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ١٠٥/٢٢٦، تقرير بتاريخ ٢٢/٩/١٩٤٠.

الشام. ويخلص كاتب التقرير إلى أن «شباب صفد يميلون في معظمهم إلى ألمانيا نتيجة حقدهم النفسي على الإنكليز.»[٧] هذه الادعاءات الواردة في المصادر البريطانية والصهيونية ليس لها ما يؤكدها أو يدحضها في المصادر العربية.

في محاولة من البريطانيين لنيل تأييد العرب في بداية الحرب، أفرجوا عن كثيرين من معتقلي ثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩، وهذا ما أدى إلى حالة انفراج في المدينة.[٨] كما أنهم سمحوا للصفديين الذين أبعدوا عن المدينة أو غادروها في إبان الثورة بالعودة إليها. ونشير إلى أن نحو ٢٠ قيادياً صفدياً كانوا لجأوا إلى الشام آنذاك، منهم علي رضا النحوي الذي سمح له بالعودة إلى مدينته في شباط/فبراير ١٩٤٠. ووفقاً لحاكم اللواء، فإن عودة علي رضا كانت لها نتائج جيدة، إذ قال: «إن رجوع علي بك النحوي من دمشق إلى صفد كان له أثر سياسي مهم وإيجابي؛ فرجوعه قوى الانطباع في المدينة بأن الإرهاب بات شيئاً من الماضي.»[٩] ومن غير الواضح لماذا قرن الحاكم اسم علي رضا بالإرهاب، فقد كانت أنشطته كلها سياسية محضة.

لا بد من الإشارة إلى تطور آخر مهم جداً هو قيام العرب في صفد وقضائها في هذه المرحلة بتسليم أسلحتهم. ومن اللافت للانتباه أن ذلك تم طوعاً، ومن أجل «فتح صفحة جديدة» مع السلطات التي أطلقت السجناء وسمحت بعودة المبعدين.

مئات قطع السلاح من كل الأصناف سُلّمت للبريطانيين. ففي غضون ثلاثة أشهر، شباط/فبراير - نيسان/أبريل ١٩٤٠، تم تسليم ٦٤٩ بندقية، و٦٨ مسدساً، ويدل هذا على كميات الأسلحة التي امتلكها سكان القضاء العرب والتي استخدموها خلال الثورة.[١٠]

في ١٥ تموز/يوليو ١٩٤٢، وصف تقرير جهاز استخبارات الهاغاناه الوضع السياسي في صفد على النحو التالي: «لا يوجد أي نشاط فعلي، إلاّ إن الناس تجتمع حول المذياع لتصغي إلى إذاعة برلين بصورة خاصة.»[١١]

---

(٧) المصدر نفسه.

(٨) المصدر نفسه، ملف رقم ١٠٥/٢٢٦، تقرير عن الحركة الوطنية في صفد، لا تاريخ، ص ٣.

(٩) CO 733/398/10, Fortnightly Report, 3rd August 1939, p. 2, CO 733/420/22, Fortnightly Report, 19th February 1940, p. 1.

(١٠) CO 733/420/22, Fortnightly Report, 2nd February 1940, p. 1, 19th February 1940, p. 2, 4th March 1940, p. 1, 3rd April 1940, p. 4.

(١١) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ١٠٥/٩٦، تقرير بتاريخ ١٥/٧/١٩٤٢؛

CO 733/420/22, Fortnightly Report, 18th May 1940, p. 2.

إن دعم هذا التوجه البعيد عن النشاط السياسي الفعال نجده في نوعية الأندية والجمعيات التي تأسست آنذاك. ويبدو أن نوادي جديدة برزت في تلك الأيام تختلف عن تلك التي عرفناها في الثلاثينيات والتي كانت فاعلة جداً في مجال السياسة. ومن نوادي فترة الحرب نذكر النادي العربي الذي تأسس في ١٦ حزيران/يونيو ١٩٤٠، وتزعمه بعض التجار والملاّك مثل: خالد أحمد النقيب؛ فوزي مصطفى الأسدي؛ درويش علي درويش.[١٢] وهناك نادي صلاح الدين الصفدي الذي أسس سنة ١٩٤٢، وترأسه زكي قدّورة، رئيس المجلس البلدي. وكان من جملة أعضائه: سكرتير المجلس البلدي نايف نمر خرما؛ أحمد حسين الحاج؛ حسن خليفة؛ الصيدلي نور الدين عيسى؛ فارس الخضراء؛ خالد أحمد النقيب؛ محمد مصطفى فرهود؛ خالد عيسى؛ محمود العابدي؛ محمد سعد الدين؛ سليم السلطي؛ محمد علي حديد. وقد بلغ العدد الإجمالي للأعضاء ٧٩ عضواً سنة ١٩٤٦.[١٣] اهتم هذان الناديان بالشؤون الاجتماعية والتربوية والاقتصادية. وورد بوضوح في دستور كل منهما أنه لا توجد أية نية للعمل في النشاط السياسي.

أمّا فيما يتعلق بالوضع الاقتصادي فقد طرأ عليه تحسن ملحوظ خلال ١٩٤٢ - ١٩٤٣، بعد حالة من الركود في بداية الحرب. ويمكن الإشارة إلى بعض العوامل التي أدت إلى الانتعاش الاقتصادي في تلك الفترة منها: العمل في صفوف الجيش البريطاني الذي استوعب مئات الشباب في أعمال البنية التحتية والتحصينات في جبل كنعان والمناطق المجاورة؛ توسع حجم التجارة المارة عبر طريق صفد بعد اجتياح بريطانيا لسورية ولبنان سنة ١٩٤١؛ إزالة القيود المفروضة على الأسواق؛ ارتفاع أسعار الخضروات والمنتوجات الزراعية جرّاء الطلب المتزايد عليها.[١٤]

انعكس هذا الانتعاش من خلال توسع البناء والاستثمارات في المدينة في القطاعين العربي واليهودي. كما أن فرع الفنادق في جبل كنعان شهد تطوراً ملموساً، إضافة إلى توسع فرع قطع الحجارة ومواد البناء الأخرى.

---

(١٢) أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم م/٤٢٥ س/٢٦٨٢، وثائق بتاريخ ٦/٣/١٩٤٠، ٨/٦/١٩٤٠، ١٢/٦/١٩٤٠.

(١٣) المصدر نفسه، ملف رقم ف/٣٠٠١/٣٨٩، وثيقتان بتاريخ ١٥/١١/١٩٤٦، ٤/١٢/١٩٤٦.

(١٤) CO 733/420/22, Fortnightly Report, 15th February 1940;
أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٩٦/١٠٥، تقريران بتاريخ ١/١١/١٩٤٢، ١٢/٣/١٩٤٣، ص ٢.

ثانياً: العلاقات العربية - اليهودية
من تحسن موقت إلى أزمة

مع نهاية ثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩ واندلاع الحرب العالمية الثانية، طرأ تحول إيجابي على علاقات العرب واليهود في صفد. وظن البعض أن الجو العدائي الذي ميز فترة الثورة زال إلى غير رجعة. فقد تجددت العلاقات التجارية كما يستدل من تقرير حاكم لواء الشمال في ١٨ كانون الثاني/يناير ١٩٤٠، إذ جاء فيه: «في هذه الآونة عاد العرب إلى الاتجار بشكل حر في الحي اليهودي، وعاد اليهود إلى التنقل في الأحياء العربية. كذلك عادوا إلى السفر مجدداً على طريق عكا - صفد من خلال قرية عين الزيتون.»(١٥)

وقد أشار تقرير ثان في شباط/فبراير ١٩٤٠ إلى عودة العلاقات الاجتماعية بين الطائفتين، ولا سيما بعد عودة اليهود إلى التسوق في سوق الجمعة الكائنة في الحي العربي.(١٦)

وأشار تقرير ثالث في آذار/مارس ١٩٤٠ بوضوح إلى تحسن العلاقات. ولفت انتباه حاكم اللواء استمرارية العلاقات الحسنة بين اليهود والعرب، لا في صفد فقط بل أيضاً في أنحاء القضاء كافة.(١٧)

وأكد تقرير رابع في نيسان/أبريل ١٩٤٠ أن تحسن العلاقات بين الجانبين أصبح ملموساً أكثر، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال عمل المجلس البلدي، وقيام شراكات تجارية عربية - يهودية.(١٨)

استمر هذا التحول الإيجابي حتى سنة ١٩٤٣، حين اندلعت في نهاية السنة نزاعات بشأن الأراضي من جديد، فحالت دون استمرار تحسن العلاقات، إلاّ إن الأمر لم يؤد إلى قطيعة تامة.

على سبيل المثال، سافر وفد صفدي عربي ـ يهودي مشترك للقاء حاكم لواء الشمال في ٢٨ حزيران/يونيو ١٩٤٣. تألف الوفد من رئيس المجلس البلدي زكي قدّورة، وأمين الخضراء، والقاضي سليمان سعد الدين، والقاضي أحمد النحوي. وفي الجانب اليهودي شارك رئيس لجنة الجالية اليهودية فيداتسور، وعضو المجلس البلدي

(١٥) CO 733/420/22, Fortnightly Report, 18th January 1940, p. 1.

(١٦) Ibid., 2nd February 1940, p. 1.

(١٧) Ibid., 4th March 1940, p. 1.

(١٨) CO 733/456/2, District Commissioner's Report, Galilee District, 17th April 1940, p. 2.

دافيد بار، وبعض الحاخامين. حاول أعضاء الوفد الذين خشوا الانتقاد التقليل من الأمر، وقالوا إن السفر المشترك كان بهدف التعرف على الحاكم ليس إلاّ.

ومهما تكن الأسباب والتعليلات فإننا نرى لأول مرة منذ أعوام وفداً مشتركاً على مستوى رفيع من الجانبين العربي واليهودي يعمل معاً.[١٩] ويبدو أنه على الرغم من انتقاد البعض فقد استمرت العلاقة.

ووفقاً لتقرير جهاز استخبارات الهاغاناه فإن كل التحريض (بحسب مرسل التقرير) الذي دار، وكان يدور ضد هذه العلاقات، ليس في قدرته تغيير شيء. ففي عيد الفصح اليهودي (بيسَح) سنة ١٩٤٤، زار أعيان المدينة العرب جيرانهم اليهود للتهنئة بالعيد، وكانوا يحملون الهدايا التقليدية كالخبز واللبن، فقد كان من عادة العرب إحضار هذه المواد لليهود مباشرة بعد انتهاء العيد الذي يمتنع اليهود خلاله من أكل الخبز مدة أسبوع.[٢٠]

أضف إلى ذلك أنه خلال تلك السنة جرت الاحتفالات التقليدية بعيد الشعلة، وانطلقت المسيرة المألوفة التي كانت تحمل كتاب التوراة من بيت آل عبّو في صفد إلى مقام الحاخام شمعون بار - يوحاي المدفون في قرية ميرون. وكان هذا الاحتفال عند اليهود بمثابة موسم وزيارة سنوية.

المهم في هذا الخصوص هو مشاركة كثيرين من العرب في هذه الاحتفالات. ويشير تقرير جهاز استخبارات الهاغاناه ثانية إلى أن الزعامة العربية التقليدية استصعبت تغيير أنماط سلوكها، وذلك في إشارة منه إلى مشاركة العرب لليهود تقليدياً في هذا العيد.[٢١]

كذلك عندما أُرسلت رسائل تهديد إلى رئيس المجلس البلدي وبعض الأعيان العرب في المدينة بتوقيع إيتسل، المنظمة اليهودية المتطرفة، اعتقد كثيرون من العرب أن السلطات البريطانية تقف خلف ذلك، وأن نشاط هذه المنظمة ضد البريطانيين لا يسيء إلى العرب.[٢٢]

ما يلفت الانتباه أكثر فأكثر هو وقوف العرب واليهود معاً ضد السلطات البريطانية في قضية نزاع بشأن الأراضي في منطقة جب يوسف جنوبي صفد. فهذه الأرض كانت ملكاً مشتركاً للعرب واليهود، لكن الحكومة قامت بتسجيلها باسمها كأرض دولة. وتقدم محامي الصندوق القومي اليهودي والمحامي صبحي الخضراء معاً

(١٩) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٩٦/١٠٥، تقرير بتاريخ ١٩٤٣/٧/١١.
(٢٠) المصدر نفسه، ملف رقم ٩٦/١٠٥، تقرير بتاريخ ١٩٤٤/٥/٥.
(٢١) المصدر نفسه، ملف رقم ٩٦/١٠٥، تقرير بتاريخ ١٩٤٤/٦/٧.
(٢٢) المصدر نفسه، ملف رقم ٥/١٠٥، تقرير بتاريخ ١٩٤٤/١١/٦.

بدعوى مشتركة، وربحا القضية.[٢٣]

وعلى الرغم من كل تلك المؤشرات والأمثلة لتحسن العلاقات فإن الأزمة التي بدأت سنة ١٩٤٣ على خلفية نزاع بشأن الأراضي أخذت تتفاقم وتشتد وتلقي بظلالها على صفد. وبالإضافة إلى ذلك اندلعت أزمة أُخرى في ١١ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٤٦ حين استقال عضوا المجلس البلدي اليهوديان إيديل مايبرغ ومردخاي كلينغر. وقد جاءت استقالتهما احتجاجاً على مطالبة العرب بتقليص التمثيل اليهودي في المجلس البلدي بما يتناسب والحجم الديموغرافي لكل جانب، واحتجاجاً على عدم حصول اليهود على ميزانيات التطوير الكافية كما ادعيا.[٢٤]

بعد مرور شهرين على هذه الاستقالة، أي في كانون الأول/ديسمبر ١٩٤٦، حل حاكم لواء الجليل المجلس البلدي في صفد، وعيّن لجنة ضمت ٣ أعضاء عرب ويهوديين، يرئسها نائب حاكم اللواء. وقد قاطعها الأعضاء العرب في البداية،[٢٥] ثم عادوا عن مقاطعتهم ليشغل زكي قدّورة رئاسة اللجنة المعينة.

اتهم العرب اليهود بأنهم خططوا وأيدوا حل المجلس البلدي، وأن البريطانيين استجابوا لضغوطهم وشكاويهم. فوجهت عشرات البرقيات ورسائل الاحتجاج إلى المندوب السامي طالبة إصلاح الغبن الذي لحق بعرب صفد، بحسب نص البرقيات.[٢٦]

كانت قضية حل المجلس البلدي خطوة أُخرى حاسمة أساءت إلى العلاقات بين الجانبين، الأمر الذي حدا زكي قدّورة وأبناء عائلته، الذين عرف عنهم الاعتدال والدعوة إلى التعايش المشترك، على الانضمام إلى الجانب الأكثر تشدداً.

ثالثاً: تفاقم النزاع بشأن الأراضي

في نيسان/أبريل ١٩٣٨، قام يتسحاق بن - تسفي، رئيس اللجنة القومية اليهودية، بجولة في صفد متفقداً أوضاع اليهود فيها. وعند رجوعه إلى القدس رفع تقريراً إلى اللجنة وصف فيه الأوضاع الصعبة لليهود بحسب قوله. وكجزء من الاقتراحات لتحسين تلك الحالة طرح بن - تسفي فكرة إقامة مستعمرات زراعية يهودية حول صفد.

---

(٢٣) المصدر نفسه، ملف رقم ١٠٥/٥، تقرير بتاريخ ١٩٤٥/٢/٢٧.

(٢٤) «هتسوفيه»، ١٩٤٦/١١/١١؛ «هآرتس»، ١٩٤٦/١١/١٤.

(٢٥) «هآرتس»، ١٩٤٦/١٢/١٩؛

Palestine Post, 19th December 1946.

(٢٦) أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم م/٤٦/٣٢ ج/٢١٩، وثائق من أواخر سنة ١٩٤٦ وبداية سنة ١٩٤٧.

وقد جاء في تقرير بن - تسفي أن الأمل الوحيد بمساعدة يهود صفد هو البدء بإقامة مستعمرات زراعية في المحيط القريب من المدينة. واقترح ثلاثة مواقع لهذا الهدف هي: عين الزيتون وبيريا وميرون.[٢٧] لاقى هذا الاقتراح قبولاً من اللجنة القومية التي أخذت تعد لتنفيذه. وخلال سنة ١٩٤٣ أخرج المشروع إلى حيز الوجود.

أدى هذا العمل الاستيطاني إلى تصاعد النزاع بشأن الأراضي في قضاء صفد، إذ اندلعت النزاعات في فترات متقاربة، وخصوصاً في أثناء إجراء أعمال المساحة والتسوية.

رأى العرب في امتلاك اليهود للأراضي الواقعة شمالي صفد وإقامة المستعمرات عليها تهديداً جدياً لهم، وخطوة تنطوي على تطويق المدينة العربية من الشمال وعزلها عن محيطها العربي القروي.

لا بد من الإشارة إلى أن امتلاك اليهود للأراضي في منطقتي صفد والجليل الشرقي لم يُمنع تماماً وفقاً للكتاب الأبيض في ١٧ أيار/مايو ١٩٣٩، وإنما حُدّد واشترط بمصادقة الحكومة بموجب قانون نقل الأراضي في فلسطين (The Land Transfer Regulation).[٢٨]

إن تصاعد النزاع بشأن الأراضي حدا قياديي حزب الاستقلال، المحامي صبحي الخضراء والمحامي عوني عبد الهادي ورشيد الحاج إبراهيم، على التوجه، في الثالث من أيلول/سبتمبر ١٩٤٤، إلى الملوك والرؤساء العرب بمذكرة بعنوان: «مذكرة حول قضية الأراضي في فلسطين»، وذلك لإطلاعهم على خطورة الأمر، وقد جاء فيها: «تسعى الحركة الصهيونية بكل قواها وبكافة الوسائل الممكنة لامتلاك كل أراضي فلسطين بشكل مرحلي خطوة، خطوة، ومن ثم التوسع في امتلاك الأراضي العربية شمالاً، جنوباً وشرقاً.»[٢٩]

وقد طالب هؤلاء قادة الدول العربية بالعمل حالاً لإقامة صندوق عربي رأس ماله مليون جنيه فلسطيني لإنقاذ الأراضي العرضة لخطر البيع لليهود.

أصبح موضوع النزاعات بشأن الأراضي في هذه المرحلة الدافع الأساسي للتحرك السياسي في صفد، كما أن الصحف العربية أدت دوراً مهماً في إثارته، وخصوصاً قضايا أراضي قرى بيريا وعين الزيتون وميرون.

---

(٢٧) الأرشيف الصهيوني المركزي، ملف رقم J1/3527، وثيقة بتاريخ ٨/ ٤/ ١٩٣٨.

(٢٨) *A Survey of Palestine: Prepared in December 1945 and January 1946 for the Anglo-American Commission of Inquiry* (Jerusalem: Government Printer, 1946), vol. I, pp. 260-261.

(٢٩) وثائق صبحي الخضراء، وثيقة رقم ٥٠٢، بتاريخ ٣/ ٩/ ١٩٤٤.

في بيريا كان النزاع بين سكان القرية والمجلس الشرعي الإسلامي الأعلى وصندوق الأمة من ناحية وبين الصندوق القومي اليهودي من ناحية أُخرى. مثّل المحامي صبحي الخضراء الجانب العربي، وبعد محاكمات مستمرة كسب الصندوق القومي اليهودي القضية، الأمر الذي أثار قلقاً وخيبة أمل عند العرب.[٣٠] إذ انتقل نحو ٣٢٠٠ دونم من أراضي قرية بيريا نهائياً إلى الصندوق. وفي كانون الثاني/يناير ١٩٤٥ أقيمت نقطة استيطانية على هذه الأراضي.

في مستعمرة عين زيتيم المجاورة لقرية عين الزيتون ولصفد كانت النزاعات بدأت في أواخر العهد العثماني، حين أقام اليهود مستعمرة في جوار القرية، لكن في أثناء أحداث سنة ١٩٢٩ نزحوا عنها وهجروها بعد أن هاجمهم بعض سكان القرية، لكنهم واصلوا الادعاء بملكية الأرض. وبين سنة ١٩٤٣ وسنة ١٩٤٤ وصلت القضية إلى ذروتها، إذ ادعى الصندوق القومي اليهودي ملكية ٤٥٥٨ دونماً وطالب بتثبيت حقه فيها.

أمّا في قرية ميرون فقد استمر النزاع حتى سنة ١٩٤٥.

نجد شهادة واضحة على تأثير موضوع الأراضي في عودة الحياة السياسية في المدينة في الرسالة التي وجهها أعيان المدينة إلى أحمد حلمي باشا، رئيس صندوق الأمة، بتاريخ ١٧/١٠/١٩٤٣، مشيرين إلى فداحة الأمر جاء فيها:

> وبعد فإننا بالنيابة عن أهالي صفد نلفت نظركم الكريم إلى الخطر اليهودي المهدد لمدينة صفد بسبب المشاريع الصهيونية التي ترمي إلى تطويق هذه المدينة بسلسلة من المستعمرات اليهودية من الجهات الأربع، والشركات اليهودية والاستعمارية دائبة الجهد للحصول على أراضي القرى المحيطة بصفد بكل وسيلة من الوسائل.. بشكل يلفت النظر ويقض المضاجع، ولا سيما ما جرى مؤخراً من الموافقة على نقل مساحات واسعة من أراضي قرية ميرون وأحراشها... وقد أتى الآن دور قرية بيريا، وهي القرية التي تحيط أراضيها بمدينة صفد من جهة الشمال، والتي يشرف جبلها على صميم المدينة، ذلك الجبل الذي للأوقاف ولصندوق الأمة مصالح جوهرية فيه.[٣١]

ويبدو أن استملاك الصندوق القومي اليهودي جزءاً كبيراً من أراضي قرية بيريا كان

---

(٣٠) «فلسطين»، ٧/١٠/١٩٤٣، ٢٢/٦/١٩٤٤، ١٢/١٢/١٩٤٥، ١٧/١/١٩٤٦؛ الأرشيف الصهيوني المركزي، ملف رقم KKL5/7002، وثائق بتاريخ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٤٧، ص ٣.

(٣١) الأرشيف الصهيوني المركزي، ملف رقم KKL5/7002، وثائق بتاريخ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٤٧، ص ٢؛ أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٩٦/١٠٥، تقرير بتاريخ ٢/٣/١٩٤٤، ص ٢؛ أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم ف/٣٨٦٢/٤١٢، وثائق من السنوات ١٩٤٣ - ١٩٤٥.

ضربة قاسية إلى زعماء صفد، إذ رأوا فيه تطوراً خطراً ومعركة حياة أو موت، وقد ورد في رسالتهم ما يلي:

إن الاهتمام بقضية بيريا هو من الأمور الجوهرية الحيوية لهذه المدينة التي ترتبط حياتها ومستقبلها إلى درجة كبيرة ببقاء هذا الجبل وهذه القرية منفذاً عربياً إسلامياً مفتوحاً شمالاً للاتصال بالقرى العربية الإسلامية، وهو لا يتم في رأينا إلاّ بالمحافظة على حقوق الأوقاف وصندوق الأمة في بيريا، وحقوق أهالي قرية بيريا في قريتهم. إننا نضع الأمر بين أيديكم، مع إعلان استعدادنا لتقديم كل مساعدة يقضيها أمر الدفاع عن الحقوق.(٣٢)

وقد وقّع الرسالة كثيرون من وجهاء صفد وأعيانها، وفيما يلي الأسماء التي تمكنا من قراءتها:

إمام الجامع اليونسي أحمد حجازي		إمام الجامع الأحمر محمد طه
وكيل قاضي صفد الشرعي محمد سعد الدين		محمد القبراوي
عالم وواعظ القضاء عز الدين عبد اللطيف		قاضي القدس سابقاً سليمان سعد الدين
مفتي صفد أسعد محمد يوسف	علي رضا النحوي	الحاج حسين حجازي
المختار خليل يوسف رستم	عبد القادر الأسدي	عبد الكريم البستوني
شكري قدّورة	عبد الكريم الأسدي	الحاج حسين سويد
محمد الحاج حسين سويد	أمين السلطي	محمد رشيد السعيد الأسدي
أحمد السلطي	محمود درويش الخضراء	محمد توفيق الخولي
مصطفى محمد الأسدي	عبد الحميد صالح قدّورة	نايف ياسين

ومتابعةً لقضية الأراضي بعث رئيس حزب الاستقلال ورئيس صندوق الأمة برسالة، في ٢٣ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٤٣، إلى السكرتير العام البريطاني في القدس يلفتان نظره إلى أبعاد النزاع بشأن الأراضي في قرية ميرون، وقد ورد فيها:

نُعرّف أن مدينة صفد عرضة لمشاريع صهيونية ترمي إلى تطويقها بالمستعمرات من جميع الجهات ونلفت نظركم إلى قضايا أُخرى مثل قضية ميرون، فالشركات اليهودية ناشطة لتهويد هذه المدينة العربية بكل وسيلة من الوسائل، وإذا نفذت هذه المشاريع فإنه سيصبح من المتعذر على أهالي مدينة صفد العرب الاتصال بسائر أنحاء القضاء إلاّ عن طريق المستعمرات اليهودية.(٣٣)

---

(٣٢) أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم ف/ ٣٨٦٢/ ٤١٢، وثائق بتاريخ ١٧/ ١٠/ ١٩٤٣.
(٣٣) المصدر نفسه، ملف رقم ف ٣٨٦٢/ ٤١٢، وثائق بتاريخ ٢٣/ ١٠/ ١٩٤٣.

لم تقتصر النزاعات بشأن الأراضي على القرى الثلاث المشار إليها فحسب، بل شملت أيضاً قرى في أنحاء القضاء كافة. ومن الأمثلة الأُخرى نذكر النزاع بين مستعمرة دفنا وقرية الخصاص في شمال سهل الحولة، والنزاع بين ناحوم هوروفيتس، ممثل الصندوق القومي اليهودي، وبين سكان قرى البويزية وجاحولا وبَيْسمون بشأن السيطرة على نبات البردي المستخدم في صناعة الحصر. فقد طالب هوروفيتس بجباية ضريبة للصندوق في مقابل استخدام العرب لهذا النبات.[٣٤]

مع أن العرب رأوا في موضوع بيع الأراضي قضية حياة أو موت، كما رأينا في المراسلات السابقة، فقد استطاع اليهود، وذلك وفقاً لمعطيات الصندوق القومي اليهودي، امتلاك ١٢٦,٨٣٨ دونماً في صفد وقضائها من أرض التسوية (Settled) في ٦٨ قرية عربية. وقد توزعت ملكية هذه الأراضي بين الصندوق القومي الذي امتلك ٨١,١٨٠ دونماً، وبين جمعية الاستعمار اليهودي (بيكا) التي امتلكت ١٧,٦٨٢ دونماً، وبين ملاّك أفراد امتلكوا ٢٦,٤٥٧ دونماً، إضافة إلى ١٥١٥ دونماً بقيت موضع خلاف. وإذا أضفنا إلى ذلك المساحات التي تم تملكها ضمن الأراضي غير المسوّاة (Unsettled) نصل إلى المعطيات التالية في أواخر سنة ١٩٤٧.

ملكية الأراضي في قضاء صفد سنة ١٩٤٧

الجهة المالكة	عدد الدونمات	النسبة المئوية
العرب	٣٢٢٤٨٦,٧٧٥	٪٥٣,١٩
اليهود	١٩٠٨٤٩,٣١٦	٪٣١,٤٧
أراض حكومية أميرية	٨٨٣٦٦,٣٧٨	٪١٤,٥٩
وقف	٢٣٩٢,٠٣٤	٪٠,٤٠
كنائس	٧٨٢,٤٨٨	٪٠,١٣
آخرون	١٥٤٢,٠٠٢	٪٠,٢٥
المجموع العام	**٦٠٦٤١٨,٩٩٣**	٪١٠٠,٠٠

المصدر: الأرشيف الصهيوني المركزي، ملف رقم KKL 5/17001، ١٩٣٧/١٢/٣١، خلاصة ملكية الأراضي في قضاء صفد.

(٣٤) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٩٦/١٠٥، تقرير بتاريخ ١٩٤٤/٦/٧.

يشير هذا الجدول إلى أن مساحة الأراضي المسوّاة وغير المسوّاة التي امتلكها اليهود في قضاء صفد بلغت ثلث مساحة أراضي القضاء تقريباً. وبالإضافة إلى ذلك فقد خطط اليهود لشراء أراضي القرى الجزائرية الخمس، التليل، والحسينية، وديشوم، وماروس، وعموقة، وأراضي القرية الشركسية ريحانية، والتي بلغت مساحتها جميعاً ٥١,٧٤٠ دونماً.[٣٥] إلاّ إن المخطط فشل جراء تمسك أهالي هذه القرى بأراضيهم.

تشير دراسة وثائق الأراضي إلى أن الملاّك الغائبين من السوريين واللبنانيين كانوا الطرف الأساسي الذي باع الأرض للمؤسسات الصهيونية. وكان قسم من هذه الأراضي امتلكه اليهود في نهاية العهد العثماني وأقاموا عليه المستعمرات في سهل الحولة، مثل روش بينا، ويسود همعلا، ومشمار هيردين، ومتولاه. إلاّ إن حجم البيع ازداد في عهد الانتداب ليبلغ أضعاف ما كان عليه سابقاً. وكانت الصفقة الأولى والمهمة هي بيع امتياز بحيرة الحولة، في تشرين الأول/أكتوبر ١٩٣٤، الذي كان يملكه سليم علي سلام، ابن إحدى أبرز عائلات الأعيان المسلمة في بيروت، إذ باع الامتياز لشركة تطوير أراضي فلسطين (Palestine Land Development Company).[٣٦]

بلغت مساحة الامتياز ٥٥,٤١٥ دونماً بما فيها بحيرة الحولة والأراضي المتاخمة لها. وبعد هذه الصفقة ازداد البيع في سهل الحولة الذي كانت مساحات واسعة منه ملكية سورية ولبنانية.

هنالك اختلاف بشأن المساحة التي كان يملكها اللبنانيون والسوريون، إلاّ إنها تتراوح بين ٥٣,٠٠٠ و٧٦,٠٠٠ دونم. وطبقاً لمعطيات الأرشيف الصهيوني المركزي فقد بلغت المساحة ٥٣,٠٣٢ دونماً.[٣٧] أمّا معطيات اللجنة العربية العليا فأشارت إلى مساحة تبلغ ٧٥,٧٠٦ دونمات.[٣٨] وطبقاً لحزماوي الذي يستند إلى تقرير فرنسي فكانت المساحة ٦٥,٠٠٠ دونم.[٣٩] ولا تشير المصادر الثلاثة إلى تاريخ معين للمساحة، الأمر الذي يصعّب التحديد الدقيق، لأن مساحات الملكية كانت تتغير مع الوقت. إلاّ إنني أرى أن معطيات اللجنة العربية العليا والتي وردت في تقرير داخلي هي قريبة من الواقع، ولا سيما أنها تشير إلى أسماء البائعين وقراهم والمساحة المبيعة كما هو مبيّن في الجدول التالي:

(٣٥) الأرشيف الصهيوني المركزي، ملف رقم KKL5/17001، لا تاريخ.

(٣٦) محمد حزماوي، «ملكية الأراضي في فلسطين، ١٩١٨ - ١٩٤٨» (عكا: دار الأسوار، ١٩٩٨)، ص ٢٤٤ - ٢٦٢.

(٣٧) الأرشيف الصهيوني المركزي، ملف رقم KKL5/17001، لا تاريخ.

(٣٨) أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم ف/ ٢٦٧٣/ ٣٧٩، لا تاريخ.

(٣٩) حزماوي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤٩.

القرى التي بيعت أراضيها كلياً أو جزئياً لليهود في عهد الانتداب،
وأسماء البائعين طبقاً لسجلات دائرة الأراضي في اللجنة العربية العليا

القرية	المساحة المبيعة لليهود/ بالدونمات	الملاّك البائعون
الزوق التحتاني	٤٢٠٠	عائلتا غلمية وجبارة، مرجعيون، لبنان
لزازة	١٧١٩	الأمراء الشهابيون، حاصبيا، لبنان
قيطية	٣٠٠	الأمراء الشهابيون، حاصبيا، لبنان
الخصاص	٤٤٩٦	عائلة عرقاوي، بانياس، ورثة الأمير فاعور
دفنة	٤٠٣٥	عائلة فرنسيس، القليعة، لبنان
خان الدوير	٣١٢١	الأمراء الشهابيون، حاصبيا، لبنان، فرحان شعلان، من عين قينيا، سورية
السنبرية	١٤٠٠	عائلة غلمية، مرجعيون، لبنان
المنصورة	٤٠٠	عائلة فرحة، مرجعيون، لبنان
المداحل	٦٠٠	أبناء سعيد حسين، عين فيت، سورية
خربة السمّان/عين زاغة	٤٠٠٦	الشيخ زعل سلوم، سورية
الغابة - بانياس	٣٠٠	ورثة الأمير فاعور، سورية
العابسية	١٧٨٠	عائلة شروف الدرزية، حاصبيا، لبنان
الدوارة	٣٢٠٠	الدروز، حاصبيا
خيام الوليد	٤٥١٨	عائلة بوظو، دمشق، سورية
دريجات	٢٢٠٠	عائلة عبد العزيز، سورية
غرابة	٢٤٠	محمد حسن مغربي، عين قينيا
الدردارة	١٣٩٨	عز الدين سليمان، القنيطرة، سورية
الصالحية	٧٤٢	الأمير فاعور الفاعور، سورية
الناعمة	٤٠٣٠	الأمير أحمد الشهابي وشركاؤه من الأمراء الشهابيين، حاصبيا
الزاوية	٨٢٠٠	عائلة فرحة، مرجعيون، لبنان
البويزية	١٣٢١	طالب صبح من صفد، فلسطين
جاحولا	٢٢٠٠	طالب صبح من صفد، فلسطين
هونين	٥٠٠٠	أحمد بك الأسعد، الطيبة، لبنان
المنارة	٢٧٠٠	السيّاد، مركبا، لبنان
العديسة	٢٥٠٠	أحمد بك الأسعد وشركاؤه، الطيبة، لبنان
قدس	٧٩٠٠	عائلة ماردیني، دمشق، سورية، وآل فرحات من بليدا ومركبا، لبنان
ميس الجبل	٣٢٠٠	نعيم شقير وشركاؤه، ميس الجبل، لبنان
المجموع	**٧٥,٧٠٦**	

المصدر: أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم ف/ ٢٦٧٣/ ٣٧٩، لا تاريخ.

تشير معطيات ذلك التقرير إلى أن أمراء آل شهاب، وورثة الأمير فاعور، زعيم عرب الفضل، وآل الأسعد، المعروفين من جبل عامل في الجنوب اللبناني، كانوا بين الباعة البارزين. كما أن عائلات غلمية ومارديني وسلوم وبوظو باعت آلاف الدونمات. ومن الملاّك الفلسطينيين البائعين في قضاء صفد، يشير التقرير إلى كامل الحسين الذي باع الأرض التابعة له في قرية الزاوية.(٤٠)

كما أن بعض ملاّك صفد كباراً وصغاراً باعوا أراضي لليهود. وعلى سبيل المثال، باع طالب نايف صبح وابن عمه أحمد عزّو صبح ١٣٢١ دونماً من أراضيهما في قرية البويزية، و٢٢٠٠ دونم من أراضي قرية جاحولا.(٤١) كذلك هناك أفراد من عائلة مراد باعوا جزءاً من أراضيهم في قرية عرب الشمالنة،(٤٢) وفي نهاية الأمر وصلت موجة البيع إلى مدينة صفد فشملت بعض القسائم والبيوت.(٤٣)

هذه التطورات زادت الخوف والقلق بين السكان العرب، وأبقتهم في حالة من عدم اليقين. وكما سبق أن أشرنا، ازداد قلق عرب صفد مع انطلاقة الاستيطان وامتلاك الأراضي سنة ١٩٤٣. وقد تنبهت مصادر جهاز استخبارات الهاغاناه إلى هذا القلق، إذ جاء في أحد التقارير لتلك السنة ما يلي: «من اللافت للانتباه أن الرأي العام السائد لدى العرب هو أن اليهود يخططون للهجوم على العرب في البلد.»(٤٤)

تناولت الأحاديث التي دارت في بيوت صفد آنذاك تعاظم قوة اليهود وقيامهم بتخزين السلاح، فقد عبر العرب عن قلقهم وعدم قدرتهم على مواجهة القوات اليهودية بالسلاح الخفيف والقليل الذي بقي في حيازتهم. كما كان قادة ثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩ يعتقدون أن المواجهة المقبلة ستختلف عن سابقتها، وأن على العرب تدارك الأمر.(٤٥)

منذ أواخر سنة ١٩٤٤، ازداد قلق العرب من إمكان مواجهة عسكرية قريبة مع اليهود. وعادت تقارير الاستخبارات من المدينة ثانية إلى ذكر هذا الأمر. وكلما لاحت

---

(٤٠) أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم ف/٣٧٩/٢٦٧٣، قائمة من دون تاريخ، ملف رقم ف/٤٩٣/٣٢٢، وثيقة بتاريخ ٢١/٩/١٩٤٦.

(٤١) المصدر نفسه، ملف رقم م/٤٨١ س/٢٦٨٤، وثيقة بتاريخ ١٤/١٠/١٩٤١.

(٤٢) CO 537/1707, Fortnightly Report, 20th May 1946, p. 2.

(٤٣) الأرشيف الصهيوني المركزي، ملف رقم KKL5/15415، وثيقة بتاريخ ١٢/٨/١٩٤٦، ملف رقم KKL5/17001، وثيقة بتاريخ ١١/١١/١٩٤٧.

(٤٤) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٩٦/١٠٥، تقرير بتاريخ ٧/١٢/١٩٤٣، ص ٣.

(٤٥) المصدر نفسه، ص ٣ - ٤.

في الأفق بوادر انتهاء الحرب العالمية الثانية كانت تزداد الأحاديث عن حرب مستقبلية ستندلع في البلد.

وتحت عنوان «اتجاه الآراء لدى الجيران» كتب مخبر الهاغاناه يقول: «في كل اللقاءات التي تتم لدى الجيران العرب في البيوت الخاصة أو المقاهي يدور حديث اليوم عن أن اليهود قد يبدأون الأحداث، لديهم السلاح ونحن لا نمتلك شيئاً، هم متأهبون ونحن لا.»(٤٦)

في سنة ١٩٤٤، شرع العرب في حراسة المساجد في أثناء الصلاة، واتخذت وسائل الحذر في الأسواق خوفاً من اليهود. وأدى هذا الجو، في نهاية المطاف، إلى نهضة معينة، وإلى تجديد النشاط السياسي والوطني لدى هيئات المدينة، وخصوصاً نشاط صندوق الأمة.

رابعاً: نشاط صندوق الأمة في قضاء صفد

إن قرار تأسيس صندوق الأمة كان اتخذ في مؤتمر الشباب العربي الفلسطيني الأول الذي عقد في يافا في كانون الثاني/يناير ١٩٣٢، وذلك بهدف تجنيد الأموال وجمع التبرعات لشراء الأراضي العربية التي يرغب أصحابها في بيعها، خوفاً من تسربها إلى اليهود.

وفي الفترة ١٩٣٣ - ١٩٣٦، جرت عدة حملات لجمع التبرعات. ومع اندلاع ثورة ١٩٣٦ توقف نشاط الصندوق تقريباً، إلاّ إنه عاد فاستأنف نشاطه سنة ١٩٤٠. ومع تجدد النشاط غيّر الصندوق نظامه فأقيم مجلس إدارة جديد، وانتُخبت لجان متعددة. والأهم من ذلك كله افتتاح فروع له في أغلبية المدن الفلسطينية بما في ذلك صفد.(٤٧)

رأى الصندوق في الحفاظ على الأراضي هدفاً أساسياً مركزياً، وكان شعاره: «احتفظوا بالأرض». ولكون الصندوق جسماً وطنياً غير حزبي، كما أعلن نفسه، فقد ضم ممثلين من التيارات كافة. لكن، على الرغم من ذلك، برز دور ممثلي حزب الاستقلال، ومنهم صبحي الخضراء الذي اهتم بفتح فرع بنك الأمة في صفد في بداية

(٤٦) المصدر نفسه، ملف رقم ٩٦/١٠٥، تقرير بتاريخ ٢/٣/١٩٤٤، ص ٢.

(٤٧) بيان نويهض الحوت، «القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين، ١٩١٧ - ١٩٤٨» (عكا: دار الأسوار، ١٩٨٤)، ص ٢٥٨؛ صندوق الأمة، «تقرير مجلس الإدارة، ١٦/٩/١٩٤٥» (القدس: مطبعة اللواء، ١٩٤٥)، ص ٣ - ٤.

سنة ١٩٤٣.[٤٨]

وكان لصبحي، الذي أدار الكفاح القضائي في النزاعات بشأن الأراضي، مصلحة في توسيع نشاط الصندوق في مدينته. ففي سنة ١٩٤٣، تجمّع عشرات الناشطين في صفد وانتخبوا منهم لجنة لدعم الصندوق، ضمت ٣٧ عضواً، برز بينهم مدير بنك الأمة محمد يوسف الخضراء، والمحامي عارف حجازي، ونصوح منوّر، ومحمود سلمى. وأُوكلت رئاسة اللجنة إلى مدير بنك الأمة.[٤٩]

كانت إقامة اللجنة مؤشراً واضحاً إلى تزايد نشاط الصندوق. وكما ورد فقد تمحور النشاط في مجالين: الأول جمع الأموال والتبرعات وتجنيدها، والثاني شراء الأراضي أو الدعوة إلى عدم بيعها لليهود.[٥٠]

ومن الدلائل على توسع نشاط الصندوق نشير إلى الاجتماع الشعبي الذي عقد في صفد في ١٩ تموز/يوليو ١٩٤٤، والذي شارك فيه كثيرون من وجهاء المدينة والمنطقة القروية. وقد تبرع الحاضرون بمبلغ ١١٥٠ جنيهاً فلسطينياً.[٥١]

وكانت قمة النشاط في آب/أغسطس، إذ عُقدت خلاله سبعة مهرجانات وعدة اجتماعات استقطبت عشرات المشاركين من أرجاء القضاء. وكان النشيطون يجوبون القرى ابتداء من الحولة حتى المنطقة الجبلية. كما أقيمت «لجنة الجيرة» للقرى المتاخمة لصفد والتي قامت بجمع الأموال وتجنيدها. وبرز من أعضاء اللجنة الشيخ خالد شناعة من طيطبا، والشيخ سعيد محمد العبد كعوش من ميرون، والشيخ عبد الرحيم الأيوب من الرأس الأحمر.[٥٢]

وفي ١٤ من الشهر نفسه، عقد الصندوق مهرجاناً كبيراً في قرية الصفصاف، كان الأكبر من نوعه في المنطقة الجبلية، جمع خلاله مبلغ ٤٠٠ جنيه فلسطيني.[٥٣] كما عقد سكان الحولة مهرجانات مماثلة جمعوا فيها مئات الجنيهات.[٥٤] ونجح الصندوق في ذلك الشهر في دعم سكان قرية الخصاص لشراء جزء من أراضي الملاّك في مقابل ٣٠٠٠ جنيه، وكان هذا إنجازاً مهماً.[٥٥]

---

(٤٨) «فلسطين»، ٧/١/١٩٤٣.
(٤٩) المصدر نفسه، ٢٧/١٠/١٩٤٣.
(٥٠) المصدر نفسه، ٢٨/٥/١٩٤٤.
(٥١) المصدر نفسه، ٢٢/٧/١٩٤٤.
(٥٢) المصدر نفسه، ٣/٨/١٩٤٤، ٤/٨/١٩٤٤.
(٥٣) المصدر نفسه، ١٢/٨/١٩٤٤، ١٥/٨/١٩٤٤.
(٥٤) المصدر نفسه، ١٨/٨/١٩٤٤، ٢٠/٨/١٩٤٤.
(٥٥) المصدر نفسه، ١٠/٨/١٩٤٤.

استرعى نجاح الصندوق انتباه جهاز استخبارات الهاغاناه، إذ أشار إلى أنه منذ سنة ١٩٤٤، ازداد نشاط الصندوق ازدياداً ملموساً. وقد اعتقد مخبر الهاغاناه أن على الصندوق القومي اليهودي اعتماد أساليب جديدة لمواجهة هذا الوضع الذي قد يُصعّب إمكانات شرائه الأراضي العربية.[٥٦]

وتحدث تقرير آخر عن النشاط المتزايد بين كل السكان العرب من دون فارق بين الطبقات، أو بين القرية والمدينة، فالجميع تجنّد للهدف. وأشار التقرير بوضوح إلى «الحالات المتزايدة من انتقال الأراضي من العرب وإلى العرب وخصوصاً في سهل الحولة.»[٥٧]

تصوّر كثيرون أن نشاط الصندوق وحّد من جديد بين القرويين والمدينيين، وخصوصاً أن ممثلي المعارضة البارزين، ككامل الحسين وشيوخ بدو آخرين، شاركوا في نشاطه. ففي ١٠ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٤٤، عقد كامل، في قريته الخالصة، اجتماعاً شعبياً لدعم الصندوق دعا إليه ٤٠٠٠ شخص من فلسطين وسورية ولبنان، وتبرع خلال الاجتماع بمبلغ ١٥٠٠ جنيه وبـ ٥٠ دونماً من أرضه، أي أنه هو وحده تبرع أكثر مما تبرع به كل الصفديين معاً، كما أن الحضور تبرعوا بمبلغ ١٧٠٠ جنيه.[٥٨]

استمر نشاط الصندوق خلال سنة ١٩٤٥. وعلى سبيل المثال، جمع سكان القضاء خلال حزيران/يونيو مبلغ ٦٨٠ جنيهاً.[٥٩]

وبناء على تقرير الصندوق، فإنه نجح خلال سنة ١٩٤٤ في شراء ١٥٢ دونماً وتسجيلها، بينما اشترى ٣٤٤ دونماً أُخرى سنة ١٩٤٥، إضافة إلى تجنيد آلاف الجنيهات، وإعطاء سكان قرية الخصاص دعماً مادياً، وإعطاء سكان ميرون دعماً قضائياً، فهم الذين ربحوا القضية ضد الصندوق القومي اليهودي سنة ١٩٤٥.[٦٠]

على الرغم من هذه المعطيات الإيجابية فإن بيع الأراضي لليهود استمر، لا بل ازداد خلال الفترة ١٩٤٤ - ١٩٤٧. ولم تنجح جهود الصندوق في إيقاف البيع، ولا سيما بعد النزاع الذي دار بين الحزب العربي الفلسطيني، التابع للمعسكر الحسيني،

---

(٥٦) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ١٠٥/٥، تقرير بتاريخ ٦/٩/١٩٤٤، ص ٢.

(٥٧) المصدر نفسه، ملف رقم ١٠٥/٩٦، تقرير بتاريخ ٧/٦/١٩٤٤.

(٥٨) CO 733/456/2, District Commissioner's Report, Galilee District, 23rd October 1940, p. 1; أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ١٠٥/٥، تقرير بتاريخ ٦/١١/١٩٤٤؛ «فلسطين»، ١٨/٨/١٩٤٤.

(٥٩) «فلسطين»، ٢٥/٧/١٩٤٥.

(٦٠) صندوق الأمة، مصدر سبق ذكره، ص ٥ - ٨.

وبين الصندوق. فمنذ سنة ١٩٤٤، كثف هذا الحزب انتقاداته للصندوق، واتهم المسؤولين عنه بإدارة غير سليمة. ويبدو أن الحسينيين قاموا بذلك بغية السيطرة على الصندوق، إذ رأوا فيه جسماً ناجحاً لا سيطرة لهم عليه. ومنذ نهاية السنة نفسها، وبصورة خاصة في سنة ١٩٤٥، بدأ التباطؤ في نشاط الصندوق.[٦١]

إضافة إلى النشاط «غير الحزبي» لصندوق الأمة، بدأ في صفد نشاط حزبي صرف حين تأسس في المدينة فرع للحزب العربي الفلسطيني. وكان من الطبيعي أن يفتتح الحسينيون فرعاً في هذه المدينة لأن أغلبية سكانها من أنصارهم. نذكّر هنا بأن الأحزاب العربية توقفت عن النشاط في إبان الثورة ومع حل اللجنة العربية العليا في تشرين الأول/أكتوبر ١٩٣٧، إلاّ إنه لم يتم إخراج الأحزاب عن القانون.

في نيسان/أبريل ١٩٤٤، اجتمعت اللجنة التنفيذية للحزب العربي الفلسطيني، وبهذا عاود الحزب نشاطه. وفي الفترة ١٩٤٤ - ١٩٤٦، اتسع نشاطه ليشمل ٢٠ فرعاً في المدن العربية والمدن المختلطة، بما فيها صفد.[٦٢]

يشير تقرير جهاز استخبارات الهاغاناه إلى أن كثيرين من سكان المدينة انضموا إلى صفوف الحزب، إلاّ إنه لا يشير إلى أية أعداد. وكان النشيطون البارزون فيه من عائلة النحوي، المؤيدة تقليدياً للحسينيين، والمحامي رؤوف حجازي، والمحامي جمال حميد قدّورة، وسعيد عزيز الحاج عيسى.[٦٣]

خامساً: استعدادات الهاغاناه والنجادة في صفد

مع تفاقم النزاع بشأن الأراضي، تزايد قلق سكان المدينة، وأخذت تزداد الأحاديث والإشارات إلى أن الشعبين الفلسطيني واليهودي ماضيان نحو مواجهة عامة. وتطرقت تقارير الهاغاناه إلى هذا الأمر عدة مرات، مشيرة إلى أن ساعة الحسم باتت قريبة، وإلى ضرورة تخزين السلاح، والحاجة إلى بناء خطوط الدفاع والتحصينات.[٦٤]

كان اليهود سباقين إلى الاستعداد، فتجاربهم في أحداث سنة ١٩٢٩ وثورة

---

(٦١) نبو، مصدر سبق ذكره، ص ٣٦٣ - ٣٨٤.

(٦٢) المصدر نفسه، ص ٣٣٦ - ٣٤٢.

(٦٣) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ١٠٥/٥، تقرير بتاريخ ١٩٤٥/٢/٢٦.

(٦٤) المصدر نفسه، ملف رقم ١٠٥/٩٦، تقريران بتاريخ ١٩٤٣/١٢/٧، ص ٣، ٢/٣/ ١٩٤٤.

١٩٣٦ - ١٩٣٩ جعلتهم يبادرون مبكراً إلى اتخاذ الوسائل الدفاعية الضرورية كافة.

فمنذ سنة ١٩٤٠، ازداد نشاط منظمة الهاغاناه في صفد. كما أن تعيين مئير مايبرغ، سنة ١٩٤٤، قائداً محلياً للمنظمة كان له دور ملحوظ في تسريع الاستعدادات. يُذكر أن مئير هو ابن إيديل مايبرغ رجل الأعمال المعروف وعضو المجلس البلدي في صفد. وكانت هذه العائلة تمتلك فندق مركازي، أحد الفنادق الكبرى في المدينة.(٦٥)

كان مئير يعي جيداً مجريات الأحداث في صفد. وعليه، فقد شرع في بناء قاعدة الهاغاناه تحت شعار «أحداث سنة ١٩٢٩ لن تعود ثانية». إن تبني هذا الشعار يشير إلى أن الهاغاناه استغلت أحداث حائط البراق الراسخة في ذاكرة يهود المدينة لتوحيدهم حولها وإقناعهم بضرورة وجودها وحيوية أعمالها. وأدى تزايد نشاط الهاغاناه إلى توسيع الشرخ بين القطاعين العربي واليهودي، إذ فقدت العناصر اليهودية المعتدلة، مثل مئير عبّو ودافيد بار، تأثيرها.

كما ورد سابقاً فإن الحركة الوطنية العربية في المدينة كانت تعيش في تلك الأيام حالة من الضعف الواضح الذي لم ينبع من سوء تقدير للتطورات، وإنما كان جرّاء حالة الإحباط والانقسام وعدم الثقة المتبادلة التي سادت بين التيارات. أحد أبناء المدينة عبّر عن ذلك جيداً في حديث له مع نشيط وطني قدم إلى صفد وأدهشه السبات الذي خيم على عرب المدينة، وذلك في رده على سؤال عن السبب قائلاً: «لا تتعجب يا سيدي، إن سنوات ١٩٣٦ - ١٩٣٩ ليست بعيدة، أبناؤنا ما زالوا في السجون ودمنا المسفوك لم يجف بعد.»(٦٦)

عُرف عن يهود صفد أنهم كانوا بعيدين إلى حد ما عن الفكرة الصهيونية، لكن اعتباراً من الأربعينيات أخذوا يتعاونون بالتدريج مع الهاغاناه التي عملت بعيداً عن الأضواء وبسرّية تامة. عشرات الشباب اليهود من أبناء المدينة تجندوا في المنظمة. وفي سنة ١٩٤٤ بلغ عددهم ٧٠ مجنداً، إضافة إلى ٤٠ شاباً وشابة عملوا كقوة داعمة لوجستياً.(٦٧) هذه النواة الأولى للهاغاناه نجحت من خلال عمل حثيث ومكثف في تهيئة الحي اليهودي وسكانه للمواجهة المسلحة الشاملة سنة ١٩٤٨. فقد قامت بمساعدة زعمائه في عدة أعمال أساسية، نذكر منها:

---

(٦٥) مئير مايبرغ، «في ظل القلعة» (بالعبرية)، (تل أبيب: لا دار نشر، ١٩٨٩)، ص ٢٢٦ - ٢٢٨.

(٦٦) أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٩٦/١٠٥، تقرير بتاريخ ١٩٤٤/٥/٥.

(٦٧) مايبرغ، مصدر سبق ذكره، ص ٦١.

١ - **بناء التحصينات والسياجات**: كانت منظمة الهاغاناه وراء المبادرة إلى تحصين الحي اليهودي. ففي سنة ١٩٤٦، بادرت بإرسال خبراء من قسم التخطيط قاموا بإنشاء تحصينات، وعقبات، وسياجات، و٤٣ استحكاماً لإطلاق النار، بالإضافة إلى بناء مخازن السلاح السرية.

٢ - **بناء جهاز عسكري محلي**: قسمت الهاغاناه الحي اليهودي إلى ست مناطق، وعيَّنت في كل منطقة قائداً و٧ جنود لُقبوا بـ «الحرس الجوال». كما بنت مخزن سلاح وذخيرة في كل قسم. وكان قادة المناطق تابعين للقيادة العامة التي تمركزت وسط الحي، وترأسها مئير مايبرغ القائد الأعلى للهاغاناه في المدينة.[٦٨]

٣ - **التزود بالسلاح**: اهتمت الهاغاناه مسبقاً بتخزين كميات سلاح في صفد تكفي لصمود الحي اليهودي وحده في حصار مستمر. وقام قادة الهاغاناه بجباية الأموال من السكان في الحفلات والمناسبات المتنوعة لشراء الأسلحة. وحتى سنة ١٩٤٥، استطاعت الهاغاناه شراء كميات لا يستهان بها.[٦٩]

٤ - **إقامة لجنة طوارىء**: كانت هذه اللجنة بمثابة قيادة خلفية، مهماتها الأساسية جمع الأموال وتوفير الغذاء ومواد التحصين وما شابه. ترأس هذه اللجنة الحاخام زايده هيلر، أحد الحاخامين القليلين الذين دعموا الهاغاناه.[٧٠]

في ضوء ما ذكر أعلاه، يمكن التأكيد أن الهاغاناه أتمت، عملياً، كل الاستعدادات في المجالين العسكري والمدني قبل صدور قرار التقسيم في ٢٩ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٤٧، كما أجرت تمريناً حربياً واسع النطاق بمشاركة وحدات البلماح (كتائب الكوماندو اليهودية) خارج المدينة، لفحص القدرة على الصمود أمام أي هجوم عربي. سُمّي هذا التمرين بـ «حرب ما قبل الحرب».

بعد هذه الاستعدادات شعر سكان الحي بأمان واطمئنان. وقد وصف قائد الهاغاناه في المدينة مجرى الأمور في الحي كالتالي: «حين وضعنا الخطط وتسلحنا نصبنا قاماتنا نوعاً ما.»[٧١]

إزاء هذا الوضع في الجانب اليهودي سادت في الجانب العربي حالة من

---

(٦٨) المصدر نفسه، ص ٧٩ - ٨٠.

(٦٩) المصدر نفسه، ص ٧٦ - ٩٣.

(٧٠) زايده هيلر، «معركة صفد بين الخيال والواقع» (بالعبرية)، (صفد: لا دار نشر، لا تاريخ)، ص ١ - ١١؛ مايبرغ، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٤.

(٧١) مايبرغ، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٦.

الضعف والتردي. هذا على الرغم من أن قادة الحركة الوطنية كانوا يعون التطورات السياسية، ويعلمون بتأهب الهاغاناه. وكل ما استطاعوا القيام به خلال ١٩٤٦ - ١٩٤٧ كان الانضمام إلى منظمة النجادة وتأسيس فرع لها في صفد، آملين بأن تشكّل جسماً موازياً لمنظمة الهاغاناه، الأمر الذي فشل فشلاً ذريعاً كما سنرى لاحقاً.

تأسست منظمة النجادة في يافا سنة ١٩٤٥. وأعلن مؤسسوها، منذ بداية نشاطها، أن هدفهم الرئيسي إكساب الشباب العرب المعرفة والتدريب العسكريين تحت غطاء نشاط رياضي. وفعلاً، بدا الطابع العسكري للنجادة في المظاهر الخارجية، مثل الرتب والألقاب العسكرية والرقم الشخصي، ناهيك عن فرض الطاعة العسكرية، وارتداء الزي الرسمي، والتقسيم إلى وحدات كما في المبنى العسكري تماماً.

كان المركز الرئيسي للمنظمة في يافا. وقد ترأسها المحامي محمد نمر الهواري من الناصرة وكان يلقب بالقائد العام.

وكان شعار النجادة «بلاد العرب للعرب».[٧٢] ومن خلال بيانات المنظمة، التي وزعت بين فترة وأُخرى، يمكن الإشارة إلى أهداف أُخرى، مثل الرغبة في خدمة الأمة والبلد بطرق ناجعة بعيداً عن الشعارات الخاوية وتأليه الشخصية، وفي رص الصفوف ودعم الشباب، هذا بعد انقسام البلد إلى معسكرات في القرية والمدينة، وازدياد الخصام وسفك دم كثيرين من أبناء الشعب الفلسطيني.[٧٣]

بدأت المنظمة نشاطها في صفد سنة ١٩٤٦. وفي ٢٩ تموز/يوليو من السنة نفسها جرت انتخابات الجمعية العامة للنجادة في المدينة. وتم انتخاب لجنة إدارية تزعمها محمد يوسف الخضراء. وبعد ذلك حدثت تغييرات في تركيبة اللجنة إذ تزعمها فايز خالد قدّورة.

أعضاء لجنتي النجادة الأولى والثانية لسنة ١٩٤٦

أعضاء اللجنة الأولى	أعضاء اللجنة الثانية
محمد يوسف الخضراء - قائداً	فايز خالد قدّورة - قائداً
فايز خالد قدّورة - نائباً للقائد	حسني سويد - مساعداً للقائد
سعيد عزيز الحاج عيسى	أحمد سليم عبد الرحيم - سكرتيراً
سعدي قوصي	سميح الخولي - محاسباً

(٧٢) الحوت، مصدر سبق ذكره، ص ٥٠٨ - ٥١٠؛ أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم ف/٣٧٦/٢٦١٣، لا تاريخ.

(٧٣) أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم ف/٣٧٦/٢٦١٣، بيان النجادة رقم ٣، لا تاريخ.

محمود سعيد البرغوثي	سعدي قوصي
أحمد أبو حويج	خالد رفاعي
خالد رفاعي	أحمد أبو حويج
فوزي سويد	محمد سعيد البرغوثي
يعقوب طافش	زكي الخضراء
رشيد نفيسة	يعقوب طافش
أحمد شحاده عثمان	فوزي سويد
حسني سويد	رشيد نفيسة
	أحمد شحاده عثمان
	رمزي سعد الدين

المصدر: أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم ف/٢٤٠٩/٣٦٨، وثيقة بتاريخ ١٩٤٦/٨/٢٠، ملف رقم ف/٢٤٠١/٣٦٨، وثيقة بتاريخ ١٩٤٦/٧/٣١.

تشير مراجعة قائمة أعضاء اللجنتين إلى أنهم كانوا من أبناء الطبقة الوسطى في معظمهم. وكان بعضهم نشيطاً في حركات الشبيبة والكشافة كسعيد عزيز الحاج عيسى، أمّا القائدان فكانا من عائلتين معروفتين، الخضراء وقدّورة.

يُذكر أن محمد يوسف الخضراء، الذي انتخب قائداً في اللجنة الأولى، عُيِّن فيما بعد قائداً عاماً للنجادة في منطقة الجليل، كما أنه كان مدير كل من بنك الأمة وصندوق الأمة في المدينة، وأحد أبرز النشيطين في موضوع شراء الأراضي لمصلحة الصندوق خلال ١٩٤٣ - ١٩٤٤. وقد اتهمه حاكم اللواء باستغلال منصبه مديراً للبنك لتجنيد قرويين في النجادة.(٧٤) وإلى جانبه في القيادة برز كل من فايز خالد قدّورة، الذي أصبح لاحقاً نائب قائد منطقة الجليل، وأحمد سليم عبد الرحيم.

تشير مراجعة ملفات منظمة النجادة إلى أنها نجحت في التوسع سريعاً في الجليل الأعلى، ففي سنة ١٩٤٧، بلغ عدد فروعها في القضاء ٢٥ فرعاً، وكذلك انخرط مئات القرويين في صفوفها، كما يبدو في الجدول التالي:

(٧٤) CO 537/1707, Fortnightly Report, 4th October 1946.

فروع منظمة النجادة في قضاء صفد والمنطقة المجاورة وعدد أعضاء كل فرع

اسم الفرع	عدد الأعضاء	اسم الفرع	عدد الأعضاء
صفد	١٦٦	العابسية	٢٨
الصالحية	٧٣	الظاهرية	١٤
الخالصة	٣٩	كراد الخيط (البقّارة والغنّامة)	٨٧
ميرون	٢٤	الجش	١٨
الجاعونة	٢٩	السميرية	١٤
علما	٣٠	الخصاص	٣٨
الرأس الأحمر	٢٧	البصّة	٩٠
فرعم	٣٤	ترشيحا	٧٠
هونين	٣٣	سمخ	٦٠
الناعمة	٤٧	طبرية	٣٥
الصفصاف	١٦	الناصرة	١
قدس	٣٧	حرفيش	٢٠
قيطية	٤٦	حطين	٣٠
الزاوية	٣٥	شعب	٤٥
صلحة	٣١	الظاهرية	٤٦
فارة	١٢	لزازة	٢١
		عدد الأعضاء	**١٢٩٦**

المصدر: أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم ف/٢٤٠١/٣٦٨، وثيقة بتاريخ ١٦/٤/١٩٤٧.

من الفروع الاثنين والثلاثين المبينة أعلاه هناك ٢٤ فرعاً في قضاء صفد و٨ فروع خارج القضاء. وكان عدد الأعضاء في الـ ٢٤ فرعاً، بما في ذلك صفد، ٩٥١ عضواً، بينما كان العدد في بقية الفروع ٣٤٥ عضواً.(٧٥)

يدل توسع المنظمة في فترة وجيزة على أمرين: الأول، وجود فراغ في مجالي التنظيم والنشاط السياسي في المدينة والقضاء، والثاني رغبة شباب المدينة في الانخراط في المجال العسكري، كما أكدت النجادة، الأمر الذي يشير إلى خيبة أملهم بالسياسة الحزبية والعائلية التي جزأت المجتمع الفلسطيني إلى معسكرات متخاصمة. كما أن تبنّي النجادة شعارات وطنية ومهاجمة الأطر التقليدية شد الشباب إليها.

من أجل دعم العلاقة بين الفروع القروية والفرع المركزي في صفد أقيمت لجنة

(٧٥) Ibid.

مشتركة مدينية - قروية ضمت تسعة أعضاء هم:

فايز خالد قدّورة	نائب قائد منطقة الجليل	صفد
أحمد الكبرا	عضو	صفد
محمود القط	عضو	صفد
محمد عبد قويدر	عضو	سمخ
سميح الخولي	محاسب	صفد
ظاهر توفيق ظاهر	عضو	الناصرة
فؤاد عثمان	عضو	ترشيحا
ميخائيل قريوات	عضو	البصّة
سعدي الأموي	عضو	صفد

المصدر: أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم ف/٢٤٠١/٣٦٨، وثيقة بتاريخ ٣١/١/١٩٤٧.

على الرغم من التركيبة المشتركة للجنة فمن المشكوك فيه أنه كان هناك تأثير حقيقي للقرويين. فالمناصب رفيعة المستوى بقيت في يد أهل المدينة. كما يلاحظ أن اللجنة تخلو من أي عضو من قرى قضاء صفد، في حين مُثِّلت المنطقة القروية لقضاء عكا بعضوين واحد من البصّة وآخر من ترشيحا، وبممثل واحد من بلدة سمخ، في قضاء طبرية.

مولت اللجنة نشاطاتها بواسطة جمع التبرعات من السكان، وبواسطة فرض رسوم عضوية شهرية، إذ دفع كل نجاد مبلغ مئة مليم في الشهر.(٧٦)

مع أن منظمة النجادة حظيت بنجاح أولي في قضاء صفد وتمكنت من تجنيد مئات الشباب في صفوفها، إلاّ إنها فشلت في استغلال هذا الإنجاز وتحويله إلى قوة حقيقية فاعلة، إذ لم تستطع تطبيق برنامجها الأساسي وهو تهيئة الشباب في المجال العسكري. وباستثناء المظاهر الخارجية لم تكن أية فحوى حقيقية في هذا المجال. ولمّا أخفقت المنظمة في تحقيق هدفها الأساسي أخذت مكانتها بالتراجع، وتقلص عدد المنضمين إليها. عندها توجهت إلى مجالات نشاط شبيهة بنشاط منظمات كانت أُسست قبلها، مثل: تنظيم مسيرات في الأعياد وأيام الجمعة؛ تشجيع الصلاة في المساجد؛ إرسال بعثات إلى مدن أُخرى وإلى دول مجاورة؛ تشجيع المقاطعة الاقتصادية والعمل على منع بيع الأراضي،(٧٧) فقد كان أعضاؤها يجمعون

(٧٦) أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم ف/٢٤١٠/٣٦٨، وثيقة بتاريخ ٢٨/١٢/١٩٤٦، ملف رقم ف/٢٤٠٥/٣٦٨، وثيقة بتاريخ ٢١/٣/١٩٤٧.

(٧٧) المصدر نفسه، ملف رقم ف/٢٤٠٩/٣٦٨، وثيقة بتاريخ ٣١/١٠/١٩٤٦.

المعلومات عن بائعي الأراضي العرب ويدلون بها إلى الجهات المختصة.

كما أن المنظمة شجعت مقاطعة اليهود اجتماعياً واقتصادياً، ولذلك أقيمت سنة ١٩٤٧ لجنة مقاطعة. وفي بعض الحالات توجه السكان بالشكاوى إلى النجادة في أمور متعددة تتعلق بالنزاعات المالية، والسرقات، وأضرار الأملاك وما شابه. وقد أصبحت المنظمة بالنسبة إلى كثيرين شرطة وعنواناً يساعد في حل قضاياهم.[٧٨] إلاّ إنه لا يوجد أي مؤشر إلى نجاحها في اتخاذ إجراءات حقيقية ضد بائعي الأراضي أو ضد مخالفي القانون، كما أن محاولة تطبيق المقاطعة الاقتصادية باءت بالفشل.

تشير ملفات المنظمة إلى أن الواقع كان أقوى من أي شيء. وعلى الرغم من التعليمات الصارمة من لجنة تنظيم الاقتصاد العربي،[٧٩] وفرعها في صفد المسمّى «لجنة الاقتصاد الوطني بصفد»، والتي أنشئت لمراقبة المقاطعة ومنع شراء السلع من اليهود، فإن التجارة استمرت بشكل مباشر أو غير مباشر في المجالات كافة.

حيال هذا الوضع اضطر ضباط النجادة إلى السماح للعرب بشراء بعض البضائع من اليهود، ولا سيما تلك التي لا ينتجونها. استغل التجار العرب الثغرة فزادوا في المشتريات من التجار اليهود، حتى إن عضو اللجنة الإدارية للنجادة، يعقوب طافش، اتُّهم بمخالفة المقاطعة وشراء بضائع من تجار يهود في حيفا.

كما أن الشكاوى، التي قدمت من فروع لجنة تنظيم الاقتصاد العربي في أرجاء البلد، عن خرق بعض الصفديين لإجراءات المقاطعة لم تُجدِ نفعاً، واستمر تدفق البضائع في الاتجاهات كافة.[٨٠]

نشير إلى أن فشل المنظمة في تحقيق أهدافها نجم كذلك عن النزاع السياسي بين التيارات المتعددة على الرغم من محاولتها إضفاء صبغة وطنية على هذه الأهداف. فالمفتي الحاج أمين الحسيني، والحزب العربي الفلسطيني، برئاسة جمال الحسيني، خشيا النجادة، مع أن المنظمة أكدت المرة تلو الأُخرى إخلاصها للمفتي بصفته رئيسها

---

(٧٨) المصدر نفسه، ملف رقم ٣٦٨/٢٤٠٩، وثيقة بتاريخ ١٩٤٦/٨/١٦، ملف رقم ف/ ٣٢٩/٧٩١، وثائق بتاريخ ١٩٤٦/٨/١٤، ١٩٤٦/٨/٢٩، ١٩٤٦/١٠/٢.

(٧٩) كانت هذه اللجنة خاضعة رسمياً للهيئة العربية العليا، وقامت بالتعاون مع النجادة بتطبيق المقاطعة الاقتصادية، أنظر: أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم ف/٣٦٨/٢٤٠٩، وثيقة بتاريخ ١٩٤٧/٣/٣.

(٨٠) أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم ف/٣٦٨/٢٤٠٩، وثيقتان بتاريخ ١٩٤٧/٢/٢٤، ١٩٤٧/٣/٣، ملف رقم ف/٤٠١/٣٤٨٦، وثيقة بتاريخ ١٩٤٧/٧/٢٠، ملف رقم ف/٤٠٨/٣٦٩٧، وثائق بتاريخ ١٩٤٧/٩/١٩، ١٩٤٧/٩/١١، ١٩٤٧/٩/٢٠.

الأعلى. فمراسلات النجادة ووثائقها مُهرت جميعها بجملة تعبر عن إخلاص قاطع للمفتي: «عاشت المنظمة وعاش سماحة الرئيس الأعلى.»[٨١] إلاّ إن هذا لم يُرض المفتي الذي قرر إقامة منظمة الفتوة كمنظمة مضادة ومنافسة للنجادة، الأمر الذي أدى إلى نشوب خلاف في صفوف الشباب، وخيبة أمل وإحباط، واستقالة كثيرين من صفوفها.

من اللافت للنظر أن الصفديين أعلنوا في معظمهم دعمهم للمفتي من دون تحفظ. وفي ١٩ أيار/مايو ١٩٤٧، أعلن قائد منطقة الجليل، محمد يوسف الخضراء، ونائبه وسكرتير المنطقة استقالتهم من النجادة مؤكدين إخلاصهم المجدد للحاج أمين. وفي رد المفتي عليهم شكرهم معبّراً عن رضاه عن موقفهم.[٨٢]

بعد هذه التطورات بذلت جهود جمة لرأب الصدع. وفعلاً، تم توحيد المنظمتين، النجادة والفتوة، في كانون الثاني/يناير ١٩٤٧ في منظمة جديدة هي منظمة الشباب العربي. إلاّ إن هذا لم يجد نفعاً، فالتوحيد كان شكلياً، فقد سيطر المفتي وأتباعه على المنظمة وعرقلوا حرية عملها.[٨٣]

تجاوزت تطورات الأحداث المتسارعة خلال ذلك العام منظمة الشباب العربي والجدل الدائر بشأنها، وخصوصاً أن نشاط المنظمة تراجع إلى حد كبير في أواخر سنة ١٩٤٧.

ختاماً، يمكن القول إنه في إبان الحرب العالمية الثانية وخلال سنة ١٩٤٦، حدثت تطورات مهمة في المدينة منها:

أ) عادت الحركة الوطنية في المدينة إلى العمل مجدداً بعد فترة تباطؤ في النشاط السياسي خلال الفترة ١٩٣٨ - ١٩٤٢. وكان العاملان الأساسيان اللذان أديا إلى هذه العودة النزاع بشأن الأراضي بين العرب واليهود، ونشاط صندوق الأمة. وكما لاحظنا، فإن النزاع بشأن الأراضي بين سنة ١٩٤٣ وسنة ١٩٤٦ كان أقسى مما حدث في الفترة ١٩٣٠ - ١٩٣٤، حين اشترى اليهود مساحات شاسعة في سهل الحولة، بما في ذلك امتياز تجفيف البحيرة.

ب) تم معظم النشاط الوطني والسياسي بواسطة الاستقلاليين من مؤيدي

---

(٨١) المصدر نفسه، ملف رقم ف/ ٣٧٦/٢٦١٣، بيان النجادة رقم ٣، لا تاريخ.

(٨٢) المصدر نفسه، ملف رقم ف/ ٨٣٤/ ٣٠، وثيقة بتاريخ ١٩٤٧/٩/٣١؛

CO 557/2280, Fortnightly Report, 16th June 1947.

(٨٣) الحوت، مصدر سبق ذكره، ص ٥١٣ - ٥١٤؛ محمد نمر الهواري، «سرّ النكبة» (الناصرة: مطبعة الحكيم، ١٩٥٥)، ص ٢٨ - ٢٩.

المحامي صبحي الخضراء، وإلى حد ما بواسطة رجال بنك الأمة العربية وصندوق الأمة، فقد كان للاستقلاليين تأثير ملحوظ في هاتين الهيئتين.

ج) شهدت علاقات العرب واليهود في المدينة مداً وجزراً. فزيارات الأعيان العرب للحي اليهودي وتجدد النشاط التجاري أشارا إلى تحسن موقت. إلاّ إن أزمة المجلس البلدي سنة ١٩٤٦ واستقالة العضوين اليهوديين أدتا إلى زيادة الفجوة بين العرب واليهود، إذ حُلّت المؤسسة الوحيدة التي عمل فيها الطرفان معاً.

د) تدل تقارير جهاز استخبارات الهاغاناه على أنه في فترة الحرب العالمية الثانية ازداد قلق العرب في صفد. فقد شعروا آنذاك ولأول مرة بالضعف، وأن ليس في قدرتهم عمل الكثير إزاء الاستعدادات الكبرى لليهود في المدينة وفي المنطقة.

هـ) نجحت الهاغاناه في إنهاء استعداداتها العسكرية في مرحلة مبكرة. فمنذ سنة ١٩٤٤، عيَّنت قائداً محلياً في المدينة، وبنت جهاز دفاع شامل مزوداً بالسلاح. أمّا السكان العرب فبقوا غير منظمين، وعدا نشاط منظمة النجادة الذي بدأ صيف سنة ١٩٤٦، لم يحدث أي تغيير مهم في حالة الضعف التي كانت من نصيب عرب المدينة والقضاء.

كان نشاط منظمة النجادة، ومن بعدها منظمة الشباب العربي، طوال عام ونصف عام، في فترة مصيرية، محاولة أخيرة من نشيطي الحركة الوطنية لرص الصفوف. إلاّ إن هذه المحاولة فشلت كما لاحظنا ولم ترقَ إلى مستوى التحديات. وحين أصدرت الأمم المتحدة قرار التقسيم، كانت الحركة الوطنية الفلسطينية في صفد في الحضيض، بينما كانت الهاغاناه في قمة الاستعداد.

الفصل الحادي عشر

معركة صفد وسقوط المدينة

منذ أواخر ثمانينيات القرن العشرين، نشرت عدة دراسات عن تاريخ الأحداث التي دارت في فلسطين في الفترة ١٩٤٧ - ١٩٥٢، وخصوصاً تلك المتعلقة بحرب ١٩٤٨ والتسويات التي تلتها.

يعتقد المؤرخ بِني موريس أن هنالك عاملين ساعدا على نشر هذه الدراسات: الأول هو إزالة السرّية عن آلاف الوثائق في الأرشيفات المتعددة في إسرائيل وفي العالم، الأمر الذي أتاح للمؤرخين الاطلاع على مواد جديدة. والعامل الثاني هو ظهور جيل جديد من المؤرخين الشباب نسبياً، الذين لا يترددون في الكتابة والبحث بطريقة مغايرة للرواية الصهيونية الرسمية التي كتبت عن تلك الحرب، في حين أن المؤرخين الذين سماهم «المؤرخين القدماء» ترددوا في ذلك لأنهم، على حد قوله، «شعروا بالالتزام بقصة البطولة العظيمة لولادة الشعب اليهودي الجديدة.»(١)

ومن الدراسات الرائدة في هذا السياق، نشير إلى دراسات كل من بِني موريس، وإيلان بابِه، وآفي شلايم، وآخرين.(٢) مع ظهور هذه الدراسات دار جدل حاد بشأن مضامينها وصدقيتها، فنشرت عدة دراسات مضادة رد مؤلفوها على المؤرخين الجدد، ومن أبرزها دراسة كل من أنيتا شبيرا، ويحيعام فايس، وآفي بارئيل، وبنحاس غينوسار، وآخرين.(٣)

(١) بِني موريس، «تصحيح الخطأ، العرب واليهود في أرض إسرائيل: ١٩٣٦ - ١٩٥٦» (بالعبرية)، (تل أبيب: لا دار نشر، ٢٠٠٠)، ص ٢٧.

(٢) Benny Morris, *The Birth of the Palestinian Refugee Problem, 1947-1949* (Cambridge: Cambridge University Press, 1987); Benny Morris, *1948 and After: Israel and the Palestinians* (Oxford: Clarendon Press, 1990); Ilan Pappe, *The Making of Arab-Israeli Conflict, 1947-1951* (London & New York: I.B. Tauris, 1992); Avi Shlaim, *Collusion Across the Jordan: King Abdullah, the Zionist Movement and the Partition of Palestine* (Oxford: Clarendon Press, 1988); Avi Shlaim, Eugene Rogan, eds., *The War for Palestine, Rewriting the History of 1948* (Cambridge: Cambridge University Press, 2001).

(٣) أنظر على سبيل المثال: آفي بارئيل وبنحاس غينوسار (تحرير)، «الصهيونية، جدل معاصر، أساليب بحثية وأيديولوجية» (بالعبرية)، (لا مكان: مركز تراث بن - غوريون، ١٩٩٦)؛ يحيعام فايس (تحرير)، «بين الرؤية وإعادة النظر» (بالعبرية)، (لا مكان: مركز زلمان شازار لتاريخ إسرائيل، ١٩٩٧).

مع مرور الوقت تبلور تياران تاريخيان، عرف الأول بالتاريخ الجديد الذي كنّاه بِني موريس بـ «أحد دلائل بلوغ إسرائيل»،[٤] وعرف الثاني بالتاريخ القديم أو التاريخ الرسمي الذي يرى في التاريخ الجديد أحد أعراض الضعف الذي ألمّ بالمجتمع الإسرائيلي.

تمحور الجدل بين التيارين، كما أسفلنا، حول ما حدث في البلد خلال حرب ١٩٤٨ وما بعدها.[٥] ويشير آفي شلايم إلى أن الجدل الجاري في إسرائيل يشبه إلى حد ما الجدل الذي دار بين المؤرخين الأميركيين عن الحرب الباردة وحرب فيتنام. إلاّ إنه مع مضي الزمن ظهر في الولايات المتحدة تيار ثالث، عُرف باسم Post-Revisionism، لا يهتم بإلقاء اللائمة على هذا الجانب أو ذاك، وإنما يحاول فهم ديناميكية الصراع وتطوراته. يعبر شلايم عن أسفه على عدم وصول المؤرخين الإسرائيليين إلى هذه المرحلة، ويخلص إلى أن الصراعات بين التيارين، اللذين يتأثران باتجاهات سياسية متعددة، ما زالت مستمرة.[٦]

لا بد من الإشارة إلى أن معركة صفد ظلت، وبشكل لافت للنظر، خارج إطار البحث والاهتمام، هذا على الرغم من كون المدينة مركز قضاء كبير، ومركزاً إدارياً اقتصادياً وثقافياً لسكان الجليل الأعلى الشرقي وسهل الحولة، فضلاً عن كونها عقدة مواصلات رئيسية. كما كان للمعركة بشأنها أبعاد فورية وبعيدة المدى على السكان العرب والقرى العربية في القضاء والشمال الفلسطيني عامة.

وقد عبر هاشم العظم، أحد المشاركين في معركة صفد، بصدق في وصفها قائلاً:

> استأثرت معركة صفد باهتمام العرب جميعاً، كما كان لسقوطها وقع الصاعقة على أسماعهم، وما زالت الفداحة تتعاظم والخطب يجل حتى تولدت عنها إشاعات وأقاويل لم تتأثر بها معركة غيرها في فلسطين. وبالرغم من سقوط صفد قد جاء في آخر السلسلة، إلاّ إن دويها كان أعظم تداولاً في الأسماع من أي دوي آخر، كأن سقوطها لم يكن بالحسبان، وهذا ما أثر على المعنويات العربية آنذاك تأثيراً شديداً.[٧]

---

(٤) موريس، مصدر سبق ذكره، ص ٤١.

(٥) Avi Shlaim, «The Debate about 1948,» *International Journal of Middle East Studies*, vol. 27, no. 3 (August 1995), pp. 287-303;

موريس، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥ - ٤١.

(٦) Shlaim, «The Debate...,» op. cit., p. 302.

(٧) محمود العابدي، «صفد في التاريخ» (عمّان: جمعية عمال المطابع التعاونية، ١٩٧٧)، ص ٢٦٥.

إن المعلومات التي نشرت عن معركة صفد تعكس في معظمها، إلى حد كبير، ما عرف بالرواية الصهيونية. وطبقاً لها فإن المعركة كانت إحدى المعارك البطولية في حرب ١٩٤٨، إذ انتصرت فيها أقلية يهودية معزولة ومنقطعة عن محيطها على أكثرية عربية تفوقها عشرات المرات قوة وعتاداً وذخيرة أرادت الهجوم على هذه الأقلية وإزالتها وإبادتها. ومع هذا نجحت هذه الأقلية في الصمود وانتصرت نصراً مبيناً.[٨]

وطبقاً لتلك الرواية الإسرائيلية يوصف عرب صفد بأنهم: محاربون[٩] وقحون وعدوانيون؛[١٠] أشداء يبغضون الصهيونية؛ مخلصون لشعبهم الفلسطيني لا يهاونون؛ أرهبوا المنطقة بأسرها وأخافوها؛ رفعوا العلم الوطني؛ أصواتهم تبعث على الرعب؛[١١] نشطوا طوال الفترة في الحركة الوطنية المتطرفة التي حاربت اليهود.[١٢] ووفقاً لتلك الرواية فإن صفد كانت رمزاً للفلسطينيين جميعاً ومركز تحريض لكل عرب الجليل.[١٣]

وحين تتطرق الرواية الصهيونية إلى مصير عرب صفد في نهاية المعركة، تشير إلى أنهم فروا من مدينتهم مذعورين خائفين من دون أي سبب معقول أو منطقي. كما تعرب تلك المصادر عن دهشتها واستغرابها لرحيل هؤلاء عن مدينتهم، وخصوصاً أن اليهود لم يطردوهم، ولم يجبروهم على ترك بيوتهم الحصينة.[١٤]

تنطوي هذه الأوصاف على فحوى الرواية الصهيونية الرسمية التي تبحث في

---

(٨) زايده هيلر، «معركة صفد بين الخيال والواقع» (بالعبرية)، (صفد: لا دار نشر، لا تاريخ)، ص ٥؛ مئير مايبرغ، «في ظل القلعة» (بالعبرية)، (تل أبيب: لا دار نشر، ١٩٨٩)، ص ١٣؛ يهودا سلوتسكي، «كتاب تاريخ الهاغاناه، من الصراع إلى الحرب» (بالعبرية)، (لا مكان: لا دار نشر، الطبعة الثانية، ١٩٦٤)، ج ٣، قسم ٢، ص ١٥٨٠ - ١٥٨٥.

(٩) ناتانئيل لورخ، «تاريخ حرب الاستقلال» (بالعبرية)، (لا مكان: مساده، ١٩٨٥)، ص ١٨١.

(١٠) زروبابل غلعاد (تحرير)، «كتاب البلماح» (بالعبرية)، (لا مكان: الكيبوتس الموحد، ١٩٩٦)، ج ٢، ص ٢٧٩.

(١١) يحزقيئيل همئيري، «صفد في الكماشة: صفد خلال معركة وحصار ١٩٤٨» (بالعبرية)، (تل أبيب: وزارة الدفاع، ١٩٨٨)، ص ١٨٢؛ س. لوريا، «معركة صفد»، أرشيف جيش الدفاع الإسرائيلي، ملف رقم ٧٥/٩٢٢/٢١٢، ص ٢.

(١٢) إلعاد بيلد، «مذكرات من صفد»، أرشيف جيش الدفاع الإسرائيلي، ملف رقم ٧٥/٩٢٢/٢١٤، ص ٢.

(١٣) موشيه كلمان، أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٦٥/١٣، ص ٢٢.

(١٤) هيلر، مصدر سبق ذكره، ص ٥؛ مايبرغ، مصدر سبق ذكره، ص ٣٤٣؛ همئيري، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٢ - ١٨٣.

تاريخ المعركة بشأن صفد سنة ١٩٤٨.

يعالج هذا الفصل مختلف الجوانب المتعلقة بتلك المعركة، والرواية الصهيونية المتعلقة بها. وسنحاول أن نبحث من جديد في مجمل تلك الجوانب والإجابة عن التساؤلات التالية: كيف تأهب الجانبان العربي واليهودي للمعركة؟ ماذا كان دور السكان المحليين في الدفاع عن مدينتهم؟ ما هو الدور الذي قام به جيش الإنقاذ؟ ما هو الدور الذي قامت به قوات الهاغاناه والبلماح؟ كيف كان ميزان القوى بين الفريقين في المدينة؟ أحقاً كانت هذه معركة أقلية ضد أكثرية؟ أحقاً كانت معركة داود الضعيف في مقابل جُليات القوي؟ هل كان الحي اليهودي محاصراً؟ وكيف كان وضع الأحياء العربية في هذا السياق؟ ما هو موقف البريطانيين؟ أخيراً، هل فر عرب صفد من بيوتهم، كما ذكر، أم طُردوا عمداً وعن سابق إصرار؟!

أولاً: تأهب الفريقين - بداية الصدامات

في ٢٩ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٤٧، أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة تقسيم فلسطين إلى دولتين، واحدة عربية وأُخرى يهودية. وأثار هذا القرار غضب العرب في معظمهم ورفضوه بشدة، بينما تقبله اليهود بغبطة وسرور، فلأول مرة هناك اعتراف رسمي بحق الشعب اليهودي في دولة يهودية.(١٥)

في صفد، كما في باقي مدن فلسطين، أعلن السكان العرب الإضراب العام. وجرت التظاهرات وأطلقت التنديدات في كل مكان، ولا سيما أن المدينة، ذات الأكثرية العربية (٨٤٪)، ضُمت إلى الدولة اليهودية المقترحة.

كان اليهود متأهبين ومستعدين لهذه اللحظة الحاسمة مسبقاً. وكما أشرنا سابقاً، قامت الهاغاناه بكل التحضيرات المطلوبة خلال الفترة ١٩٤٤ - ١٩٤٦، بما في ذلك أعمال التحصين والتسلح والتدريب. وقد أجرت تمريناً شاملاً في تشرين الأول/أكتوبر ١٩٤٧ تحت شعار «حرب ما قبل الحرب».(١٦) وبعكس ذلك تماماً، كانت الاستعدادات في الجانب العربي متأخرة جداً، إذ بدأت فقط سنة ١٩٤٦، حين أُسس

(١٥) بيان نويهض الحوت، «القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين، ١٩١٧ - ١٩٤٨» (عكا: دار الأسوار، ١٩٨٤)، ص ٥٧٧.

(١٦) بشأن شرح موسع عن تحضيرات وتجهيزات الهاغاناه ويهود المدينة خلال تلك الفترة، أنظر: مايبرغ، مصدر سبق ذكره، ص ٥٠ - ١١٧. وانظر أيضاً: شمارياهو بن - بازي، «صفد اليهودية خلال ١٩٤٧ - ١٩٤٨، جالية في الحرب»، رسالة ماجستير (بالعبرية)، (القدس: الجامعة العبرية، ٢٠٠٠)، ص ٢٢ - ٢٦.

في صفد فرع منظمة النجادة. عملت هذه المنظمة على إكساب الشباب بعض الخبرات والمؤهلات العسكرية تحت غطاء النشاط الرياضي، وقد استمر نشاطها نحو عام ونصف عام، إلاّ إنها فشلت فشلاً ذريعاً في تحقيق أهدافها بسبب معارضة السلطات، وبسبب النزاعات الداخلية في صفوف الحركة الوطنية الفلسطينية.[١٧]

بعد إعلان قرار التقسيم بادرت الهيئة العربية العليا، التي تزعمها الحاج أمين الحسيني، إلى إقامة اللجان القومية في مراكز الألوية والأقضية كافة.[١٨] وقد فرضت الهيئة كل الإجراءات لإقامة هذه اللجان. فطلبت أن يكون عدد أعضاء اللجنة طبقاً لحجم البلدة وعدد سكانها، بحيث يتراوح بين ٥ و٢٠ عضواً، وأن تُقدم لها مسبقاً قائمة المرشحين كي تعطي موافقتها عليها، وأن يكون أعضاء الهيئة العربية العليا في كل مدينة تلقائياً أعضاء في اللجنة القومية المحلية. أمّا المصاريف والميزانيات فكانت الهيئة تحولها إلى اللجان.

وبالإضافة إلى هذا، أقرت الهيئة أن تكون اللجنة القومية المحلية بمثابة فرع لها في المنطقة، وأوكلت إليها المهمات التالية: متابعة الأمور المتعلقة بإدارة المدينة؛ المحافظة على الأمن الداخلي؛ معالجة قضايا المجتمع والاقتصاد والحاجات الضرورية؛ تنظيم التعاون المشترك بين جميع المؤسسات والهيئات العاملة في المجال الوطني.[١٩]

بعد هذه التحضيرات، تألفت في صفد لجنة قومية موسعة ضمت ٣١ عضواً هم:

زكي قدّورة	مصطفى النقيب	سعيد عزيز
عبد الغني النحوي	محمد الخضراء	عبد الفتاح الأسدي
رشيد السعدي	عبد الكريم البستوني	عبد الهادي الحاج سعيد
خليل يوسف رستم	عبد المجيد حجازي	محمود النقيب
سليم طافش	حسن فريد صبح	الخوري الكاثوليكي
أحمد شحاده عثمان	نصوح منوّر	حبيب الصباغ
خالد فانوس	صبحي العسكري	أمين الخضراء
محمود الكيلاني	فؤاد سعد الدين	حسين رستم

(١٧) للمزيد من التفصيلات عن تأسيس منظمة النجادة، أنظر أعلاه الفصل العاشر.
(١٨) الحوت، مصدر سبق ذكره، ص ٥٩٩.
(١٩) بشأن نظام إقامة اللجان القومية، أنظر: أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم ف/٣٨٤٧/ ٤١٢، وثيقة بتاريخ ١٤/١٢/١٩٤٧.

إبراهيم صرصور	فؤاد الخولي	أحمد سليمان البيطار
سعيد مراد	سعيد البرغوثي	فايز قدّورة
		أحمد سليم عبد الرحيم[٢٠]

يُستشف من هذه القائمة أن أعضاء اللجنة مثّلوا كل قطاعات المدينة من الأعيان، والعلماء، والتجار، والملاّك، وأصحاب المناصب والوظائف رفيعة المستوى، وممثلي العائلات، ونشيطين في المنظمات المتعددة، ونشيطين في صفوف الثورة الفلسطينية سابقاً. إلاّ إن عدد أعضاء اللجنة تعدى نظام الهيئة العربية العليا، الذي حدده ما بين ٥ أعضاء و٢٠ عضواً. عندها طُلب من الصفديين تأليف لجنة أصغر، ولهذا نشب نزاع داخلي بينهم دام حتى ١٠ نيسان/أبريل ١٩٤٨، حين تدخّل أديب الشيشكلي، قائد جيش الإنقاذ في الشمال، وأكرم الحوراني، فجمعا الممثلين، وبضغط منهما تألفت لجنة قومية جديدة[٢١] ضمت ١١ عضواً فقط هم:

زكي قدّورة	عارف حجازي	عبد الغني النحوي
عبد القادر الأسدي	مصطفى النقيب	الشيخ سليمان سعد الدين
أحمد الكبرا	أمين الخضراء	عبد القادر حسين عبد الرحيم[٢٢]
عبد الهادي كاملة	سعيد مراد	

تبين المقارنة بين اللجنتين بوضوح أن الوجهاء من صفوف العلماء، والتجار، والموظفين الكبار، والملاّك، أبعدوا جانباً القيادة الشابة التي نمت وقويت، أساساً، في العقد الثالث للانتداب، والتي ضمت نشيطين ومحترفين حزبيين، ونشيطين في حركات الشبيبة والأندية والمنظمات الأُخرى.

بعد إقامة اللجنة القومية المصغرة، نجح عرب صفد في تنظيم قوة من المتطوعين، قوامها ٤٤٤ شخصاً، عُرفت بـ «حامية صفد». وشملت هذه القوة خمس سرايا كانت على النحو التالي:

السرية الأولى بقيادة عبد الله الشاعر، وعدد أفرادها ٨٤.

السرية الثانية بقيادة محمود عثمان الكردي، وعدد أفرادها ١٠٨.

السرية الثالثة بقيادة عارف غنيم، وعدد أفرادها ٨٤.

---

(٢٠) أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم ف/٣٤٦/١٤٨١، اللجنة القومية في صفد، لا تاريخ.

(٢١) عبد الرحمن الخضراء، «سقوط صفد»، وثائق صبحي الخضراء، وثيقة رقم ٥٠٠، دمشق، ١٩٤٨/٩/١، ص ١ - ٦.

(٢٢) يسار العسكري، «قصة مدينة صفد» (تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، لا تاريخ)، ص ١٢٠.

السرية الرابعة بقيادة فايز خالد قدّورة، وعدد أفرادها ٨٤.

السرية الخامسة بقيادة محمود الكيلاني، وعدد أفرادها ٨٤، فيكون المجموع ٤٤٤ متطوعاً.[٢٣]

يبدو أول وهلة أن عدد المتطوعين المجندين كان كبيراً، لكن عند فحص قائمة حاملي السلاح يتضح أن المتطوعين جميعهم لم يشاركوا فعلاً في النشاط العسكري، لأن ٢١٨ منهم فقط استلموا سلاحاً، في حين لم يتمكن الباقون من الحصول عليه.[٢٤]

الآن وبعد أن أكمل عرب صفد استعدادهم، بدأت مرحلة انتظار وقلق مصحوبة بصدامات وهجمات متبادلة. نشير هنا إلى أنه حتى بعد قرار التقسيم لم تحدث مقاطعة نهائية بين السكان العرب واليهود في المدينة، لأن شبكات المياه والكهرباء والصرف الصحي والبريد ألزمت استمرار التعاون المشترك. كما أن النشاط التجاري تواصل في سوق الجمعة.

استمرت هذه العلاقات حتى وقع الصدام الأول في ١٣ كانون الأول/ديسمبر ١٩٤٧، حين قُتل مناحم مزراحي الذي أرسلته الهاغاناه في دورية إلى السوق وسط الحي العربي. بالنسبة إلى اليهود كان الأمر بمثابة بداية حرب فقاموا بالرد. ونتيجة ذلك قتل ثلاثة من المواطنين العرب.[٢٥] وأدى هذا الحادث إلى قطع العلاقات، كما توقفت أنشطة لجنة المجلس البلدي.

بعد حادث السوق وما تلاه، وقعت عدة حوادث إطلاق نار، كان أهمها في ٢ كانون الثاني/يناير ١٩٤٨، حين هوجم الحي اليهودي وأطلقت النار على مواقع فيه على امتداد خط التماس، إلاّ إن المهاجمين صُدوا.[٢٦] هذه الحوادث وغيرها دلت مسبقاً على أن القوات المحلية، العربية أو اليهودية، غير قادرة على حسم المعركة. وهذا ما تأكد في النهاية.

يُشار إلى أنه بعد وقوع هذا الصدام، وتحديداً في ٧ كانون الثاني/يناير ١٩٤٨، انضمت إلى القوات العربية المحلية مجموعة من المتطوعين السوريين، بلغ تعدادها

---

(٢٣) أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم ف/٤٠١/٣٤٨٠، يشمل هذا الملف قوائم مفصلة لجميع متطوعي حامية صفد، من نيسان/أبريل ١٩٤٨.

(٢٤) المصدر نفسه، ملف رقم ف/٤٠١/٣٤٧٦، وثيقة بتاريخ ١٩٤٨/٤/٢٥، ص ١ - ٦.

(٢٥) بيلد، مصدر سبق ذكره، ص ١٠؛ مايبرغ، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٢؛ همئيري، مصدر سبق ذكره، ص ١٦.

(٢٦) مايبرغ، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٥ - ١٢٧.

٦٠ متطوعاً. قاد المجموعة الضابط السوري إحسان كم الماز، ونظراً إلى كفاءاته العسكرية سلّمه قادة المتطوعين القيادة وخضعوا لإمرته، فعُرف عندها بلقب قائد حامية صفد.

لا تشير المصادر إلى أية قيادة عليا كان يخضع لها الضابط كم الماز، لكن، من خلال نشاطه الثابت مع اللجنة القومية في المدينة، يمكن الافتراض أنه كان خاضعاً للهيئة العربية العليا، وللمفتي الحاج أمين.

تمكن كم الماز وقواته من شن معركة استنزاف من المواقع والتحصينات التي أقاموها على امتداد خطوط التماس في المدينة، إلاّ إن كل محاولاتهم لاختراق الحي اليهودي باءت بالفشل. مع ذلك كان عرب صفد يشيدون بجسارته وشجاعته، ويعتقدون أن المعركة كانت لمصلحتهم ما دام إحسان على رأس هذه القوات.[٢٧]

إزاء هذه الصدامات وعدم حسم الأمور داخل المدينة، قرر قادة البلماح تنفيذ عمليات أُخرى في المنطقة القروية من القضاء.

ثانياً: هجمات البلماح على القرى العربية في القضاء

مع نهاية سنة ١٩٤٧، زادت قوات البلماح نشاطها في منطقة صفد. وكانت الكتيبة الثالثة، التي تمركزت في مواقعها على جبل كنعان وفي بيريا وعين زيتيم وسهل الحولة، القوة اليهودية الأساسية التي عملت في ساحة المعركة في صفد وجوارها منذ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٤٧ حتى احتلال المدينة في ١٠ أيار/مايو ١٩٤٨. في تلك الفترة قامت هذه القوات بعدة هجمات كبيرة على القرى العربية، الأمر الذي مس معنويات السكان العرب وأجبرهم على حشد قواتهم القليلة غير النظامية للدفاع فقط.

في ١٨ كانون الأول/ديسمبر ١٩٤٧، هوجمت قرية الخصاص الواقعة شمال سهل الحولة بعد أن قُتل يهودي بالقرب منها. ومع أنه لم تثبت أية علاقة لسكان الخصاص بهذا الحادث، فقد قررت قيادة الكتيبة الثالثة «معاقبة» القرية التي ربطتها علاقات حسنة بالمستعمرات اليهودية المجاورة. وعلى الرغم من معارضة ناحوم هوروفيتس، الذي كان من كبار المسؤولين في مستعمرة كفار غلعادي القريبة من قرية الخصاص، فإن موشيه كلمان، الذي شغل، آنذاك، منصب نائب قائد الكتيبة الثالثة،

(٢٧) العسكري، مصدر سبق ذكره، ص ١٢١.

والمسؤولين في البلماح نظروا إلى الحادث كعمل حربي وقرروا الرد عليه حالاً.[٢٨] وخلال هجومهم على القرية قتلوا ١٠ من سكانها، معظمهم من النساء والأطفال، كما قاموا بهدم عدة بيوت.

أمّا عزرا دانين، أحد رجال الدائرة العربية التابعة لجهاز الاستخبارات، فرأى في العملية تصعيداً غير مُبَرَر أدى، من دون أي داع، إلى توسيع دائرة العداوة والتوتر في منطقة الحولة التي كانت هادئة عادة.[٢٩] فسكانها المقربون من كامل الحسين لم يقوموا بنشاط ملحوظ ضد جيرانهم اليهود خلال ثورة ١٩٣٦ ولا بعدها.

إلاّ إن العملية الكبرى التي زرعت الذعر بين سكان القضاء العرب، فكانت الهجوم على قرية سعسع في ١٤ شباط/فبراير ١٩٤٨. فهذه القرية تقع على السفوح الشمالية لجبل الجرمق في قلب المنطقة العربية، وعلى بعد ٢٠ كم عن صفد. ومع ذلك قرر القائد الأعلى للبلماح، يغآل ألون، مهاجمتها، وأوكل المهمة إلى موشيه كلمان، المشار إليه أعلاه.

بحسب أقوال كلمان، فإن اختيار سعسع تم نتيجة موقعها الاستراتيجي. فهي تتحكم في مفترق طرق مهم يشكل نقطة عبور بين البلد ولبنان من جهة، وبين كل من صفد وترشيحا ونهاريا من جهة أُخرى، والهجوم عليها سيؤدي إلى عرقلة تحرك العرب. لخص كلمان أهداف العملية في ثلاث نقاط: الأولى، أخذ زمام المبادرة من العرب؛ الثانية، إرغامهم على إبقاء السلاح والرجال للمحافظة على قراهم والدفاع عنها؛ الثالثة، تمكّن قوات البلماح من أن تبرهن لنفسها وللييشوف أن في إمكانها التغلغل في عمق مناطق «العدو» وضربها متى شاءت.[٣٠]

خرج كلمان من قاعدته في جبل كنعان حيث تمركزت سرية (أ) من البلماح قوامها ٧٠ جندياً. وتحت جنح الظلام سار في عمق المنطقة العربية متخطياً قرى عين الزيتون وقديتا وميرون والصفصاف والجش، إلى أن وصل إلى سعسع فوضع المتفجرات في بيوت الحي الشمالي ودمرها تدميراً كاملاً. ووفق شهادته كانت الأوامر

---

(٢٨) أوري ملشتاين، «تاريخ حرب الاستقلال» (بالعبرية)، (رمات أفعال: لا دار نشر، ١٩٨٩)، ج ٢، الشهر الأول، ص ١١٤ - ١١٨.

(٢٩) «فلسطين»، ٢٠/١٢/١٩٤٧؛

CO 557/2280, District Commissioner's Office Fortnightly Report, 6/1/1948;

بني موريس، «ولادة مشكلة اللاجئين الفلسطينيين، ١٩٤٧ - ١٩٤٩» (بالعبرية)، (تل أبيب: لا دار نشر، ١٩٩١)، ص ٥٥ - ٥٦.

(٣٠) كلمان، مصدر سبق ذكره، ص ٥.

التي صدرت إلى السرية «تفجير ٢٠ بيتاً وقتل أكبر عدد ممكن من المحاربين.» ومع تنفيذ المهمة التي وصفها كلمان كـ «حادثة سدوم وعمورة»، اتضح أنه تم هدم نحو ٣٥ - ٤٠ بيتاً، وقتل ١١ شخصاً من المدنيين العزل، وإصابة ما بين ٦٠ و٨٠ شخصاً بجروح.[٣١] وقد لقي الضحايا جميعاً حتفهم تحت أنقاض منازلهم وهم نائمون. هذا وقد تمكن كلمان من العودة إلى قاعدته قبل بزوغ الفجر من دون أن يشعر به أي من سكان هذه القرى العربية.

هناك هجوم واسع آخر نفذته قوات البلماح، في ١٢ آذار/مارس ١٩٤٨، هو الهجوم على قرية الحسينية، إحدى القرى التي سكنها مهاجرون جزائريون، والتي تقع في مركز سهل الحولة. وبحسب أقوال كلمان، كان الهجوم على القرية لسببين: الأول، عرقلة حركة سير اليهود في سهل الحولة من جانب قوات عربية تمركزت في الحسينية، والثاني، مقتل اثنين من أصدقائه خلال قيامهما بإبطال مفعول عبوة ناسفة وضعتها، كما ادعى، مجموعة مسلحة من القرية. وقد رأى أن هذه القرية مسؤولة عن الهجوم، فقرر العمل ضدها من دون تأخير. وقد جاء في مذكراته: «واختمر القرار في قلبي بإبادة قرية الحسينية.»[٣٢]

وفي عملية مشتركة لفرقة مستعمرة حولاتا وقسم من قوات مستعمرة أييلِت هشحر (نجمة الصبح) هاجمت قوات البلماح القرية وفجّرت معظم بيوتها. ويصف كلمان المشهد بعد التفجير قائلاً: «بكّرت في اليوم التالي فتسلقت جدار كيبوتس أييلِت هشحر ونظرت نحو القرية، فرأيت أنها هدمت بأكملها عدا بيت واحد.» وقد أدت هذه العملية، كما قال، إلى سقوط عشرات القتلى من أبناء القرية، إضافة إلى أربعة قتلى من قواته.[٣٣] وبهذا تكون قرية الحسينية أول قرية عربية يتم هدمها بالكامل في منطقة صفد وتهجير سكانها العرب.

دل نجاح قوات البلماح في تنفيذ عمليات قرى الخصاص وسعسع والحسينية

---

(٣١) المصدر نفسه، ص ٤ - ٨؛ سلوتسكي، مصدر سبق ذكره، ج ٣، قسم ٢، ص ١٤١٧ - ١٤١٨؛

CO 537/3853, Fortnightly Report, 21/2/1948;

قسم التاريخ في قيادة الأركان الإسرائيلية، «تاريخ حرب الاستقلال» (بالعبرية)، (معرخوت: لا دار نشر، ١٩٧٢)، ص ٩٥ - ٩٧.

(٣٢) كلمان، مصدر سبق ذكره، ص ١٠.

(٣٣) المصدر نفسه، ص ٩ - ١١؛ إلحانان أورن، «المعركة بشأن الجليل في حرب الاستقلال»، في: أبشالوم شموئيل (تحرير)، «بلاد الجليل» (بالعبرية)، (حيفا: جامعة حيفا ووزارة الدفاع، ١٩٨٣)، ج ٢، ص ٨٢٤.

بوضوح على تفوق القوات اليهودية وضعف القوات العربية، التي فقدت كل مبادرة حتى في هذه المرحلة المبكرة من المعركة، فباتت عاجزة تقريباً أمام قدرة قوات البلماح على العمل في أي وقت وفي أي مكان تريد.

في هذه الأثناء استمر القتال داخل المدينة، حيث واصل الفريقان التحصن كل في موقعه. وكما رأينا في المرحلة الأولى للأحداث والصدامات، فقد فشلت كل محاولات القوات العربية في الهجوم والتوغل.

ثالثاً: قضية الحصار

الانطباع العام والرأي السائد في معظم المصادر الإسرائيلية هو أن سكان الحي اليهودي في صفد كانوا محاصرين، بينما تمتع سكان الأحياء العربية بحرية التنقل. وفي هذا السياق يصف الحاخام هيلر وضع الحي اليهودي بقوله: «نفر من اليهود معزولون ومحاصرون.»(٣٤) كذلك يدعي همئيري، في كتابه «صفد في الكماشة»، أن الحي اليهودي كان محاصراً، وقد وصف الوضع بقوله: «كان الحي اليهودي مطوقاً من كل الجهات بسور معاد يود افتراسه، كان يواجه خطر العزل في كل وقت.»(٣٥) كما أن مايبرغ يستعمل في كتابه «صفد من الحصار إلى التحرير» عنواناً مشابهاً ويذكر أن الحي اليهودي كان يخضع لحصار شبه مطلق.(٣٦) كذلك ادعى أن العرب وجدوا أن أسهل طريق للتغلب على الحي اليهودي هو فرض الحصار بواسطة السيطرة على الطرقات، وهكذا تحكموا في التموين والغذاء المرسلين إلى الحي واللذين أخذا يتضاءلان باستمرار.(٣٧)

من خلال دراستنا هذه القضية يتضح أن هناك مبالغة كبرى وعدم دقة متعمَّدة، كما يتضح أن المعاناة وصعوبات التنقل كانت من نصيب قسمي المدينة في أشهر الصراع الأولى. وأود هنا أن أشدد على الصعوبات، إذ لم يكن هناك حالة عزل تام. أمّا فيما يتعلق بالمرحلة النهائية الحاسمة للمعركة والممتدة من الأول من أيار/مايو حتى العاشر منه، فقد فُرض على السكان العرب حصار مشدد من ثلاث جهات،

(٣٤) هيلر، مصدر سبق ذكره، ص ٥.
(٣٥) همئيري، مصدر سبق ذكره، ص ١٥.
(٣٦) مئير مايبرغ، «صفد من الحصار إلى التحرير» (بالعبرية)، (لا مكان: دائرة الخدمات التربوية، جيش الدفاع الإسرائيلي، لا تاريخ)، ص ١٨ - ٢٠.
(٣٧) لوريا، مصدر سبق ذكره، ص ٣.

باستثناء الجهة الغربية، وهي الجهة الأصعب للعبور حيث يقع وادي الطواحين السحيق والغابات والمسارب الجبلية.

أمّا بالنسبة إلى تزويد الحي اليهودي بالغذاء، فهو لم يتوقف قط، إلاّ إنه كان هنالك نقص في الفواكه والخضروات واللحم ومنتوجات الحليب. فقد كان يتم في السابق شراء القسم الأكبر من هذه المنتوجات من القرى العربية التي أصبحت هي الأخرى مهددة، في حين توفر الطحين بكميات كافية، حتى إن قسماً منه نقل إلى قوات البلماح المرابطة حول المدينة.[٣٨]

وفيما يتعلق بموضوع حركة السير، فمع أن العرب سيطروا على المدخل الرئيسي لصفد، المار بحارة الأكراد وساحة الميدان، إلاّ إن ذلك لم يمنع اليهود من الدخول والخروج بواسطة وسائل نقل مدرعة والتحرك في قوافل معززة الحراسة. وعلى الرغم من أن العرب قاموا بهجمات على الباصات على طريق صفد - روش بينا الذي استخدمه اليهود، فإن حركة السير إلى الحي اليهودي لم تنقطع قط طوال فترة المعركة.[٣٩]

في الواقع، عانى العرب بالمقدار نفسه الذي كان يعانيه اليهود، إن لم يكن أكثر، في مجال حركة النقل والمواصلات، إذ كان اليهود يطلقون النار ويعرقلون ويمنعون حركة السير متى شاؤوا على طريق عكا - صفد، الذي استخدمته وسائط النقل العربية. وكان إطلاق النار يتم من ثلاثة مواقع: الأول، من قاعدتهم العسكرية في عين زيتيم الواقعة على بعد أمتار من الجانب الشمالي لهذا الطريق؛ الثاني، من موقع عرف باسم «الموقع الأول» القريب من تلك القاعدة؛[٤٠] الثالث، من موقع شمالي الحي اليهودي كان يتحكم تماماً في مسار طريق عكا - صفد في الجزء الممتد بين قرية عين الزيتون وصفد.

يعترف إلعاد بيلد، قائد قوات البلماح في المدينة، بذلك بوضوح، ويشير إلى أنه عندما توقفت حركة السير من الحي اليهودي وإليه، توقفت أيضاً في الأحياء العربية التي تحيط بها من الشمال ثلاثة مواقع استيطان يهودي هي جبل كنعان وبيريا وعين زيتيم (أنظر خريطة أحياء صفد في الملحق رقم ٦).

وبالإضافة إلى ذلك استطاعت قوات البلماح أحياناً إغلاق طريق عكا - صفد من خلال نصب الكمائن والحواجز عليه. فعلى سبيل المثال، يشير موشيه كلمان إلى

---

(٣٨) بن - بازي، مصدر سبق ذكره، ص ٤٣.

(٣٩) على سبيل المثال، أصيب باص جرّاء انفجار لغم أرضي، فقتل ٨ من ركابه اليهود وجُرح ١٥ آخرون.

(٤٠) بيلد، مصدر سبق ذكره، ص ١٨ - ٢١.

أنه بعد هجومه على سعسع في ١٤ شباط/فبراير ١٩٤٨، وفي أثناء عملية الانسحاب نحو قاعدته في جبل كنعان، سدّ جنوده طريق عكا - صفد بالصخور ووضعوا الألغام.[٤١]

نظراً إلى صعوبة ومخاطر حركة السير اضطر السكان العرب في صفد، منذ بداية الصدامات، إلى السير على الأقدام أو ركوب البهائم في مسارب جبلية وعرة جداً على امتداد وادي الطواحين ولمسافة ٨ كم، ومن هناك حتى قرية ميرون، حيث تمكنوا من استخدام السيارات. وكانت هذه المسارب الشاقة الطريق الوحيد الذي أُجبر العرب على سلوكه في أثناء ترحيلهم الشامل عن مدينتهم.[٤٢]

من هنا نرى أن صعوبات السير كانت من نصيب قسمي المدينة، إلاّ إنه منذ احتلال عين الزيتون وبيريا في الأول من أيار/مايو، أي في الأيام التسعة الحاسمة للمعركة، اتصل الحي اليهودي بالكامل بالمستعمرات المجاورة وبظهيره الشمالي، الأمر الذي سنح له إدخال تعزيزات ومؤن من دون أية صعوبة، بينما بقي العرب محاصرين حصاراً صعباً؛ فعدا مسارب وادي الطواحين الوعرة والخطرة، لم يكن لديهم أي إمكان للاتصال بالعالم الخارجي.[٤٣]

رابعاً: موقف البريطانيين

في الفترة الواقعة بين قرار التقسيم وخروج البريطانيين من صفد، في ١٦ نيسان/أبريل ١٩٤٨، اتسم سلوك هؤلاء بحذر شديد. وكان الهدف الأساسي لقائد القطاع، الجنرال غوردون واطسون، الخروج من المدينة بسلام وتجنب تعريض حياة جنوده للمخاطر. فقد حاول الإعراب عن موقف محايد من الفريقين، وبقي على علاقة دائمة بهما عن طريق ضباط الارتباط.

لكن، على الرغم من ذلك، اتهم العرب البريطانيين بالميل إلى اليهود، واحتجوا على أنهم منعوهم من التحرك في مرحلة متقدمة ضد الموقعين اليهوديين في عين زيتيم وبيريا، وبذلك يكونون أفشلوا الخطة العربية الرامية إلى احتلالهما والربط بين صفد العربية وظهيرها القروي من جهة الشمال، وإزالة الخطر الذي شكله اليهود

---

(٤١) كلمان، مصدر سبق ذكره، ص ٩.

(٤٢) العسكري، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٦ - ١٣٧.

(٤٣) إلعاد بيلد، أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٨٠/٢٢٢، ص ٢٤ - ٢٥؛ مايبرغ، «في ظل القلعة»، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٠ - ١٩٣؛ العسكري، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٧.

على طريق عكا - صفد.

وكان أديب الشيشكلي، قائد جيش الإنقاذ في الشمال، طلب أكثر من مرة من الإنكليز السماح له بمهاجمة الموقعين، إلاّ إن قائد القطاع البريطاني رفض طلبه. فتوجه الشيشكلي إلى قادة القطاع الشمالي وقابلهم في ١١ نيسان/أبريل ١٩٤٨ طالباً مرة أُخرى السماح له بالهجوم، لكنهم أعلموه بأنه يمكنه عمل ذلك فقط بعد انسحابهم.(٤٤) كما اتهم قادة الهاغاناه، من جانبهم، البريطانيين بممارسة ضغوط متعددة على يهود المدينة عن طريق لجنة الجالية اليهودية. وبحسب أقوال مئير مايبرغ، قائد الهاغاناه، اقترح البريطانيون في الجلسات التي تمت بين ممثلي اللجنة والضباط البريطانيين، بتاريخ ١٢ و١٤ نيسان/أبريل، إخلاء اليهود لعدد من المواقع التي تطل على الأحياء العربية، وكذلك إجلاء قوات الهاغاناه من موقعي عين زيتيم وبيريا في مقابل تعهد عربي بسلامة السكان اليهود.

ووفقاً لمايبرغ، توجه القائد البريطاني إلى ممثلي اللجنة باقتراحه قائلاً: «إذا أردتم فسأتوسط بين العرب واليهود في صفد، وأحضر لكم كفيلاً عربياً يضمن حقوقكم الإنسانية والمدنية ونحن نكفل ذلك.»(٤٥)

ثمة مَنْ يعتقد أن المقترحات البريطانية صدرت، في الأساس، عن جهات عربية، وقام واطسون بنقلها في مقابل تعهد من قائد جيش الإنقاذ ووجهاء المدينة العرب بعدم التعرض لحياة يهود صفد وأملاكهم.(٤٦)

رفض قادة الهاغاناه هذه الاقتراحات بشدة، واتهموا البريطانيين بالقيام بحرب أعصاب ضدهم عن طريق «نصائحهم» التي أوحت بأن المعركة ضد العرب خاسرة، وبأنه من الأفضل لليهود ألاّ يحاربوا، وإن قرروا الحرب فمن الأفضل ترحيل الأولاد والنساء والشيوخ. كما اتهمت الهاغاناه البريطانيين بأنهم يحاولون تليين موقف اليهود و«تهيئتهم للاستسلام طوعاً».(٤٧)

إزاء إلحاح البريطانيين، وبعكس رغبة قادة الهاغاناه، وافقت أغلبية أعضاء لجنة الجالية اليهودية في جلستها صباح ١٦ نيسان/أبريل على الاستجابة للاقتراح البريطاني

---

(٤٤) الخضراء، مصدر سبق ذكره، ص ٣؛ بن - بازي، مصدر سبق ذكره، ص ٥٤؛ العسكري، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٥ - ١٣٠.

(٤٥) مايبرغ، «في ظل القلعة»، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣٢ - ٢٣٣؛ همئيري، مصدر سبق ذكره، ص ٦٢ - ٦٤؛ بن - بازي، مصدر سبق ذكره، ص ٤٥.

(٤٦) بن - بازي، مصدر سبق ذكره، ص ٥٥.

(٤٧) مايبرغ، «صفد من الحصار...»، مصدر سبق ذكره، ص ١٣.

بترحيل الأولاد والنساء إلى مدن تل أبيب أو حيفا أو طبرية. لكن هذا القرار جوبه بمعارضة شديدة من قادة البلماح الذين تدخلوا بصرامة ومنعوا كل اتصال بالجيش البريطاني، وقالوا إذا رحلنا الأولاد والنساء فلن يكون هناك من ندافع عنه، وستبدأ الهزيمة اليهودية فوراً.(٤٨)

في سياق آخر، يشير إلعاد بيلد إلى أن البريطانيين أجروا أعمال تفتيش، وقاموا بمصادرة سلاح في الحي اليهودي، هذا إضافة إلى ترويج شائعات عن كبر حجم القوات العربية، الأمر الذي أضعف معنويات السكان اليهود.(٤٩)

على الرغم من هذه الأقوال والضغوط فإن القادة اليهود الثلاثة، مايبرغ وبيلد وكلمان، اعترفوا بأن البريطانيين أيدوا اليهود في عدة حالات، وفي أمور مصيرية بالنسبة إليهم. أشار مايبرغ إلى أن جنود الوحدة الإيرلندية، التي شكلت جزءاً من القوات البريطانية في المدينة، وعلى رأسهم الكابتن لمبرت، ضابط الارتباط البريطاني مع الهاغاناه، قاموا بمساعدة الهاغاناه سرّياً وتعاونوا معها في عدة مجالات.(٥٠)

ويعطي إلعاد بيلد مثالاً آخر للدعم البريطاني، فيقول إن الجيش البريطاني ساعد أحياناً القوات اليهودية في قاعدة عين زيتيم في صد الهجمات العربية، الأمر الذي عزز إمكان صمود هذه القاعدة الاستراتيجية بالنسبة إلى اليهود، والتي ضمت ٣٠ - ٤٠ عنصراً من قوات البلماح. ويضيف بيلد قائلاً إنه في إحدى الهجمات تدخّل البريطانيون لمصلحة اليهود، وقد جرح أحد عناصرهم. كذلك، اهتم البريطانيون بإجلاء الجرحى اليهود، ونقلوا المؤونة والغذاء والماء إلى قاعدة البلماح في جبل كنعان، وإلى السكان اليهود في صفد.(٥١)

ويشير كلمان إلى أن البريطانيين ساعدوا قواته في أثناء عودتها من عملية قرية سعسع في ١٤ شباط/فبراير ١٩٤٨، ونقلوا جريحين من جنوده إلى المستشفى، وعبروا عن تقديرهم لِ «العملية البارعة» بحسب قوله، وأنه لا توجد لديهم أية معارضة إذا قام عناصر البلماح بعمليات أُخرى من هذا القبيل مستقبلاً.(٥٢)

من هنا نرى أنه عدا الضغوط لإجلاء النساء والأولاد، فإن موقف البريطانيين من

---

(٤٨) بيلد، أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٨٠/٢٢٢، ص ٥٩؛ بن - بازي، مصدر سبق ذكره، ص ٥٧ - ٥٨.

(٤٩) بيلد، أرشيف جيش الدفاع الإسرائيلي، ملف رقم ٧٥/٩٢٢/٢١٤، ص ٨.

(٥٠) مايبرغ، «في ظل القلعة»، مصدر سبق ذكره، ص ١٦١ - ١٦٣.

(٥١) بيلد، أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٨٠/٢٢٢، ص ٢٢.

(٥٢) كلمان، مصدر سبق ذكره، ص ٩.

اليهود لم يكن سلبياً كما وصفته المصادر العبرية. وفي المقابل فإن الطرف العربي لم يحظَ بأية مساعدة، وإنما على العكس، ففي كثير من الحالات اضطرت القوات العربية إلى التراجع بعد تدخل عسكري بريطاني مباشر إلى جانب اليهود، كما يشهد على ذلك قادة البلماح.

خامساً: معركة الاستنزاف

كان نيسان/أبريل من أصعب الشهور التي عاشتها مدينة صفد في إبان فترة الحرب. فمع أن تاريخ رحيل البريطانيين عن المدينة لم يكن معروفاً، إلاّ إن الجانبين شعرا باقترابه، ولذا كان عليهما تعزيز المواقع والاستحكامات مسبقاً.

في الرابع من نيسان/أبريل احتدمت المعارك على خطوط التماس، حيث تتجاور البيوت العربية واليهودية. ومنذ ذلك التاريخ فصاعداً أصبحت الصدامات أمراً يومياً،(٥٣) إلى أن بلغ التوتر أوجه في الخامس عشر من الشهر نفسه، حين أجرى قادة الهاغاناه الاستعدادات الأخيرة للمعركة وأعلنوا «خطة الصمود الأخير» التي كانت أُعدت من قبل، إذ رُحّل سكان خطوط التماس، وتم تخزين الغذاء والمحروقات والحاجات الضرورية الأخرى.

وفي اليوم نفسه هاجمت القوات العربية المدرسة المهنية الصناعية التي كانت أحد المواقع الأمامية والمهمة لقوات الهاغاناه، وكانت تطل على حارة الأكراد وساحة الميدان وعلى مداخل الأحياء العربية شرقي المدينة. وبعد معارك ضارية اضطرت قوات الهاغاناه إلى إخلاء الموقع.(٥٤) وقد سارعت اللجنة القومية لعرب صفد إلى زف بشرى هذا التطور إلى فوزي القاوقجي، وطلبت منه أن يرسل على عجل «قوات الإنقاذ» لإكمال السيطرة على المدينة. كما أبرقت إلى صبحي الخضراء، الذي كان في مدينة مرسى مطروح في مصر، بمهمة شراء السلاح. وقد جاء في البرقية: «أبطال صفد استولوا على مركز بوليس كنعان ومركز [بوليس] البلد ودوار الحاج فؤاد الخولي والقلعة وفندق رزق ونسفوا مدرسة الطلائع، الحالة بصفد جيدة ولله الحمد.» توقيع سعيد وعوض.(٥٥)

---

(٥٣) مايبرغ، «في ظل القلعة»، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٠ - ٢٢٥؛ همئيري، مصدر سبق ذكره، ص ٥٨ - ٦١.

(٥٤) مايبرغ، «صفد من الحصار...»، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣.

(٥٥) من اللجنة القومية إلى الشيشكلي، أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم ف/٣٩٠١/٤١٣، وثيقة بتاريخ ١٥/٤/١٩٤٨؛ من اللجنة القومية إلى صبحي الخضراء، وثائق صبحي الخضراء، وثيقة رقم ٥٠٣، مرسى مطروح، ١٨/٤/١٩٤٨.

في يوم الجمعة الواقع فيه ١٦ نيسان/أبريل، يوم انسحاب البريطانيين، بلغ التوتر ذروته. فقد أعلن قائد البلماح في المدينة، إلعاد بيلد، حالة تعبئة وتأهب تامين. وفي الساعة الثالثة بعد الظهر انسحب البريطانيون تاركين خلفهم مدينة مقسمة يسودها جو من البغضاء والكراهية. وقد أكمل البريطانيون انسحابهم بسرعة، فأخلوا أولاً مركز البوليس في المدينة الواقع في شارع الملك فيصل، ثم مركز البوليس والقاعدة الكبرى في جبل كنعان. وبما أن هذين المركزين يقعان في الأحياء العربية، فقد نجحت القوات العربية في السيطرة عليهما حالاً بعد انسحاب البريطانيين من دون أي صعوبات.

سيطرة العرب على الموقعين أشعرتهم بكثير من الثقة. ومع خروج آخر الجنود البريطانيين اندلع في المدينة تبادل إطلاق نار كثيف، وابتدأت المعركة بشأن صفد، والتي استمرت ٢٤ يوماً حتى العاشر من أيار/مايو ١٩٤٨.

كانت معركة صفد مريرة ودامية، فقد اعتبرها الجانبان معركة مصيرية. وقد وصفها موشيه كلمان، قائد الكتيبة الثالثة للبلماح، الذي حسم المعركة في نهاية المطاف لمصلحة اليهود، بقوله:

> صفد كانت مركز الأعصاب والنشاط للعدو في الجليل، وبشكل ما رمزاً لعرب البلد عامة. وكان من الواضح أنه إذا نجحنا في احتلالها فستتصدع كل قاعدة الوجود الأمني للقرى العربية في الجليل، وتنتقل السيطرة على الجليل الشرقي بكامله إلينا بسهولة تامة.[٥٦]

ويبدو من أوصاف المصادر العبرية أن سكان الحي اليهودي كانوا على ثقة بأنه لو تمكن العرب من الانتصار ودخول الحي اليهودي فإن كارثة كانت ستحل بهم. وبالنسبة إليهم لم تكن هذه المعركة مجرد نزاع عابر، على غرار نزاعات أُخرى مرت من قبل.

هذه المصادر تطفح بالأوصاف القاتمة والقائلة بأنه لولا انتصار اليهود لكان العرب قتلوا سكان الحي اليهودي. الحاخام زايده هيلر، أحد الحاخامين البارزين آنذاك في المدينة، وصف وضع اليهود بقوله: «جزيرة يهودية صغرى في قلب بحر عربي، أمواجه الحاقدة تتدفق عليها بغضب وإصرار لإزالتها وإبادتها من الوجود.»[٥٧]

يشعياهو عشني، الذي شارك في معارك صفد، قال: «معركة تحرير صفد هي مثال جديد لحرب داود ضد جُليات في القرن العشرين، وإذا، لا قدّر الله، كانت القوات العربية تمكنت من اختراق الحي اليهودي فإنها كانت ستذبح الجميع.»[٥٨]

---

(٥٦) كلمان، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢؛ غلعاد، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٢٧٨.

(٥٧) هيلر، مصدر سبق ذكره، ص ٥.

(٥٨) يشعياهو عشني، «تعال معي إلى صفد» (بالعبرية)، (صفد: لا دار نشر، لا تاريخ)، ص ٢٧.

مايبرغ، قائد الهاغاناه في المدينة، وصف المعركة وتأثيرها في اليهود قائلاً: «كان هذا صموداً قلقاً دائماً أمام ضغط لا يكاد يتوقف لأسابيع وشهور... يخامرك خلاله شعور واضح في كل وقت وكل ساعة بأن الإبادة ستحل بك.»[٥٩]

هذه الأوصاف القاتمة تنطوي على كثير من المبالغة. فمع أن المعركة كانت صعبة حقاً، إلاّ إن التفوق في كل مراحلها تقريباً كان لمصلحة اليهود. وقد عرف قادة البلماح ميزان القوى جيداً، ولم يخشوا توقعات رهيبة كهذه. وكانت إحدى القضايا التي جابهتهم إقناع قادة الحي اليهودي وأعضاء لجنة الجالية اليهودية بأن لا مجال للقلق، وبأن الحي ليس «مساده» أُخرى، ولن يسقط أبداً في يد العرب.

أجواء القلق والخوف سادت أيضاً الوسط العربي جرّاء الأخبار الواردة عن التطورات في المناطق الأُخرى من فلسطين، إلاّ إنهم رفضوا تصديق أن في المدينة والمنطقة ذواتي الأكثرية العربية الساحقة سيكون النصر لليهود.

بهدف دعم القوات اليهودية المرابطة في صفد أُرسلت ليلة ١٦ نيسان/أبريل وحدة من قوات البلماح المرابطة في جبل كنعان بقيادة إلعاد بيلد. ضمت هذه الوحدة ٣٥ جندياً، دخلوا المدينة بسرعة، وشاركوا في المعارك الضارية التي اندلعت بعد خروج البريطانيين.[٦٠] ويعتقد مايبرغ أن دخول هذه القوات هو الذي أنقذ يهود صفد.[٦١] وتسلّم إلعاد بيلد، الذي عُرف بلقب «كنعاني»، القيادة من مايبرغ الذي كان حتى ذلك الوقت قائد قوات الهاغاناه. وفي ١٨ نيسان/أبريل، أصدر بيلد منشوراً إلى يهود المدينة أعلن فيه فرض الحكم العسكري في الحي، وطلب من الجميع الخضوع التام.[٦٢] إضافة إلى ذلك، أصدر أمراً بتجنيد شامل يضم الرجال الذين تتراوح أعمارهم ما بين ١٥ عاماً و٥٠ عاماً، ويضم النساء جميعاً من سن ١٥ سنة إلى ٣٥ سنة.[٦٣] وكان تجنيد النساء في جالية محافظة خطوة بعيدة المدى، إلاّ إنه قوبل بالتفهم. كذلك أجاز حاخامو صفد للسكان القيام بأعمال التحصين والبناء يوم السبت وفي عيد الفصح الذي حل خلال الحرب.

---

(٥٩) مايبرغ، «صفد من الحصار...»، مصدر سبق ذكره، ص ٢.

(٦٠) همئيري، مصدر سبق ذكره، ص ٨٠ - ٨١؛ مايبرغ، «في ظل القلعة»، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥٥ - ٢٧٢؛ ناتان شور، «تاريخ صفد» (بالعبرية)، (تل أبيب: لا دار نشر، ١٩٨٩)، ص ٢٥٩؛ بن - بازي، مصدر سبق ذكره، ص ٦١ - ٦٢.

(٦١) مايبرغ، «صفد من الحصار...»، مصدر سبق ذكره، ص ٣٣.

(٦٢) بيلد، أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٨٠/٢٢٢، ص ٣٨.

(٦٣) المصدر نفسه، ملف رقم ٨٠/٢٢٢، ص ٤٢.

في المجال العسكري، وبعد فشل الهجوم العربي يوم ١٦ نيسان/أبريل، بدأت مرحلة جديدة في حرب الاستنزاف المتبادلة. وفي المقابل استمر الفريقان في الاستعداد للمعركة الحاسمة المقتربة. وقد عبر إلعاد بيلد عن ثقته بتحقيق الانتصار في أمره اليومي، الصادر في ١٩ نيسان/أبريل، إذ قال:

> يا محاربي صفد قفوا صامتين وتذكروا إخوتكم الذين سقطوا، ولتتذكر جميعاً أننا سنتفوق على العدو إنْ تضافرت جهودنا وتشابكت أيدينا، المعركة ضارية، إلاّ إن النصر حليفنا. في النهاية سيخفق علم إسرائيل الذي أزيل في حرب الغيتو مجدداً على قلعة صفد، عاصمة الجليل ستكون لنا.(٦٤)

سادساً: قوات الكتيبة الثالثة في مواجهة قوات فوج اليرموك

● عملية احتلال وتدمير قرية عين الزيتون وأبعادها

كانت الكتيبة الثالثة إحدى كتائب البلماح الأربع التي نظمها اليهود في فلسطين في تلك الآونة.(٦٥) وبلغ عدد قواتها ٩٣٠ رجلاً انتشروا في الجليل الأعلى الشرقي والحولة ومنطقة صفد. هذه القوات هي التي حسمت مصير الجليل الشرقي، واحتلت صفد وتغلبت على قوات جيش الإنقاذ والمدافعين العرب من سكان المنطقة.(٦٦)

وفي المقابل خاضت المعارك قوات فوج اليرموك الثاني التي وصلت إلى فلسطين في إطار قوات جيش الإنقاذ.(٦٧) وقد بلغ عدد أفرادها نحو ٤٣٠ متطوعاً من البلاد العربية المجاورة.

---

(٦٤) المصدر نفسه، ملف رقم ٨٠/ ٢٢٢، ص ٥٥.

(٦٥) من الجدير بالذكر أن عدد كتائب البلماح تغير فيما بعد، فمثلاً في ١ أيار/مايو، وخلال عملية يفتاح، تم توحيد الكتيبتين الأولى والثانية وشُكِّل لواء يفتاح. بشأن مبنى قوات البلماح، أنظر: سلوتسكي، مصدر سبق ذكره، ج ٣، قسم ٢، ص ١٤٨٦ - ١٤٨٧، ١٤٩٠ - ١٤٩١.

(٦٦) المصدر نفسه، ص ١٤٨٦.

(٦٧) للمزيد من التفصيلات عن بنية جيش الإنقاذ، أنظر: هاني الهندي، «جيش الإنقاذ» (بيروت: دار القدس، ١٩٩٢)؛ أبراهام سيلع، «القوات العربية غير النظامية»، في: «محاربة العرب في حرب الاستقلال، ١٩٤٧ - ١٩٤٨» (بالعبرية)، (لا مكان: مركز دراسة تاريخ الهاغاناه، ١٩٩٠)، المجلد ٩، ص ٥ - ١٨؛ عبد الكريم عمر (تحرير)، «مذكرات الحاج محمد أمين الحسيني» (سوريا: مطبعة الأهالي، ١٩٩٩)، ص ٣٤٣.

عبرت قوات جيش الإنقاذ الحدود الفلسطينية ما بين ٩ و١٣ كانون الثاني/يناير ١٩٤٨، بقيادة أديب الشيشكلي، وانتشرت في مناطق متعددة من الجليل. في البداية، اتخذت القيادة من قرية الصفصاف، التي تبعد ١١ كم شمالي غربي صفد، مقراً لها.[٦٨]

وكان الشيشكلي أجرى منذ دخوله فلسطين عدة اتصالات بالبريطانيين، تعهد خلالها بالامتناع من إدخال قواته صفد ما دام لم ينسحب الجيش البريطاني منها. وعليه، انتظرت هذه القوات حتى ١٦ نيسان/أبريل حين تمكنت من الدخول عن طريق مسارب وادي الطواحين الوعرة.

ضمت هذه القوات مجموعة متطوعين سوريين تراوح عددها بين ٧٠ و٨٠ جندياً بقيادة هاشم العظم وعبد الحميد السراج، ومجموعة متطوعين أردنيين بلغ قوامها ١١٢ جندياً بقيادة ساري الفنيش ومساعده إميل جميعان.[٦٩]

بعد دخول قوات جيش الإنقاذ المدينة عيَّن الشيشكلي ساري الفنيش قائداً أعلى للقوات العربية في صفد، وطلب من اللجنة القومية أن تتعاون معه. يبدو أن هذا التعيين أثار خيبة أمل لدى إحسان كم الماز الذي قاد قوات حامية صفد منذ وصوله إلى المدينة في السابع من كانون الثاني/يناير ١٩٤٨. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، فقد أخذ إحسان ورجاله يعملون منفردين من دون تنسيق مع القائد الجديد، إذ هاجموا الحي اليهودي، في ٢٨ نيسان/أبريل ١٩٤٨، من غير موافقة ساري، الأمر الذي أدى إلى وقوع خسائر بين العرب.[٧٠] أثار هذا العمل حفيظة ساري، وسرعان ما تحول الغضب إلى خلاف حاد بين الرجلين، إذ طلب ساري من كم الماز أن يمتنع كلياً من أي نشاط من دون الحصول على أوامر واضحة منه.

لم يكن كم الماز ورجاله على استعداد للخضوع لتعليمات القائد الجديد، فقد اتهموه بعدم المبادرة. وكردة فعل قرر ساري إبعاده عن صفد. وفعلاً، في ٢٩ نيسان/أبريل، غادر كم الماز المدينة مع مجموعة من محاربيه. لكن قبل مغادرته،

---

(٦٨) جادو عز الدين، «سقوط مدينة صفد: من مذكرات حرب فلسطين (جيش الإنقاذ)»، مجلة «شؤون فلسطينية»، رقم ٢١، أيار/مايو ١٩٧٣، ص ٩٢ - ٩٣.

(٦٩) المصدر نفسه، ص ٩٥؛ الخضراء، مصدر سبق ذكره، ص ١ - ٦؛ عارف العارف، «نكبة فلسطين والفردوس المفقود، ١٩٤٧ - ١٩٥٢» (لا مكان: دار الهدى، لا تاريخ)، ج ١، ص ٣٠٢ - ٣٠٣.

(٧٠) الخضراء، مصدر سبق ذكره، ص ١ - ٦؛ مايرغ، «في ظل القلعة»، مصدر سبق ذكره، ص ٢٩٩ - ٣٠٠.

وبحسب رواية يسار العسكري، توجه إحسان إلى أهل صفد، الذين ألحّوا عليه في البقاء قائلاً: «يا أهالي صفد ودّعوا بلدكم فسوف يسلمها ساري وإميل إلى اليهود قريباً.»[٧١]

لا يوجد لدينا من أي مصدر آخر إثبات أو دليل على هذه الأقوال، إلاّ إنها تشير لا شك إلى عدم الثقة بين القائدين، إلى درجة أن كم الماز اتهم ساري بالخيانة والاستعداد لتسليم المدينة لليهود.

بذل ساري جهوداً كبيرة للسيطرة على المدينة، فأعلن فرض الحكم العسكري، وهدد بإعدام كل من يخالف التعليمات. كما طالب الأهالي بالبقاء في بيوتهم، وكل من يتجرأ على الرحيل عن المدينة سيخاطر بنفسه وتصادر أملاكه ويُفجر بيته. وقد جاء في الإعلان:

> إعلان هام مكتب قيادة لواء صفد ٤٨/٤/٢٥، أعلن للجميع بأن منطقة صفد اعتباراً من الساعة السادسة من صباح اليوم الواقع في ٤٨/٤/٢٦ أصبحت تطبق فيها الأحكام العرفية. بموجب هذا الإعلان لا يجوز مطلقاً المراجعة والتلكؤ في إطاعة الأوامر وكل من يهرب من إطاعة الأوامر سوف يعرض نفسه للقتل، وكل من يرحل من المدينة يعرض نفسه للقتل وتصادر أمواله وينسف بيته.
>
> توقيع الرئيس ساري قائد منطقة صفد.[٧٢]

يدل بلاغ ساري على أن بعض السكان العرب بدأوا، في هذه المرحلة، بالجلاء عن المدينة، إذ رأوا أنه حتى في هذا الوضع المصيري لم تنجح القوات العربية في توحيد صفوفها. كما يشير البلاغ إلى حالة من عدم الانضباط والارتباك لدى السكان العرب الذين استاؤوا من معاملة ساري وتصرفاته. وبالإضافة إلى كل ما ذكر، فقد أصدر ساري أوامره إلى السرايا الخمس التي نظمتها اللجنة القومية المحلية، وطالبها وأهالي المدينة بالمساهمة في المعركة وفقاً للخطة التي أعدها.[٧٣]

الآن، وبعد أن أنهت قوات الجانبين الاستعداد، بدأت المرحلة الأخيرة للمعركة التي دامت من ٢٠ نيسان/أبريل حتى ١٠ أيار/مايو ١٩٤٨.

في الأيام الأولى بعد الانسحاب البريطاني، كانت معنويات القوات العربية

---

(٧١) العسكري، مصدر سبق ذكره، ص ١٣١؛ عمر، مصدر سبق ذكره، ص ٥٠٤ - ٥٠٥.

(٧٢) من ساري إلى سكان صفد، أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم ف/٣٤٠٤/٤٠٠، وثيقة بتاريخ ١٩٤٨/٤/٢٥.

(٧٣) من ساري إلى قادة السرايا، أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم ف/٣٤٧٦/٤٠١، وثيقتان بتاريخ ١٩٤٨/٤/٢٦، ١٩٤٨/٤/٢٨.

عالية، وذلك على الرغم من فشلها في هجوم ١٦ نيسان/أبريل. وتدل على ذلك المراسلات بين القادة المحليين والشيشكلي. ففي ١٧ نيسان/أبريل، بعث كم الماز ببرقية إلى الشيشكلي جاء فيها: «المعنويات قوية جداً، الشباب يلتهب بنار الحماس، سنذبحهم شر ذبحة.» وفي برقية أُخرى كتب: «من قائد حامية صفد إلى المقدم أديب بك، لا شيء يستحق الذكر، مناوشات محلية، اليهود يطلقون قنابل الهاون بهدف تخليص ذخيرتنا.»(٧٤) وفي ١٩ نيسان/أبريل، أرسل إميل جميعان، مساعد ساري، برقية إلى الشيشكلي جاء فيها: «المناوشات جارية، حالة البلد طيبة، المعنويات قوية، أصيب أفراد من البلد بفعل رصاص المعتدين.»(٧٥)

فايز خالد قدّورة، قائد إحدى السرايا التي نظمها عرب صفد، يشير إلى أنه كان بين العرب مَنْ اعتقد أنه يمكن التغلب على اليهود بالعصي والحجارة.(٧٦)

هذه الأقوال، ولا سيما أقوال كم الماز الذي كان متأكداً من انتصاره، تدل على استهانة تامة بقوات الهاغاناه والبلماح، وعلى عدم وجود المعلومات الكافية عن عددها وقوتها.

حالة التفاؤل العربي هذه أخذت تتغير سريعاً، فهنالك تقارير كثيرة منذ ٢١ نيسان/أبريل عن قيام جنود بترك مواقعهم والفرار. وهناك أيضاً برقيات من قائد حامية صفد يطالب بتوقيف هؤلاء الجنود ومعاقبتهم. إلاّ إن الأمر لم يجد نفعاً، واستمر الفرار. وكانت أغلبية الفارين من المتطوعين الأردنيين، وقلة من المتطوعين السوريين.(٧٧)

نشير إلى أنه في ٢١ نيسان/أبريل زار صفد ومنطقتها قائد البلماح يغآل ألون متفقداً الوضع العسكري عن كثب. وحين عودته إلى تل أبيب أوصى أمام القائدين يغئيل يادين ويسرائيل غاليلي بضرورة اتخاذ عدة إجراءات في إطار الخطة د، منها

---

(٧٤) من كم الماز إلى الشيشكلي، أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم ف/ ٤١٣/٣٩٠١، وثيقة بتاريخ ١٧/ ٤/ ١٩٤٨.

(٧٥) من إميل إلى الشيشكلي، أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم ف/ ٣٦٨/٢٣٩٣، وثيقة بتاريخ ١٩/ ٤/ ١٩٤٨.

(٧٦) Nafez Nazzal, *The Flight of the Palestinians from Galilee, 1948: An Historical Analysis*, Ph.D. Dissertation (Washington D.C.: Georgetown University, 1974), pp. 1-15 (Micro. 747, University of Haifa).

(٧٧) راجع البرقيات بهذا الخصوص من صفد إلى الشيشكلي، أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم ف/ ٣٦٨/٢٣٩٣، وثائق بتاريخ ٢١/ ٤/ ١٩٤٨، ٢٥/ ٤/ ١٩٤٨، ٣٠/ ٤/ ١٩٤٨، ملف رقم ف/ ٤١٣/٣٩٠١، وثائق بتاريخ ٢٤/ ٤/ ١٩٤٨، ٢٥/ ٤/ ١٩٤٨، ٢٦/ ٤/ ١٩٤٨، ١/ ٥/ ١٩٤٨.

ضرورة البدء بـ «إقلاق صفد العربية من أجل الإسراع في إخلائها.»[٧٨]

وبالإضافة إلى فرار بعض الجنود العرب، شرع بعض سكان المدينة في مغادرتها، الأمر الذي أدى، كما أشرنا، إلى أن ينشر قائد قوات جيش الإنقاذ، ساري الفنيش، بياناً يهدد فيه بأن كل من يترك المدينة يخاطر بنفسه وستصادر أملاكه ويفجر بيته.[٧٩] من المشكوك فيه إذا كان لتهديدات ساري أي أثر في السكان المذعورين.

ونجد شهادة أُخرى على صعوبة وضع القوات العربية في الرسالة السرّية المستعجلة من ساري إلى قائده الشيشكلي يقول فيها:

مكتب قيادة لواء صفد ٤٨/٤/٢٦، مكتوم ومستعجل جداً
لحضرة الفاضل آمر فوج اليرموك الثاني المحترم

بدأ العدو يعزز قواه في كنعان وصفد وإن عدداً كبيراً من الهاغاناه قد دخل الجبل والمدينة في الليل، كما وأن ذخائر بكميات كبيرة قد وصلت إليهم، وقد قاوم جنودنا المرابطون في مركز البوليس بكنعان القافلة التي أحضرت إليهم الذخيرة، ولكن كان ذلك دون جدوى حيث أن جميع القافلة كانت من نوع المصفحات التي لا يمكن أن تتأثر من نيران البنادق والرشاشات. تمكن العدو اليوم من إيصال الذخائر بالقافلة التي يربو عددها عن التسع مصفحات وعادت نفس الطريق الذي جاءت منه. إننا قاومناهم بحالة المجيء والعودة، إنما لم تتأثر وقد نسفنا الجسور الهامة الواقعة على الطريق المؤدية للجاعونة قبل مجيء هذه القافلة ولكن اليهود قد استعملوا الجسور الخشبية لمرور القافلة تعززهم القوة التي تمركزت في الجبل من الجهة الشمالية الشرقية، ومن موقع الغابات.

إن الحالة في صفد تتطلب إرسال قوة وذخيرة كبيرة وقد ذكرت الأنواع اللازمة من الذخيرة والمتفجرات على اختلاف أنواعها وذلك في كتابنا الذي أرسلناه إليكم اليوم راجياً سرعة تلبية طلبنا نظراً للحالة وحراجة الموقف سيدي.

الرئيس ساري قائد منطقة صفد[٨٠]

النقص في الذخيرة والوسائل القتالية التي كانت تنقل بصعوبة بالغة على ظهور البغال عبر وادي الطواحين، كان إحدى القضايا الصعبة التي واجهت قوات جيش الإنقاذ في

---

(٧٨) موريس، «ولادة مشكلة اللاجئين...»، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٣.
الخطة د هي خطة شاملة وضعتها الهاغاناه، وتضمنت المهمات والأهداف العسكرية وكيفية السيطرة على المناطق والنقاط الحيوية كمفارق الطرق والتجمعات العربية في منطقة الجليل، وكيفية التعامل معها لاحقاً.

(٧٩) من ساري إلى سكان صفد، أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم ف/٣٤٠٣/٤٠٠، وثيقة بتاريخ ٢٥/٤/١٩٤٨.

(٨٠) من ساري إلى الشيشكلي، أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم ف/٣٤٠٣/٤٠٠، وثيقة بتاريخ ٢٦/٤/١٩٤٨.

المدينة. ومنذ بداية أيار/مايو لم يتوقف ساري عن إرسال برقيات طالباً العتاد. وفي الرابع من الشهر نفسه، أي قبل خمسة أيام من المعركة الحاسمة، أعلن ساري لقائده أن الذخيرة نفدت، وطلب اتخاذ إجراءات عاجلة.(٨١)

في هذه الأثناء، وإزاء الوضع المتردي للقوات العربية، قرر موشيه كلمان إدخال قواته ساحة المعركة. فنقل إلى جبل كنعان ثلاث سرايا من الكتيبة الثالثة، إضافة إلى السرية السابقة التي كانت تمركزت هناك منذ مدة، وقامت بعدة عمليات قادها هو ضد القرى العربية في المنطقة، كما أشرنا سابقاً.(٨٢)

جاء تحريك قوات كلمان إلى صفد في أعقاب هجومه الفاشل على قاعدة شرطة النبي يوشع في ٢٠ نيسان/أبريل ١٩٤٨، حيث خسر المعركة وفقد ٢٢ من رجاله. لذا قرر القيام بهذه العملية المستعجلة التي برّرها بقوله:

> كي تمحو طعم الهزيمة وتبني من جديد الثقة بالنفس التي لها دورها المهم بالنسبة إلى الوحدات المقاتلة، وجرّاء هذه الاعتبارات كلها توصلت إلى النتيجة وقررت الهجوم على صفد.(٨٣)

بعد إنهاء الاستعدادات المكثفة ونقل الوسائل القتالية والذخيرة من روش بينا، وبعد الحصول على موافقة يغآل ألون، صدرت الأوامر إلى قوات البلماح بالتحرك نحو صفد. بدايةً، كان لا بد من احتلال قرية عين الزيتون، التي وصفها كلمان بـ «قرية القتلة»، من دون أن يفسر لماذا، وذلك ليتسنى له الارتباط مباشرة بالحي اليهودي.

في ساعات الصباح الباكرة من يوم ١ أيار/مايو، تحركت قوات الكتيبة الثالثة بإمرة كلمان مزودة براجمات من طراز دافيدكا أُدخلت المعركة أول مرة. وبعد عملية قصف مكثف هاجمت القوات قرية عين الزيتون ودخلتها من دون مقاومة تذكر. وفي الوقت نفسه هاجمت قوات الكتيبة قرية بيريا المحاذية لصفد من الشمال واحتلتها.(٨٤)

(٨١) من ساري إلى الشيشكلي، أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم ف/٢٣٩٣/٣٦٨، وثائق بتاريخ ١/٥/١٩٤٨، ٣/٥/١٩٤٨، ٤/٥/١٩٤٨.

(٨٢) كلمان، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢.

من الجدير بالذكر أنه اعتباراً من أواخر أيلول/سبتمبر، عُيِّنَ كلمان قائداً للكتيبة الثالثة في البلماح بدلاً من شموئيل كوهين، ومباشرة بدأ الاستعداد لمعركة صفد.

(٨٣) المصدر نفسه.

(٨٤) أرشيف جيش الدفاع الإسرائيلي، ملف رقم ٧٥/٩٢٢/١٢٢٦، ص ١٢١/٢؛ همئيري، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٤ - ١٢٩؛ موريس، «ولادة مشكلة اللاجئين...»، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٣؛

Nazzal, op. cit., pp. 103-106.

أراد كلمان استغلال وقع احتلال قرية عين الزيتون لبث الذعر بين عرب صفد، إذ جاء في شهادته: «قررت تفجير مباني القريتين نهاراً [بيريا وعين الزيتون]، بيتاً بيتاً، كي يرى سكان صفد العرب الذين جلسوا على السفح المقابل ما الذي سيحل بهم.» وأضاف أنه أصدر أوامره بالبدء بتفجير البيوت طبقاً للتخطيط.[٨٥]

في تقرير كلمان الذي رفعه إلى القيادة في الثاني من أيار/مايو، كتب: «أُخليت بيريا بعد جولة عنيفة. ونحن نحرس عين الزيتون بواسطة دوريات نقوم بها في القرية ونبيد ما تبقى.»[٨٦]

وفعلاً، فإن هدم القريتين حقق هدفه، وكان له تأثير سلبي في عرب صفد كما سنرى لاحقاً. وكتبت جريدة «صوت صفد» العبرية أن تدمير عين الزيتون هو «أخذ الثأر من عرب عين الزيتون الذين امتازوا بقسوتهم في أحداث سنة ١٩٢٩. الجناة نالوا عقابهم.» وكان شعار العملية «ثأر غدعون».[٨٧]

وصف إلعاد بيلد ما حدث في عين الزيتون بقوله:

> عند الظهيرة شرع رجالنا في تدمير القرية. نشوة النصر بهرت عيون الرجال الذين عربدوا وكسروا الأملاك وأتلفوها. رأى يهود صفد عين الزيتون تتفجر مستسلمة، ففرحوا كثيراً، وهذا كان الأخذ بالثأر بعد المجازر التي قام بها عرب عين الزيتون ضدهم وضد أهالي عين زيتيم.[٨٨]

يشير بِني موريس إلى أن قوات البلماح لم تكتف خلال ذلك «الثأر» بهدم القرية فحسب، بل أطلقت النار وقتلت أيضاً، بأوامر القائد كلمان، ٧٠ أسيراً تقريباً، منهم على ما يبدو نحو ٣٧ من شباب القرية الأسرى.

وجدنا إشارة إلى هذه المذبحة في يوميات الحرب، فقد ورد في التقرير اليومي

---

(٨٥) كلمان، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧.

(٨٦) أرشيف جيش الدفاع الإسرائيلي، ملف رقم ٧٥/٩٢٢/١٢٢٦، ص ١٢١/٤.

(٨٧) «صوت صفد»، ٢/٥/١٩٤٨، ص ١ (هي جريدة محلية صدرت في صفد خلال المعركة وبلغ مجموع أعدادها ١١ عدداً)؛ بيلد، أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٨٠/٢٢٢، ص ٦٩؛ مايبرغ، «في ظل القلعة»، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠٥ - ٣٠٨؛ العارف، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٣٠٤.

(٨٨) بيلد، أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٨٠/٢٢٢، ص ٦٨. يقصد بيلد بكلامه مقتل ٣ من سكان الموشاف عين زيتيم خلال أحداث حائط البراق سنة ١٩٢٩.

أنه تم أسر ٣٠ شاباً من أبناء القرية، لكن التقرير لم يذكر ماذا حدث لهم.[٨٩]

يشير كلمان، في هذا الخصوص، إلى أنه بعد السيطرة على عين الزيتون: «صنّفنا رجال القرية الذين أسرناهم، أطلقنا كل النساء والأولاد والشيوخ، أمّا الرجال من سن ٢٠ عاماً حتى سن ٤٠ عاماً فقد نزلوا إلى وادي الليمون، وذهبوا إلى صفد أو ميرون.»[٩٠] من الواضح أن كلمان كان يتلعثم في جملته المبهمة هذه، ولا يُفصح عمّا حدث للشباب والأسرى الآخرين.

الشهادة الكاملة المفصلة لما حدث نجدها لدى نتيبه بن - يهودا التي كانت آنذاك من ضباط المتفجرات في البلماح، وشاركت في معركة عين الزيتون وصفد. فقد وصفت ما حدث بعد احتلال القرية قائلة:

> جمعوا كل الذين بدوا لهم جنوداً حقيقيين أو كانوا حقاً ضباطاً، أي بدوا تماماً كالضباط، عندها أخذوا كل هؤلاء وقيدوهم بأيديهم وأرجلهم ورموهم في الهاوية في الوادي العميق تحت عين الزيتون حيث رقدوا هناك يومين...[٩١]

وتقول نتيبه إن مشكلة برزت وهي ما الذي يمكن عمله مع هؤلاء الأسرى الملقيين في الوادي؟ وبحسب قولها، فقد رأى أحد قادة الكتيبة الثالثة المدعو «مئيركا شخطر» (على ما يبدو، اسم مستعار لموشيه كلمان) أنه يجب تصفيتهم خلال ساعتين، «وخلص: أنهينا هذه المشكلة» مدعياً أن ليس في قدرته الاحتفاظ بالأسرى ورعايتهم. عندها حدثت مواجهة بينه وبين بعض الضباط الذين رفضوا تنفيذ الأمر. وفي خاتمة المطاف اقتنع اثنان، ممن تصفهم نتيبه بأنهم كانوا في حالة نفسية صعبة، وبأنهم لم ينتموا تماماً إلى أي وحدة و«تجولوا» ضمن صفوف الكتيبة الثالثة، فذهبا إلى الوادي وصفيا الأسرى، علماً بأن موريس يؤكد أن القتلة كانوا ضمن الكتيبة الثالثة.

تسرب هذا الخبر يوم ٥ أيار/مايو إلى جهات أجنبية، ووردت أنباء عن نيتها

---

(٨٩) موريس، «ولادة مشكلة اللاجئين...»، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٤؛ أرشيف جيش الدفاع الإسرائيلي، ملف رقم ٧٥/٩٢٢/١٢٢٦، تقرير بتاريخ ١/٥/١٩٤٨، الساعة ٠٠:٠٣، ص ١٢١/٢.

(٩٠) كلمان، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧.

بشأن موضوع تجميع الأسرى وتصنيفهم، أنظر:

Nazzal, op. cit., p. 127.

يُذكر أن نزال يعتمد على شهادات اللاجئين من سكان عين الزيتون.

(٩١) نتيبه بن - يهودا، «عبر الجدار السميك، قصة حب لثلاثة شهور في أثناء حرب ١٩٤٨» (بالعبرية)، (القدس: لا دار نشر، ١٩٨٥)، ص ٢٤٣.

القدوم والاستفسار عن الأمر. عندها طلب «شخطر» ممن «لا يخيفهم الدم. . . . ومن يمكن الاعتماد عليهم» النزول إلى الموقع لحل قيود الأسرى. وبعد إلحاحه تمكن من إقناع مرتكبَي المجزرة ونتيبه نفسها بالقيام بذلك.

نزلت نتيبه إلى مكان الحادث فهالها ما رأت ووصفت المشهد المروع بقولها:

> ربما كانت هذه هي اللحظة التي غيّرت مجرى حياتي. الأمر الأفظع كان الطريقة التي حاولوا فيها إخفاء القضية. أبداً وأبداً لن ينكشف هذا الأمر. لن يعرف أحد بتاتاً من كان هذان الشخصان اللذان أفرغا باغة [مشطاً] كاملة من الرصاص في كل أسير. . إلى درجة أنه لم يعد هنالك مكان لدخول الرصاص فبقي بارزاً من أجسادهم! لم أرَ في حياتي شيئاً كهذا. بحر من الدماء، دم الواحد مختلط بدم الآخر. . «حمّام دم» كما كانوا يقولون بشكل بلاغي في مراثي المحرقة [اليهودية] والبوغروم. كيف استطاعا تصفيتهم جميعاً؟ كيف أمكنهما العودة إلى هناك. . .[٩٢]

وبشأن مصير جثث الضحايا أخبرني أحد شيوخ المنطقة العرب أنهم دفنوا في قبر جماعي فوق مجرى وادي الطواحين قرب العين المعروفة بعين الورد.

كشف احتلال القرية وتصفية الأسرى الستار عن ضعف جيش الإنقاذ، الذي بدا لا حول له ولا قوة، ولم يتدخل في المعركة التي دارت أمام ناظريه على بعد مئات الأمتار. وبالنسبة إلى أهالي صفد كانت هذه بداية النهاية، لقد ذعروا مما شاهدوا وذعروا أكثر من ضعف القوات العربية. عندها بدأ سيل النازحين من المدينة يتزايد، وبهذا حققت قوات البلماح هدفها حين قررت هدم القرية وتصفية الأسرى.[٩٣]

بعد احتلال عين الزيتون، فُتح الطريق إلى الحي اليهودي من دون أية عقبات. وفي الثاني من أيار/مايو دخلت قوات الكتيبة الثالثة صفد بكامل عتادها وسلاحها. وغيّر دخولها ميزان القوى لمصلحة اليهود بشكل كبير.

سابعاً: مقارنة حجم القوات العربية واليهودية

تذكر أغلبية المصادر العبرية أرقاماً مبالغاً فيها عن عدد القوات العربية التي شاركت في معركة صفد. ويشير كتاب «تاريخ الهاغاناه»، أحد أهم المصادر التي تتضمن الرواية الرسمية الصهيونية، إلى أن عدد المحاربين «الأغراب»، أي قوات جيش الإنقاذ، بلغ نحو ٧٠٠ محارب، يضاف إليهم ١٠٠٠ - ٢٠٠٠ من المحاربين

(٩٢) المصدر نفسه، ص ٢٤٧.

(٩٣) Nazzal, op. cit., p. 117.

المحليين.[٩٤]

ونجد معطيات مشابهة لدى قائد قوات البلماح، إلعاد بيلد، إذ يقول: «طبقاً للمعلومات التي كانت بين أيدينا بلغ عدد قوات العدو ٧٠٠ غريب من العراق ولبنان، وما بين ١٠٠٠ - ٢٠٠٠ من المسلحين المحليين.»[٩٥]

قائد الهاغاناه، مئير مايبرغ، أدلى هو الآخر بمعطيات مبالغ فيها أكثر مما ذُكر، إذ كتب:

> ساهم في المعارك بشأن صفد ما بين ٢٠٠٠ - ٢٥٠٠ من الجنود العرب من المدينة وقرى المنطقة وبضع مئات من المحاربين من جيش الإنقاذ العربي، إضافة إلى محاربين من جيوش نظامية من سورية ولبنان والعراق ترأسهم قادة من الضباط النظاميين في تلك الجيوش.[٩٦]

الصحافي الصفدي يحزقيئيل همئيري ذهب أكثر من الجميع في تقديراته، حين أشار إلى أن عرب صفد جندوا أكثر من ٣٠٠٠ محارب، واستعانوا بنحو ١٠٠٠ محارب قروي!! وتحت عنوان «قليلون في مواجهة كثيرين» ذكر:

> هذه القوات القليلة [قوات اليهود] واجهت مواطنين عرباً داخل مدينة صفد التي تعدّ نحو ١٢,٠٠٠ نسمة بينهم ٢٥٠٠ محارب شاب. أديب بك الشيشكلي جند مئات المتطوعين.. ونظم هؤلاء في إطار قوات فوج اليرموك الثاني... الشيشكلي ترأس القوات وقادها إلى صفد في بداية كانون الثاني/يناير ١٩٤٨... انضم إلى هذه القوات أكثر من ٧٠٠ محارب نظامي من جيوش العراق وسورية ولبنان... كما أن مدينة صفد محاطة بأكثر من ٥٠ قرية فيها أكثر من ٥٠,٠٠٠ من المواطنين المتشدّدين، منهم نحو ١٠,٠٠٠ محارب يقف في مواجهتهم على مشارف صفد ثلاثة تجمعات يهودية فقط هي عين زيتيم وبيريا وجبل كنعان والتي تضم جميعها ١٢٦ محارباً.[٩٧]

وضمن ادعاء «قليلون في مواجهة كثيرين» يشير يشعياهو عشني إلى أن «١٥٠ محارباً يهودياً واجهوا ٣٥٠٠ - ٤٠٠٠ محارب عربي بما في ذلك النجدات العراقية والسورية واللبنانية، وجنود (حرب الجهاد)، جيش الإنقاذ بقيادة فوزي بك القاوقجي.»[٩٨]

يعبّر الحاخام زايده هيلر عن دهشته من «فرار» عرب صفد ومنطقتها، على

---

(٩٤) سلوتسكي، مصدر سبق ذكره، ج ٣، قسم ٢، ص ١٥٨٢.
(٩٥) بيلد، أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٨٠/٢٢٢، ص ٦٨.
(٩٦) مايبرغ، «في ظل القلعة»، مصدر سبق ذكره، ص ٣٤٧.
(٩٧) همئيري، مصدر سبق ذكره، ص ١٢ - ١٣.
(٩٨) عشني، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧.

الرغم من تفوقهم العددي. فكتب تحت عنوان «السرّ الكبير»: «كان عدد المحاربين العرب الذين شاركوا في معركة صفد نحو ٣٠٠٠ شخص، منهم ٢٠٠٠ من سكان المدينة والمنطقة، و٧٠٠ جندي نظامي من الجيوش العربية.»[٩٩]

من خلال دراسة الوثائق الكثيرة لجيش الإنقاذ التي تم تناولها أول مرة في هذه الدراسة، يتضح أن عدد القوات العربية بلغ ٦٩٠ محارباً في بداية أيار/مايو ١٩٤٨، منهم ٤٤٤ من المتطوعين المحليين الذين لم يمتلكوا أية مهارات قتالية، كما أنهم لم يكونوا جميعاً مسلحين. فعدد المسلحين بلغ ٢١٨ فقط كما تشير قوائم الأسماء الأصلية والتي تحمل كذلك أرقام قطع السلاح مع كل متطوع.[١٠٠]

يشير عارف العارف إلى تقدير مشابه، ويذكر أن عدد القوات العربية في صفد كان ٦٠٠ مقاتل تقريباً، منهم نحو ٥٠٠ مقاتل من المحليين والباقون من جيش الإنقاذ.[١٠١] إلاّ إنه يجب التشديد على أمر مهم، وهو أن هذا العدد كان يتناقص يومياً وبصورة خاصة عشية المعارك الفاصلة ما بين السادس والتاسع من أيار/مايو ليبلغ ما بين ١٦٠ و٢٠٠ محارب لا أكثر، كانوا في معظمهم من عناصر سرية القائد الأردني عز الدين التل الذين دخلوا المعركة في التاسع من الشهر المذكور. وكان تناقص عدد المقاتلين العرب نتيجة فرار عدد كثير من المحاربين بمن فيهم المحليون.

بالنسبة إلى قوات الهاغاناه والبلماح، هناك جدال بشأن عدد قوات الكتيبة الثالثة التي دخلت المدينة في ١ أيار/مايو بعد احتلال قرية عين الزيتون. قبل هذا التاريخ كان في المدينة نحو ٣٧٥ محارباً من الهاغاناه والبلماح.[١٠٢] وبحسب أقوال بيلد، انضم إلى هذه القوات، في ١ أيار/مايو، ثلاث سرايا من الكتيبة الثالثة.[١٠٣] وفي المقابل، يشير قائد الكتيبة الثالثة، موشيه كلمان، إلى أن عدد المنضمين بلغ ١٨٠

(٩٩) هيلر، مصدر سبق ذكره، ص ٣٦.

(١٠٠) بشأن قائمة مفصلة بأسماء المتطوعين، أنظر: أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم ف/٣٤٧٦/٤٠١، نيسان/أبريل ١٩٤٨، ملف رقم ف/٣٤٨٠/٤٠١، نيسان/أبريل ١٩٤٨، ملف رقم ف/٣٠٤٥/٣٨٩، وثيقة بتاريخ ١٩/٣/١٩٤٨، ملف رقم ف/٢٨٦٢/٣٨٥، أيار/مايو ١٩٤٨.

(١٠١) العارف، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٣٠٠.

(١٠٢) بيلد، أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٨٠/٢٢٢، ص ٦٩؛ سلوتسكي، مصدر سبق ذكره، ج ٣، قسم ٢، ص ١٥٨٢.

(١٠٣) بيلد، أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٨٠/٢٢٢، ص ٧٤. بحسب أقواله، بلغ عدد جنود كل سرية ١٣٠، والمجموع الكلي ٣٩٠.

عنصراً فقط.[١٠٤]

يصعب معرفة أي القولين هو الأصح. فإذا سلّمنا برأي بيلد عندها يبلغ العدد نحو ٧٦٥ جندياً، وإذا أخذنا برأي كلمان فإن العدد هو ٥٥٥ جندياً تقريباً. وفي كلتا الحالتين فإن هؤلاء الجنود كانوا مدربين ولهم خبرة حربية واسعة، وتمتعوا بإمدادات مستمرة عبر خطوطهم من جبل كنعان وروش بينا. هذا في الوقت الذي كانت القوات العربية مؤلفة في معظمها من متطوعي المدينة، الذين افتقروا في أغلبيتهم الساحقة إلى الخبرة العسكرية، ولم يمتلكوا أي سلاح. ولم تكن قوات جيش الإنقاذ هي الأُخرى بأحسن حال، ولم تكن موحّدة في تركيبتها، فقد كان الفارق واضحاً في التسلح بين السوريين والأردنيين، إضافة إلى أجواء التوتر وعدم التنسيق.

نقطة أُخرى لا بد من الإشارة إليها هي أنه خلافاً لادعاء بعض المصادر العبرية، لم تشارك قوات حربية نظامية في معركة صفد، لأن احتلال المدينة تم قبل التاريخ الرسمي لدخول الجيوش العربية، وهو نهاية الانتداب في ١٥ أيار/مايو، كما أن قوات المتطوعين العراقيين لم تشارك في المعركة. فالوحدة العراقية التي كانت بقيادة جادو عز الدين بقيت، بناء على طلب الشيشكلي، في قواعدها في قريتي ميرون والصفصاف، إذ فضل الشيشكلي أن يرسل إلى صفد قوات أردنية كي يحافظ على الانسجام بينها وبين القوات التي دخلت المدينة سابقاً، ولأن سلاح الأردنيين كان أفضل.[١٠٥]

ثامناً: هجوم البلماح وهزيمة القوات العربية

واكب ساري الفنيش بقلق بالغ التطورات المتلاحقة على ساحة المعركة. وقرر تخطي الشيشكلي والتوجه مباشرة إلى فوزي القاوقجي وإعلامه بالتطورات الأخيرة، أي أنه نتيجة احتلال قريتي عين الزيتون وبيريا في شمالي صفد وشرقيها انقطع الاتصال بالمحيط العربي، وأن الحصار التام على قواته بات قاب قوسين أو أدنى. كما أشار إلى أنه يمكنه الصمود مع قواته القليلة بما لديها من أسلحة لساعتين فقط. وقد نبّه إلى أنه يجب إدخال قوات وعتاد ومدافع فوراً، وإذا لم تُلبّ طلباته فسيضطر إلى الانسحاب من المدينة، وهذا بعض ما جاء في رسالته:

فخامة المفتش العام لقوات إنقاذ فلسطين الأفخم، تحية واحترام وبعد، لقد احتل اليهود

(١٠٤) كلمان، مصدر سبق ذكره، ص ٤٢.

(١٠٥) عز الدين، مصدر سبق ذكره، ص ٩٩.

قريتي عين الزيتون وبيريا، وهاجموا صباح اليوم قريتي القديرية والزنغرية وهما على وشك السقوط ولا نستطيع إسعافهما لقلة القوة.

إن المقصود من احتلال الزنغرية والقديرية هو استكمال تطويق صفد وسيتم ذلك ولا شك هذه الليلة، وربما هوجمنا هذه الليلة. الوضع خطير جداً، قواتنا قليلة وعددنا ضئيل وعتادنا قليل جداً لا يكفي لمقاومة بضع ساعات. إذا سقطت صفد لا سمح الله انتهى أمر الجليل واللواء الشمالي بأكمله وقطعت خطوط مواصلاتنا مع لبنان وسورية. خطورة الموقف تتطلب الإسراع حالاً بإمدادنا بقوات كبيرة وعتاد وفير ومدفعية ثقيلة تباشر بقصف الأحياء اليهودية والمستعمرات المحيطة بصفد حالاً لإرهابهم وإفهامهم أن قوات كبيرة تواجههم.

اسمحوا لي أن أقول صراحة، إذا لم تنفذ هذه الطلبات حالاً، فسأكون مضطراً لمغادرة المدينة مع قواتي لإنقاذها من الفناء، وترك سكان صفد لنيران العدو الذي أطبق عليها من كل جانب ولا شك أنها لا تستطيع المقاومة أكثر من ساعتين وبعدها تنزل الكارثة ولا أدري من المسؤول عن ذلك.(١٠٦)

لا بد من الإشارة إلى أنه على الرغم من هذه الضائقة التي عكست الوضع الحقيقي، فإن قوات ساري نجحت في رد الهجوم الكبير الذي شنته الكتيبة الثالثة في السادس من أيار/مايو على تحصينات القوات العربية في القلعة. وكان واضحاً للصفديين أن السيطرة على القلعة ستؤدي إلى سيطرة على المدينة بأسرها. ففي ذلك اليوم شنت قوات البلماح هجوماً مركزاً، تحت غطاء راجمات دافيدكا، وبعد معركة مريرة ودامية فشل هذا الهجوم، فقد تلقى المهاجمون ضربة قاسية.

أدى فشل الهجوم إلى خيبة أمل في الحي اليهودي. ووصف كلمان، الذي قاد القوات، حالة سكان الحي بقوله: «كانوا على ثقة بأن قوات البلماح قادرة على كل شيء. وحين خرجوا من مخابئهم وتأكدوا أن الهجوم فشل، خاب أملهم، حتى إنهم احتجوا وسخروا من القوات، وسادت بينهم حالة من الرعب، وأحياناً حالة عداء للفرقة.»(١٠٧)

كما أدى فشل هجوم قوات البلماح إلى خيبة أمل عميقة لدى القادة، إذ أثير كثير من التساؤلات. عندها وصل يغآل آلون، قائد البلماح وقائد لواء يفتاح، مرة أُخرى إلى صفد في ٧ أيار/مايو، فدرس الوضع عن كثب وقرر أن ينهي المعركة سريعاً، ثم توجه إلى كلمان قائلاً: «نحن أمام هجوم ١٥ أيار/مايو ومن الضروري

(١٠٦) من ساري إلى الشيشكلي، أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم ف/٣٤٠٣/٤٠٠، وثيقة بتاريخ ٥/٥/١٩٤٨.

(١٠٧) كلمان، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠.

القضاء على صفد قبل ذلك.» ووضع ألون في أثناء مكوثه القصير مع كلمان وبيلد خطة الهجوم الثاني، ثم عاد إلى روش بينا.[١٠٨]

إن صد هجوم السادس من أيار/مايو، الذي كان عملياً نجاحاً عسكرياً عربياً، لم يعكس الوضع الحقيقي للقوات العربية التي خيم عليها جو من الذعر والانهيار. هاشم العظم، قائد مجموعة المتطوعين السورية، أرسل برقية مستعجلة جداً إلى الشيشكلي، الذي كان آنذاك قريباً من ميرون، وصف فيها حالة السكان والمحاربين والذعر الذي سيطر عليهم فقال:

> ركز العدو ليلة البارحة هجومين محليين على مركز القلعة ولكنهم صُدّوا في كلا الهجومين. جنودنا منهكون ويفرون تباعاً وسنوافيكم بأسماء الفارين، والأهالي يفرون أيضاً، وحتى المسلمون منهم، إذا لم تحضر النجدات فسيزداد الموقف حرجاً ساعة بعد أخرى نظراً لتضاؤل المسلحين وإنهاك الجنود الذين لم يناموا منذ ثلاثة أيام.[١٠٩]

أثار الوضع الصعب لعرب صفد قلقاً كبيراً على مصيرهم. عندها توجه بعض قادة المدينة، بمن فيهم رئيس المجلس البلدي، إلى الدول العربية طالبين العون. إلاّ إنه عدا الاحتجاجات والنداءات الموجهة إلى البريطانيين من الأمين العام لجامعة الدول العربية، ومن الحكومة السورية، اللذين طلبا التدخل لإنقاذ العرب من الطرد، فإن أحداً لم يفعل شيئاً.[١١٠]

إزاء هذا الوضع قام الشيشكلي بزيارة خاطفة للمدينة في ٨ أيار/مايو، أي في اليوم التالي لزيارة يغآل ألون، ورأى بنفسه حالة قواته المنهكة والمسحوقة. وتوصل إلى استنتاج مشابه لاستنتاج ألون وهو أنه يجب العمل بسرعة لإنقاذ الوضع. وقرر القيام بهجوم عام على الحي اليهودي في الساعة الرابعة صباحاً في العاشر من أيار/مايو.

تلخصت خطة الشيشكلي في أن تقوم القوات العربية الموجودة خارج المدينة بهجوم عن طريق المدخل الرئيسي، وعن طريق قرية ميرون، في حين تهاجم قوات الداخل الحي اليهودي. ولذا، أدخل سرية أردنية بقيادة عز الدين التل، كانت وصلت إلى المدينة، كما أسفلنا، في ٩ أيار/مايو وتمركزت عند الخطوط الأمامية بدلاً من القوات السورية، هذا على الرغم من أنها لم تتعرف بعد على ساحة المعركة، الأمر

---

(١٠٨) همثيري، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٨ - ١٥١؛ كلمان، مصدر سبق ذكره، ص ٣١.

(١٠٩) من حامية صفد إلى القيادة العليا، أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم ف/٢٣٩٣/٤١٣، وثيقة بتاريخ ٧/٥/١٩٤٨.

(١١٠) موريس، «ولادة مشكلة اللاجئين...»، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٥.

الذي عجل في الهزيمة العربية حين شرعت قوات البلماح في الهجوم.[١١١]

في تلك الأثناء أخذ جيش الإنقاذ يقصف صفد بمدافعه الموجودة في موقع عين التينة قرب ميرون. وكانت هذه أول مرة يستخدم فيها هذا السلاح في المعركة. أصيب سكان الحي اليهودي بالذعر والقلق جرّاء هذا القصف، وعندها طلب بعضهم إلى إلعاد بيلد، قائد الهاغاناه في المدينة، رفع العلم الأبيض والاستسلام، وقد اعتقدوا أن لا أمل لهم بالانتصار في المعركة.[١١٢]

ويشير بيلد إلى أن أحد سكان الحي، ويدعى سليم كوهين، الذي كانت له علاقات جيدة بالعرب، اقترح نفسه وسيطاً بين الفريقين، إذ قال إنه إذا تركت قوات الهاغاناه وإيتسل المدينة سيتمكن يهود صفد من التفاهم مع جيرانهم.[١١٣]

يبدو أن يهود المدينة ليس هم فقط الذين طلبوا وقف إطلاق النار والتفاوض، فالعرب فعلوا ذلك أيضاً بواسطة ضابط بريطاني كبير من حيفا، نقل الاقتراح إلى يغآل ألون. إلاّ إن الأخير رفضه بشدة قائلاً: «مصير العدو انتهى وصفد ستُحرر قريباً.»[١١٤]

نحن، إذاً، أمام حالة من التعب واليأس والرغبة في إنهاء الصراع بين الطرفين، إلاّ إن العسكريين الذين كانوا هم كذلك منهكين وتعبين اعتقدوا أن الحسم سيكون في ساحة المعركة فقط.

بعد أن علمت قوات البلماح بتأهب الشيشكلي واستعداده، قررت التحرك قبله بيوم واحد. وفي ليلة التاسع من أيار/مايو بدأت المعركة الثانية والأخيرة. وكان شعار قوات البلماح «صفد محررة».

بدأ الهجوم في الساعة ٢١:٣٥ مساء. وبعد قصف مكثف، وخلافاً لهجوم

---

(١١١) من الشيشكلي إلى ساري، أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم ف/٢٣٩٣/٣٦٨، وثيقتان بتاريخ ٨/٥/١٩٤٨، ٩/٥/١٩٤٨؛ عز الدين، مصدر سبق ذكره، ص ٩٨ - ١٠٠؛ العارف، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٣٠٦.

(١١٢) أرشيف جيش الدفاع الإسرائيلي، ملف رقم ٧٥/٩٢٢/١٢٢٦، ص ٦/١٢١؛ كلمان، مصدر سبق ذكره، ص ٣٢؛ بيلد، أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٨٠/٢٢٢، ص ٥٩؛ سلوتسكي، مصدر سبق ذكره، ج ٣، قسم ٢، ص ١٥٨٣؛ العارف، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٣٠٧.

(١١٣) بيلد، أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٨٠/٢٢٢، ص ٥٨ - ٥٩.

(١١٤) مايبرغ، «في ظل القلعة»، مصدر سبق ذكره، ص ٣١٨؛ غلعاد، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٢٨٣ - ٢٨٤ .

السادس من أيار/مايو، شنت الكتيبة الثالثة هجوماً على ثلاثة محاور في آن واحد: الأول في اتجاه القلعة؛ الثاني في اتجاه مركز البوليس ووسط المدينة؛ الثالث في اتجاه عمارة الحاج فؤاد الخولي. خلال تلك الليلة نجحت قواتها في احتلال القلعة وعمارة الحاج فؤاد الخولي. أمّا مركز البوليس في وسط المدينة فقد صمد ودارت فيه معارك مريرة من طبقة إلى أُخرى، ومن غرفة إلى أُخرى، وقد انسحب من تبقى من المتطوعين السوريين إلى سطح المبنى وتحصنوا هناك بضعة أيام رافضين الاستسلام.(١١٥)

في مراجعة الوثائق العربية نجد أنه في تلك الفترة خيم الذعر وسادت حالة من عدم الانتظام، وترك قائد القوات ساري الفنيش المدينة قبل ثلاث ساعات من بداية الهجوم اليهودي، بينما واصل بعض جنوده القتال.(١١٦)

في وثيقة نادرة سجل موظف اللاسلكي المكالمة الهاتفية الأخيرة بين أحد القادة العرب ومعاون الشيشكلي، والتي تصف التطورات في المدينة، ورد ما يلي:

انسحب جنودنا من الخط الأمامي بالقلعة والآن مرابطين بالخط الثاني، مدفعيتكم لم تقصف لحد الآن بشدة، مدافعهم تقصف، حرائق هبت بالقلعة.

الجنود تركوا القلعة، لم تصل النجدات، كثير من المجاهدين هربوا.

لم يبق أحد من الجنود أغلبهم هربوا، الأحسن أن تأمروا بالانسحاب.

هل أقول لأديب بك أن اليهود احتلوا..

نعم احتلوا الجميع ومركز البوليس أيضاً...

هل الرئيس ساري موجود عندكم؟

الرئيس ساري غير موجود.(١١٧)

في اليوم التالي، أبرق كلمان إلى يغآل ألون يعلمه بإنهاء المهمة: «مدينة صفد كلها بما فيها [مركز] بوليس كنعان تحت سيطرتنا. فوق مبنى البوليس يرفرف العلم

---

(١١٥) أرشيف جيش الدفاع الإسرائيلي، ملف رقم ٧٥/٩٢٢/١٢٢٦، ص ١٢١/٧، ١٢١/٨؛ كلمان، مصدر سبق ذكره، ص ٣٣ - ٣٧؛ بيلد، أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٨٠/٢٢٢، ص ٧١ - ٧٣.

(١١٦) الخضراء، مصدر سبق ذكره، ص ٢. يقتبس الخضراء من تقرير لأديب الشيشكلي كان اطلع عليه على حد قوله، أنظر:

Nazzal, op. cit., p. 117.

(١١٧) من قائد حامية صفد إلى الشيشكلي، أرشيف دولة إسرائيل، ملف رقم ف/٣٩٠١/ ٤١٣، وثيقة بتاريخ ١٠/٥/١٩٤٨.

اليهودي.»[١١٨]

اتهم العرب ساري بالاستهتار والخيانة. وادعى الشيشكلي أن ساري كان تعوّد التغيب قبل كل هجوم. وأدت هذه الاتهامات إلى اعتقاله في سورية وسجنه فترة قصيرة.[١١٩]

يعتقد المؤرخ بِني موريس أن القادة الأردنيين في صفد تصرفوا كما يبدو طبقاً لتعليمات الملك الأردني عبد الله بن الحسين، مدّعين أن المدينة واقعة في منطقة الدفاع السوري - اللبناني. ويرى موريس أن هنالك صلة بين الأنباء التي تحدثت عن نية المفتي الحاج أمين العودة إلى البلد وتأليف حكومة فلسطينية موقتة، وتكون صفد العاصمة، وبين سقوط صفد. فأنباء عودة المفتي أثارت قلق الملك عبد الله.[١٢٠]

يضاف إلى كل هذا ورود الأنباء عن سقوط مدينتي حيفا وطبرية، وكذلك احتلال قرى البطيحة، والزنغرية، والقديرية، ومنطقة جنوب غرب الحولة، والمنطقة كلها الواقعة جنوبي المدينة وشرقيها والتي تم احتلالها في عملية سميت عملية المكنسة، الأمر الذي كسر معنويات السكان تماماً وشعروا بأن تطويقهم اكتمل.[١٢١]

تاسعاً: فرار أم طرد جماعي!!

مع نهاية المعركة بدأت مرحلة «تمشيط وتطهير»، بحسب تعبير قوات البلماح، استمرت عدة أيام. ويشير قائد البلماح بدهشة إلى أنه اكتشف أن المدينة خلت من سكانها العرب، كما أن يهود صفد لم يصدقوا ما تراه أعينهم، فرقصوا وغنوا في الشوارع فرحين سعيدين.[١٢٢]

وصف الحاخام هيلر «خروج» العرب من المدينة قائلاً:

---

(١١٨) أرشيف جيش الدفاع الإسرائيلي، ملف رقم ٤٥٦/٥٣/١، وثيقة بتاريخ ١٩٤٨/٥/١١.

(١١٩) الخضراء، مصدر سبق ذكره، ص ١ - ٢؛ عز الدين، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٢.

(١٢٠) موريس، «ولادة مشكلة اللاجئين...»، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٦ - ١٤٧؛ عمر، مصدر سبق ذكره، ص ٥٠٧. لقد لمّح الحاج أمين إلى هذه القضية في مذكراته، وأشار إلى أن الملك عبد الله رأى في صفد جزءاً من الدولة اليهودية وفق قرار التقسيم. أنظر: عمر، مصدر سبق ذكره، ص ٤٠٨، ٥٠٤.

(١٢١) للمزيد من التفصيلات عن عملية المكنسة، أنظر: غلعاد، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٢٨١. وانظر أيضاً: قسم التاريخ في قيادة الأركان، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٦.

(١٢٢) بيلد، أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٢٢٢/٨٠، ص ٧٤.

أعجوبة العجائب وغريبة الغرائب.. ليس فقط أن تلك الأقلية اليهودية نجحت في الدفاع والصمود... بل أيضاً أن أعداءها الكثيرين والمسلحين فروا من المدينة مذعورين طالبين النجاة لأنفسهم ولأطفالهم، من دون أي سبب معقول أو منطقي.[١٢٣]

ويصف مئير مايبرغ، قائد الهاغاناه، ما حدث في المدينة العربية قائلاً:

إنك تتبختر كمحارب في المدينة العربية التي تبدو كأنها مدينة أشباح... تدخل البيوت فترى كل شيء في موضعه، الطعام على المائدة، الأسرّة جاهزة للنوم والقط يجول ويموء كالعادة، تظن أن السكان خرجوا لبرهة وسيعودون حالاً... السؤال الذي بقي من دون جواب هو: لماذا فروا مذعورين، من أجبرهم على ترك بيوتهم الشبيهة بالقلاع والفرار في ذعر؟[١٢٤]

ويدلي يحزقيئيل همئيري كذلك بوصف عن حالة «رحيل» العرب عن صفد فيقول:

مدينة ميتة، أين اختفى الـ ١٢,٠٠٠ مواطن، أين اختفى محاربوهم ونساؤهم وأطفالهم؟.. عُرف السرّ المبهم فجأة، صفد العربية بآلاف رجالها فرت في اتجاه السفوح وكأن هنالك عملية سحرية... آلاف وآلاف يتحاشرون في المسارب المتفرعة من المدينة، فرار جماعي، موجة بشرية، البعض حفاة شبه عراة، والبعض على ظهور البغال والحمير، كل المسارب تعج بهم بعيداً حتى عين التينة وميرون، إنها أعجوبة، أو لعل الخوف من البلماح هبط عليهم. أيُعقل أن قلة من المحاربين أدت إلى فرار جماعي كهذا!![١٢٥]

ويبقى السؤال المطروح هو: لماذا نزح سكان صفد؟ وما الذي دفعهم إلى ذلك؟ هل فروا كما تشير مصادر الهاغاناه والبلماح، أم طُردوا كما تشير المصادر العربية؟.

تشير دراسة معركة صفد من المصادر العبرية والعربية إلى أن نزوح العرب عن بيوتهم كان على ثلاث مراحل:

أ) المرحلة الأولى

ابتدأت هذه المرحلة تواً بعد انسحاب البريطانيين في ١٦ نيسان/أبريل. وكما ذكرنا سابقاً، فإن القوات العربية كانت شنت في اليوم نفسه هجوماً عاماً على الحي اليهودي آل إلى الفشل. كان هذا الفشل بالنسبة إلى بعض السكان مؤشراً إلى ما سيأتي. وفوراً بدأ بعضهم مغادرة المدينة، ريثما تهدأ الأوضاع.

---

(١٢٣) هيلر، مصدر سبق ذكره، ص ٥.
(١٢٤) مايبرغ، «في ظل القلعة»، مصدر سبق ذكره، ص ٣٤٣.
(١٢٥) همئيري، مصدر سبق ذكره، ص ١٨١ - ١٨٢.

ومما شجع على النزوح أيضاً نشوب النزاع بين القائدين ساري الفنيش وإحسان كم الماز الذي رفض الخضوع لإمرة الأول. وقد وصل النزاع إلى ذروته بعد فشل الهجوم الذي شنه كم الماز بمبادرة منه على الحي اليهودي يوم ٢٨ نيسان/أبريل. اتهم ساري كم الماز بمخالفة الأوامر وبعدم المسؤولية، وفي اليوم التالي اضطر الأخير إلى مغادرة المدينة وهو يدعو العرب إلى وداع مدينتهم، لأن ساري عازم على تسليمها لليهود على حد قوله.

ب) المرحلة الثانية

بدأت هذه المرحلة فوراً بعد احتلال قرية عين الزيتون في ١ أيار/مايو ١٩٤٨. احتلال هذه القرية المتاخمة للمدينة والمرتبطة بها بروابط عائلية وتجارية، وتفجير بيوتها نهاراً، وإعدام نحو ٧٠ أسيراً، وامتناع جيش الإنقاذ من التدخل، كلها أمور أدت إلى كسر معنويات عرب صفد. فتأثير الاحتلال كان تماماً كما توقعه قائد الكتيبة الثالثة، موشيه كلمان الذي قاد العملية، وكان مقصده: «أن يعي سكان صفد العرب، الذين جلسوا على السفوح المقابلة، ما الذي ينتظرهم.»[١٢٦]

كما أن إلعاد بيلد يشير إلى وقع احتلال عين الزيتون على عرب صفد حين قال إنه بعد الاحتلال بدأ «خروج مصر»[١٢٧] بين عرب صفد.

في السياق نفسه، يشير يشعياهو عشني إلى أن الدخان واللهيب المتصاعدين من عين الزيتون حملا طبقة الأغنياء من صفد على الفرار، ثم تلاهم لاجئون آخرون.[١٢٨]

ويقول عارف العارف إن الإمدادات الكثيرة التي دخلت الحي اليهودي بعد احتلال عين الزيتون دبّت الذعر في صفوف العرب وبدأ نزوحهم يزداد.[١٢٩]

من هنا نرى أنه في المرحلة الثانية، التي استمرت بين الأول والتاسع من أيار/مايو، كان السبب في النزوح هو الدمار والمجزرة المروعة التي ارتكبت في عين الزيتون.

ج) المرحلة الثالثة

في هذه المرحلة اتخذ قادة البلماح خطوات مباشرة لطرد السكان، من خلال

---

(١٢٦) كلمان، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧.
(١٢٧) بيلد، أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٨٠/ ٢٢٢، ص ٦٨.
(١٢٨) عشني، مصدر سبق ذكره، ص ٣٣.
(١٢٩) العارف، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٣٠٤ - ٣٠٥.

إطلاق قذائف مدافع الهاون على الأحياء العربية. ففي صفد استخدمت بشكل مكثف راجمات دافيدكا، التي كان في إمكانها قذف كمية كبيرة من المواد المتفجرة، وكان تأثيرها الأساسي إصدار دوي انفجارات شديد يصم الآذان أكثر من إلحاق الضرر بالمباني.

ويبدو أن قذائف دافيدكا أدت إلى زرع حالة من الذعر في صفوف السكان العرب، وخصوصاً أن القصف على المدنيين تم عمداً. ويشير كلمان بوضوح إلى ذلك قائلاً:

> أعطيتُ أمراً بإطلاق قذيفة دافيدكا كل بضع ساعات بعد حلول الظلام على الحي العربي لخلق حالة من الذعر وتصعيد الخوف بين السكان.(١٣٠)

وأدلى إلعاد بيلد بأقوال مشابهة لهذه حين أشار إلى أنه

> بعد ربع ساعة من القصف على القلعة حُوّلت النار إلى مناطق العدو السكنية. وكان هدف القصف عرقلة سير إمدادات العدو، وخلق الذعر بين السكان المدنيين.(١٣١)

متابعةً لتلك السياسة فإن يغآل ألون، الذي وضع التفصيلات الأخيرة للمعركة في أثناء زيارته الثانية في ٧ أيار/مايو، طلب من قواته إبقاء مسلك واحد مفتوحاً من أجل فرار العدو بحسب قوله، وطلب إبقاء الجهة الغربية تحديداً،(١٣٢) فهي أصعب الجهات ولا تصلح إلاّ لسير رتل أحادي على الأقدام، أو على ظهور الحيوانات، عبر وادي الطواحين، ومن هناك إلى ميرون.

في خطوة طرد أُخرى، وبعد توقف المعارك، وفي أثناء عملية التمشيط، اتضح أن ١٣٧ شيخاً ومسناً ومريضاً بقوا في بيوتهم. وخوفاً من بقائهم وعودة أقاربهم تقرر طردهم حالاً؛ المسلمون منهم طردوا إلى لبنان، والمسيحيون نقلوا إلى دير في مدينة حيفا.(١٣٣)

في خطوة أخيرة رهيبة، في هذه المعركة الدامية، تحصن نحو ١٢ متطوعاً عربياً سورياً من قرية قطنا على سطح مركز البوليس الواقع وسط المدينة، حيث جرى

---

(١٣٠) كلمان، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧.

(١٣١) بيلد، أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٨٠/٢٢٢، ص ٧٢.

(١٣٢) مولا كوهين، «طبرية وصفد واللد والرملة»، في: «احتلال المدن العربية والمدن المختلطة في حرب الاستقلال» (بالعبرية)، (لا مكان: مركز دراسة تاريخ الهاغاناه، لا تاريخ)، المجلد ٤، ص ١٤؛ همئيري، مصدر سبق ذكره، ص ١٨١.

(١٣٣) موريس، «ولادة مشكلة اللاجئين...»، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٧.

تطويق المركز وتبادل إطلاق النار مع قوات البلماح عدة أيام. ووفق رواية قائد الهاغاناه، مايبرغ، فإن بعضهم نجح في الهرب بواسطة حبال جدلها من أسلاك الهاتف.[١٣٤] لكن مايبرغ لا يشير أبداً إلى مصير الباقين، وقد بلغ عددهم ٨ أشخاص.

وتروي نتيبه بن - يهودا مرة أُخرى مشهداً مروعاً آخر عن مصير هؤلاء المقاتلين. فبعد معركة رهيبة خاضوها، استسلم ٨ منهم حين نفدت ذخيرتهم، وقد وصفت نتيبه حالتهم قائلة:

> أن تنظر إليهم بعد أن نزلوا، كان منظراً مروعاً، جميعهم كانوا جرحى، أسنان أحدهم ظهرت من خلف فكه، حتى عظام الفك ظهرت أيضاً، وفي الجروح الكبيرة لآخر بدأ ينغل الدود. ظهر هذا الآخر كان محترقاً. عيونهم جميعاً كانت شبه ميتة، وتعابير وجوههم جامدة، لم يفهموا شيئاً، ولم يكونوا خائفين، حالتهم كانت حالة ما بعد الخوف، فهم بكل بساطة لم يكونوا أحياء تماماً، هذا الأمر أدخلنا في حيرة. نعومي اقتادهم مباشرة إلى القبو، ووضعهم في غرفة صغيرة مزدحمة، وكان يقول دائماً: «إياكم أن تشفقوا عليهم! إياكم أن تعطوهم الماء!» وذلك كي يبدأ هو باستخراج كل ما أراد معرفته منهم.
>
> جلسنا في غرفة قريبة، نعومي شاؤول تسور وأنا [أي نتيبه]، وبعض الرفاق، الذين اختارهم نعومي خصيصاً من الفرقة، أصدقاء بدوا له قبضايات... لم يعرف أحد منهم ماذا ينتظره... قال نعومي: «لا تغطوا أعينهم، وأدخلوهم هنا واحداً واحداً»، فعلوا ذلك وبدأ نعومي بالتحقيق مع الأول، وأنا [نتيبه] أسجل كل كلمة: ما اسمك... ما رتبتك... من أين أنت... قل كل شيء بإرادتك...
>
> متى جندت...

لم ترق لنعومي إجابات الأسرى الذين قالوا إنهم دخلوا صفد قبل أربعة أيام فقط. وكان يعيد الأسئلة عليهم فيرددون الإجابات نفسها. وتضيف نتيبه واصفة تصرفات نعومي:

> قبل أربعة أيام، نعومي يسأل كيف قبل أربعة أيام فقط أخبرني... عندها قال نعومي لدودو دروزنوف: «سأسأله مرة أُخرى وإذا أجاب الإجابة نفسها اضربه على وجهه»... صرخ دودو قائلاً: «ماذا؟!!!»، أجابه نعومي بهدوء: «إضربه على وجهه حتى يرى النجوم، عندها سيقول الحقيقة... فأنا لا أستطيع عمل ذلك وحدي»... لم يبد على دودو أي إشارة تدل على موافقته، فاستمر نعومي قائلاً: «يا الله ماذا حدث للبلماح،

(١٣٤) مايبرغ، «في ظل القلعة»، مصدر سبق ذكره، ص ٣٣١ - ٣٣٢.

أظننتم أنهم سيتطوعون [الأسرى] بالإجابة عن أسئلتي»... صرخ دودو: «أنا لا أريد» عندها صرخ نعومي: «ينبغي لأحد ما عمل ذلك»... عندها أخذ نعومي عصا المنكاش التي كان يمسكها دائماً... اعتقدت أنه يريد الاتكاء عليها.. وخصوصاً أن يده كانت مغطاة بالجبص... عندها أمسكها.. بيده اليسرى.. وهوى بها مباشرة على رأس العربي، هكذا فجأة، تطاير الدم في كل الاتجاهات وتعالى صراخ عظيم ملأ الغرفة.

وتضيف نتيبه أنه عندها هرب كثيرون من رفاق نعومي ممن كانوا داخل الغرفة، ولم يبق إلاّ هي ونعومي وبعض الحراس، فأخذ نعومي يسألها ومرافقيها:

«ما هو الفارق [في القتل]؟ أنا لا أفهم... ما هو الفارق بين الهجوم والضغط على الزناد... وبين رفع اليد والضرب! ماذا جرى لكم، ما هو الفارق اشرحوا لي»!... استمر نعومي يقول: «يا الله! إفعلي كل ما فعلتِه في المعركة، ماذا تفعلين عندما تكونين وسط المعركة؟ ألا تفكرين في آخر من قُتل من رفاقك؟ من هو القتيل الأخير من رفاقك؟ فكري فيه وافعلي ذلك من أجله»...[١٣٥]

يتضح من أقوال نتيبه أنها لم تستطع تنفيذ طلبات نعومي، لكنها لم تخرج أيضاً، فبقيت لتسجل «محضر» التحقيق. وتواصل وصف الأمر قائلة:

كل عربي يدخل يحاول نعومي أن يستخرج منه التفصيلات نفسها تماماً. «أربعة أيام»، و«لا أعرف من موجود على السطح [سطح مركز البوليس]. لم أسمع اسمه.» مع كل هذا الضرب الذي أنزله بهم نعومي حتى الموت، كان في إمكانه أن يقتل إنساناً ضربة بعد أُخرى حتى الموت... ضرب نعومي هؤلاء الجرحى، هؤلاء المحروقين، الذين لم يغمضوا جفناً وهم تحت إطلاق النار منذ عدة أيام، ولم يشربوا نقطة ماء، كانت شفاههم منتفخة.[١٣٦]

يشير قائد الكتيبة الثالثة إلى أن الآلاف من أهالي صفد اختبأوا في الأودية والحقول حول المدينة آملين بالعودة إليها حين تهدأ الأحوال. لكن استمراراً لزرع الذعر بين المواطنين، ومنعاً من أي احتمال لعودتهم، فقد صدرت الأوامر إلى طائرات الفايفر بإلقاء القذائف على تلك الأودية والحقول للتسريع في فرارهم، إذ قال كلمان:

من أجل التعجيل في الفرار طلبنا من [طائرات] الفايفر إلقاء بعض القذائف على تجمعات السكان المنسحبين، كما أطلقنا بعض قذائف الهاون في اتجاه الأودية كي يهرب من بقي هناك.[١٣٧]

(١٣٥) بن - يهودا، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧٤ - ٢٨٤.
(١٣٦) المصدر نفسه، ص ٢٧٤.
(١٣٧) كلمان، مصدر سبق ذكره، ص ٣٩.

هذه الأقوال لا تدع مجالاً للشك في شأن سياسة الطرد التي انتهجها قادة البلماح والهاغاناه في صفد، وفي كيفية معاملتهم لسكانها العرب.

بعد كل ذلك، وقطعاً لأي إمكان لعودة السكان العرب، قامت القوات الإسرائيلية بنسف حارتي الأكراد والجورة بالكامل، تلبية لطلبات ممثلي الجالية اليهودية في المدينة الذين خافوا من إمكان التوصل إلى أي نوع من الاتفاق قد يسمح بعودة اللاجئين.

في الختام، حاولنا في هذا الفصل أن نراجع من جديد مجريات معركة صفد سنة ١٩٤٨؛ هذه المعركة الفاصلة التي كانت لها أبعاد واضحة على الوجود العربي بمجمله في منطقة الجليل الأعلى الشرقي والحولة. ولقد حاولنا فحص مدى صدقية الرواية المعروفة بالرواية الرسمية، أو الرواية الصهيونية.

طبقاً لهذه الرواية تُطرح معركة صفد كعمل بطولي ملحمي انتصرت فيه أقلية من الضعفاء المحاصرين مع سلاح قليل على الأكثرية القوية التي تتمتع بحرية الحركة والعتاد الكثير. كما أن الأقوياء أنفسهم «فروا» من دون أي سبب منطقي! وقد بيّن هذا الفصل أن هذه الرواية تجاهلت وأهملت كثيراً من النقاط والقضايا المهمة، وأن الحقيقة كانت غير ذلك تماماً.

البحث في التساؤلات الأساسية التي طرحت في بداية الفصل دل على أنه في كل مراحل المعركة كان التفوق لمصلحة قوات الهاغاناه والبلماح، التي عمل عناصرها في عمق المنطقة العربية من دون أية صعوبات، والهجمات على قرى الخصاص والحسينية وسعسع لا تبقي شكاً في شأن هذا التفوق.

ودل الفصل على أن حالة من الضعف خيمت على السكان العرب. وأعطى قادة جيش الإنقاذ الانطباع بأنه يمكن التغلب على قوات الهاغاناه والبلماح بسهولة نسبية، وبهذا يكونون غرروا بالناس. لم يكن لدى قوات جيش الإنقاذ استراتيجيا واضحة محددة، فقد امتنعت من تقديم العون حتى للقرى المحاذية جداً للمدينة، وأبقتها تحت رحمة قوات البلماح، ووقفت كل قرية وحيدة أمام المصير المحتوم لا حول لها ولا قوة.

نقطة أُخرى تتعلق بهذا الجيش هي دعوته السكان جدياً إلى أن يبقوا في مدينتهم، وهذا ما يدحض الادعاءات بأنه طلب منهم الرحيل موقتاً.

كما يتضح أن القيادة المحلية لم تقم بأية مبادرة منفردة، إذ شلتها القوات الخارجية. فمعركة صفد تشكل مثالاً جيداً لحالة الضعف والفوضى والتبعثر والتفكك التي خيمت على الفلسطينيين في البلد عامة.

خـاتـمَة

مع حلول مساء يوم ١١ أيار/مايو ١٩٤٨، أكملت قوات البلماح والهاغاناه عمليات «التمشيط» في صفد، فقتلت من قتلت، ورحّلت من بقي من العُجّز والمرضى، وبذلك أُسدل الستار على عروبة المدينة.

ربما كانت هذه المدينة أكثر المدن الفلسطينية تأثراً بما أسفرت عنه النكبة؛ فلأول مرة منذ عهد الفرنجة خلت صفد كلياً من أهلها العرب، الذين شكلوا حينذاك ٨٤٪ من مجموع السكان.

ويبدو أن عدم بقاء أي وجود عربي في المدينة أثّر في عدم الالتفات إليها. إذ على الرغم من أهميتها في التاريخين العربي والإسلامي عامة، وفي التاريخ الفلسطيني خاصة، فإنها لم تحظ باهتمام كاف من المؤرخين. ولعل التركيز على دور المدن الكبرى ألقى بظلاله على مدن الأقاليم، زد على ذلك ندرة المصادر الأولية، وعدم وجود مخطوطات محلية.

من هنا تأتي أهمية هذه الدراسة، التي حاولتُ من خلالها التعريف بالمدينة خلال عهد الانتداب (١٩١٨ - ١٩٤٨).

لقد تناولت الدراسة، المكوّنة من أحد عشر فصلاً، كل الجوانب المتعلقة بصفد خلال العقود الثلاثة المذكورة.

ومن أجل إيجاز هذه الجوانب كلها رأيتُ حصرها في أربعة مجالات رئيسية: الإداري؛ الاجتماعي؛ الاقتصادي؛ السياسي.

بالنسبة إلى المجال الأول - **الإداري**، حاولنا متابعة وتبيان التحولات الإدارية التي شهدتها المدينة منذ العهد العثماني، والبحث في انعكاسات هذه التحولات على الجوانب الاجتماعية والسياسية. لقد رأينا كيف أن فترة التنظيمات، وما شملته من إعادة هيكلة للمؤسسات الإدارية، وسنّ القوانين المتعددة، مثل قانون الأراضي، وقانون الولايات، وتشكيل هيئات إدارية جديدة كمجلس إدارة القضاء، والمحكمة النظامية، والمجلس البلدي، كان لها أكبر الأثر في تعزيز مكانة النخبة المتنفذة من أبناء طبقة الأعيان التقليديين، واتساع هذه الطبقة لتشمل من يمكن تسميتهم الأعيان الجدد. وبهذا نجد تشابهاً كبيراً بما حدث في بقية المدن في البلد جرّاء سياسة التنظيمات.

حالة انقسام أضعفت قدرته على الصمود أمام التحديات الكبرى التي واجهها. فمن جهة هناك السياسة البريطانية القمعية، ومن جهة أُخرى هناك الحركة الصهيونية الموحدة، صاحبة الإمكانات الهائلة. فكانت النتيجة فشل هذا المجتمع في مواجهة المخاطر وانهياره تماماً خلال أسابيع في حرب ١٩٤٨.

في المجال الثالث - **الاقتصادي**، عرضت الدراسة مكانة صفد التاريخية، كمركز اقتصادي للجليل الأعلى وسهل الحولة، وتطرقت إلى الفروع الاقتصادية على اختلاف أنواعها. ويلاحظ أنه بعد الزلزال المدمر الذي ضرب المدينة سنة ١٨٣٧، استعادت صفد مكانتها الاقتصادية، وتنامى دور التجار العرب الذين تمكنوا من توسيع دائرة نشاطهم التجاري إلى مناطق خارج فلسطين.

هذه الحالة من النمو والنهوض شهدت انتكاسة كبرى خلال الحرب العالمية الأولى. ولعل الانتكاسة الكبرى جاءت بعد الحرب مباشرة حين قطّع المستعمرون أوصال المنطقة، فتحولت صفد إلى مدينة حدودية نائية منقطعة عن جزء كبير من ظهيرها الاقتصادي.

من جهة أُخرى، أدى هذا الوضع الجديد إلى اندماج صفد في الاقتصاد الفلسطيني بالتدريج، وخصوصاً بعد الانتهاء من شق طريق عكا - صفد سنة ١٩٢٨. وقد تمثل هذا الاندماج في الاستيراد والتصدير ونمو المصالح الاقتصادية المشتركة.

أمّا في المجال الرابع - **السياسي**، فقد أظهرت الدراسة أن الصفديين أدوا دوراً بارزاً في التطورات السياسية كافة. فقد كان أهل صفد من أشد الداعين إلى الاتحاد مع سورية والانضمام إلى الحكومة العربية بقيادة الأمير فيصل. ولعل وجود كثيرين من أبناء المدينة في دمشق خلال ذلك العهد يؤكد ذلك. إذ كان علي رضا النحوي، وصبحي الخضراء، وصلاح الدين قدّورة، ومحيي الدين الحاج عيسى من الناشطين البارزين في دمشق آنذاك.

وبعد ما شهدته المنطقة من تطورات واحتلال فرنسا لسورية، رأينا كيف تحوّل الصفديون إلى العمل من أجل إنشاء قيادة فلسطينية فاعلة، وشاركوا في المؤتمرات الفلسطينية كافة.

لقد شهدت الأعوام الأولى من الانتداب حتى سنة ١٩٢٣ حالة من الوحدة بين كل القوى في المدينة من خلال عمل اللجنة العربية التي تزعمها الشيخ أسعد قدّورة مفتي المدينة. لكن، مثلما حدث تماماً في صفوف الحركة الوطنية الفلسطينية القطرية، شهدت صفد حالة انقسام اعتباراً من سنة ١٩٢٣ بين مؤيدي المجلسيين ومؤيدي المعارضة، الأمر الذي أثّر سلباً في النشاط السياسي حتى سنة ١٩٢٨. يضاف إلى

ذلك ما شهدته المدينة في أثناء أحداث حائط البراق سنة ١٩٢٩، وما أسفرت عنه من قمع بريطاني ربما كان الأشد من نوعه في فلسطين، إذ بات المئات من الأهالي من دون معيل ومن دون مصدر رزق، وأصبحوا يُعرفون بمنكوبي صفد. وقد أنحت مجموعة منكوبي صفد باللائمة على زعماء المدينة، واتهمتهم بعدم العمل بما فيه الكفاية لمساعدتها في محنتها.

كل ذلك لم يمنع من استمرار روح المقاومة والتحدي لدى الصفديين. وما حركة التمرد والعصيان المعروفة بتنظيم «الكف الأخضر»، الذي قاده أحمد طافش في أواخر سنة ١٩٢٩ وأوائل سنة ١٩٣٠، ومشاركة شباب صفد والقضاء في ثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩، إلاّ تأكيد لهذا الأمر.

من النقاط الأُخرى التي خلصت إليها الدراسة تنامي دور الشباب، وخصوصاً بعد إنشاء جمعية الشبان العرب، وظهور الأحزاب، مثل حزب الاستقلال، والحزب العربي الفلسطيني. وقد بلغ هذا الأمر ذروته في أثناء الثورة حين عزز الشباب مكانتهم أكثر فأكثر.

لكن يجب ألاّ نغفل عن قيام السلطات بحملات قمعية متتالية أدت إلى سجن واعتقال وإبعاد معظم القيادات، الأمر الذي أحدث فراغاً معيناً، ولا سيما بعد سنة ١٩٣٧.

وقد تنامى هذا الفراغ ليتحول إلى حالة ضعف في أثناء الحرب العالمية الثانية، حين سادت حالة من الترقب، وعدم وجود توجيهات واضحة، فرأينا كيف نُزع سلاح الصفديين، في الوقت الذي كانت المنظمات الصهيونية تعزز قدراتها وتتسلح بوتيرة متسارعة.

ولم يكن نشاط صندوق الأمة، ولاحقاً نشاطات منظمة النجادة، سوى محاولة أخيرة ضعيفة لمواجهة المشروع الصهيوني، الأمر الذي يمكّن من القول إن بوادر النكبة كانت بادية للعيان قبل قرار التقسيم.

وفي المجال العسكري والمعركة بشأن صفد، بيّنت الدراسة أن اليهود كانوا على أتم الاستعداد لهذه المعركة، حتى إنهم أجروا تمارين مسبقة سموها «الحرب ما قبل الحرب»، في حين تأخر السكان العرب كثيراً في هذا المجال. فقد عانوا جرّاء سوء الإدارة والقيادة، واستمرت الانقسامات حتى نيسان/أبريل ١٩٤٨. وحتى عندما وصلت قوات جيش الإنقاذ اختلفت مع قائد حامية صفد، إحسان كم الماز، الذي انسحب وترك المدينة نتيجة ذلك.

من جهة أُخرى، بيّنت الدراسة أنه، وبعكس الرواية الصهيونية، لم يكن هنالك

أية «عجائب». ولم يكن هنالك معركة داود في مقابل جُليات. فالقوات اليهودية كانت أكثر عدداً وأكثر عتاداً وحظيت بدعم بريطاني، ولذلك انتصرت. وكان هذا الانتصار حصيلة حالة التدهور التي شهدها المجتمع الفلسطيني.

وبشأن مصير السكان العرب رأينا كيف انتهج قادة البلماح سياسة طرد واضحة لا ترقى إلى الشك، الأمر الذي يدحض الأسطورة القائلة بأن الفلسطينيين فروا وتركوا بيوتهم من دون أن يجبرهم أحد على ذلك.

وختاماً، لو حاولنا مقارنة مجمل هذه التطورات التي شهدتها صفد خلال ثلاثة عقود بما شهدته فلسطين عامة لوجدنا حالة من التشابه. بيد أن نتائج هذه التطورات وما أفضت إليه النكبة كانت أشد إيلاماً في منطقة صفد تحديداً. ففضلاً عن تفريغ المدينة من أصحابها العرب، تم تفريغ القضاء بالكامل تقريباً، فمن مجموع ٩٠ قرية عربية فلسطينية بقيت فقط ٥ قرى، مع أن معظمها كان يقع ضمن الجزء المخصص للدولة العربية وفق قرار التقسيم لسنة ١٩٤٧.

المراجع

أولا: أرشيفات

أ) الأرشيف البريطاني Public Record Office - London

١ - أرشيف وزارة المستعمرات (Colonial Office):

CO 534/2280	CO 537/1707	CO 537/2280
CO 537/3853	CO 537/3926	CO 577/3853
CO 722/1		
CO 733/147/4	CO 733/180/14	CO 733/227/16
CO 733/224/7	CO 733/456/2	CO 733/420/22
CO 733/346/21	CO 733/190/5	CO 733/209/15
CO 733/177/4	CO 733/372/18	CO 733/370/9
CO 733/287/11	CO 733/398/10	
CO 742/1	CO 742/3	CO 765/2
CO 814/1	CO 814/2	CO 814/4
CO 821/2	CO 821/3	CO 821/4
CO 821/5	CO 821/6	CO 821/7
CO 821/8	CO 821/9	CO 821/10
CO 821/11	CO 821/12	CO 821/13
CO 821/14	CO 821/15	CO 821/16
CO 821/17	CO 821/18	CO 821/19
CO 821/20		

٢ - أرشيف وزارة الخارجية (Foreign Office):

FO 195/2451	FO 371/13746	FO 371/E. 727/85/44

ب) أرشيف دولة إسرائيل - القدس

الأقسام ٢، ١٨، ٢٧، ٤٩، ٦٥

ملفات رقم:

م/ ١٣٥ س/ ٢٦٧٨	ف/ ٢/ ٩٨٤	ف/ ٣٧٦/ ٢٦١٣
م/ ٥/ ١/ ٦١٧ س/ ٢٦٤١	ف/ ٣١٣/ ٩٨٤	ف/ ٣٦٨/ ٢٤١
م/ ٣٣ س/ ٢٦٧٨	ف/ ٢٤٨٢/ ٩٨٥	ف/ ٣٦٨/ ٢٤٠٩
م/ ١٣٣ س/ ٢٦٧٨	ف/ ١٤٥/ ٩٨٥	ف/ ٤٠١/ ٣٤٨٦
م/ ٥٦٧ س/ ٢٦٨٤	ف/ ٣٨٦٢/ ٤١٤	ف/ ٤٠٨/ ٣٦٩٧
م/ ٤٨١ س/ ٢٦٨٤	ف/ ٣٤٧٢/ ٣٩٩	ف/ ٣٠/ ٨٣٤
م/ ٢٦٢ س/ ٢٦٨٢	ف/ ٣٤٨٤/ ٤٠١	ف/ ٤٠١/ ٣٤٨٠
م/ ٤٩٠ س/ ٢٦٨٤	ف/ ٢٦٧٣/ ٣٧٩	ف/ ٤١٢/ ٣٨٤٧
م/ ١٨٨ س/ ٢٦٨١	ف/ ٢٨٧٠/ ٣٨٥	ف/ ٣٤٦/ ١٤٨١
م/ ٥٧٧ س/ ٢٦٤٨	ف/ ٧٩١/ ٣٢٩	ف/ ٤٠١/ ٣٤٧٦

م/ ٢٥٥ س/ ٢٦٧٨
م/ ٢٢١ س/ ٢٦٨١
م/ ٥٢٠ س/ ٢٦٨٤
م/ ٤٦/ ٣٢ ج/ ٢٦٨٤

ج/ ٣١/ ٣١٠

ف/ ٢٣٤٨/ ٣٦٧
ف/ ٢٤٠٥/ ٣٦٨
ف/ ٣٦٩٧/ ٤٠٨
ف/ ٢٥/ ٩٨٤
ف/ ٣٤٠٥/ ٩٨٠
ف/ ٣٩٠٨/ ٤١٣
ف/ ٣٣١٧/ ٣٩٧
ف/ ٢٨٨٦/ ٩٨٧
ف/ ٣٣١٧/ ٣٩٧
ف/ ٣٦٠٣/ ٤٠٥
ف/ ٣٨٦٢/ ٤١٢
ف/ ٤٩٣/ ٣٢٢

ف/ ٣٩٠١/ ٤١٣
ف/ ٣٠٤٥/ ٣٨٩
ف/ ٣٤٠٤/ ٤٠٠
ف/ ٣٤٧٣/ ٤٠١
ف/ ٢٣٩٣/ ٣٦٣
ف/ ٢٣٣٢/ ٣٦٨
ف/ ٣٤٠٣/ ٤٠٠
ف/ ٢٣٩٣/ ٣٦٨

ج) الأرشيف الصهيوني المركزي - القدس

ملفات رقم:

KKL5/17001
KKL5/7001
KKL5/7002
KKL5/8645
KKL5/15415

S/53/1172
S/9/969
S/9/1392
S/25/4968

S/25/4121
S/25/5111
S/25/8246
S/25/7255
S/25/4474

J1/3527
J1/1533
J1/191

د) أرشيف الهاغاناه - تل أبيب

ملفات رقم:

١٤/١٠
٦٠٨/٨٠
٢٢٦/١٠٥
٩٦/١٠٥
٨/١٩٨

٢٠٤/٨
٢٢٢/٨٦
١٣/٦٥
٣٨٠/١٠٥
٢١٢/١٠٥

٥/١٠٥
١/١٠٥
٢٥٤/١٠٥
٢٤/١٦٦
١/٦٠٨/٨٠
١٣/٦٥

هـ) أرشيف جيش الدفاع الإسرائيلي (تساهل) - تل أبيب

ملفات رقم:

٤٥٦/٥٣/١؛ ٧٥/٩٢٢/١٢٢٦

و) أرشيف جمعية الدراسات العربية - القدس

ملفات رقم:

٢٩١٨ ٢٩١٩ ٢٩٢٠ ٢٩٢١ ٢٩٢٤
٢٩٢٥ ٢٩٢٧ ٢٩٢٨ ٢٩٣١ ٢٧٨٨

ز) أرشيف دائرة الأوقاف والشؤون الإسلامية

مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية - القدس، أبو ديس

ملفات رقم:

11/24/1.31/10
11/44/1.2/10
11/42/1.1/1/45
11/32/1.1/2/25
11/27/3.14/80

11/27/3.3/80
11/41/1.14/10
11/44/1.4/2/45
11/27/3.3/80

11/24/1.3/10
11/42/1.3/2/45
11/40/1.39/10
11/46/3.4/80

ح) وثائق صبحي الخضراء - عمّان

أرشيف عائلي غير مفهرس، يحوي آلاف الوثائق.

ط) وثائق علي رضا النحوي - عمّان

أرشيف عائلي غير مفهرس، يحوي مئات الوثائق.

ي) وثائق عائلة عبّو - صفد

عشرات الشهادات التابعة لجمعية الشبان العرب والنادي الرياضي الإسلامي.

ك) سالنمات الدولة العثمانية

سالنامات ولاية سوريا، السنوات: ١٢٨٥هـ، ١٢٩٠هـ، ١٢٩١هـ، ١٢٩٢هـ، ١٢٩٣هـ، ١٢٩٤هـ، ١٢٩٥هـ، ١٢٩٦هـ، ١٢٩٧هـ، ١٢٩٨هـ، ١٢٩٩هـ، ١٣٠٠هـ، ١٣٠١هـ، ١٣٠٢هـ، ١٣٠٢/١٣٠٣هـ، ١٣٠٤هـ.

سالنامات ولاية بيروت، السنوات: ١٣١٠هـ، ١٣١٨هـ، ١٣١٩هـ، ١٣٢٢هـ، ١٣٢٤هـ، ١٣٢٦هـ.

ثانياً: صحف ومجلات

أ) بالعربية

«ثمرات الفنون» (١٨٨٣ - ١٩٠٦)
«الجامعة العربية» (١٩٣٥)
«الدفاع» (١٩٣٦ - ١٩٤٦)
«شؤون فلسطينية» (أيار/مايو ١٩٧٣)
«فلسطين» (١٩٣٤ - ١٩٤٧)
«الكرمل» (١٩٢١ - ١٩٣٠)
«مرآة الشرق» (١٩٢٧)
«المشرق» (١٩١٧ - ١٩٢٤)

ب) بالعبرية

«حباتسيلت» (١٩٠٠)
«سكيروت»
«سنونوت»
«كتائب فرقة يفتاح» (١٩٤٩)
«كتدرا»
«كول تسفات» (١٩٤٨)
«محنايم»
«هآرتس» (١٩٤٦)
«هتسوفيه» (١٩٤٦)
«همشكيف» (١٩٤٨)
«همغيد» (١٨٨٥)

ج) بالإنكليزية

Jewish Missionary Intelligence, vol. II (September 1895)

Palestine Post

ثالثاً: كتب ومقالات

أ) بالعربية

- ابن طولون. «مفاكهة الخلاّن في حوادث الزمان». الجزء الأول. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٢.
- الأفغاني، جمال الدين ومحمد عبده. «العروة الوثقى». بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٠.
- البخيت، محمد عدنان. «دفتر مفصّل خاص أمير لواء الشام [طابو دفتري ٢٧٥] سنة هجري ٩٥٨هـ موافق ميلادي ١٥٥١م». عمان: الجامعة الأردنية، ١٩٨٩.
- البوريني، بدر الدين حسن بن محمد. «تراجم الأعيان من أبناء الزمان». الجزء الثاني. دمشق: لا دار نشر، ١٩٦٣.
- التميمي، محمد رفيق ومحمد بهجت. «ولاية بيروت، القسم الجنوبي». الجزء الأول. بيروت: دار لحد خاطر، الطبعة الثالثة، ١٩٨٧.
- توتل اليسوعي، فرديناند. «رحلة في بلاد الجليل الأعلى». «المشرق»، المجلد ٢١، ١٩٢٤.
- الجزائري، محمد. «تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر». بيروت: دار اليقظة، ١٩٦٤.
- حجازي، محمود. «مقام الشيخ محمد الأسدي». رمات غان: جامعة بار - إيلان، ١٩٨٤.
- حرفوش، إبراهيم. «سياحة إلى أسقفية بلاد بشارة». «المشرق»، المجلد ١٥، ١٩١٧.
- حزماوي، محمد. «ملكية الأراضي في فلسطين، ١٩١٨ - ١٩٤٨». عكا: دار الأسوار، ١٩٩٨.
- الحسيني، محمد أسعد. «المنهل الصافي في الوقف وأحكامه». القدس: المطبعة الوطنية، ١٩٨٢.
- الحوت، بيان نويهض. «القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين، ١٩١٧ - ١٩٤٨». عكا: دار الأسوار، ١٩٨٤.
- الخالدي، أحمد بن محمد. «تاريخ الأمير فخر الدين المعني». بيروت: منشورات الجمعية اللبنانية، ١٩٦٩.
- الخالدي، أحمد سامح. «أهل العلم بين مصر وفلسطين». القدس: المطبعة العصرية، لا تاريخ.

- الخضراء، عبد الرحمن. «سقوط صفد». وثائق صبحي الخضراء، وثيقة رقم ٥٠٠، دمشق، ١٩٤٨/٩/١.
- الدباغ، مصطفى مراد. «بلادنا فلسطين». بيروت: دار الطليعة، ١٩٦٥ - ١٩٧٦.
- دروزة، محمد عزة. «حول الحركة العربية الحديثة: تاريخ ومذكرات وتعليقات». الجزآن الأول والثالث. صيدا: المكتبة العصرية، ١٩٥٠ - ١٩٥١.
- دمبر، مايكل. «سياسة إسرائيل تجاه الأوقاف الإسلامية في فلسطين، ١٩٤٨ - ١٩٨٨». بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٢.
- رافق، عبد الكريم. «العرب والعثمانيون، ١٥١٦ - ١٩١٦». عكا: دار الأسوار، ١٩٨٧.
- رستم، أسد. «حروب إبراهيم باشا المصري في سوريا والأناضول». بيروت: المكتبة البولسية، ١٩٨٦.
- . «المحفوظات الملكية المصرية». الجزء الثاني. بيروت: المكتبة البولسية، ١٩٨٦.
- الرفاعي، ذياب موسى. «الرفاعية طريقة وأدب». بيروت: جامعة القديس يوسف، ١٩٨٠.
- الزركلي، خير الدين. «الأعلام». الجزء الأول. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٩.
- زعيتر، أكرم. «الحركة الوطنية الفلسطينية، ١٩٣٥ - ١٩٣٩: يوميات أكرم زعيتر». بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٢.
- . «بواكير النضال: من مذكرات أكرم زعيتر، ١٩٠٩ - ١٩٣٥». بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٤.
- زكريا، أحمد وصفي. «عشائر الشام». دمشق: مطبعة دار اليقظة العربية، ١٩٤٧.
- السفري، عيسى. «فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية». يافا: مطبعة مكتبة فلسطين الجديدة، ١٩٣٧.
- شولش، ألكسندر. «تحولات جذرية في فلسطين، ١٨٥٦ - ١٨٨٢». لا مكان: دار الهدى، الطبعة الثانية، ١٩٩٠.
- صالح، محسن محمد. «القوات العسكرية والشرطة في فلسطين ودورها في تنفيذ السياسة البريطانية، ١٩١٧ - ١٩٣٩. عمّان: دار النفائس، ١٩٩٦.
- صندوق الأمة. «تقرير مجلس الإدارة، ١٩٤٥/٩/١٦». القدس: مطبعة اللواء، ١٩٤٥.
- الطراونه، طه ثلجي. «مملكة صفد في عهد المماليك». بيروت: دار الآفاق

الجديدة، ١٩٨٢.
- العابدي، محمود. «صفد في التاريخ». عمّان: جمعية عمال المطابع التعاونية، ١٩٧٧.
- العارف، عارف. «نكبة فلسطين والفردوس المفقود، ١٩٤٧ - ١٩٥٢». الجزء الأول. لا مكان: دار الهدى، لا تاريخ.
- العباسي، مصطفى. «تاريخ آل طوقان في جبل نابلس». شفاعمرو: دار المشرق، ١٩٩٠.
- عز الدين، جادو. «سقوط مدينة صفد: من مذكرات حرب فلسطين (جيش الإنقاذ)». مجلة «شؤون فلسطينية»، رقم ٢١، أيار/مايو ١٩٧٣.
- العسكري، يسار. «قصة مدينة صفد». تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، لا تاريخ.
- عمر، عبد الكريم (تحرير). «مذكرات الحاج محمد أمين الحسيني». سوريا: مطبعة الأهالي، ١٩٩٩.
- العودات، يعقوب (البدوي الملثم). «من أعلام الفكر والأدب في فلسطين». عمّان: لا دار نشر، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢.
- العورة، إبراهيم. «تاريخ ولاية سليمان باشا العادل». لبنان، صيدا: مطبعة دير المخلص، ١٩٣٦.
- عوض، عبد العزيز. «الإدارة العثمانية في ولاية سورية، ١٨٦٤ - ١٩١٨». القاهرة: مطبعة المعارف، ١٩٦٥.
- فرح، بولس. «الحركة العمالية العربية الفلسطينية». شفاعمرو: دار المشرق، ١٩٨٧.
- قاسمية، خيرية. «الحكومة العربية في دمشق بين ١٩١٨ - ١٩٢٠». بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٢.
- كرد علي، محمد. «خطط الشام». الجزء السادس. دمشق: لا دار نشر، ١٩٢٨.
- الكيالي، عبد الوهاب. «تاريخ فلسطين الحديث». بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٠.
- المحبي، محمد الأمين بن فضل الله. «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر». بيروت: لا دار نشر، ١٩٦٦.
- منصور، أسعد. «تاريخ الناصرة من أقدم أزمانها إلى أيامنا الحاضرة». القاهرة: مطبعة الهلال، ١٩٢٤.
- منظمة التحرير الفلسطينية - دائرة الثقافة. «موسوعة المدن الفلسطينية». دمشق:

الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٤.
- النمر، إحسان. «تاريخ جبل نابلس والبلقاء». الجزء الأول. نابلس: مطبعة النصر، ١٩٦١.
- نوفل، نوفل نعمة الله (مترجم). «الدستور العثماني: مجموعة التنظيمات العثمانية». بيروت: المطبعة الأدبية، ١٣٠١هـ.
- الهندي، هاني. «جيش الإنقاذ». بيروت: دار القدس، ١٩٩٢.
- الهواري، محمد نمر. «سرّ النكبة». الناصرة: مطبعة الحكيم، ١٩٥٥.
- هيئة الموسوعة الفلسطينية. «الموسوعة الفلسطينية - القسم العام». أربعة مجلدات. إيطاليا: ميلانوستامبا، ١٩٨٤.

ب) بالعبرية

- «إحصاء يهود أرض إسرائيل، ١٨٣٩». القدس: مركز دينور، ١٩٨٧.
- أرنون - أوحانه، يوفال. «الفلاحون في الثورة العربية». تل أبيب: لا دار نشر، ١٩٧٨.
- . «سيف من الداخل: الصراع الداخلي في الحركة الوطنية الفلسطينية، ١٩٢٩ - ١٩٣٩». تل أبيب: لا دار نشر، ١٩٨١.
- أساف، ميخائيل. «العلاقات بين العرب واليهود في أرض إسرائيل، ١٨٦٠ - ١٩٤٨». لا مكان: وزارة التربية والتعليم، ١٩٧٠.
- أغمون، إيريس. «القبائل البدوية في سهل الحولة وسهل بيسان في أواخر العهد العثماني». «كتدرا»، العدد ٤٥، ١٩٨٨.
- أفراتي، ناتان. «من اليأس إلى الأمل، اليشوف في البلد خلال الحرب العالمية الأولى». القدس: لا دار نشر، ١٩٩١.
- أفيتسور، شموئيل. «المبنى الديموغرافي لصفد في ازدياده وتراجعه»، في: «صفد: مجموعة مقالات». لا مكان: وزارة التربية والتعليم، ١٩٦٩.
- . «مصادر معيشة يهود صفد»، في: «فصول صفد». تل أبيب: معهد معرفة الشعب والبلد، ١٩٦٩.
- . «الحياة اليومية في أرض إسرائيل في القرن التاسع عشر». تل أبيب: لا دار نشر، ١٩٧٢.
- إلياف، مردخاي. «اليشوف في أرض إسرائيل من وجهة نظر السياسة الألمانية». تل أبيب: جامعة تل أبيب، ١٩٧٣.

- . «أرض إسرائيل وسكانها في القرن السابع عشر». القدس: لا دار نشر، ١٩٧٦.
- . «دور ممثلي ألمانيا والنمسا من أجل اليشوف في أرض إسرائيل»، في: مردخاي إلياف (تحرير)، «في الحصار والضيق، أرض إسرائيل في أثناء الحرب العالمية الأولى». القدس: مطبعة ياد بن - تسفي، ١٩٩١.
- أليميلخ، أبراهام. «أرض إسرائيل وسورية في أثناء الحرب العالمية». الجزء الثاني. القدس: لا دار نشر، ١٩٢٩.
- أورن، إلحانان. «المعركة بشأن الجليل في حرب الاستقلال»، في: أبشالوم شموئيل (تحرير)، «بلاد الجليل». الجزء الثاني. حيفا: جامعة حيفا ووزارة الدفاع، ١٩٨٣.
- أوليفانت، لورنس. «حيفا: كتابات من أرض إسرائيل، ١٨٨٢ - ١٨٨٥». القدس: مطبعة ياد بن - تسفي، ١٩٧٦.
- أيال، يغآل. «الانتفاضة الأولى: قمع الثورة العربية على يد الجيش البريطاني في أرض إسرائيل، ١٩٣٦ - ١٩٣٩». تل أبيب: وزارة الدفاع، ١٩٩٨.
- بار - يوسف، يهوشواع. «بين صفد والقدس». تل أبيب: لا دار نشر، ١٩٩٢.
- بارئيل، آفي وبنحاس غينوسار (تحرير). «الصهيونية، جدل معاصر، أساليب بحثية وأيديولوجية». لا مكان: مركز تراث بن - غوريون، ١٩٩٦.
- باير، غبرائيل. «مدخل إلى تاريخ العلاقات الزراعية في الشرق الأوسط، ١٨٠٠ - ١٩٧٠». تل أبيب: لا دار نشر، ١٩٧٢.
- برابر، موشيه. «حدود أرض إسرائيل، ماضياً وحاضراً ومستقبلاً: دراسة جغرافية سياسية». تل أبيب: مطبعة يبني، ١٩٨٨.
- بن - أرييه، موشيه. «قصة تاريخ روش بينا»، أرشيف الموشافا روش بينا، ملف رقم ١/٣٤٧، ج ٣، ص ٨٩٠ - ٨٩١.
- بن - بازي، شمارياهو. «صفد اليهودية خلال ١٩٤٧ - ١٩٤٨، جالية في الحرب». رسالة ماجستير. القدس: الجامعة العبرية، ٢٠٠٠.
- بن - تسيون، دينور (تحرير). «كتاب تاريخ الهاغاناه». الجزء الأول، القسم الثاني. لا مكان: لا دار نشر، ١٩٥٧.
- بن - يعقوب، ميخال. «الشارع السفارادي والشارع الأشكنازي والفوارق في صفد في القرن السابع عشر»، في: «مؤتمر أبحاث الجليل». صفد: مركز دراسات صفد/كلية صفد، ١٩٩٦.
- . «هجرة واستيطان اليهود المغاربة في أرض إسرائيل في القرن السابع عشر»،

في: «مؤتمر أبحاث الجليل». صفد: مركز دراسات صفد/كلية صفد، ١٩٩٦.
- بن - يهودا، نتيبه. «عبر الجدار السميك، قصة حب لثلاثة شهور في أثناء حرب ١٩٤٨». القدس: لا دار نشر، ١٩٨٥.
- بوحشبيسكي، نحامه. «من رشون لتسيون حتى مرجعيون»، في: يافه بارلوفتش (تحرير)، «مررتُ بالبلد، رحلات الهجرة الأولى». تل أبيب: وزارة الدفاع، ١٩٩٢.
- بورات، يهوشواع. «نشوء الحركة الوطنية العربية الفلسطينية، ١٩١٨ - ١٩٢٩». تل أبيب: لا دار نشر، ١٩٧٦.
- . «من الاضطرابات إلى الثورة: الحركة الوطنية العربية الفلسطينية، ١٩٢٩ - ١٩٣٩». تل أبيب: لا دار نشر، ١٩٧٨.
- بيلد، إلعاد. «مذكرات من صفد». أرشيف جيش الدفاع الإسرائيلي، ملف رقم ٧٥/٩٢٢/٢١٤.
- تريسترام، هنري بيكر. «رحلة في أرض إسرائيل، يوميات ١٨٦٣ - ١٨٦٤». لا مكان: مؤسسة بيالك، ٢٠٠٠.
- «تقرير اللجنة الملكية لفلسطين». القدس: لا دار نشر، ١٩٣٧.
- دغان، ش. وش. كوزوينر. «بالهيب: البدو في البلماح في حرب ١٩٤٨». لا مكان: لا دار نشر، ١٩٩٣.
- رفائيلوفتش، ي. «أرض إسرائيل والموشافيم». القدس، مطبعة أريئيل، لا تاريخ.
- رؤوفيني، يعقوب. «إدارة الانتداب في أرض إسرائيل، ١٩٢٠ - ١٩٤٨: دراسة تاريخية وسياسية». رمات غان: جامعة بار - إيلان، ١٩٩٣.
- روبنشتاين، إلياكيم. «معالجة القضية العربية مباشرة بعد أحداث سنة ١٩٢٩، وإقامة الدائرة الموحدة»، في: إيلان بابِه (تحرير)، «العرب واليهود في فترة الانتداب». غفعات حفيفا: لا دار نشر، ١٩٩٥.
- روكاح، إليعيزر. «وضع المدينة المقدسة صفد وسكانها الأشكنار». القدس: مطبعة حباتسيلت، لا تاريخ.
- روكاح، يتسحاق. «القدامى يتحدثون». رمات غان: لا دار نشر، ١٩٧٢.
- سلوتسكي، يهودا. «كتاب تاريخ الهاغاناه، من الدفاع إلى الصراع». الجزء الثاني. لا مكان: لا دار نشر، الطبعة الثانية، ١٩٦٤.
- . «كتاب تاريخ الهاغاناه، من الصراع إلى الحرب». الجزء الثالث، القسم الثاني. لا مكان: لا دار نشر، الطبعة الثانية، ١٩٦٤.
- سيلع، أبراهام. «القوات العربية غير النظامية»، في: «محاربة العرب في حرب

الاستقلال، ١٩٤٧ - ١٩٤٨». المجلد ٩. لا مكان: مركز دراسة تاريخ الهاغاناه، ١٩٩٠.
- شارون، موشيه. «مدن أرض إسرائيل تحت الحكم الإسلامي». «كتدرا»، العدد ٤٠، تموز/يوليو ١٩٨٦.
- شافيط، يعقوب ويهوشواع بورات (تحرير). «الانتداب والوطن القومي، ١٩١٧ - ١٩٤٧: تاريخ أرض إسرائيل». المجلد ٩. لا مكان: مركز دراسة تاريخ الهاغاناه، ١٩٩٠.
- شايد، إلياهو. «مذكرات عن الموشافيم اليهودية والرحلات في أرض إسرائيل وسورية، ١٨٨٣ - ١٨٩٩». ترجمه عن الفرنسية أهرون أمير. القدس: مطبعة ياد بن - تسفي، ١٩٨٣.
- شملتس، عوزيئيل. «تدني عدد سكان أرض إسرائيل في أثناء الحرب العالمية الأولى»، في: مردخاي إلياف (تحرير)، «في الحصار والضيق، أرض إسرائيل في أثناء الحرب العالمية الأولى». القدس: مطبعة ياد بن - تسفي، ١٩٩١.
- شور، ناتان. «تاريخ اليهود في الجليل في العهد العثماني»، في: أبشالوم شموئيل (تحرير)، «بلاد الجليل». الجزء الأول. حيفا: جامعة حيفا ووزارة الدفاع، ١٩٨٣.
- . «تاريخ صفد». تل أبيب: لا دار نشر، ١٩٨٩.
- شيمش، دافيد (تحرير). «أحداث سنة ١٩٢٩ والصراع بشأن الحائط الغربي». القدس: لا دار نشر، ١٩٧٩.
- طوبنهويز، إفرايم. «في المسار الوحيد، حياة حالم ومقاتل في مدينة الزهّاد». حيفا: لا دار نشر، ١٩٥٩.
- عشني، يشعياهو. «تعال معي إلى صفد». صفد: لا دار نشر، لا تاريخ.
- عنير، زئيف. «قصص العائلات». تل أبيب: وزارة الدفاع، ١٩٩٠.
- غروسمان، دافيد. «القرية العربية وبناتها: مسيرات في الاستيطان العربي في أرض إسرائيل في العهد العثماني». القدس: لا دار نشر، ١٩٩٤.
- غلعاد، زروبابل (تحرير). «كتاب البلماح». الجزء الثاني. لا مكان: الكيبوتس الموحد، ١٩٩٦.
- غولدشتاين، ي. وي. بن - آرتسي. «موشافاه غير آهلة: قضية عين زيتيم، ١٨٥٠ - ١٩١٠». حيفا: لا دار نشر، ١٩٩٠.
- غيران، فيكتور. «وصف جغرافي وتاريخي وأثري لأرض إسرائيل، الجزء السابع - الجليل». ترجمه عن الفرنسية حاييم بن - عمرام. القدس: مطبعة ياد بن - تسفي، ١٩٨٧.

- غيل - هار، يتسحاق. «التنظيم والإدارة الذاتية لليشوف في أرض إسرائيل منذ بداية الحكم البريطاني حتى إقرار الانتداب، ١٩١٧ - ١٩٢٢». القدس: الجامعة العبرية، ١٩٧٣.
- غيلبار، جاد. «مؤشرات النمو الديموغرافي للفلسطينيين، ١٨٧٠ - ١٩١٤». «سكيروت»، العدد ١٠٨، أيلول/ سبتمبر ١٩٨٩.
- فايس، يحيعام (تحرير). «بين الرؤية وإعادة النظر». لا مكان: مركز زلمان شازار لتاريخ إسرائيل، ١٩٩٧.
- فايسبلوم، أليميلخ. «حاضر صفد». تل أبيب: لا دار نشر، ١٩٦٩.
- فن، جيمس. «أوقات عاصفة». الجزء الأول. القدس: مطبعة ياد بن - تسفي، ١٩٨٠.
- فولني. «رحلة إلى مصر وسورية». ترجمه عن الفرنسية أهرون أمير. القدس: مطبعة ياد بن - تسفي، ١٩٩٦.
- فونكنفيلد، مئير. «المباني المقدسة للمسلمين في دولة إسرائيل». القدس: لا دار نشر، ١٩٥٠.
- فينس، يحيئيل ميخال. «سبعة أسابيع في الجليل»، في: «بناء البلد». الجزء الثاني. لا مكان: لا دار نشر، ١٩٣٩.
- قسم التاريخ في قيادة الأركان الإسرائيلية. «تاريخ حرب الاستقلال». معرخوت: لا دار نشر، ١٩٧٢.
- «كتاب سجلات لجنة التحقيق في أحداث سنة ١٩٢٩». الجزء الثاني. تل أبيب: لا دار نشر، لا تاريخ.
- «كتاب الشرطي العبري في عهد الانتداب». تل أبيب: وزارة الدفاع، لا تاريخ.
- كرمون، يهودا. «طرق المواصلات في جبال صفد وتطورها التاريخي». «مجلة الجمعية لدراسة أرض إسرائيل وآثارها»، المجلد ٤، ١٩٦٠.
- كلمان، موشيه. أرشيف الهاغاناه، ملف رقم ٦٥/ ١٣.
- كنيست إسرائيل في أرض إسرائيل. «تقرير اللجنة القومية في ١٩٣١ - ١٩٣٢». القدس: لا دار نشر، ١٩٣٢.
- كوهين، مولا. «طبرية وصفد واللد والرملة»، في: «احتلال المدن العربية والمدن المختلطة في حرب الاستقلال». المجلد ٤. لا مكان: مركز دراسة تاريخ الهاغاناه، لا تاريخ.
- لاييش، أهرون. «وقف واستيطان الدراويش في أرض إسرائيل في بداية العهد العثماني». «كتدرا»، العدد ٣٥، نيسان/ أبريل ١٩٨٥.

- لورخ، ناتانئيل. «تاريخ حرب الاستقلال». لا مكان: مساده، ١٩٨٥.
- لوريا، س. «معركة صفد». أرشيف جيش الدفاع الإسرائيلي، ملف رقم ٧٥/ ٩٢٢/ ٢١٢.
- لونتس، أبراهام. «قوائم أرض إسرائيل، ١٨٩٥ - ١٩٠٢». الأجزاء ١ - ٧. القدس: لا دار نشر، لا تاريخ.
- ليبار، شيرمان. «النمو الديموغرافي للسكان اليهود في صفد، ١٨٠٠ - ١٨٣٩». «كتدرا»، العدد ٤٦، كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٧.
- ماروم، روت. «جالية صفد، ١٨٨٢ - ١٩١٧». حيفا: جامعة حيفا، ١٩٩٧.
- مايبرغ، مئير. «صفد من الحصار إلى التحرير». لا مكان: دائرة الخدمات التربوية، جيش الدفاع الإسرائيلي، لا تاريخ.
- . «في ظل القلعة». تل أبيب: لا دار نشر، ١٩٨٩.
- مدزيني، أ. «استيطان البدو في الجليل»، في: أبشالوم شموئيل (تحرير)، «بلاد الجليل». الجزء الثاني. حيفا: جامعة حيفا ووزارة الدفاع، ١٩٨٣.
- مرحافيا، ي. (تحرير). «شعب ووطن، مجموعة وثائق عن المواطنة العبرية والصهيونية واليشوف». القدس: لا دار نشر، لا تاريخ.
- معاندل، إيلبوم مناحم. «بلاد الظبي». فيينا: لا دار نشر، ١٨٨٣.
- مكتب أرض إسرائيل التابع للمنظمة الصهيونية. «إحصاء يهود أرض إسرائيل، الكراس ب - السامرة والجليل». يافا: لا دار نشر، ١٩١٩.
- مكوبر، راحيل. «أنماط الإدارة والحكم في أرض إسرائيل، ١٩١٧ - ١٩٢٥». رمات غان: جامعة بار - إيلان، ١٩٨٤.
- ملشتاين، أوري. «تاريخ حرب الاستقلال». الجزء الثاني، الشهر الأول. رمات أفعال: لا دار نشر، ١٩٨٩.
- موريس، بِني. «ولادة مشكلة اللاجئين الفلسطينيين، ١٩٤٧ - ١٩٤٩». تل أبيب: لا دار نشر، ١٩٩١.
- . «تصحيح الخطأ، العرب واليهود في أرض إسرائيل: ١٩٣٦ - ١٩٥٦». تل أبيب: لا دار نشر، ٢٠٠٠.
- نبو، يوسف. «التطور السياسي للحركة الوطنية العربية الفلسطينية، ١٩٣٩ - ١٩٤٥». رسالة دكتوراه. تل أبيب: جامعة تل أبيب، ١٩٧٧.
- . «الحركة الوطنية العربية الفلسطينية في أثناء الحرب العالمية الثانية»، في: موشيه معوز (تحرير)، «الحركة الوطنية الفلسطينية من المواجهة إلى التصالح». تل أبيب: وزارة الدفاع، ١٩٩٦.

- هروزين، يعقوب. «رؤيا الاستيطان في الجليل». القدس: لا دار نشر، ١٩٧١.
- همئيري، يحزقيئيل (تحرير). «الأحداث الدامية». صفد: بيت همئيري، لا تاريخ.
- . «صفد في الكماشة: صفد خلال معركة وحصار ١٩٤٨». تل أبيب: وزارة الدفاع، ١٩٨٨.
- هيرشبرغ، أبراهام شموئيل. «في بلاد الشرق». الجزء الأول. فيلنا: لا دار نشر، ١٩١٠.
- هيلر، زايده. «معركة صفد بين الخيال والواقع». صفد: لا دار نشر، لا تاريخ.
- يعاري، أبراهام (تحرير). «رحلة الحاخام رحاميم يوسف إفلتاكه من القدس إلى ميرون»، في: «رحلات المهاجرين الجدد في أرض إسرائيل». لا مكان: مطبعة مساده، ١٩٧٦.

ج) بالإنكليزية

- *A Survey of Palestine: Prepared in December 1945 and January 1946 for the Anglo-American Commission of Inquiry*. 2 vols. Jerusalem: Government Printer, 1946.
- Abu-Manneh, Butrus. «The Establishment and Dismantling of the Province of Syria, 1865-1888.» in John P. Spagnolo, ed., *Problems of the Modern Middle East in Historical Perspective*. Reading, England: Ithaca Press, 1992, pp. 6-26.
- Adwan, Atef. *The Palestinian Arab Political Parties, 1934-1939*. Ph. D. Dissertation. Manchester: University of Salford, 1986.
- Antonius, George. *The Arab Awakening: The Story of the Arab National Movement*. New York: n.p., 1965.
- Antoun, Richard & Iliya Harik, eds. *Rural Politics and Social Change in the Middle East*. Bloomington: Indiana University Press, 1972.
- Baer, Gabriel. *Fellah and Townsman in the Middle East: Studies in Social History*. London: Frank Cass, 1982.
- ——. «Jerusalem's Families of Notables and the Wakf in the Early 19th Century.» in David Kushner, ed., *Palestine in the Late Ottoman Period: Political, Social and Economic Transformation*. Jerusalem: Yad Izhak Ben Zvi Institute, 1986.
- Ben-Arieh, Yehoshua. «The Population of the Large Towns in Palestine during the First Eighty Years of the Nineteenth Century According to

Western Sources.» in Moshe Ma'oz, ed., *Studies on Palestine during the Ottoman Period*. Jerusalem: The Magnes Press, The Hebrew University, 1975.
- Cohen, Amnon. *Palestine in the 18th Century: Patterns of Government and Administration*. Jerusalem: The Magnes Press, The Hebrew University, 1973.
- Conder, Claude Reignier. *Tent Work in Palestine: A Record of Discovery and Adventure*. London: R. Bentley, 1879, vol. 2, pp. 191-199.
- Davison, Roderic H. «The Advent of the Principle of Representation in the Government of the Ottoman Empire.» in W.R. Polk and R.L. Chambers, eds., *Beginnings of Modernization in the Middle East: The Nineteenth Century*. Chicago, Ill.: University of Chicago Press, 1968.
- Deeb, Mary-Jane, ed. *Hasib Sabbagh: From Palestinian Refugee to Citizen of the World*. Lanham, Md.: Middle East Institute/University Press of America, 1996.
- Doumani, Beshara. *Rediscovering Palestine: Merchants and Peasants in Jabal Nablus, 1700-1900*. Berkeley, California: University of California Press, 1995.
- Ewing, W. *The Jewish Missions in the Holy Land and Glasgow, the United Free Church of Scotland*. Edinburgh: n.p., 1913.
- Faroqhi, Suraiya. *Approaching Ottoman History: An Introduction to the Sources*. Cambridge: Cambridge University Press, 1999.
- Geikie, Cunningham, D.D. *The Holy Land and the Bible*. New York: James Pott & Co., Publishers, 1888.
- Gerber, Haim. «The Population of Syria and Palestine in the Nineteenth Century.» *Asian and African Studies*, vol. 13 (1979).
- Gibbons, John. *The Road to Nazareth*. New York: AMS, 1975.
- Gidney, W.T. *The History of the London Society for Promoting Christianity amongst the Jews from 1809-1908*. London: n.p., 1908.
- Glavanis, Kathy & Pandeli, eds. *The Rural Middle East*. London: n.p., 1989.
- Granott, Abraham. *The Land System in Palestine: History and Structure*. London: Eyre and Spottiswoode, 1952.
- Harold, Rhode. *The Administration and Population of the Sançak of Safad in the 16th Century*. Columbia: Columbia University Press, 1979.

- Hourani, Albert H. «Ottoman Reform and the Politics of Notables.» in W.R. Polk and R.L. Chambers, eds., *Beginnings of Modernization in the Middle East: The Nineteenth Century*. Chicago, Ill.: University of Chicago Press, 1968.
- ——. «The Islamic City in the Light of Recent Research.» in Albert H. Hourani and S. Stern, eds., *The Islamic City*. Oxford: n.p., 1970.
- Inalcik, Halil. «Application of the Tanzimat and its Social Effects.» in Halil Inalcik, ed., *The Ottoman Empire: Conquest, Organization and Economy*. London: Variorum Reprints, 1978.
- ——. «The Emergence of Big Farms, Giftliks: State Landlords and Tenants.» *Turcica*, vol. 3 (1984), pp. 105-126.
- *Journal of a Deputation sent to the East by the Committee of the Malta Protestant College in 1849*. London: J. Nisbet, 1854-1859. vols. 2, part II.
- Karmon, Yehuda. «The Settlement of the North Huleh Valey since 1838.» *Israel Exploration Journal*, vol. 3 (1953), pp. 8-19.
- Kitchener, Horatio H. and Claude Reignier Conder, eds. *The Survey of Western Palestine: Memoirs of the Topography, Orography, Hydrography and Archaeology*. vol. I, Sheets I-VI, Galilee. London: Committe of the Palestine Exploration Fund, 1881.
- Kupferschmidt, Uri. *The Supreme Muslim Council: Islam under the British Mandate for Palestine*. Leiden: Brill, 1987.
- Layish, Aharon. «Waqfs and Sûfi Monasteries in the Ottoman Policy of Colonization, Sultan Selim's Waqf of 1516 in Favour of Dayr Al-Asad.» *Bulletin of the School of Oriental and African Studies*, University of London, vol. 50 (1987).
- Lewis, Bernard. «An Arabic Account of the Province of Safed.» *Bulletin of the School of Oriental and African Studies*, University of London, vol. XV (1953).
- Livingstone, William P. *A Galilee Doctor: being a Sketch of the Career of Dr. D.W. Torrance of Tiberias*. London: Hodder and Stoughton [1923].
- Macalister, Robert Alexander Stewart. «Diary of a Visit to Safad.» *Palestine Exploration Fund Quarterly Statement* (1907).
- Ma'oz, Moshe. *Ottoman Reform in Syria and Palestine, 1840-1861: The Impact of the Tanzimat on Politics and Society*. Oxford: Clarendon Press, 1968.

- Martineau, Harriet. *Eastern Life, Present and Past*. 3 vols. London: n.p., 1948.
- Masterman, E.W.G. «Safed.» *Palestine Exploration Fund Quarterly Statement* (1914).
- Meiveche, M. *Die Mam Lukische Architektur in Agypten und Syrien Clüchstadt*. n.p.: n.p., 1990.
- Morris, Benny. *The Birth of the Palestinian Refugee Problem, 1947-1949*. Cambridge: Cambridge University Press, 1987.
- ——. *1948 and After: Israel and the Palestinians*. Oxford: Clarendon Press, 1990.
- Nazzal, Nafez. *The Flight of the Palestinians from Galilee, 1948: An Historical Analysis*. Ph. D. Dissertation. Washington, D.C.: Georgetown University, 1974 (Micro. 747, University of Haifa).
- Olin, Stephen. *Travels in Egypt, Arabia, Petrea and the Holy Land*. 2 vols. New York: Arno Press, 1843.
- Pappe, Ilan. *The Making of Arab-Israeli Conflict, 1947-1951*. London & New York: I.B. Tauris, 1992.
- Philipp, Thomas. *Acre: The Rise and Fall of a Palestinian City, 1730-1831*. New York: Columbia University Press, 2002.
- Robinson, Edward. *Biblical Researches in Palestine and in the Adjacent Region*. vol. 2. Jerusalem: n.p., 1970.
- «Safad.» *The Encyclopaedia of Islam*. New Edition, vol. VIII. Leiden: Brill, 1995.
- Safed Road Map. 27/9/1918. W.O. 303/318; W.O. 303/226, 1916.
- Samuel, Horace Barnett. *Unholy Memories of the Holy Land*. London: L. and Virginia Woolf, 1930.
- Schumacher, Gottlieb. «Population of the Liva of Akka.» *Palestine Exploration Fund Quarterly Statement* (1887).
- Shlaim, Avi. *Collusion Across the Jordan: King Abdullah, the Zionist Movement and the Partition of Palestine*. Oxford: Clarendon Press, 1988.
- ——. «The Debate about 1948.» *International Journal of Middle East Studies*, vol. 27, no. 3 (August 1995).
- Shlaim, Avi, Eugene Rogan, eds. *The War for Palestine, Rewriting the History of 1948*. Cambridge: Cambridge University Press, 2001.

ملاحق

- Sidebotham, Herbert. *Great Britain and Palestine*. London: Macmillan, 1937.
- Smith, Pamela Ann. *Palestine and the Palestinians, 1876-1983*. London: Groom Helm, 1984.
- Swedenburg, Ted. «The Role of the Palestinian Peasantry in the Great Revolt (1936-1939).» in Ilan Pappe, ed., *The Israel/Palestine Question*. London & New York: Routledge, 1999.
- Trimingham, Spencer. *The Sufi Orders in Islam*. Oxford: Clarendon Press, 1971.
- Tshelebi, Evliya. *Travels in Palestine: 1648-1650*. Translated from Turkish by St. H. Stephan. Jerusalem: n.p., 1980.
- Wilson, John. *The Land of the Bible*. 2 vols. Edinburgh: n.p., 1847.
- Zeine, Zeine. *Arab-Turkish Relations and the Emergence of Arab Nationalism*. Beirut, Lebanon: Khayat's College Book Cooperative, 1958.

ملحق رقم ١

أسماء بعض القائمقامين وسنوات خدمتهم في صفد

السنة	القائمقام	المصدر
١٨٧١	عبد القادر بك	سالنامة ولاية سوريا، ١٢٨٨هـ، ص ٧٩
١٨٨٠	بدري بك	سالنامة ولاية سوريا، ١٢٩٨هـ، ص ٢٠٠
١٨٨١	الأمير محمد سعيد بك الشهابي	سالنامة ولاية سوريا، ١٢٩٩هـ، ص ٢١٩
١٨٨٢ - ١٨٨٤	طلعت بك	سالنامة ولاية سوريا، السنوات: ١٣٠٠هـ، ص ٢١٥ ١٣٠١هـ، ص ١٧٠ ١٣٠٢هـ، ص ١٥٨
١٨٨٤ - ١٨٨٨	الأمير محمد سعيد بك الشهابي	سالنامة ولاية سوريا، السنوات: ١٣٠٢/١٣٠٣هـ، ص ١٤١ ١٣٠٤هـ، ص ١٥٨ «ثمرات الفنون»، ١٨٨٨/٩/٣
١٨٩٣ - ١٨٩٤	صالح أفندي	سالنامة ولاية بيروت، ١٣١١/١٣١٢هـ، ص ١٨٣
١٩٠٠	علي راسخ أفندي	سالنامة ولاية بيروت، ١٣١٨هـ، ص ٣٠٨
١٩٠٠ - ١٩٠١	محمد حمدي أفندي	«ثمرات الفنون»، ١٩٠٠/١٢/١٠، ١٩٠١/٥/٣، ١٩٠٣/٤/٢١، ١٩٠٤/٤/٢٤
١٩٠٣ - ١٩٠٤	الأمير نجيب بك الشهابي	«ثمرات الفنون»، ١٩٠٤/٩/١٢، ١٩٠٦/٨/٢
١٩٠٤ - ١٩٠٦	علي أفندي	«ثمرات الفنون»، ١٩٠٧/٣/٤
١٩٠٨	إسماعيل بك الشهابي	سالنامة ولاية بيروت، ١٣٢٦هـ، ص ٢٩٣

ملحق رقم ٢

أعضاء مجلس إدارة قضاء صفد في سنوات مختلفة

السنة	أسماء الأعضاء	المصدر
١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م	القائمقام عبد القادر بك - رئيس ياسين آغا [قدورة] - عضو محمد أفندي [النحوي] - عضو مصطفى أفندي - عضو سعيد آغا - عضو الياس أفندي [حداد] - عضو حبيب أفندي - عضو موسى أفندي - عضو إسرائيل أفندي - عضو	سالنامة ولاية سوريا، ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م، ص ٧٩
١٢٩٨هـ/ ١٨٨٠م	القائمقام بدري بك - رئيس النائب محمد أفندي النحوي - عضو المفتي عبد الكريم أفندي - عضو الكاتب رشيد أفندي - عضو مدير مال سعيد أفندي - عضو الكاهن الماروني يوسف أفندي - عضو الكاهن الكاثوليكي بطرس أفندي - عضو طه أفندي خطيب - عضو حاج ياسين آغا [قدورة] - عضو عيد أفندي [البشت] - عضو	سالنامة ولاية سوريا، ١٢٩٨هـ/ ١٨٨٠م، ص ٢٠٠
١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م	القائمقام محمد سعيد بك - رئيس النائب محمد أفندي النحوي - عضو المفتي عبد الكريم أفندي - عضو الكاتب رشيد أفندي - عضو الكاهن الماروني يوسف أفندي - عضو الكاهن الكاثوليكي بطرس أفندي - عضو محمد أفندي مراد - عضو	سالنامة ولاية سوريا، ١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م، ص ٢١٩

	إسرائيل أفندي - عضو حاج ياسين آغا [قدورة] - عضو عيد أفندي [البشت] - عضو	
١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م	القائمقام طلعت بك - رئيس النائب حاج إبراهيم صوفي زاده - عضو المفتي عبد الكريم أفندي - عضو الكاتب سليم أفندي - عضو مدير مال سعيد أفندي - عضو الكاهن الماروني يوسف أفندي - عضو محمد أفندي مراد - عضو إسرائيل أفندي - عضو حاج ياسين آغا [قدورة] - عضو عيد أفندي [البشت] - عضو	سالنامة ولاية سوريا، ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م، ص ٢١٥
١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م	القائمقام طلعت بك - رئيس النائب محمد راغب أفندي - عضو المفتي عبد الكريم أفندي - عضو الكاتب سليم أفندي - عضو مدير مال سعيد أفندي - عضو الكاهن الماروني يوسف أفندي - عضو الكاهن الكاثوليكي بطرس أفندي - عضو محمد أفندي مراد - عضو إسرائيل أفندي - عضو حاج ياسين آغا [قدورة] - عضو عيد أفندي [البشت] - عضو	سالنامة ولاية سوريا، ١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م، ص ١٧٠
١٣٠٢هـ/ ١٨٨٤م	القائمقام طلعت بك - رئيس النائب محمد راغب أفندي - عضو المفتي عبد الكريم أفندي - عضو الكاتب سليم أفندي - عضو مدير مال سعيد أفندي - عضو الكاهن الماروني يوسف أفندي - عضو الكاهن الكاثوليكي بطرس أفندي - عضو حاج محمد أفندي مراد - عضو إسرائيل أفندي - عضو	سالنامة ولاية سوريا، ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٤م، ص ١٥٨

	حاج ياسين آغا [قدورة] - عضو عيد أفندي [البشت] - عضو	
١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م	القائمقام محمد سعيد بك - رئيس النائب محمد رشيد أفندي - عضو المفتي عبد الكريم أفندي - عضو الكاتب سليم أفندي - عضو مدير مال سعيد حبيب - عضو حاج محمد أفندي [مراد] - عضو إسرائيل أفندي - عضو حاج ياسين آغا [قدورة] - عضو عيد أفندي [البشت] - عضو	سالنامة ولاية سوريا، ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، ص ١٤١
١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م	القائمقام محمد سعيد بك - رئيس النائب محمد رشيد أفندي - عضو المفتي الشيخ عبد الكريم أفندي - عضو الكاتب إبراهيم أفندي - عضو مدير مال سعيد أفندي - عضو حاج محمد أفندي [مراد] - عضو إسرائيل أفندي - عضو حاج ياسين آغا [قدورة] - عضو عيد أفندي [البشت] - عضو	سالنامة ولاية سوريا، ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م، ص ١٥٨
١٣١١ - ١٣١٢هـ/ ١٨٩٣ - ١٨٩٤م	القائمقام صالح أفندي - رئيس النائب أمين أفندي - عضو المفتي الشيخ سليم أفندي - عضو الكاتب محمد قدري - عضو مدير مال محيي الدين وصفي - عضو محمود حاج مصطفى - عضو يوسف فريدمان - عضو شكري أفندي - عضو عيد أفندي [البشت] - عضو	سالنامة ولاية بيروت، ١٣١١ - ١٣١٢هـ/ ١٨٩٣ - ١٨٩٤م، ص ١٨٣
١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م	القائمقام علي راسخ أفندي - رئيس النائب أحمد جميل أفندي - عضو المفتي الشيخ سليم أفندي - عضو الكاتب محمد قدري - عضو	سالنامة ولاية بيروت، ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م، ص ٣٠٨

	مدير مال أمين أفندي - عضو حاج يوسف زاده يوسف [قدورة] - عضو حسين أفندي - عضو عيد البشت أفندي - عضو يوسف فريدمان - عضو	
١٣١٩هـ/ ١٩٠١م	القائمقام محمد حمدي أفندي - رئيس المفتي الشيخ سليم - عضو مدير المال أمين أفندي - عضو الكاتب حمد قدري أفندي - عضو الحاج يوسف زاده [قدورة] - عضو حسين مراد أفندي - عضو يوسف فريدمان - عضو حبيب جبران - عضو	سالنامة ولاية بيروت، ١٣١٩هـ/ ١٩٠١م، ص ١٥٩
١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م	القائمقام علي أفندي - رئيس النائب حامد خير الله أفندي - عضو المفتي حسن النحوي - عضو مدير المال خورشيد أفندي - عضو الكاتب محمد جميل جراح - عضو محمد حاج يوسف أفندي - عضو محمد حسن - عضو يوسف فريدمان - عضو	سالنامة ولاية بيروت ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م، ص ١٩٨
١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م	القائمقام إسماعيل بك - رئيس النائب محمد سعيد أفندي - عضو المفتي حسن أفندي النحوي - عضو مدير المال الحاج خورشيد الكاتب محمد جميل محمد الحاج يوسف قدورة - عضو محمد حسن أفندي - عضو أسعد خوري - عضو يوسف فريدمان - عضو	سالنامة ولاية بيروت ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م، ص ٢٩٣

ملحق رقم ٣

أعضاء المحكمة النظامية في سنوات مختلفة

السنة	أسماء الأعضاء	المصدر
١٢٩٨هـ/ ١٨٨٠م	النائب محمد أفندي النحوي - عضو محمد صالح أفندي صبح - عضو محمد أفندي [حاج يوسف] - عضو حبيب أفندي بطرس - عضو يوسف أفندي حداد - عضو بطرس أفندي - كاتب	سالنامة ولاية سوريا، ١٢٩٨هـ/ ١٨٨٠م، ص ٢٠١
١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م	النائب محمد أفندي النحوي - رئيس محمد أفندي حاج يوسف [قدورة] - عضو محمد أفندي صبح - عضو حبيب أفندي جبران - عضو يوسف أفندي حداد - عضو عبد الرحمن أفندي - كاتب	سالنامة ولاية سوريا، ١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م، ص ٢١٩
١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م	النائب حاج إبراهيم صوفي زاده - رئيس محمد أفندي حاج يوسف - عضو حاج محمد أفندي صبح - عضو حبيب أفندي جبران - عضو يوسف أفندي حداد - عضو	سالنامة ولاية سوريا، ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م، ص ٢١٦
١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م	النائب محمد راغب أفندي - رئيس محمد أفندي حاج يوسف [قدورة] - عضو محمد أفندي صبح - عضو حبيب أفندي جبران - عضو يوسف أفندي الياس [حداد] - عضو	سالنامة ولاية سوريا، ١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م، ص ١٧٠
١٣٠٢هـ/ ١٨٨٤م	النائب محمد راغب أفندي - رئيس محمد أفندي الحاج يوسف [قدورة] - عضو محمد أفندي صبح - عضو حبيب أفندي جبران - عضو يوسف الياس أفندي [حداد] - عضو	سالنامة ولاية سوريا، ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٤م، ص ١٥٨
١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م	النائب محمد رشيد أفندي - رئيس	سالنامة ولاية سوريا،

	محمد أفندي [الحاج يوسف قدورة] - عضو الحاج محمد أفندي [صبح] - عضو حبيب جبران أفندي - عضو يوسف الياس أفندي [حداد] - عضو	١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، ص ١٤١
١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م	النائب محمد رشيد أفندي - رئيس محمد أفندي الحاج يوسف [قدورة] - عضو حاج محمد سليم أفندي - عضو حبيب جبران أفندي - عضو يوسف الياس أفندي [حداد] - عضو	سالنامة ولاية سوريا، ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م، ص ١٥٩
١٣١١ - ١٣١٢هـ/ ١٨٩٣- ١٨٩٤م	النائب أمين أفندي - رئيس حاج أحمد يونس أفندي - عضو أسعد خوري أفندي - عضو أحمد سعيد عبد الكريم - عضو	سالنامة ولاية بيروت، ١٣١١ - ١٣١٢هـ/ ١٨٩٣ - ١٨٩٤م، ص ١٨٣
١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م	النائب أحمد جميل أفندي - رئيس أحمد الحاج قاسم أفندي - عضو حبيب الديب أفندي - عضو	سالنامة ولاية بيروت، ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م، ص ٣٠٨ - ٣٠٩
١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م	النائب ماجد خير الله أفندي - رئيس صالح الصالح - عضو الياس البواب - عضو	سالنامة ولاية بيروت، ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م، ص ١٩٨
١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م	النائب محمد سعيد أفندي - رئيس صالح الصالح - عضو الياس البواب - عضو	سالنامة ولاية بيروت، ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م، ص ٢٩٣

ملحق رقم ٤

أعضاء دائرة المعارف في سنوات مختلفة

السنة	أسماء الأعضاء	المصدر
١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م	النائب محمد راغب أفندي - رئيس حسن نحوي أفندي - عضو أحمد عبد الرحيم أفندي - عضو علي حاج إبراهيم أفندي - عضو حاج أحمد أبو دياب أفندي - عضو موسى أفندي الخضراء - عضو محمد أفندي مراد - عضو حاج خليل محيي الدين - عضو	سالنامة ولاية سوريا، ١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م، ص ١٧١
١٣٠٢هـ/ ١٨٨٤م	النائب محمد راغب أفندي - رئيس حسن نحوي أفندي - عضو أحمد عبد الرحيم أفندي - عضو علي حاج إبراهيم أفندي - عضو حاج أحمد أبو دياب أفندي - عضو موسى أفندي الخضراء - عضو محمد أفندي مراد - عضو حاج خليل محيي الدين - عضو	سالنامة ولاية سوريا، ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٤م، ص ١٥٨
١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م	النائب محمد رشيد أفندي - رئيس حسن نحوي أفندي - عضو حسن مراد أفندي - عضو حاج محمد أفندي - عضو محمد صبح أفندي - عضو المفتي عبد الكريم أفندي - عضو حاج حجازي أفندي - عضو شيخ موسى أفندي - عضو	سالنامة ولاية سوريا، ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، ص ١٤٢
١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م	النائب محمد رشيد أفندي - رئيس المفتي الشيخ عبد الكريم أفندي - عضو محمد أفندي الحاج يوسف - عضو حسن أفندي النحوي - عضو	سالنامة ولاية سوريا، ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م، ص ١٥٩

	حسين أفندي عبد الكريم - عضو محمد أفندي حميدة - عضو	
١٣١١ - ١٣١٢هـ/ ١٨٩٣- ١٨٩٤م	صالح أفندي - رئيس المفتي الشيخ سليم - عضو النائب شيخ أمين - عضو حسين عبد الرحيم أفندي - عضو حاج محمد مراد أفندي - عضو أحمد سعيد عبد الرحيم - عضو حاج أحمد أسدي - عضو حاج خليل محيي الدين - عضو	سالنامة ولاية بيروت، ١٣١١ - ١٣١٢هـ/ ١٨٩٣ - ١٨٩٤م، ص ١٨٣
١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م	القائمقام علي راسخ أفندي - رئيس النائب أحمد جميل أفندي - عضو المفتي الشيخ سليم أفندي - عضو المعلم توفيق أفندي - عضو المعلم مصباح أفندي - عضو المعلم محيي الدين أفندي - عضو	سالنامة ولاية بيروت، ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م، ص ٣١٠
١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م	القائمقام علي أفندي - رئيس محمد الحاج يوسف أفندي - عضو أسعد الحاج عيسى - عضو حسين مراد - عضو الكاتب جميل أفندي	سالنامة ولاية بيروت، ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م، ص ١٩٨
١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م	القائمقام إسماعيل بك - رئيس بهجت أفندي - عضو أسعد الحاج عيسى - عضو محمد الحاج يوسف - عضو حسين مراد - عضو جميل جرّاح - كاتب سعيد أفندي - أمين صندوق	سالنامة ولاية بيروت، ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م، ص ١٩٨

ملحق رقم ٥

أعضاء المجلس البلدي في سنوات مختلفة

السنة	أسماء الأعضاء	المصدر
١٢٩٨هـ/ ١٨٨٠م	حسن أفندي النحوي - رئيس حاج عبد المجيد أفندي - عضو طالب آغا - عضو حاج حميدي أفندي - عضو الياس أفندي حداد - عضو موسى أفندي - عضو	سالنامة ولاية سوريا، ١٢٩٨هـ/ ١٨٨٠م، ص ٢٠١
١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م	حسن أفندي النحوي - رئيس حاج أحمد أفندي أسد - عضو سليمان أفندي البشت - عضو مهند حاج حميدي أفندي - عضو أحمد أفندي الحاج سعيد - عضو الحاخام مخلوف - عضو	سالنامة ولاية سوريا، ١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م، ص ٢١٩
١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م	حسن أفندي النحوي - رئيس حاج أحمد أفندي أسد - عضو سليمان أفندي البشت - عضو أحمد أفندي السعيد [الحاج سعيد] - عضو مخلوف أفندي الداوودي - عضو	سالنامة ولاية سوريا، ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م، ص ٢١٦
١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م	حسن أفندي النحوي - رئيس حاج عبد الحميد أفندي - عضو حسن اللطف أفندي حاج سعيد - عضو سليم آغا [صبح] - عضو عيد أفندي [البشت] - عضو إسرائيل أفندي - عضو	سالنامة ولاية سوريا، ١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م، ص ١٧٠
١٣٠٢هـ/ ١٨٨٤م	حسن أفندي النحوي - رئيس حاج عبد الحميد أفندي - عضو عبد اللطيف أفندي حاج سعيد - عضو حسن أفندي مراد - عضو حاج محمد أبو دياب [أسدي] - عضو	سالنامة ولاية سوريا، ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٤م، ص ١٥٩

	حاج طالب أفندي حديد - عضو جبران أفندي [البشت] - عضو الحاخام مخلوف أفندي داوودي - عضو	
١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م	حسن النحوي - رئيس أحمد أفندي [قدورة] - عضو حاج حميدي أفندي - عضو حاج حسن مراد أفندي - عضو علي آغا [الحاج إبراهيم] - عضو الحاخام مخلوف أفندي - عضو	سالنامة ولاية سوريا، ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، ص ١٤١
١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م	حسن النحوي - رئيس حسن أفندي مراد - عضو علي آغا إبراهيم - عضو أحمد أفندي قدورة - عضو حاج حمدي أفندي - عضو الحاخام مخلوف أفندي - عضو	سالنامة ولاية سوريا، ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م، ص ١٥٩
١٣١١ - ١٣١٢هـ/ ١٨٩٣- ١٨٩٤م	حاج محمد صبح - رئيس حاج حسن مراد أفندي - عضو حسين عبد الرحيم أفندي - عضو حاج أحمد أسدي أفندي - عضو جبران البشت أفندي - عضو حاج أحمد حاج يونس أفندي - عضو	سالنامة ولاية بيروت، ١٣١١ - ١٣١٢هـ/ ١٨٩٣ - ١٨٩٤م، ص ١٨٤
١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م	حسن نحوي أفندي - رئيس حسين عبد الرحيم - عضو جبران البشت - عضو حايكل شبيرا - عضو ليفي الأزجي - عضو	سالنامة ولاية بيروت، ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م، ص ٣٠٩
١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م	محمود سليم شما أفندي - رئيس حسين عبد الرحيم - عضو جبران بشت - عضو حايكل شبيرا - عضو	سالنامة ولاية بيروت، ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م، ص ١٩٩
١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م	محمود سليم شما أفندي - رئيس حسين عبد الرحيم أفندي - عضو حايكل شبيرا - عضو جبران بشت - عضو	سالنامة ولاية بيروت، ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٦م، ص ٢٩٤

ملحق رقم ٦
صور ووثائق

قضاء صفد.

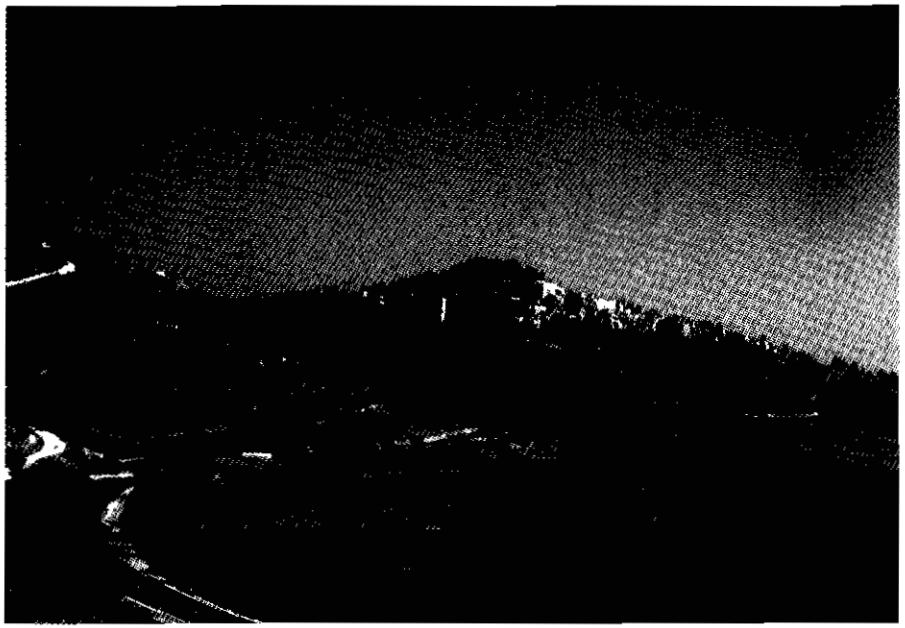

منظر عام للمدينة من الشمال.

منظر عام للمدينة من الغرب.

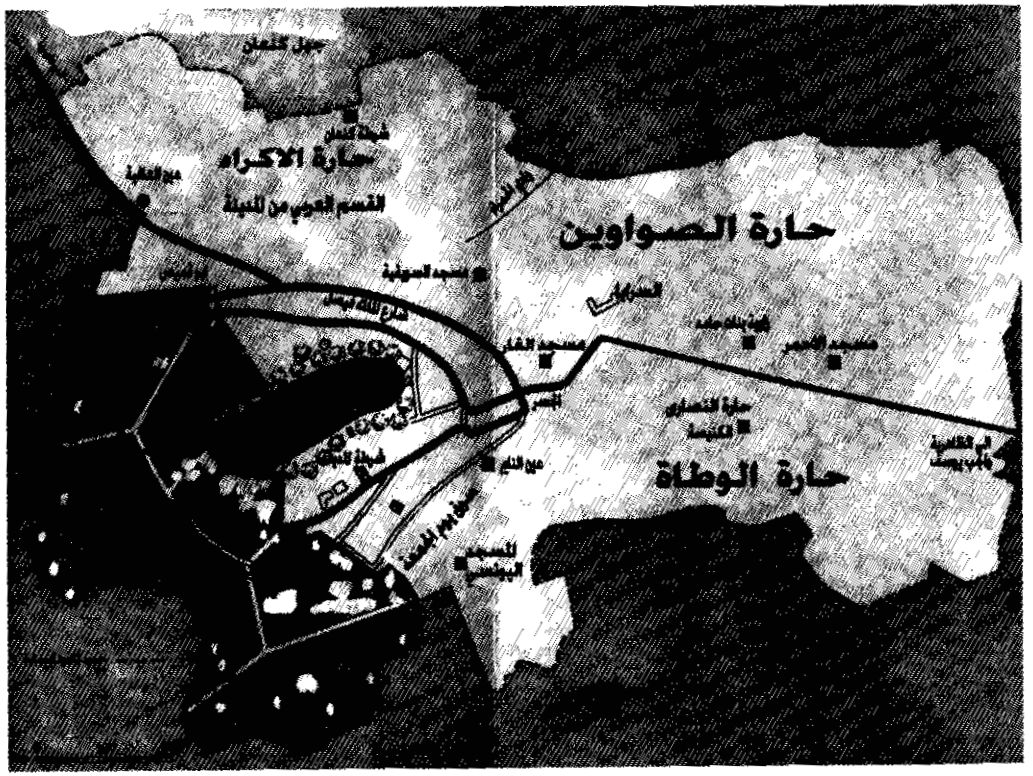

خريطة حارات صفد في عهد الانتداب.

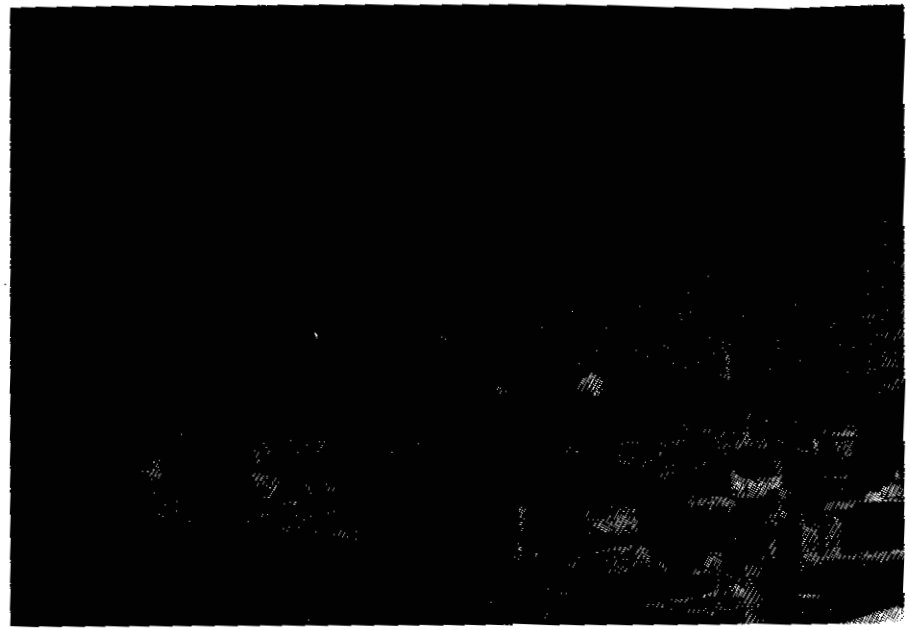

حارة آل الخضراء.

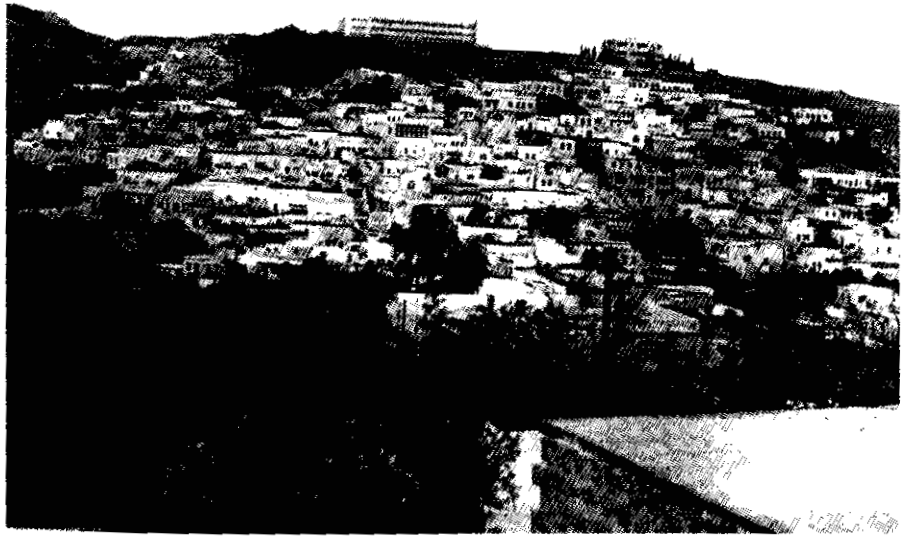

حارة الأكراد وجبل كنعان فوقها.

حارة الجورة.

حارة الصواوين/ القلعة.

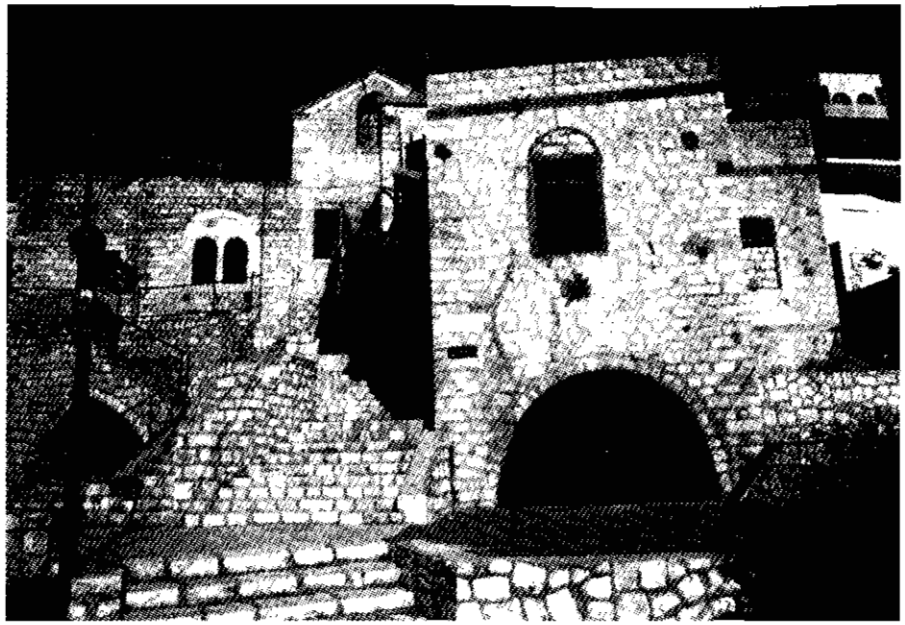

حارة النصارى.

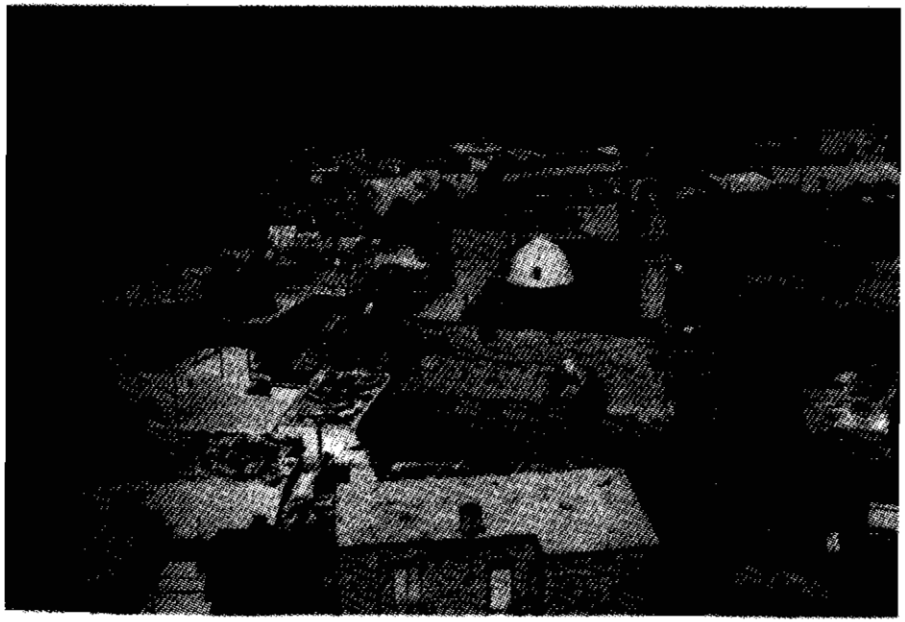

حارة الوطاة.

المدخل الرئيسي للحي اليهودي الأشكنازي.

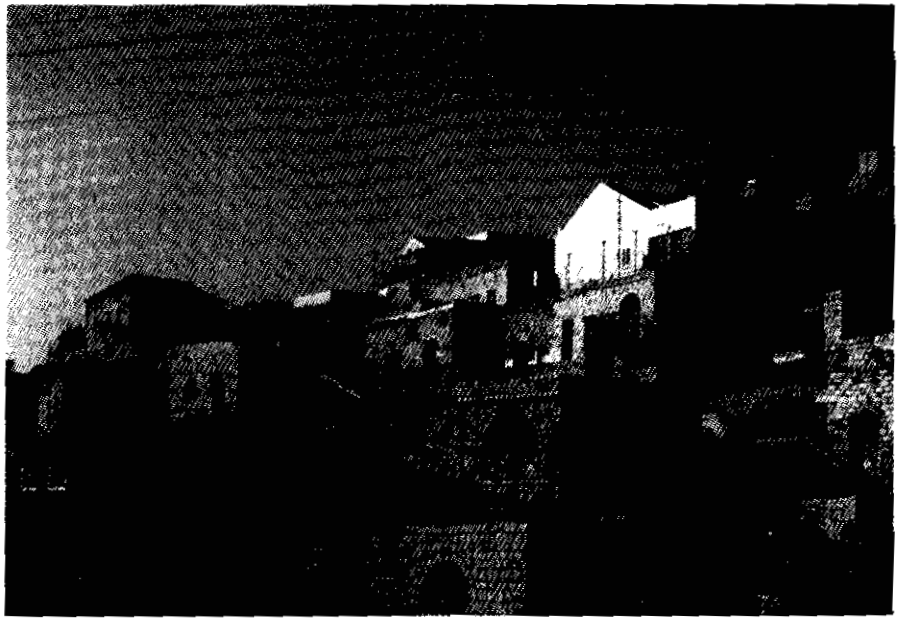

الحي اليهودي السفارادي.

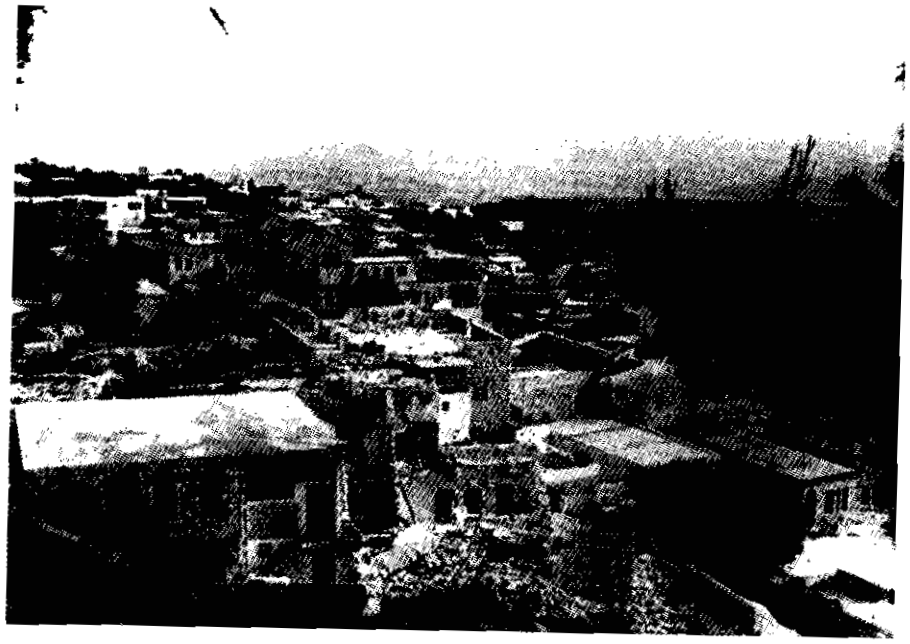

مركز المدينة.

السوق القديمة.

السرايا العثمانية.

الجامع الأحمر.

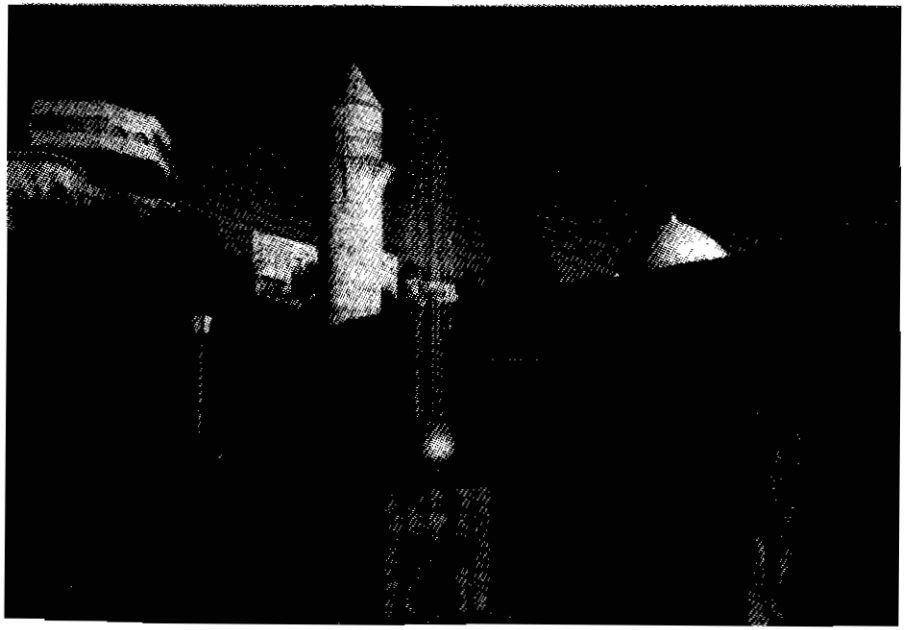

الجامع اليونسي.

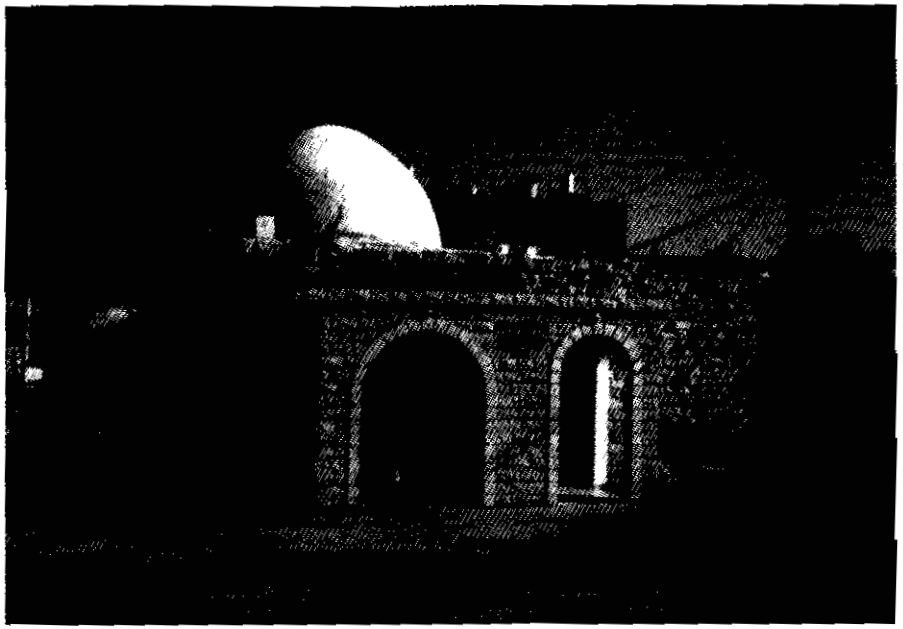

جامع الغار/ الشعرة الشريفة.

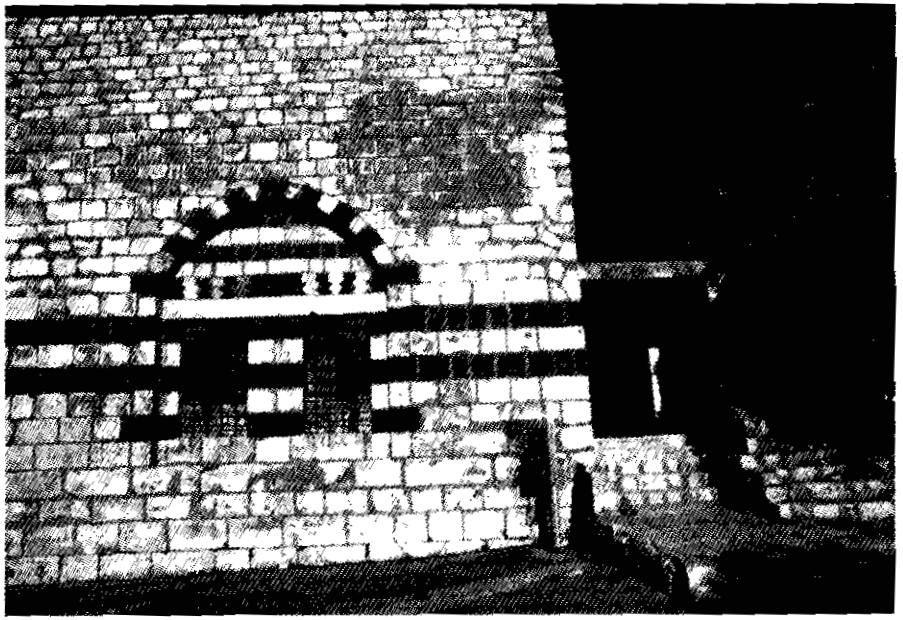

زاوية بنات حامد.

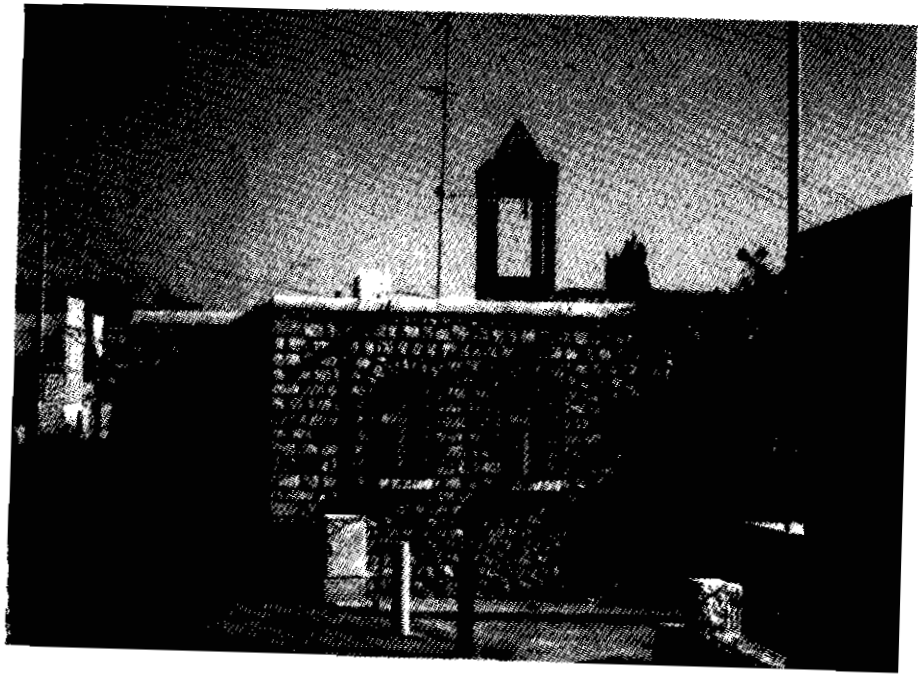

كنيسة الكاثوليك.

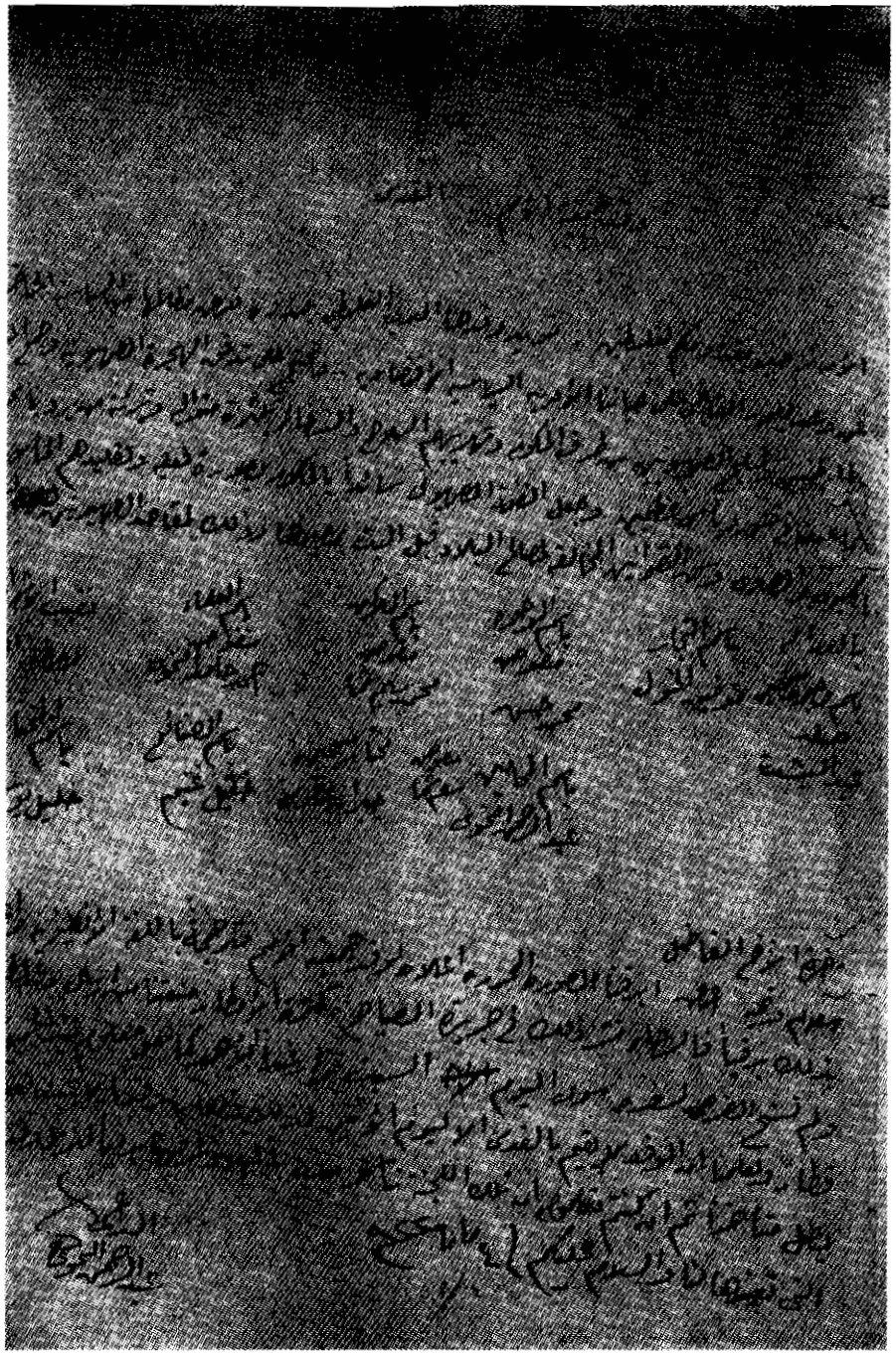

عريضة من وجهاء صفد إلى وفد جمعية الأمم.

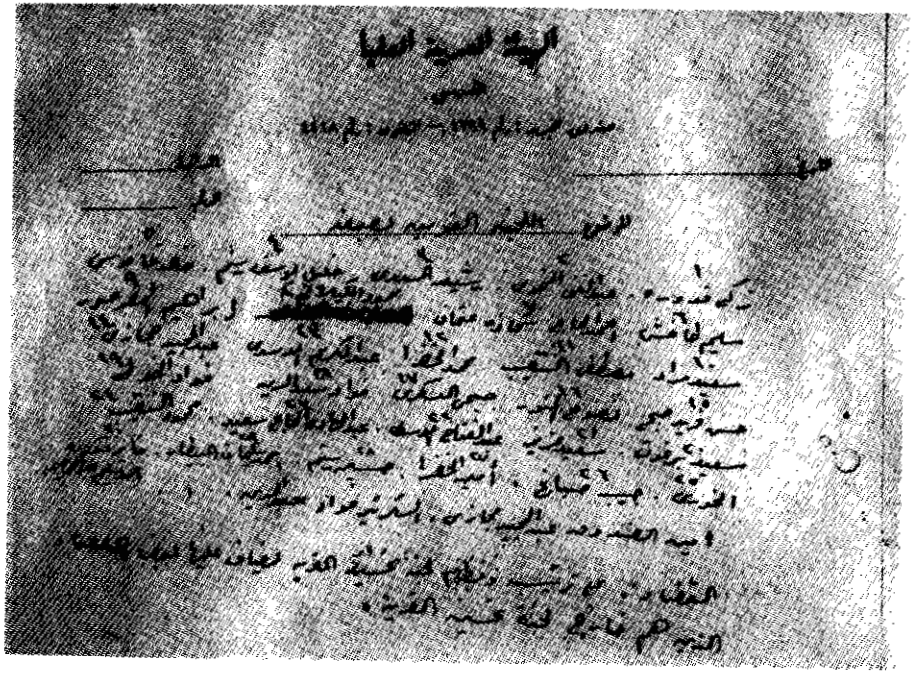

أعضاء اللجنة القومية في صفد.

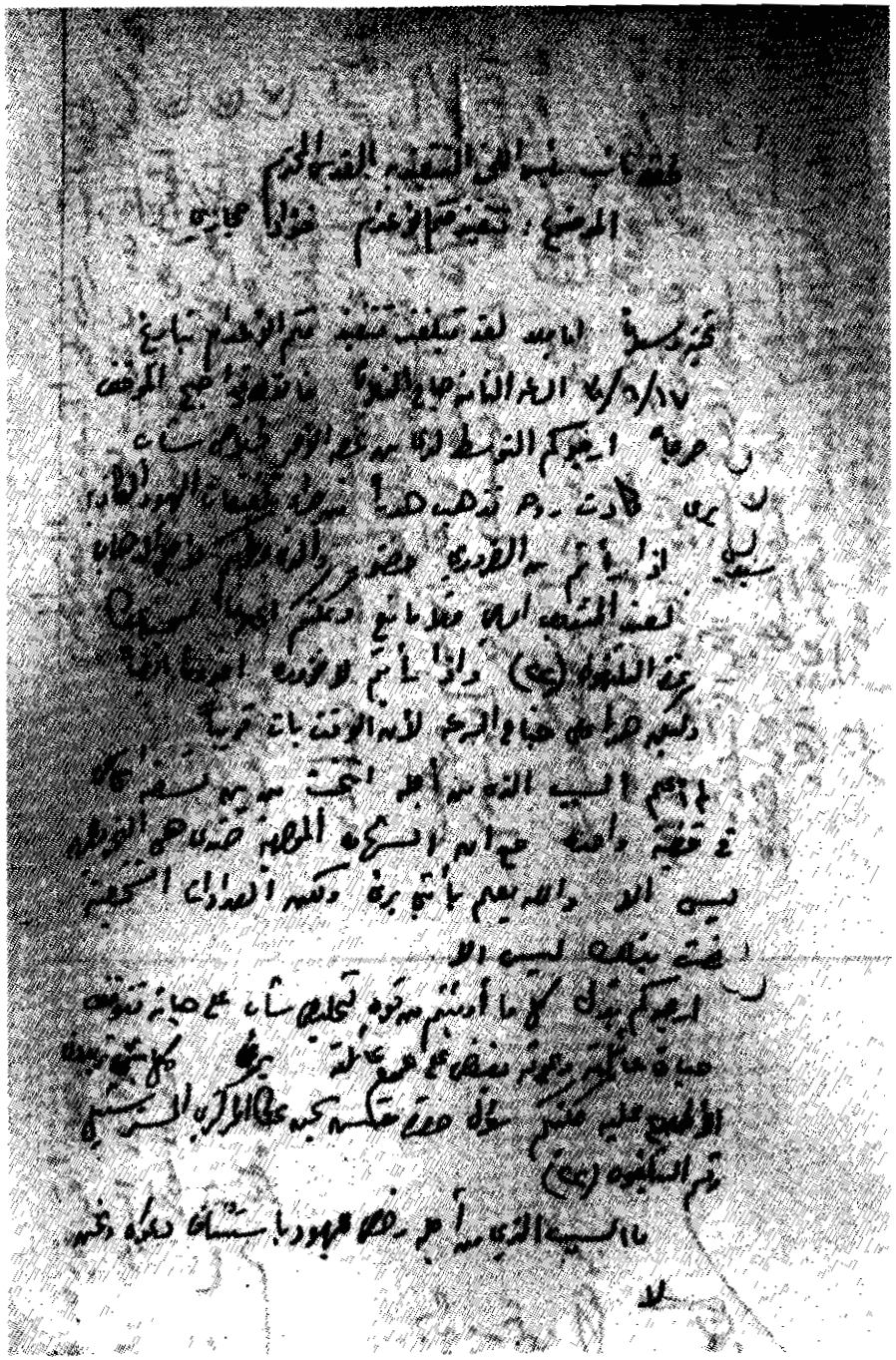

رسالة فؤاد حجازي.

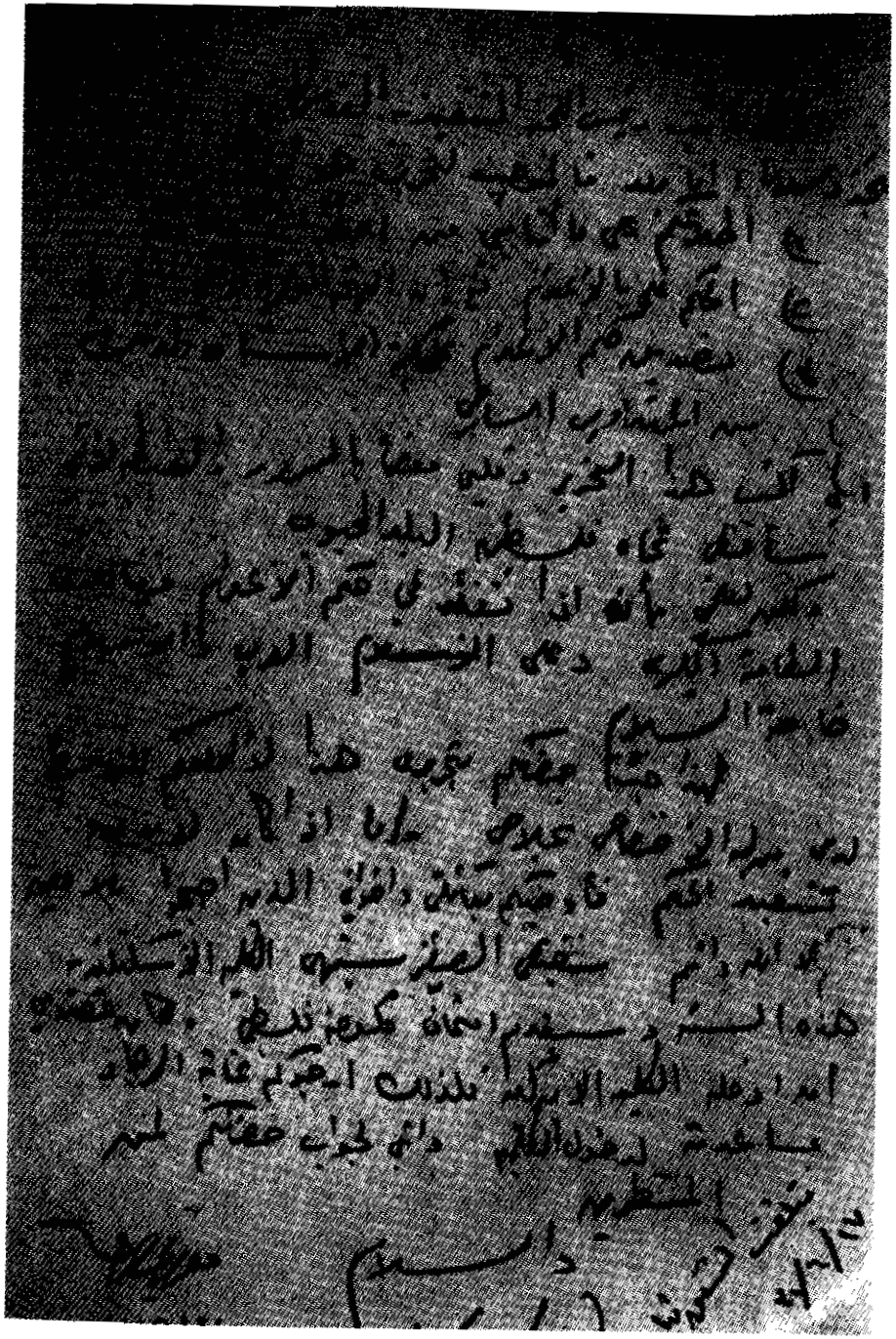

رسالة فؤاد حجازي.

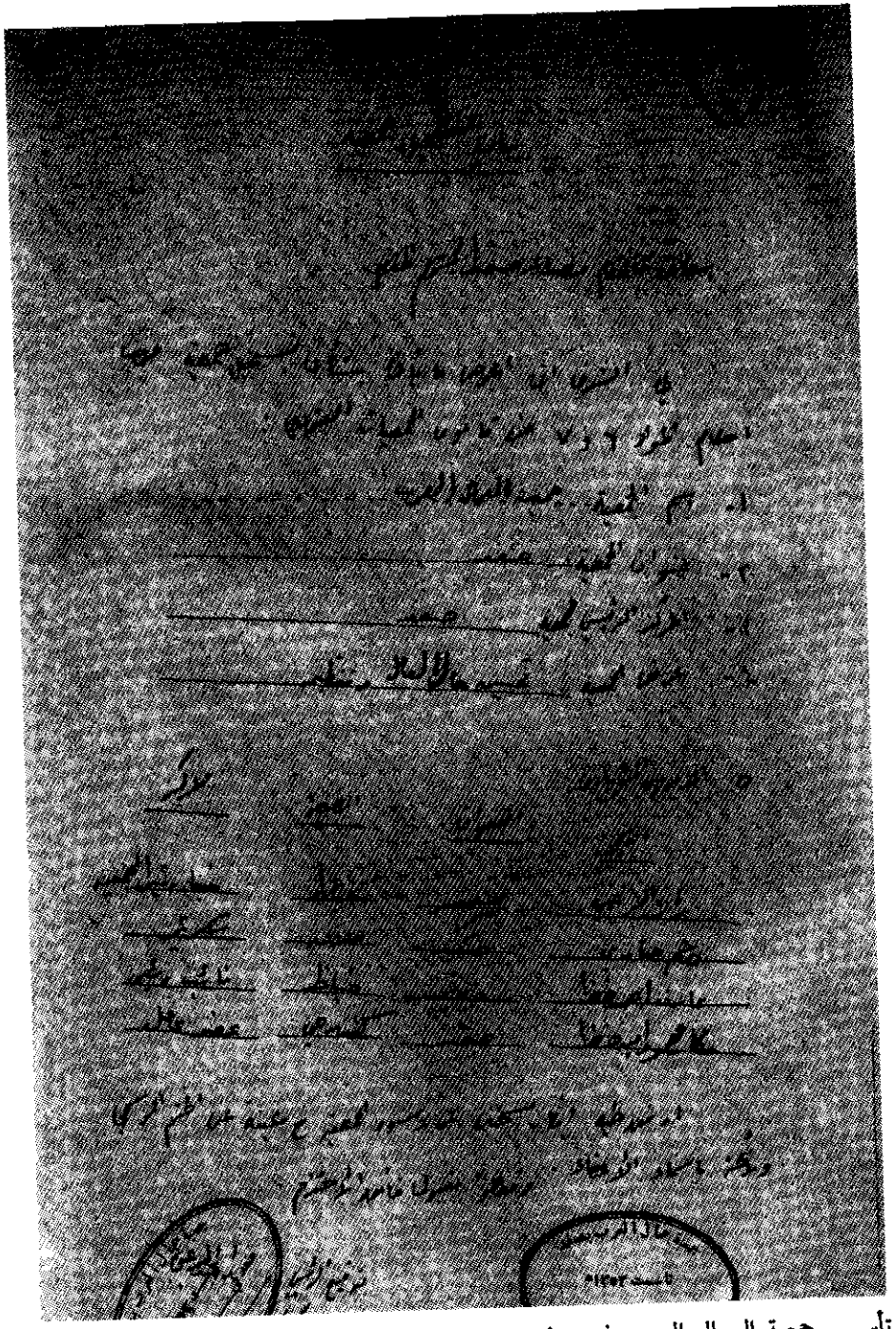

تأسيس جمعية العمال العرب في صفد.

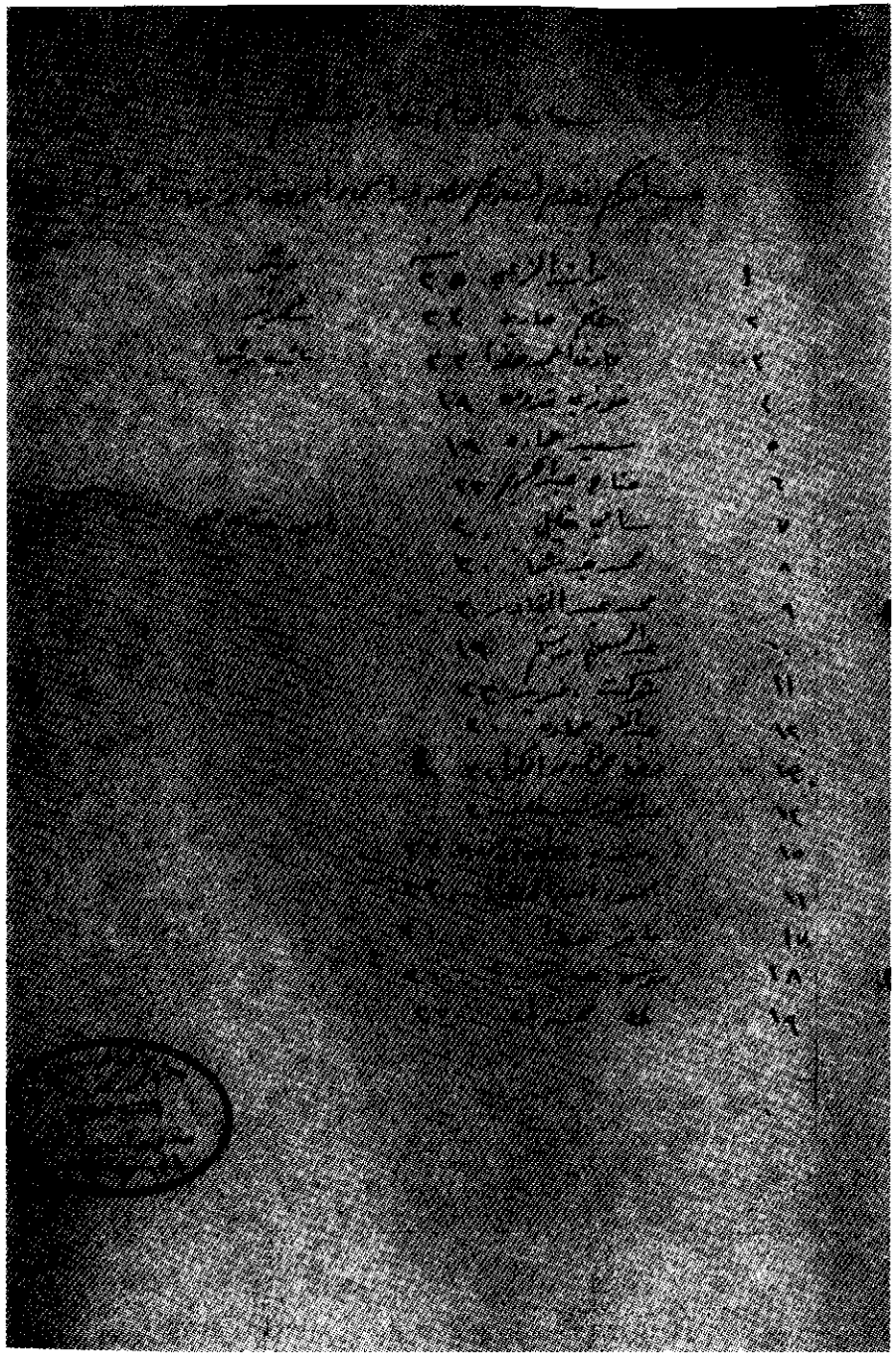

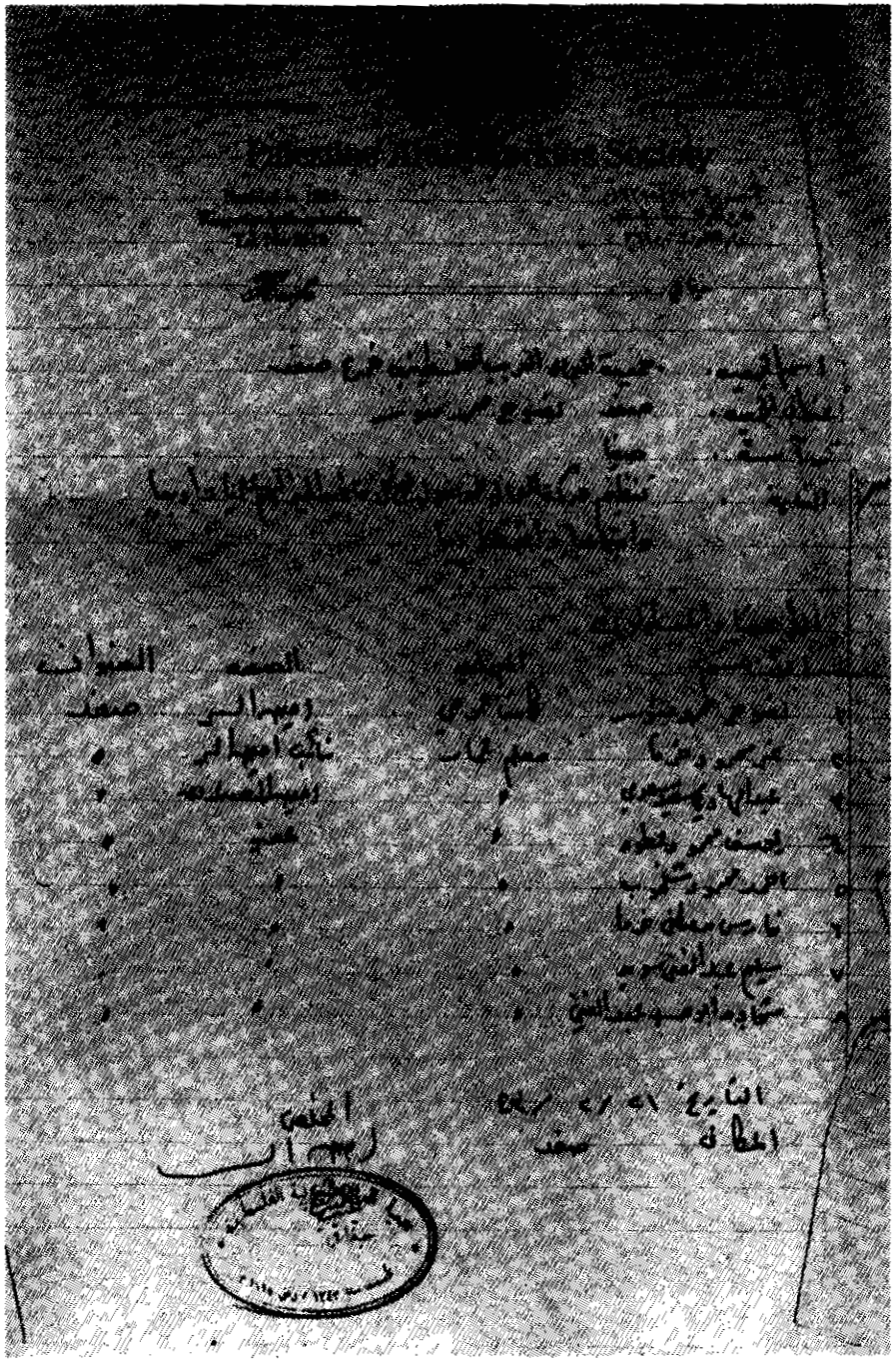

تأسيس جمعية العمال العربية الفلسطينية - فرع صفد.

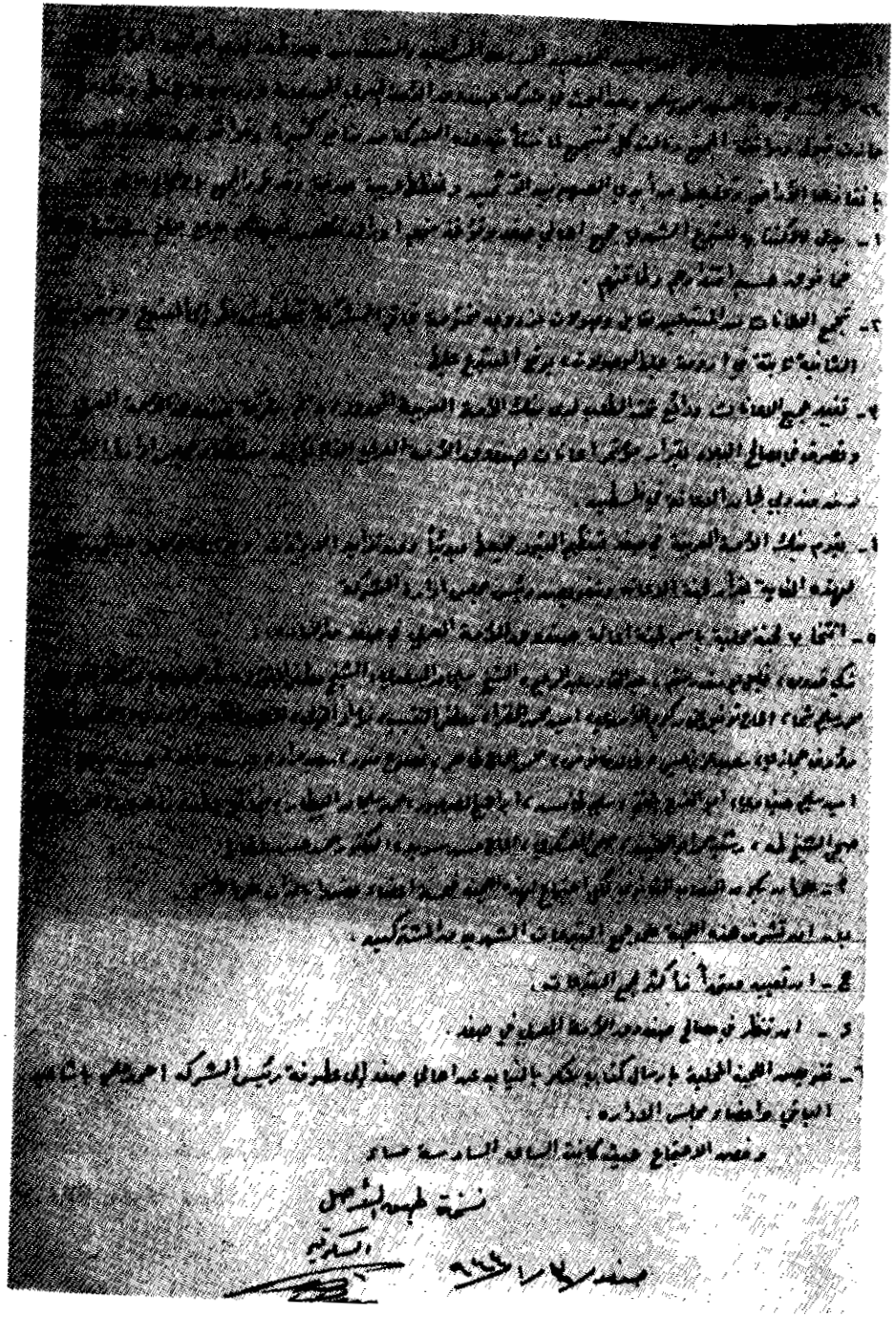

إنشاء شركة صندوق الأمة العربي المحدودة.

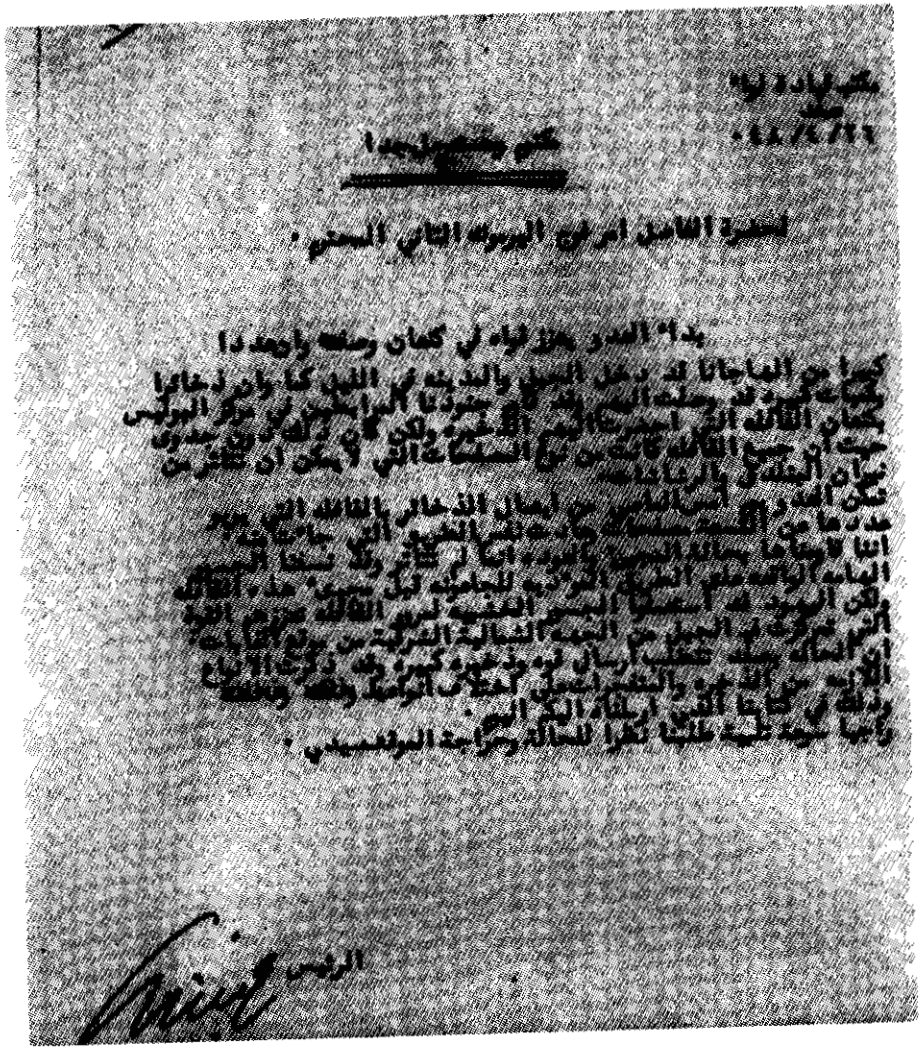

من وثائق معركة صفد.

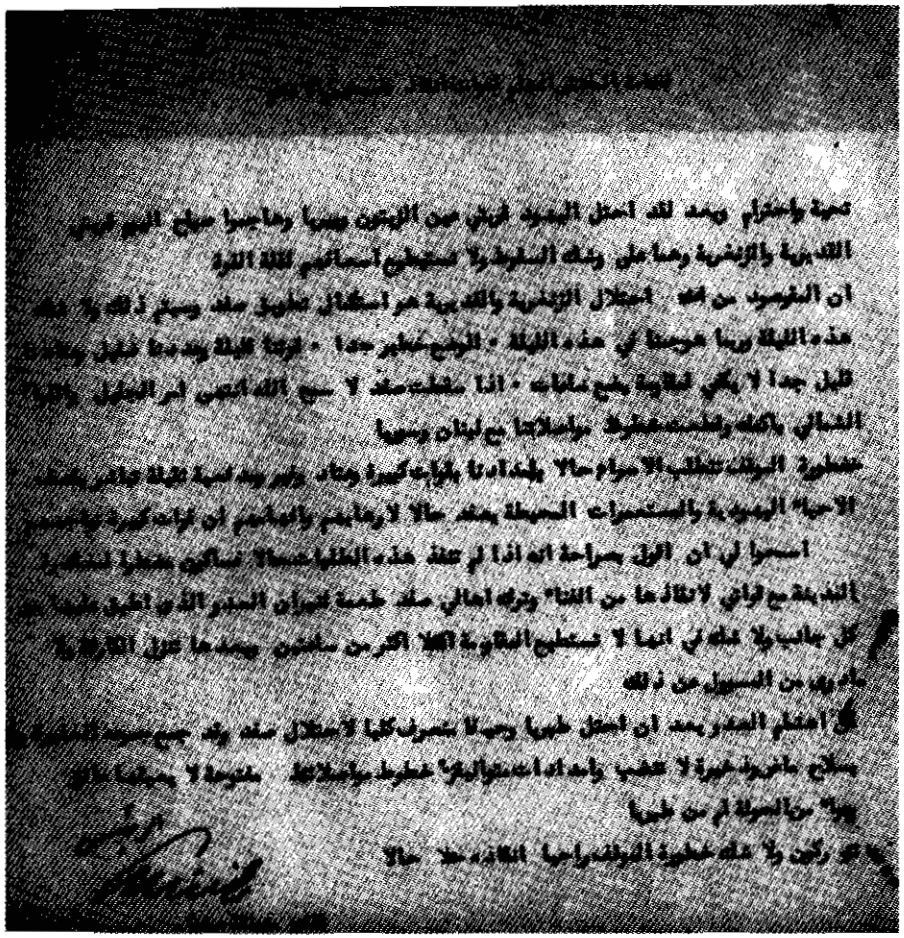

من وثائق معركة صفد (احتلال قريتي عين الزيتون وبيريا).

فهرست

(أ)

آبل القمح (قرية): ١٤٤
آل سعود، عبد العزيز (الملك): ١٩٦
آل شهاب (أمراء): ٢٤٢
ـ أنظر أيضاً: الأمراء الشهابيون
إبراهيم باشا: ٩، ٢٢
ابن طولون: ١٢٩
ابن ميمون (الشيخ): ١٢٨
أبو حويج، أحمد: ٢٥٠
أبو ديّة: أنظر: أبو شاكر، أحمد عبد الله
أبو ذياب (آل، عائلة): ١٠
ـ أنظر أيضاً: الأسدي (آل، عائلة)
أبو ذياب، (الحاج) محمد: ١١
أبو زيد، محمد: ١٩٥
أبو سلطان: أنظر: الكردي، محمود عثمان
أبو شاكر، أحمد عبد الله: ٢٢٢
أبو شله، خليل: ٢٢٠
أبو عاطف: أنظر: صالح، محمود سليم
أبو عثمان الكردي: أنظر: الكردي، محمد عثمان
أبو عيد، حسين: ٢١٢
أبو غاندي: أنظر: منور، نصوح
أبو اللسن (منطقة): ١٦٧
أبو هاشم: أنظر: الخضراء، أمين محمد
أبو يوسف: أنظر: العلي، (الشيخ) حسين
اتحاد فناني صفد: ١٢١
الاتحاد النسائي العربي (حيفا): ١٩٩
اتفاقية الحدود اللبنانية - الفلسطينية (١٩١٩): ١٥٤
اتفاقية الحدود اللبنانية - الفلسطينية (١٩٢٠): ١٥٤
اتفاقية الحدود اللبنانية - الفلسطينية (١٩٢٣): ١٤٣
أحداث حائط البراق (١٩٢٩): ٤٤، ٤٧، ٥٩، ٧١، ٨٧، ٩٧، ١٠٦، ١١٢، ١٣٩، ١٥٦، ١٨٢ ـ ٢٠٨، ٢٢١، ٢٣٧، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٨١، ٣٠٢
الإحصاء الرسمي الأول لسنة ١٩٢٢: ٨٢
الإحصاء الرسمي الثاني لسنة ١٩٣١: ٨٢، ١٤٢
إحصاء سنة ١٩١٨: ٨٢
ـ أنظر أيضاً: إحصاء عام ١٩١٨/١٩١٩
إحصاء سنة ١٩٢٩: ٩٨
إحصاء سنة ١٩٤٨: ٨٢
إحصاء عام ١٩١٨/١٩١٩: ٩٦، ٩٨
ـ أنظر أيضاً: إحصاء سنة ١٩١٨
إحصاء مونتفيوري (١٨٣٩): ١٣
إحصاء مونتفيوري (١٨٥٥): ٢٧
أحمد، توفيق عبيد: ١٩٤
الأحمد، سليم: ٢١٢
أحمد باشا الجزار: ١، ٢٢
إدارة أراضي العدو المحتلة في الجنوب: ٣٩
الإدارة البريطانية: ١٠٢، ١١٢، ١٥٢
إدارة وقف عكا: ٧٢
إذاعة برلين: ٢٣١
أذرع (بلدة/ سورية): ٥٦

إربد (شرق الأردن): ١١٦
الأردن: ٥٨، ١١٨، ١٣٨، ١٥٠، ١٦٧، ٢٠٤
ـ أنظر أيضاً: شرق الأردن
الأرشيف الصهيوني المركزي: ٢٤٠
أرنون - أوحانه، يؤفال: ١٥٦
الأزجي، ليفي: ١١
الأزهر الشريف: ٥٧، ٦٥، ١١٤، ١١٧، ١٧٠
الأزهري، (الشيخ) أحمد عباس: ٢٠
أساف، ميخائيل: ٢٠، ٣٢
إسبانيا: ٢٤ ـ ٢٦
أستراليا: ٣٧
إسـتنبول: ١٨، ٥٧، ٥٩، ٦٠، ٧١، ١٢٦، ١٦٦، ١٦٧
الأسدي (آل، عائلة): ١٠، ٥٩، ٨٦، ١١٧، ١٢٦، ١٣٩، ١٧٩
ـ أنظر أيضاً: أبو ذياب (آل، عائلة)
الأسدي، (الحاج) أحمد: ١٠، ٣٣
الأسدي، (الشيخ) أحمد: ١١٧، ١٢٢، ١٢٦، ١٢٧، ١٣٤
الأسدي، توفيق عثمان: ٩٢
الأسدي، رشدي مصطفى: ١١١
الأسدي، عبد الفتاح أحمد: ١١٧، ١٢٧، ١٣٤، ١٩٩، ٢٦١
الأسدي، عبد القادر: ١٣٤، ٢٣٨، ٢٦٢
الأسدي، عبد الكريم: ٢٣٨
الأسدي، عبد الهادي عثمان: ٩٢، ٩٥
الأسدي، فوزي مصطفى: ٢٣٢
الأسدي، (الشيخ) محمد: ١١، ١٢٦
الأسدي، محمد رشيد السعيد: ٢٣٨
الأسدي، محمد سعيد صالح: ١٣٩
الأسدي، مصطفى محمد: ٢٣٨
الإسراء والمعراج: ١٨٣
إسرائيل: ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٧٥
الأسرة الزيدانية: ١٤٦
الأسعد (آل): ٢٤٢
الأسعد، أحمد: ٢٤١
أسعد محمد يوسف (المفتي): ١٩٩، ٢٣٨
ـ أنظر أيضاً: قدّورة، (الشيخ/المفتي) أسعد
الأصبح، عبد الله: ١٣٨، ٢٢١
إفريقيا: ٣٧
الأفغاني، [جمال الدين]: ١٣٧
أفيتسور، شموئيل: ٩٧
أللنبي (الجنرال): ٤٠
ألمانيا: ٢٥، ٢٦، ٢٣٠، ٢٣١
ألون، يغآل: ٢٦٥، ٢٧٨، ٢٨٠، ٢٨٧ ـ ٢٩٠، ٢٩٤
الياس، (الخوري) يوسف: ٢٢٠
إلياف، مردخاي: ٣٦
أليميلخ، أبراهام: ٣٤
أم الفحم (منطقة): ١٥٣
أم الفرج (قرية): ٣ (الحاشية ٨)
الإمبراطورية النمساوية الهنغارية: ٢٧
الأمراء الشهابيون: ٢٤١
ـ أنظر أيضاً: آل شهاب (أمراء)
الأمم المتحدة: ٢٥٥
الأموي، سعدي: ٩٦، ٢٥٢
الأموي، سعيد: ٢٢٤

أميركا: ٢٤، ٣٥ ـ ٣٧
ـ أنظر أيضاً: الولايات المتحدة
الانتداب البريطاني: ٥٧، ٥٨، ٦٠، ٧٧، ٩٠، ١٤٣، ١٤٥، ١٥٤، ١٦٤ ـ ١٨٢، ٢٠٥، ٢٠٩، ٢١٥، ٢١٦، ٢٢٦، ٢٦٢، ٢٨٦، ٣٠١
الانتداب الفرنسي: ٥٨، ١٤٣، ١٤٥، ١٥٤
أندروز، لويس: ٢٢٤
أنطونيوس، جورج: ١٦٥
أنظمة الدفاع (الطوارئ): ٧٢، ٢٢٣، ٢٢٤
الإنكشارية: ٥٦
إنكلترا: ٢٥، ١٩٨
ـ أنظر أيضاً: بريطانيا؛ المملكة المتحدة
أوروبا: ١٣، ٢٩، ٢١٣، ٢٢٦
أولن، ستيفان: ٢٥، ٣٠
أوليفانت، لورنس: ١٥، ٢٦
إيتسل: ٢٣٤، ٢٨٩
إيران: ٢٨
إيطاليا: ٢٤، ٢٥
إيلبوم، مناحم: ٢٩
الأيوب، (الشيخ) توفيق: ١٩٩، ٢١٢، ٢٢٠
الأيوب، داود: ٢١٢
أيوب، سليم علي: ٢٢٠
الأيوب، (الشيخ) عبد الرحيم: ٢٤٤
أيبلت هشحر (مستعمرة): ١٧٠، ٢٦٦
ـ أنظر أيضاً: نجمة الصبح

(ب)

الباب العالي: ٣، ٤
بابه، إيلان: ٢٥٧
بار، دافيد: ٤٦، ٤٧، ٤٩، ٥٠، ٨٣، ٨٤، ١٠٨، ٢٣٤، ٢٤٧
بار - يوحاي، (الحاخام) شمعون: ٢٣٤
بار - يوسف، يهوشواع: ٣٤، ٣٦
بارئيل، آفي: ٢٥٧
بارشاد، يوئيل: ٤٦، ٤٩، ٨٣، ٨٤، ١٨٩
باريس: ٧٩، ١٦٦
«بالهيب» (فرقة عسكرية): ١٦١
بانياس (سورية): ١٦٠، ٢٤١
بحيرة الحولة: ٣١، ٧٥، ٩٥، ١٥٢، ١٥٣، ٢١٣، ٢٤٠، ٢٥٤
بحيرة طبرية: ٣١، ٧٥، ٧٦، ٩٥، ١٥٠ ـ ١٥٢
بدر الدين بن حامد الصفدي: ١٢٥
البرادعي (عائلة): ٨٦
البرادعي، سعيد: ٢١٢
البرتغال: ٢٤
برغمان، يعقوب: ٤٣، ٤٤، ٢٠٥
البرغوثي (عائلة): ٨٦
البرغوثي، سعيد: ٢٦٢
البرغوثي، عمر الصالح: ١٧٦، ١٨٩
البرغوثي، محمد سعيد: ٢٥٠
البرغوثي، محمود سعيد: ١١١، ٢٥٠
البرلمان البريطاني: ٥١
برلين: ١٠١
برويدا، يشعياهو: ١٨٥
بريطانيا: ٣٦، ١٥٩، ٢٠٢، ٢١٤، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٣٠، ٢٣٢
ـ أنظر أيضاً: إنكلترا؛ المملكة المتحدة

البستاني، [بطرس]: ١٦٥
البستوني (عائلة): ٨٦
البستوني، سليم حسن: ١٩٥
البستوني، عبد الكريم: ١٩٥، ٢٣٨، ٢٦١
البشت (آل، عائلة): ١١، ٢٣، ٧٦
البشت، جبران: ١١
البشت، عيد: ١١، ٣٣
البصّة (قرية): ٢٥١، ٢٥٢
بطرس (الكاهن): ١٢
البطيحة (قرية): ٢٩١
البعنة (قرية): ١٧٢
البقيعة (قرية): ٣ (الحاشية ٨)، ٣٩
بكتمور الجوقندار (الأمير): ١٢٢
بلاد بشارة: ١١٣، ١٩٨
بلاد الشام: ١، ٢١، ١٦٥
البلقان: ٣٧
البلماح: ١٦١، ٢٤٨، ٢٦٠، ٢٦٤ ـ ٢٦٨، ٢٧١ ـ ٢٧٥، ٢٧٨، ٢٨٠ ـ ٢٩٣، ٢٩٥، ٢٩٧، ٢٩٩، ٣٠٣
ـ أنظر أيضاً: كتائب الكوماندو اليهودية
بليدا (قرية/لبنان): ٢٤١
بن ـ أريه، يهوشواع: ١٤
بن ـ تسفي، يتسحاق: ١٨٥، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢٣٥، ٢٣٦
بن ـ يهودا، نتيبه: ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٩٥، ٢٩٦
بنت جبيل (لبنان): ٩٠
بنتويتش، نورمان: ١٩٦
بنك الأمة العربية: ٩٣، ١٠٠، ١٠٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٥٠، ٢٥٥
بنك أنغلو ـ فلسطين: ٣٢، ٣٥، ١٠٢، ٢٠٧
ـ أنظر أيضاً: البنك القومي الإسرائيلي؛ بنك لئومي ليسرائيل
بنك برزل ـ برشد: ٣٢
البنك الزراعي العثماني: ١١، ٣٣، ١٠٢، ١٥٨
البنك العثماني: ٣٢
البنك القومي الإسرائيلي: ١٠٢ (الحاشية ٤٨)
ـ أنظر أيضاً: بنك أنغلو ـ فلسطين؛ بنك لئومي ليسرائيل
بنك كلينغر: ٩٧، ١٠٢
بنك لئومي ليسرائيل: ١٠٢ (الحاشية ٤٨)
ـ أنظر أيضاً: بنك أنغلو ـ فلسطين؛ البنك القومي الإسرائيلي
بهجت، محمد: ١٦، ٢٠، ٢٤، ٣٢، ٩٤، ١٥٣
البواب (عائلة): ٧٦
البواب، الياس: ٢٣
بورات، يهوشواع: ٢٢١
بورسه (تركيا): ٧٩
البوريني، بدر الدين حسن: ١٢٥، ١٢٦
بوظو (عائلة): ٢٤١، ٢٤٢
بولندا: ٢٥، ٢٦
ـ أنظر أيضاً: بولونيا
بولونيا: ٢١٣
ـ أنظر أيضاً: بولندا
البويزية (قرية): ٦٩، ١٠٤، ١٤٨، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٢

بيت بوسل (منتجع): ١٠١
بيت جن (قرية): ٣ (الحاشية ٨)، ٣٩
بيتار (تنظيم): ١٨٥
ـ أنظر أيضاً: عصبة ترومبلدور
بيتسور: أنظر: شركة التحصين
بيروت: ١٨، ٢٠، ٣٣، ٥٧، ٦٠، ٧١، ٨٠، ١٦٥ ـ ١٦٧، ٢٢٧، ٢٤٠
ـ أنظر أيضاً: سنجق؛ ولاية
بيريا (قرية): ٣ (الحاشية ٨)، ٢١٢، ٢٣٦ ـ ٢٣٨، ٢٦٤، ٢٦٨ ـ ٢٧٠، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٤، ٢٨٦، ٢٨٧
بيسان: ٦٣، ١٠١، ١١٦، ١٧٧
بيسمون (قرية): ٦١، ١٤٨، ٢٢٠، ٢٣٩
بيضون، رفيق: ٤٣، ٤٤، ١٩٣
البيطار (عائلة): ٨٦
البيطار، أحمد سليمان: ٢٦٢
البيطار، سيحان: ٢١٢
بيكا: ٢٠٧، ٢٣٩
ـ أنظر أيضاً: جمعية الاستعمار اليهودي في فلسطين
بيلد، إلعاد: ٢٦٨، ٢٧١، ٢٧٣ ـ ٢٧٥، ٢٨١، ٢٨٤ ـ ٢٨٦، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٣، ٢٩٤

(ت)

التاجي الفاروقي (آل): ٦٤ (الحاشية ٣٦)
التاجي الفاروقي، (الشيخ) سليمان: ١٧٦
«تاريخ الهاغاناه» (كتاب): ٢٨٣
ترشيحا (قرية): ٣ (الحاشية ٨)، ٣٩، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٦٥
تركيا: ٢٥، ٣٦، ٣٧، ١٠٤
ـ أنظر أيضاً: الدولة العثمانية
ترومبلدور، يوسف: ١٧٠
تريفون، روبين: ٤٧، ٥٠، ٨٣، ٨٤، ٢٠٧، ٢٠٨
تسور، نعومي شاؤول: ٢٩٥، ٢٩٦
تشانسلور، جون: ١٨٦
تشرشل، [ونستون]: ١٧٢
التل، عز الدين: ٢٨٥، ٢٨٨
تل أبيب: ١٧٩، ١٨٥، ٢٧١، ٢٧٨
تل ـ حاي (مستعمرة): ١٥٥، ١٧٠
التلّيل (قرية): ٧٩، ٨٠، ١٤٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٧٠، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٤٠
التميمي، (الحاج) سليمان: ١٦٠
التميمي، محمد: ٢١٧
التميمي، محمد رفيق: ١٦، ٢٠، ٢٤، ٣٢، ٩٤، ١٥٣
التميمي، محمد علي: ١٦٧
توتل، (الأب) فرديناند: ٩٠
التوراة: ٢٣٤

(ث)

«ثمرات الفنون» (صحيفة): ٢٦، ١٤٧
ثورة ١٨٣٤: ٧، ٩، ٥٧، ١٤٦
ثورة أحمد عرابي (١٨٨٢): ٢١
الثورة السورية الكبرى (١٩٢٥ ـ ١٩٢٧): ٥٨، ١٨١، ٢٠٤
الثورة العربية (١٩١٦): ٦٦، ٧١، ١٦٧، ١٧١، ١٨١
الثورة الفلسطينية الكبرى (١٩٣٦ ـ

١٩٣٩): ٤٤، ٥٨ ـ ٦٠، ٦٣، ٧٧،
٧٩، ٨٠، ٨٧، ٩١، ٩٨، ١٠٦،
١٠٩، ١١٢، ١٣٨، ١٤١، ١٤٢،
١٥٨، ٢١٥، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٣،
٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٦ ـ٢٤٧، ٢٦٥، ٣٠٢

(ج)

جاحولا (قرية): ٦٩، ١٠٤، ١٤٨، ٢٣٩،
٢٤١، ٢٤٢
الجاعونة (قرية): ٣ (الحاشية ٨)، ٢٦،
١٦٠، ٢١٢، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٥١، ٢٧٩
ـ أنظر أيضاً: روش بينا
الجامع الأحمر الظاهري: ١١٥، ١١٩ ـ
١٢٠، ١٢٥، ٢٣٨
ـ أنظر أيضاً: المسجد الأحمر
الجامع الجوقنداري: ١١٥، ١٣٥
ـ أنظر أيضاً: المسجد الجوقنداري؛
المسجد النحوي
الجامع الخفاجي: ١٣٥
ـ أنظر أيضاً: مسجد حارة الجورة؛ مسجد
الخفاجي
جامع السرايا: ١٣٥
ـ أنظر أيضاً: مسجد السرايا
جامع السوق: ٩٤، ١٢١
ـ أنظر أيضاً: الجامع اليونسي الكبير؛
المسجد الكبير؛ المسجد اليونسي
جامع الشعرة الشريفة: ١١٨، ١١٩، ١٢٣
ـ أنظر أيضاً: جامع الغار؛ مسجد الغار
جامع الشيخ عيسى: ١٣٥
ـ أنظر أيضاً: مسجد السويقة؛ مسجد
الشيخ عيسى
جامع الغار: ١٣٥
ـ أنظر أيضاً: جامع الشعرة الشريفة؛
مسجد الغار
الجامع اليونسي الكبير: ٩٤، ١١٨، ١٢١،
١٣٣، ١٩٠، ٢١٩، ٢٣٨
ـ أنظر أيضاً: جامع السوق؛ المسجد
الكبير؛ المسجد اليونسي
الجامعة الأميركية في بيروت: ١٩٦
ـ أنظر أيضاً: الكلية الأميركية
جامعة الدول العربية: ٢٨٨
جب يوسف (قرية): ١٤٨، ٢٣٤
جبارة (عائلة): ٢٤١
جبال صفد: ٢٤
جبران، حبيب: ١٢
جبران، سمعان: ٢٢٠
الجبل: أنظر: ناحية
جبل الجرمق: ٣، ٢٦٥
جبل عامل: ١١٣، ٢٤٢
جبل الكرمل: ٩٢
جبل كنعان: ٥٦، ٩٧، ١٠١، ١٠٨،
١١٠، ١١٧، ١٢٧، ١٢٩، ١٣٣،
١٤٠، ٢٣٢، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٨،
٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٩،
٢٨٠، ٢٨٤، ٢٨٦
جبل لبنان: ٢١، ٢٢
جبل نابلس: ١٥٣
جرادة (عائلة): ٨٦
جرادة، محمود: ١٧٢
جرن الحلاوة (موقع): ٢٢٣

«الجريدة الرسمية»: ٩٠
الجزائر: ١٩، ٢٨، ٧٩، ١٤٤
الجزار: أنظر: أحمد باشا الجزار
الجزار، (الشيخ) عبد الله: ٦٠
جزر سيشيل: ٢٢٦
جسر بنات يعقوب: ٨٩
الجش (قرية): ٣ (الحاشية ٨)، ١٢،
١٤٤، ٢٢٠، ٢٥١، ٢٦٥
جعتون (قرية): ٣ (الحاشية ٨)
جليات: ٢٦٠، ٢٧٣، ٣٠٣
الجليل: أنظر: لواء
الجليل (منطقة): ١، ٢١، ٢٩، ٣٠، ٧٦،
٨٠، ٨٥، ٨٩، ٩٢، ١١٢، ١١٧،
١٦٩، ٢٣٦، ٢٥٠، ٢٥٤، ٢٥٩،
٢٧٣، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٩ (الحاشية
٧٨)، ٢٨٧
الجليل الأسفل: ٢١، ٩٤
الجليل الأعلى: ٣، ٢٢، ٢٩، ٧٩، ٨٠،
١٤٩، ١٧٧، ٢٥٠، ٢٥٨، ٢٧٥،
٢٩٧، ٣٠١
جمال باشا: ٥٨
جمجوم، محمد: ١٩٦، ١٩٧
الجمعان، حسين: ٢١٢
جمعية الآداب والعلوم: ١٦٥
جمعية الإخاء العربي ـ العثماني: ١٦٦
جمعية الاستعمار اليهودي في فلسطين:
٢٠٧، ٢٣٩
ـ أنظر أيضاً: بيكا
الجمعية الإسلامية (صفد): ٢٠٠
الجمعية الإسلامية ـ المسيحية (صفد):
٧٧، ١٧٧، ٢٠٠
الجمعية الإسلامية ـ المسيحية (يافا): ٧٧
الجمعية الإصلاحية: ١٦٦
جمعية ساره ليفي: ١٢٧
جمعية الشبان العرب: ١٥٦ ـ ١٥٨،
٢٠٩ ـ ٢١٥، ٣٠٢
جمعية الشبان المسلمين: ٥٩، ١١٤،
١٣٦، ١٣٨ ـ ١٤٠، ٢١٤، ٢١٨
جمعية صوفيا: ١٢٧
الجمعية العامة للأمم المتحدة: ٢٦٠
الجمعية العربية الفتاة: ١٦٦
جمعية العمال العرب في صفد: ١١٠ ـ
١١١
جمعية العمال العربية الفلسطينية: ١١٠،
١١١
جمعية العهد: ١٦٦
الجمعية القروية العربية: ١٥٣، ١٥٥ ـ
١٥٧، ٢١٠
جمعية المقاصد الخيرية المغربية في صفد:
٨٠، ٨١
جمعية المنتدى الأدبي: ١٦٦
جميعان، إميل: ٢٧٦ ـ ٢٧٨
الجندرمة: ٧١، ١٦٧
الجندرمة العثمانية: ٧٣
الجنوب اللبناني: ٢٩، ٧٠، ٨٩، ١٥٥،
١٦٩، ٢٠٥، ٢٤٢
جنين: أنظر: قضاء
الجولان (سورية): ٢٩، ٣٣، ٦٦، ٨٠،
٨٩، ١٤٩، ١٦٠، ١٩٨
ـ أنظر أيضاً: هضبة الجولان

الجيرة: أنظر: ناحية
جيش الأمير فيصل: ٦٠
جيش الإنقاذ: ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٧٠، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٩، ٢٨٣ ـ ٢٨٦، ٢٨٩، ٢٩٣، ٢٩٧، ٣٠٢
الجيش البريطاني: ٣٩، ٧٧، ١٦٧، ١٨٨، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٧١، ٢٧٦
الجيش التركي/العثماني: ٣٥، ٤٣، ١٦٧
الجيش العراقي: ٧١
الجيش الفرنسي: ١٦٩

(ح)

حائط البراق: ١٨٣ ـ ١٨٦
ـ أنظر أيضاً: أحداث
الحائط الغربي: ١٨٣
ـ أنظر أيضاً: حائط المبكى
حائط المبكى: ١٨٣، ١٨٤
ـ أنظر أيضاً: الحائط الغربي
الحاج، أحمد حسين: ٢٣٢
الحاج، فارس: ٢٢٠
الحاج، ياسين: ٢٢٠
الحاج إبراهيم، رشيد: ٢١٧، ٢٣٦
الحاج حسين، موسى: ٨٠، ١٥٥، ٢٢٢
الحاج حمود، جسين: ٢٢٠
الحاج درويش، رشيد سليم: ١٩٤
الحاج درويش، علي سليم: ١٩٤
الحاج سعيد (آل، عائلة): ١٠، ٧٤ ـ ٧٥، ٩٦، ١١٨
ـ أنظر أيضاً: عبد الرحيم (آل، عائلة)
الحاج سعيد، أحمد: ١٠
ـ أنظر أيضاً: عبد الرحيم، أحمد
الحاج سعيد، حسين: ١٠
ـ أنظر أيضاً: عبد الرحيم، حسين
الحاج سعيد، عبد الغفور: ١٩٢
الحاج سعيد، (الشيخ) عبد اللطيف: ١٠، ٣٣، ١١٨
ـ أنظر أيضاً: عبد الرحيم، عبد اللطيف
الحاج سعيد، عبد الهادي: ٢٦١
الحاج سعيد، (الشيخ) عز الدين عبد اللطيف: ١١٨، ١٣٤، ٢١٢، ٢٢٤، ٢٣٨
الحاج سعيد، محمد حسن عبد الرحيم: ١٧٢
ـ أنظر أيضاً: عبد الرحيم، محمد حسن
الحاج شحادة، (الحاج) إبراهيم: ٢١٢
الحاج شحادة، محمد: ٢١٢
الحاج طاهر، محمود: ٢٢٠
الحاج عبد الله، محمد: ٢٢٠
الحاج عيسى (آل، عائلة): ٥٦، ٦٢، ١١٦، ١٢١، ١٧٩
ـ أنظر أيضاً: المفتي (آل، عائلة)
الحاج عيسى، (الشيخ) أسعد محمود: ٦٢، ١٢١، ١٧٢
الحاج عيسى، سعيد عزيز: ٦٢، ١٣٧، ١٣٨، ١٤٠، ٢٠٢، ٢٠٩، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٩، ٢٢٤، ٢٣٠، ٢٤٦، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٦١، ٢٧٢
الحاج عيسى، عبد اللطيف: ٣٣
الحاج عيسى، محمد يوسف: ٦٢
الحاج عيسى، محيي الدين: ٦٢، ١٧١،

١٧٢، ١٧٤، ١٧٥، ٣٠١
الحاج عيسى، (الشيخ) يوسف: ١٢١
الحاج مصطفى، محمود: ٣٣
حارة آل الخضراء: ١٩٥
ـ أنظر أيضاً: حي الخضرات
حارة الأكراد: ١٨، ٥٩، ٧٩، ١١٥، ١١٩، ١٢١، ١٢٢، ١٢٦، ١٢٩، ١٣٤، ١٧٢، ٢٦٨، ٢٧٢، ٢٩٧
حارة الجورة: ١٢٢، ١٢٩، ٢٩٧
حارة الصواوين: ١٨، ٦٣، ١١٨، ١١٩، ١٢٢ ـ ١٢٤، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٢، ١٣٩، ١٧٢، ٢٢٣
حارة الوطاة: ١٨، ١١٨، ١١٩، ١٢١، ١٢٥، ١٢٩، ١٧٢، ١٨٧، ١٨٨، ١٩٥، ١٩٨، ٢٢١
الحاسي، عقيل آغا: ٢١
حاصبيا (لبنان): أنظر: قضاء
حامد الصفدي: ١٢٥
الحجاز: ٥٦
حجازي (آل، عائلة): ٥٩، ٨٦، ١٠٣، ١١٨، ١٢١، ١٧٩
حجازي، إبراهيم: ١٩٥، ٢١٢
حجازي، (الشيخ) أحمد: ١١٨، ١٢١، ١٣٤، ٢١٢، ٢٣٨
حجازي، (الحاج) حسين: ٢٣٨
حجازي، حسين علي: ١٩٥
حجازي، رؤوف: ٨٧، ١٨٧، ١٩٦، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٨، ٢٢٤، ٢٤٦
ـ أنظر أيضاً: حجازي، عبد الرؤوف
حجازي، عارف: ٥١، ٨٧، ١٩٦، ٢٠٩، ٢١٨، ٢٢٣ ـ ٢٢٤، ٢٤٤، ٢٦٢
حجازي، عبد الرؤوف: ١٣٧، ٢٠٩
ـ أنظر أيضاً: حجازي، رؤوف
حجازي، عبد الغني: ١٩٥
حجازي، عبد المجيد: ٢٦١
حجازي، فؤاد حسن: ١٨٩، ١٩٤، ١٩٦ ـ ١٩٨
حجازي، محمد: ٤٨، ٥٠، ١٧٢، ٢١٢
حجازي، محمد عبد الغني: ١٩٤
حجازي، محمد علي: ١٩٥
حجازي، يوسف: ٢١٨
حداد (آل، عائلة): ١١
حداد، الياس: ١١، ١٥، ٧٨، ١٧٢
حداد، خليل: ٧٨
حداد، سمعان: ٧٨
حداد، يوسف: ١١، ٧٨
حديد، إسماعيل عبد الرحمن: ١٩٥
حديد، حسن: ١٩٥
حديد، حسين: ١٩٥
حديد، محمد علي: ٢٣٢
حديد، موسى: ١١١
الحديف، زاكي: ١٩١، ٢٠٧، ٢٠٨
حرب ١٩٤٨: ١١٢، ١٢٣، ١٤٢، ١٦١، ١٦٣، ١٦٤، ٢٢١، ٢٥٧ ـ ٢٥٩، ٣٠١
ـ أنظر أيضاً: نكبة ١٩٤٨
الحرب الباردة: ٢٥٨
الحرب العالمية الأولى: ١٦، ١٨، ٣٢، ٣٧، ٦٠، ٦٥، ٧١، ٨١، ٨٢، ٨٤، ٨٥، ٩٠، ٩٤، ٩٦، ٩٧، ١٠٤

١٠٦، ١١٧، ١٥٤، ١٦٧، ١٧٠،
٢٣٠، ٣٠١
الحرب العالمية الثانية: ٨٤، ٩٦، ١٠٨،
١١٢، ١٦١، ١٦٣، ٢٢٧، ٢٢٩ ـ
٢٥٥، ٣٠٢
حرب فيتنام: ٢٥٨
حرفوش، إبراهيم: ٢٣، ٢٦
حرفيش (قرية): ٣ (الحاشية ٨)، ٦٤،
١٠٤، ١٠٧، ١٤٤، ١٤٧، ١٤٨،
٢٢٢، ٢٥١
حركة الإخوان المسلمين: ١٣٧
حركة الحسيدوت: ٢٧
حركة الشيخ عز الدين القسام: ٢١٦
الحركة الصهيونية: ٨٤، ١٠٨، ١٤٢،
١٥١، ١٥٦، ١٥٩، ١٦١، ١٧٠،
١٨٠، ١٨٥، ١٨٦، ٢١٥، ٢٣٦،
٣٠٠، ٣٠١
الحرم القدسي الشريف: ١٨٣، ١٨٧
ـ أنظر أيضاً: المسجد الأقصى
حزب الاستقلال العربي: ٧٢، ٢١٠،
٢١٧، ٢٣٠، ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٤٣، ٣٠٢
حزب الإصلاح: ٢١٧
حزب الدفاع الوطني: ٢١٧
حزب الزرّاع: ١٥٦
الحزب العربي الفلسطيني: ٥٨، ١٦٣،
٢١٧، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٥٣، ٣٠٢
حزب الكتلة الوطنية: ٢١٧
الحزب الوطني العربي: ١٧٦
حزماوي، محمد: ٢٤٠
الحسن، صالح عبد الغني: ١٠٣
الحسن، علي: ٢٢٠
حسين (عائلة): ٢١
حسين، سعيد: ٢٤١
الحسيني (آل): ٦٤ (الحاشية ٣٦)، ١١٨
الحسيني، (الحاج) أمين: أنظر: الحسيني،
(الحاج) محمد أمين
الحسيني، جمال: ١٦٣، ١٨٥، ٢١٧،
٢٥٣
الحسيني، (الحاج) محمد أمين: ٥٣، ٥٨،
٧١، ٧٢، ١١٨، ١١٩، ١٣٨، ١٥٠،
١٥٦، ١٧٦ ـ ١٧٩، ١٨٤، ٢٠١،
٢١٤، ٢١٧، ٢٢٦، ٢٥٣، ٢٥٤،
٢٦١، ٢٦٤، ٢٩١
الحسيني، موسى كاظم: ٧٢، ١٧٢، ١٧٦
الحسينية (قرية): ٧٩، ١٤٤، ١٤٨، ٢٤٠،
٢٦٦، ٢٩٧
الحسينيون: ٥٣، ٦٠، ٦٧، ٧٣، ١٥٦،
١٧٨ ـ ١٨٠، ٢٠١، ٢١٦، ٢١٨،
٢٢٦، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٤٦، ٣٠٠
ـ أنظر أيضاً: الكتلة الحسينية؛
المجلسيون؛ المعسكر الحسيني
حطين (قرية): ٢٥١
الحقاب (قرية): ٣ (الحاشية ٨)
الحكم البريطاني: ٤٠، ٤٤، ١٧١
الحكم العثماني: ٣، ٤، ٥٧، ٧٦
الحكم العسكري البريطاني (١٩١٧ ـ
١٩٢٠): ٣٩، ٤٠، ٤٣
الحكم الفرنسي: ١٤٥
الحكم المدني البريطاني (١٩٢٠): ٣٩،
٤٢، ٤٣

الحكم المصري: ٧، ٩، ٢٢، ٢٤، ٢٥،
٥٧، ١٤٦
حلاوة، علي: ٢١٢
حلب (سورية): ٥٧
«حلف السلام»: ٢٠٨
حمادة، أحمد محمود: ١١١
حمادة، سعيد: ١١١
حمادة، عبد الله: ١١١
حمادة، محمد: ٢١٢
حمودة، عبد الهادي: ١٩٥
حميد، (الحاج) عبد الله: ٢١٢
الحميمة (قرية): ٦٤، ١٤٨
حوران (سورية): ٢٩، ٣٣، ٥٦، ٨٩
الحوراني (آل): ٥٦
ـ أنظر أيضاً: الخفاجي (آل)؛ النحوي
(آل، عائلة)
الحوراني، أكرم: ٢٦٢
حوراني، ألبرت: ٥٥، ٥٦، ٦١
حولاتا (مستعمرة): ٢٦٦
الحولة (منطقة): ١٤٩، ١٥٣، ١٥٤،
١٥٩، ١٦٠، ١٦٤، ١٦٩، ١٧٠،
١٨١، ٢٠٥، ٢١٤، ٢١٩، ٢٢٠،
٢٢٩، ٢٤٤، ٢٦٥، ٢٧٥، ٢٩١، ٢٩٧
الحي الأشكنازي: ٩٤
حي الخضرات: ٧٠
ـ أنظر أيضاً: حارة آل الخضراء
الحي السفارادي: ٩٤، ١٨٨
حي كريات ساره: ٩٧، ١٢٧
الحي المسيحي: ٤٧، ٧٨
الحي اليهودي: ١٣، ١٥، ٢٠، ٢٣، ٢٥،
٢٦، ٣٤، ٩٦، ١٠٠، ١٠٦ ـ ١١٠،
١٢٩، ١٨٧ ـ ١٩٢، ١٩٥، ١٩٨،
٢٠١، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٢٥، ٢٣٣،
٢٤٧، ٢٤٨، ٢٥٥، ٢٦٠، ٢٦٣،
٢٦٤، ٢٦٧ ـ ٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٣،
٢٧٤، ٢٧٦، ٢٨٠، ٢٨٣، ٢٨٧ ـ
٢٨٩، ٢٩٢، ٢٩٣
حيفا: ٣٣، ٧٥، ٧٩، ٩٢، ١١١، ١١٢،
١١٤، ١٣٧، ١٤٤، ١٧٥، ١٧٨،
١٨٦، ١٨٧، ١٩١، ١٩٤، ١٩٩،
٢١٧، ٢٥٣، ٢٧١، ٢٨٩، ٢٩١، ٢٩٤
ـ أنظر أيضاً: قضاء؛ لواء
حيفاوي (عائلة): ٨٦
حيفاوي، أمين: ٩٦
حيفاوي، محمود: ١٧٢

(خ)

خالد، (الحاج) إبراهيم: ١٩٤
خالد، عطا إبراهيم: ١٩٥
خالد، محمد إبراهيم: ١٩٥
خالد بن الوليد: ٦٣
الخالدي (عائلة/ صفد): ٦٣، ٦٤
ـ أنظر أيضاً: قدّورة (آل، عائلة)
الخالدي (عائلة/ القدس): ٦٣
الخالدي، (الشيخ) أحمد الصفدي: ٦٣،
٦٤
الخالدي، حسين فخري: ٢١٧
الخالدي، راسم: ٢١٠
الخالصة (قرية): ١٤٢، ١٤٣، ١٥٤،
١٦١، ١٦٤، ١٧٠، ٢١٢، ٢١٣،

٢٢٩، ٢٤٥، ٢٥١
الخالصة (منطقة): ١٥٤
خان الباشا: ٨٩
خان جب يوسف: ٨٩
خان الدوير (قرية): ٢٤١
خان المنية: ٨٩
خان المنية (قرية): ٣ (الحاشية ٨)
خربة بنيت: ٥٦
خربة الحقاب (قرية): ١٤٨
خربة السمّان: ٢٤١
خربة سيادة: ٣ (الحاشية ٨)
خربة قطنة (قرية): ٣ (الحاشية ٨)، ١٣٢
خربة ماروطية (قرية): ٣ (الحاشية ٨)
ـ أنظر أيضاً: ماروس
خرطبيل، حسن: ٩٦
خرطبيل، رشيد محمد: ١٩٤
خرما، نايف نمر: ٢٣٢
الخصاص (قرية): ١٦٠، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٥١، ٢٦٤، ٢٦٦، ٢٩٧
الخضراء (آل، عائلة): ٥٦، ٧٠ ـ ٧٣، ١٧٩، ١٩٥، ٢٥٠
الخضراء، أمين محمد: ٤٨، ٧٢، ١٢٤، ١٧٢، ٢٣٠، ٢٣٣، ٢٦١، ٢٦٢
الخضراء، أنيسة سليم: ٧١
الخضراء، حسن: ١٣٤، ١٩٩
الخضراء، دوريش: ٩٦
الخضراء، زكي: ٢٥٠
الخضراء، (الشيخ) سليم: ٧٣، ١٢٤
الخضراء، صبحي سعيد: ٧٠ ـ ٧٣، ٨١، ١٠٣، ١٦٧، ١٦٨، ١٧١، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٨، ١٨١، ١٨٢، ١٨٥، ١٨٧، ١٨٩ ـ ١٩١، ١٩٣، ٢٠٢ ـ ٢٠٤، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٩، ٢٢٤، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٥٥، ٢٧٢، ٣٠١
الخضراء، عارف أحمد: ١١١
الخضراء، عبد الرحمن: ١٣٧
الخضراء، عبد سليم: ١٩٢
الخضراء، فارس: ٢٣٢
الخضراء، فايز: ١١١
الخضراء، فؤاد سليم: ٧١، ١٣٧، ١٣٨، ٢١٩
الخضراء، محمد يوسف: ٢٤٤، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٤، ٢٦١
الخضراء، محمود أمين: ١١١
الخضراء، محمود درويش: ٢٣٨
الخضراء، محيي الدين: ١٩٩
الخضراء، (الحاج) نايف: ٢١٢
الخضيرة (قرية): ٢١٦
الخطة د: ٢٧٨، ٢٧٩ (الحاشية ٧٨)
خطيب، أحمد جابر: ١٩٤
الخطيب، طه: ١٢
الخطيب، محيي الدين طه: ٢٢٠
الخفاجي (آل): ٥٦
ـ أنظر أيضاً: الحوراني (آل)؛ النحوي (آل، عائلة)
الخفاجي، (الشيخ) أحمد: ١٢٢
خليفة (آل): ١١٧ ـ ١١٨، ١٢٤
خليفة، (الشيخ) أمين: ١١٨
خليفة، حسن: ٢٣٢
خليفة، صلاح: ١١٨
خليفة، عبد الرشيد: ١١١
الخليل: ١١٤
ـ أنظر أيضاً: قضاء
الخليل (منطقة): ٢٠، ٢٤، ١١٦، ١٢٥، ١٧٧، ١٨٦، ١٩٥، ١٩٧، ٢٠٠
خليل، سامي: ١١١
الخليل، عبد الكريم: ١٦٦
خوري (آل، عائلة): ١١، ٦٧، ٧٥، ٧٦، ٩٢، ١٠٤، ١٤٨، ١٥١، ١٥٢، ١٧٩
خوري، إبراهيم: ٧٨
خوري، أسعد: ١١، ٣٣، ٧٥، ٧٦، ٩٥
خوري، الياس: ٧٦
خوري، توفيق: ٧٦
خوري، شحادة: ٧٦ ـ ٧٧، ١٧٢ ـ ١٧٥، ٢١٥
خوري، صبحي: ٧٨
خوري، فيليب: ٧٦
خوري، نايف: ٧٨
الخولي (عائلة): ٦٥، ٦٧، ٨٦، ٩٥، ١٧٩
الخولي، توفيق: ٩٥، ١٧٢
الخولي، جمال سليم: ١٩٤
الخولي، حمد: ١٩٥
الخولي، (الحاج) خليل: ٩٥
الخولي، سميح: ٢٤٩، ٢٥٢
الخولي، صبحية حسن: ٦٦
الخولي، (الحاج) فؤاد: ٩٢، ٩٥، ٢٦٢
الخولي، محمد توفيق: ٢٣٨
خيام الوليد (قرية): ٢٤١

دائرة الأراضي: ٥٢
دائرة أوقاف الشمال: ١١٨، ١٢٩
دائرة التربية: ٤٢، ٥٢
دائرة الحكومة: أنظر: مكتب حاكم اللواء
دائرة الزراعة: ٥٢
دائرة الصحة: ٤٢، ٥٢، ١٠٣
دائرة الطابو: ١٤٦
دائرة القائمقام: ١٠٣
دائرة المالية: ١٤٦
دائرة المعارف: ٤، ٦ ـ ١١، ٥٣
الدائرة الموحدة: ٢٠٦ ـ ٢٠٨
دار الأيتام العرب (القدس): ٢١٥
دار السرايا العثمانية: ١٨٩
دانين، عزرا: ٢٦٥
داود: ٢٦٠، ٢٧٣، ٣٠٣
داود، جريس: ٧٨
الدبدوب، فوزي أحمد: ١٩٢
الدجاني، عارف: ١٧٦
الدردارة (قرية): ٢٤١
دروزة، عزة: ٢١٤
دروزنوف، دودو: ٢٩٥، ٢٩٦
درويش، علي درويش: ٢٣٢
دريجات (قرية): ٢٤١
الدستور العثماني: ٦
دعيبس، مصطفى أحمد: ١٩٤
الدفتر المفصل لولاية دمشق سنة ١٥٥١: ٩
دفنا (مستعمرة): ٢٣٩
ـ أنظر أيضاً: دفنة
دفنة (قرية): ٢٤١

- أنظر أيضاً: دفنا
دلاتا (قرية): ٣ (الحاشية ٨)، ١٤٨، ٢٢٠
دلّة، عبد الرحمن حسين: ١١١
الدلسي (عائلة): ٧٩، ٨٠
الدلسي رشيد: ٧٩
الدلسي، محمد: ٧٩ ـ ٨١
دمشق: ١٨، ٢٠، ٥٨، ٦٠، ٦٥، ٧١، ٧٩، ٨٠، ٨٩، ١١٣، ١١٤، ١٢٨، ١٣٢، ١٦٥، ١٨١، ٢٣١، ٢٤١، ٣٠١
- أنظر أيضاً: الشام؛ ولاية
دوار الحاج فؤاد الخولي: ٢٧٢
- أنظر أيضاً: عمارة الحاج فؤاد الخولي
الدوارة (قرية): ٢١٢، ٢٤١
الدولة العثمانية: ٥، ٢٠، ٢٦، ٢٨، ٧٩، ١١٧، ١٢٦، ١٦٥، ١٦٦، ١٨٣
- أنظر أيضاً: تركيا
دوما (سورية): أنظر: قضاء
ديب، أحمد حسن: ٢٢٠
دير الأسدي: ١٢٦
- أنظر أيضاً: دير البعنة
دير البعنة: ١٢٦
- أنظر أيضاً: دير الأسدي
دير القاسي (قرية): ٣ (الحاشية ٨)
ديشوم (قرية): ٣ (الحاشية ٨)، ٧٩، ٨٠، ١٤٤، ٢٢٠، ٢٤٠

(ر)

الرأس الأحمر (قرية): ٣ (الحاشية ٨)، ١٢، ١٢٨، ١٥٥، ٢١٢، ٢٢٠، ٢٤٤، ٢٥١
رأس الناقورة: ٢٢٥
«رابطة السلام»: ١٥٦ (الحاشية ٤١)
- أنظر أيضاً: «عهد السلام»
راجي (عائلة): ٢٤
راجي، إميل: ٢٣
رام الله: ١٧٦
رزق، (الخوري) إغناطيوس: ٧٨
الرساتمة (قبيلة): ١٤٤
رستم (عائلة): ٦٧، ١٧٩
رستم، حسين: ٢٦١
رستم، خليل يوسف: ٤٧، ٤٨، ٥٠، ١٣٤، ١٧٢، ٢٣٨، ٢٦١
رستم، عبد السلام: ١١١
رستم، مصطفى أحمد صالح: ١١١
الرسول (ص): ١٢٣
رشيد، الياس: ٢١٨
رضا، إبراهيم: ١٧٤، ١٧٥
رضا، [محمد رشيد]: ١٣٧
رفائيلوفتش (الرحالة): ١٦
رفاعي (عائلة): ٨٦
رفاعي، خالد: ٢٥٠
الرفاعي، علي: ٢٢٠
الرملة: ٦٦، ١٧٦
الرملة (منطقة): ٢١٠
روبنسون، إدوارد: ٢٠
روبين، شموئيل أهرون: ٨٢
روتنبرغ، بنحاس: ١٠٨
روسيا: ٣٦
روش بينا (مستعمرة): ٢٦، ٣١، ٤٣، ١٦١، ٢٤٠، ٢٨٠، ٢٨٦، ٢٨٨

- أنظر أيضاً: الجاعونة
روك، ألفرد: ٢١٧
روكاح، إليعيزر: ١٥، ٢٧
ريحانية (قرية): ٣ (الحاشية ٨)، ١٤٤، ٢١٢، ٢٢٠، ٢٤٠

(ز)

زاهر (عائلة): ٨٦
الزاوية (قرية): ٢٤١، ٢٤٢، ٢٥١
الزاوية الأحمدية: ١٢٨، ١٣٣
- أنظر أيضاً: الزاوية العراقية
الزاوية الأسدية: ١١، ١١٧، ١٢٦ ـ ١٢٧، ١٣٣، ١٣٤
- أنظر أيضاً: زاوية الصدر
زاوية بنات حامد: ١٢٥
زاوية الصدر: ١١٧
- أنظر أيضاً: الزاوية الأسدية
الزاوية العراقية: ١٢٨
- أنظر أيضاً: الزاوية الأحمدية
الزاوية الكبرى: ٦٣
زايدمان، حاييم: ٢٠٧، ٢٠٨
الزبداني (سورية): أنظر: قضاء
زبيد (قرية): ٣ (الحاشية ٨)، ١٧٠
- أنظر أيضاً: يسود همعلا
الزعبي، راشد: ١١٠، ١١١
زعيتر، عبد الهادي: ٢١٢
الزغموت، عبد الله خالد: ٢٢٠
زلبرمان، (الحاخام) رفائيل: ٢٧
الزنغرية (عشيرة/ قبيلة): ١٥١
الزنغرية (قرية): ٦٤، ١٤٨، ١٥١، ٢٨٧، ٢٩١
زوريخ: ١٨٦
الزوق التحتاني (قرية): ٢٤١
زوكاري (أسرة): ٩٦
زيد (الأمير): ٧١
زيد، (الشيخ) محمد سليم: ١٥٥، ١٢
الزير، عطا: ١٩٦، ١٩٧
زينب، قاسم: ١٩٥
زينب، محمد سليم: ١٩٤
زينة، علي: ١٩٥

(س)

ساحة الميدان: ١٠٧، ١٢٢، ٢٦٨، ٢
سالنامة ولاية بيروت لعام ١٨٩٣ - ٩٤
٩
سالنامة ولاية بيروت لعام ١٩٠٠: ٩
سالنامة ولاية سوريا لعام ١٢٨٨هـ/ ٨٧١
٣٠، ١١٣، ١٢٨
السباهية: ٥٦
ستوكر (المحامي): ١٩١
ستيل (مدير سجن عكا): ١٩٨
سجلات الوقف لعام ١٩٣٥: ١٢٩
سجن الصرفند: ٢١٩، ٢٢٣
- أنظر أيضاً: معتقل الصرفند
سجن عكا: ١٩٧، ٢١٩، ٢٢٣
سجن عوجا الحفير: ٢٢٣
- أنظر أيضاً: معتقل عوجا الحفير
سجن القدس المركزي: ٧٢
سحماتا (قرية): ٣ (الحاشية ٨)، ٣٩
سدوم: ٢٦٦

السراج، عبد الحميد: ٢٧٦
سرحان، نايف: ١٦٨
السعد، فريد: ٤٤
سعد الدين (آل، عائلة): ٥٦، ٥٩، ٦٢ ـ ٦٣، ٩٦، ١١٥، ١٢٥، ١٣٩، ١٤٠، ١٧٧، ١٧٩
ـ أنظر أيضاً: السعدي (آل، عائلة)
سعد الدين، رشيد: ٦٣، ٩٦
ـ أنظر أيضاً: السعدي، رشيد
سعد الدين، رمزي: ٢٥٠
سعد الدين، (الشيخ) سليمان: ٦٣، ١١٦، ١٢٥، ١٧٧، ٢٣٣، ٢٣٨، ٢٦٢
سعد الدين، (الشيخ) علي: ٦٣، ١١٦، ١٢٥، ١٩٩
سعد الدين، فؤاد: ٢٢٤، ٢٦١
سعد الدين، كمال مصطفى: ١١١، ٢٠٩، ٢١٨، ٢١٩
سعد الدين، (الشيخ) محمد: ٦٣، ١١٦، ٢٣٢، ٢٣٨
سعد الدين، (الشيخ) مصطفى: ٦٣، ١١٥ ـ ١١٦، ١٢٥، ١٧٢، ١٧٣
ـ أنظر أيضاً: السعدي، مصطفى
السعدي (آل، عائلة): ٥٦، ٦٢ ـ ٦٣، ١١٥ ـ ١١٦، ١٢٥
ـ أنظر أيضاً: سعد الدين (آل، عائلة)
السعدي، رشيد: ٢٦١
ـ أنظر أيضاً: سعد الدين، رشيد
السعدي، عبد الفتاح أحمد: ١١١
السعدي، محمود علي إسماعيل: ١١١
السعدي، مصطفى: ١٧٢
ـ أنظر أيضاً: سعد الدين، مصطفى
سعسع (قرية): ٣ (الحاشية ٨)، ١٢٨، ١٥٥، ١٦٠، ٢٢٠، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٩٧
السعودية: ١٩٦
سعيد، أحمد: ٢٢٠
سكة حديد الحجاز: ٣٣
سلام، سليم علي: ٢٤٠
سلام، علي: ٢١٣
السلطي (عائلة): ٨٦
السلطي، أحمد: ٢٣٨
السلطي، (الشيخ) أحمد: ١٢٨
السلطي، أحمد قاسم: ١٣٨
السلطي، أمين: ٢١٢، ٢٣٨
السلطي، سليم: ٢٣٢
سلمى، محمود: ٢٤٤
سلوم (عائلة): ٢٤٢
سلوم، (الشيخ) زعل: ٢٤١
سليم الأول (السلطان): ١١، ١١٣، ١١٨، ١٢٤، ١٢٦، ١٢٧
سليمان (السلطان): ١٢٦
سليمان، حسن: ٢١٢
سليمان، عز الدين: ٢٤١
سليمان العادل (الوالي): ٢
سمارة، عبد الكريم: ١٩٥
السمايرة (قرية): ٣ (الحاشية ٨)
سمخ (قرية): ٢٥١، ٢٥٢
سمعان، باسيلا: ٧٨
سمعان، جبران: ٧٨
سمعان، حبيب: ٧٨

السموعي (قرية): ٣ (الحاشية ٨)، ٦٤، ١٤٨، ٢١٢
السميرية (قرية): ٢٥١
السنبرية (قرية): ٢٤١
سنجق بيروت: ٣
سنجق صفد: ١
سنجق طرابلس: ٣
سنجق عكا: ٣، ٣٩، ١٢٨
سنجق القدس: ٣٩
سنجق اللاذقية (سورية): ٣
سنجق نابلس: ٣، ٣٩
سهل البطيحة: ١٣٢
سهل الحولة: ٢٩، ٣١، ٦٦، ٦٩، ٧٦، ٧٩، ٨٠، ٨٥، ٨٩، ٩١، ٩٥، ١٠١، ١٠٤، ١٠٥، ١٣٤، ١٣٩، ١٤٣، ١٤٩، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٧، ١٦٠، ٢٢٥، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤٥، ٢٥٤، ٢٥٨، ٢٦٤، ٢٦٦، ٣٠١
السهل الساحلي: ٨٩، ٩٠
السواعد (قرية): ٣ (الحاشية ٨)
سورية: ٥٨، ٦٦، ٧١، ٨٠، ٨١، ٨٩، ٩١، ١١٢، ١٣٨، ١٤٢، ١٤٥، ١٥٠، ١٥٧، ١٦١، ١٦٨، ١٦٩، ١٨١، ٢٠٤، ٢١٤، ٢٢١، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٤١، ٢٤٥، ٢٨٤، ٢٨٧، ٢٩١، ٣٠١
ـ أنظر أيضاً: ولاية
سورية الجنوبية: ١٦٨، ١٦٩
«سورية الجنوبية» (صحيفة): ١٦٨
سوق الجرينة: ٩٤
سوق الجمعة (صفد): ٩٤، ١٠٦، ١٣٩، ٢٣٣، ٢٦٣
سوق الحدادين: ٩٩
سوق خان التجار (الجليل الأسفل): ٩٤
سوق الخزافين: ٩٩
سوق الفخار: ٩٩
سوق الكلاسين: ٩٩
السوق المركزية: ١٩٥
سويد (آل، عائلة): ٥٩، ٩٦، ١٧٩
سويد، حسن: ٩٦
سويد، حسني: ٢٤٩، ٢٥٠
سويد، (الحاج) حسين: ٢٣٨
سويد، علي حسين: ١٣٨ ـ ١٣٩
سويد، فوزري: ٢٥٠
سويد، محمد الحاج حسين: ٢٣٨
السيد، (الشيخ) محاسن: ١٥٥، ٢٢٠
السيد أحمد، رضا: ١٩٥
سيناء: ٧٢

(ش)

شارع الملك فيصل: ٩٤، ٢٧٣
الشاعر (آل): ٢٢٣
الشاعر، رشيد محمود: ١٣٨، ٢٢١، ٢٢٣
الشاعر، عبد الله محمود: ٨٧، ٢٢١، ٢٢٦
الشاعر، محمود: ٨٧
الشام: ٢٠، ١٦٧، ٢٢٤، ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣١
ـ أنظر أيضاً: دمشق؛ ولاية
شبيرا، أنيتا: ٢٥٧
شبيرا، حايكل: ١١
شحادة، بولس: ١٧٦

شحادة، موسى: ٢١٢، ٢٢٠
شخطر، مئيركا: ٢٨٢، ٢٨٣
- أنظر أيضاً: كلمان، موشيه
الشرطة البريطانية: ٧١، ١٨١
- فرقة محاربة التهريب: ٧١، ١٧١
الشرطة البلدية: ٤٥
شرق الأردن: ٨، ٢٠، ٥٨، ٦٣، ٧١، ١١٦، ١٤٠، ١٤٩، ١٧٠، ١٧١، ١٩٦
- أنظر أيضاً: الأردن
شرق أوروبا: ٢٧
الشرق الأوسط: ١٤١
شركة «باصات الحولة العربية»: ٩٢
شركة «الباصات العربية»: ٩٢
شركة التحصين: ١٠٩
شركة تطوير أراضي فلسطين: ٢٤٠
شركة تطوير صفد: ١٠١، ١٠٩ - ١١٠، ١١٢
شركة «الجرمق»: ٩٣
شركة الحليب والألبان: ١٠٠
شركة سوليل بونيه: ١٠٩
شركة شل (صفد): ٧٥
شركة «الصباغ»: ٩٣
شركس، حسن: ١٤٨
شروف (عائلة): ٢٤١
شريفة، أحمد مصطفى: ١٩٤
شعب (قرية): ٢٥١
شعلان، فرحان: ٢٤١
شقور، سليمان: ٢٢٠
شقير، نعيم: ٢٤١
الشقيري، (الشيخ) أسعد: ٦٠، ١٥٠، ١٧٦
الشقيف (لبنان): ١٢٥
شلايم، آفي: ٢٥٧، ٢٥٨
شلبي، أوليا: ١٢٠، ١٢٢، ١٢٤
شمّا (آل، عائلة): ٥٦، ٥٧، ٦٥، ٦٧، ٧٣ - ٧٤، ٩٦، ١٠٣، ١١٨، ١٧٩
شمّا، سليم محمود: ٧٣، ١١٨، ١٧٢
شمّا، سمير: ١٠٣
شمّا، صلاح: ٧٤، ١٣٧
شمّا، محمد خير: ١١١
شمّا، محمد سليم: ٤٦ - ٥٠، ٧٣، ٧٤، ١٧٢، ١٧٨، ٢٠٤، ٢٠٨، ٢١٢، ٢١٥
شمّا، محمود سليم: ٧٣، ١٢٣، ١٣٤، ١٧٧
شمال إفريقيا: ٢٥، ٣٧
الشمالي، خليل إبراهيم: ٢٢٠
شناعة، (الشيخ) خالد: ٢٤٤
شناعة، (الشيخ) محمد علي: ١٥٥، ١٩٩، ٢٢٠
شنّان، سلمان مراد: ١٠٧
شهاب الدين أحمد بن موسى الخفاجي الحلقي الأذرعي (الشيخ): ٥٦، ٥٧
الشهابي، (الأمير) أحمد: ٢٤١
الشهابي، (الأمير) بشير: ٩
شور، ناتان: ١٤، ١٩٢
شولش، ألكسندر: ٢١، ٢٢
شومان، عبد الحميد: ١٨٩
الشونة (قرية): ٦٤، ١٤٨
الشيخ طه، صبحي: ١٣٧
الشيخ ظاهر العمر: أنظر: ظاهر العمر

الزيداني
الشيخ كويس (قرية): ٣ (الحاشية ٨)
الشيخ مسكين: أنظر: ناحية
الشيشكلي، أديب: ٢٦٢، ٢٧٠، ٢٧٦، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٤، ٢٨٦، ٢٨٨ - ٢٩١

(ص)

صاري، هشام: ١١٠، ١١١
الصالح، إبراهيم: ٢٢٠
الصالح، حسين علي: ٢١٢
صالح، عبد القادر: ٢١٢
الصالح، محمد سليم: ٢١٢، ٢٢٠
صالح، محمود سليم: ٨٠، ٢٢٢
الصالح، (الشيخ) مصطفى: ١٥٠، ١٥١
الصالحية (قرية): ٢١٢، ٢٤١، ٢٥١
صامويل، هربرت: ٤٣، ٤٦، ١٧٢
الصباغ (عائلة): ٧٦
الصباغ، إبراهيم: ٧٦
الصباغ، الياس: ٧٨
الصباغ، توما: ٧٦، ١٧٢
الصباغ، حبيب: ٧٦، ٩٣، ٢٦١
الصباغ، فوزي: ٧٨
الصباغ، ميخائيل: ٧٦
صبح (آل، عائلة): ٩، ٥٦، ٥٧، ٦٧، ٦٩، ١٤٨
صبح، أحمد عزو: ٢٤٢
صبح، حسن فريد: ٢٦١
صبح، طالب آغا: ١٠
صبح، طالب نايف: ٢٤١، ٢٤٢
صبح، عزو: ٦٩، ١٠٤، ١٩٩
صبح، محمد: ٩، ١٠
صبح، نايف: ١٠، ٤٦، ٤٧، ٥٠، ٦٩، ١٠٤، ١٦٨، ١٧١، ١٧٣ - ١٧٥، ١٩٩، ٢٠٤، ٢٠٦ - ٢٠٨، ٢١٥
صبح العلي، محمد صالح: ٩
صرصور، إبراهيم: ٢٦٢
صفد: أنظر: سنجق؛ قصبة
«صفد في الكماشة» (كتاب): ٢٦٧
«صفد من الحصار إلى التحرير» (كتاب) ٢٦٧
الصفدي، صالح: ١٠٣
الصفصاف (قرية): ٣ (الحاشية ٨)، ١٢٨، ١٦٢، ٢٢٠، ٢٤٤، ٢٥١، ٢٦٥، ٢٧٦، ٢٨٦
صك الانتداب: ٤٥، ١٧٦
صلاح، عبد اللطيف: ٢١٧
الصلح، أحمد: ١٢٨
صلحة (قرية): ١٤٤، ٢٥١
صندوق استكشاف فلسطين: ١٩
صندوق الأمة: ٨٧، ١٦٣، ٢١١، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤٣ - ٢٤٦، ٢٥٠، ٢٥٤، ٢٥٥، ٣٠٢
صندوق البطالة: ١٠٩
الصندوق التأسيسي: ١٠٩
صندوق العون الأميركي: ٣٥، ٨٢
الصندوق القومي اليهودي: ١٠٩، ١١٠، ١٥٩، ٢٠٥، ٢٣٤، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٤٥
صوان، (الحاج) أحمد: ٢١٢
«صوت صفد» (جريدة): ٢٨١
صور (لبنان): ٢٣، ٣٠، ٣٣

- أنظر أيضاً: قضاء
صيدا (لبنان): ١، ٧، ٢٣، ٣٣، ٧٥
- أنظر أيضاً: ولاية

(ض)

ضريبة الأراضي: ٤١
ضريبة الأعشار: ٤١، ١٣٦
ضريبة الأملاك البلدية: ٤٦
ضريبة المسقفات: ٤١

(ط)

الطابغة (قرية): ٣ (الحاشية ٨)
طافش (عائلة): ٥٩
طافش، أحمد: ٨٧، ١٩٥، ٢٠٣، ٢٠٤، ٣٠٢
طافش، سليم: ٢٦١
طافش، يعقوب يوسف: ١١١، ٢٥٠، ٢٥٣
طبرية: ٢١، ٢٣، ٢٥، ٣٣، ٦٩، ٧٦، ٩٠ - ٩٢، ١٠٢، ١٩١، ٢٠٧، ٢٥١، ٢٧١، ٢٩١
- أنظر أيضاً: قضاء
طرابلس (لبنان): أنظر: سنجق
طريق صفد - روش بينا: ٢٢٣، ٢٦٨
طريق عكا - صفد: ٩٢، ١١٢، ٢٣٣، ٢٦٨ - ٢٧٠، ٣٠١
طه، طه محمود: ١١١
طه، محمد: ٢٣٨
طوبى (قرية): ٣ (الحاشية ٨)
طولكرم: ١١٤، ١٦٧
الطويل، محمد: ١٩٠، ١٩١، ٢٠٢
الطيب، نجيب: ١٠٣، ٢١٢
الطيبة (قرية/لبنان): ٢٤١
طيطبا (قرية): ٣ (الحاشية ٨)، ١٢٨، ١٥٥، ٢٢٠، ٢٤٤

(ظ)

ظاهر، ظاهر توفيق: ٢٥٢
الظاهر بيبرس (السلطان): ٢٠، ١١٩، ١٢٠، ١٣٤
ظاهر العمر الزيداني: ١، ٢٢، ٧٦، ١٤٦
الظاهرية (قرية): ١٢٩، ١٣١، ١٣٢، ١٣٤، ١٥٥، ٢١٢، ٢٥١
الظاهرية التحتا (قرية): ٣ (الحاشية ٨)
الظاهرية الفوقا (قرية): ٣ (الحاشية ٨)

(ع)

العابدي، محمود: ٢٠١، ٢٣٢
العابسية (قرية): ٢٤١، ٢٥١
العارف، عارف: ١٦٨، ٢٨٥، ٢٩٣
عازر، باسيلا: ٧٨
العباسي، صلاح الدين: ١٠٣
العباسي، محمد البرادعي: ٨٧، ١٠٣
العباسية (قرية): ٢١٢
عبد الباقي، أحمد حلمي: ٢١٤، ٢١٧، ٢٣٧
عبد الحميد، أحمد: ٢٢٠
عبد الحميد الثاني (السلطان): ٢٢، ١١٣، ١١٩، ١٢١، ١٢٤، ١٦٥، ١٦٧
عبد الرحمن، إبراهيم: ٢١٢

عبد الرحمن، سليم: ١٦٧
عبد الرحمن، كامل صالح: ٢٢٠
عبد الرحيم (آل، عائلة): ١٠، ٥٦، ٥٧، ٦٧، ٧٤ - ٧٥، ٩٦، ١٧٩
- أنظر أيضاً: الحاج سعيد (آل، عائلة)
عبد الرحيم، أحمد: ٧٤
- أنظر أيضاً: الحاج سعيد، أحمد
عبد الرحيم، أحمد سليم: ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٦٢
عبد الرحيم، حسين: ٣٣، ٧٤
- أنظر أيضاً: الحاج سعيد، حسين
عبد الرحيم، (الحاج) سعيد: ١٠، ٧٤
عبد الرحيم، عبد القادر حسين: ٥٠، ٥١، ٧٤، ١٣٧، ١٣٨، ٢١٥، ٢١٨، ٢٦٢
عبد الرحيم، عبد اللطيف: ٧٤
- أنظر أيضاً: الحاج سعيد، عبد اللطيف
عبد الرحيم، محمد حسن: ٤٦، ٤٧، ٤٩، ٥٠، ٧٤، ١٩٩، ٢١٥
- أنظر أيضاً: الحاج سعيد، محمد حسن عبد الرحيم
عبد الرحيم، مؤيد: ٧٤
عبد العزيز (السلطان): ١٢٨
عبد العزيز (عائلة): ٢٤١
عبد العزيز، حميد محمود: ٢٢٠
عبد القادر، محمد: ١١١
عبد القادر بن محيي الدين الجزائري (الأمير): ١٩، ٧٩، ٨٠، ١٤٤
عبد القادر الجزائري: أنظر: عبد القادر بن محيي الدين الجزائري
عبد الكريم، (الشيخ) طه: ١٧١، ١٧٢
عبد الكريم، مناح: ١١١
عبد الله (الأمير): ٦٢، ١٩٦
- أنظر أيضاً: عبد الله بن الحسين (الملك)
عبد الله، (الشيخ) توفيق: ١٥٥
العبد الله، علي: ٢٢٠
عبد الله، فياض: ٢١٢
عبد الله باشا (الوالي): ٢
عبد الله بن الحسين (الملك): ٢٩١
- أنظر أيضاً: عبد الله (الأمير)
عبد الهادي (آل): ٦٤ (الحاشية ٣٦)
عبد الهادي، حمود حسن: ٢٢٠
عبد الهادي، عوني: ١٨٥، ١٨٦، ٢١٤، ٢١٧، ٢٣٦
عبّو (آل، عائلة): ٢٨، ٢٣٤
عبّو، (الحاخام) شموئيل: ٢٨، ٢٩
عبّو، مئير: ٢٠٦ - ٢٠٨، ٢٤٧
عبّو، يعقوب حاي: ٢٨، ٢٩
عثمان، أحمد شحاده: ٢٥٠، ٢٦١
عثمان، (الحاج) سليم: ٢١٢، ٢٢٠
عثمان، فؤاد: ٢٥٢
عجلون (الأردن): ٨
- أنظر أيضاً: لواء
العديسة (قرية): ٢٤١
عرابي باشا: ٢١
العراق: ٧١، ١٩٦، ٢٢١، ٢٨٤
عرب (عائلة): ٨٦
عرب، حسن مصطفى: ١٣٨
عرب البقارة (عشيرة): ٢٢٠
عرب التلاوية (قبيلة): ١٤٤
عرب الحمدون (عشيرة/قبيلة): ١٤٤، ١٥٤

عرب الخرانبه (قبيلة): ١٤٤
عرب الدكة (قبيلة): ١٤٤
عرب الزبيد (قبيلة): ١٤٤، ٢٢٠
عرب السمكية (عشيرة/ قبيلة): ١٠٤، ١٤٤، ١٤٨، ١٥١، ١٥٢
عرب السياد (قبيلة): ١٤٤
عرب الشمالنة (عشيرة/ قبيلة): ٧٠، ١٠٣، ١٤٤، ١٥٠، ١٥١
عرب الشمالنة (قرية): ٦٩، ١٤٨، ٢٤٢
عرب الغوارنة (قبيلة): ١٤٤، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٩
عرب الفضل (عشيرة/ قبيلة): ٦٦، ١٦٠، ٢٤٢
عرب القديرية (عشيرة/ قبيلة): ١٠٣، ١٤٤، ١٥١
عرب النميرات (قبيلة): ١٤٤
عرب الهيب (عشيرة/ قبيلة): ١٤٤، ١٦١، ١٧٠
ـ أنظر أيضاً: «بالهيب»
عربي (عائلة): ٨٠
عربي، حسن: ٨٠
عرقاوي (عائلة): ٢٤١
عز الدين، جادو: ٢٨٦
عزوز، أحمد: ٢١٢
عزوز، يوسف: ٢١٢
العزيز، أحمد: ٢٢٠
العسكري، صبحي: ٢٦١
العسكري، يسار: ٢٧٧
عشني، يشعياهو: ٢٧٣، ٢٨٤، ٢٩٣
عصبة الأمم: ٢٢٦
عصبة ترومبلدور: ١٨٥
ـ أنظر أيضاً: بيتار
العصر المملوكي: أنظر: العهد المملوكي
عصفور، حنا: ١٩٣، ٢١٧
عطا الله، فؤاد: ١٩٣
عطايا (عائلة): ٨٦
العظم، هاشم: ٢٥٨، ٢٧٦، ٢٨٨
عقل، حسين: ٢٢٠
العقيبة (قرية): ٣ (الحاشية ٨)
عكا: ١، ٢، ٤، ٢٩، ٣٠، ٣٩، ٥٨ ـ ٦٠، ٦٥، ٧٣، ٩٠، ٩٢، ١١٧، ١٢٦، ١٣١ ـ ١٣٣، ١٥٠، ١٧٦، ١٧٨، ٢٠٤
ـ أنظر أيضاً: سنجق؛ قضاء
عكبره (قرية): ٣ (الحاشية ٨)، ٢١٢
علامة، فؤاد: ٢٠٤
علاّن، علي آغا: ١٩
علما (قرية): ٣ (الحاشية ٨)، ١٢٨، ١٧٢، ٢٢٠، ٢٥١
العلمانية (قرية): ٢٢٠
العلي، (الشيخ) حسين: ١٦١
علي، رشدي: ١٣٧
علي، شفيق: ١٣٧
علي، يعقوب: ٢٢٠
عمار، إسرائيل: ١١
عمّار، علي حسين: ١١١
عمارة الحاج فؤاد الخولي: ٢٩٠
ـ أنظر أيضاً: دوار الحاج فؤاد الخولي
عمّان: ٦٢، ١١٦
عمر، توفيق: ٨٠

عمر، سعيد: ٨١، ٢١٢، ٢٢٠
العمر، علي: ١٧٢
عمر، قاسم محمد: ٢٢٠
العمرانية: أنظر: قضاء
عملية المكنسة: ٢٩١
عملية يفتاح: ٢٧٥ (الحاشية ٦٥)
عمورة: ٢٦٦
عموقة (قرية): ٣ (الحاشية ٨)، ١٩، ٧٩، ٨٠، ١٤٤، ٢١٢، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٤٠
عنبتا (قرية): ٢١٦
عنتيبي، يهودا: ٤٧، ٥٠، ٥١، ٨٢ ـ ٨٥، ١٠٨
عهد الانتداب: ١٠، ١١، ٢٩، ٣٩ ـ ٥٣، ٥٥ ـ ٥٧، ٦١، ٦٣، ٦٥، ٦٨ ـ ٧٠، ٧٣، ٧٤، ٧٨، ٨١، ٨٥ ـ ٨٧، ٨٩ ـ ١١٤، ١١٦، ١٢١، ١٢٢، ١٢٧، ١٣٤، ١٣٩ ـ ١٦٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٩٩، ٣٠٠
ـ أنظر أيضاً: العهد البريطاني
العهد البريطاني: ٥٢، ٦٥، ١٢٠
ـ أنظر أيضاً: عهد الانتداب
عهد التنظيمات (١٨٣٩ - ١٨٧٦): ٢، ٧ ـ ١٢، ١٨، ٢٢، ٥٥، ٧٦، ١٠٣، ١٤٦
«عهد السلام»: ١٥٦ (الحاشية ٤١)
ـ أنظر أيضاً: «رابطة السلام»
العهد العثماني: ١ ـ ٣٧، ٤٠، ٤٢، ٤٤، ٥٢، ٥٣، ٥٥ ـ ٥٧، ٦١ ـ ٦٤، ٦٨ ـ ٧٠، ٧٣، ٧٤، ٧٦، ٧٨، ٧٩، ٨١، ٩١، ٩٤، ٩٥، ١٠٢، ١١٣ ـ ١١٦، ١١٩، ١٢٠، ١٢٢ ـ ١٢٤، ١٢٩، ١٣١، ١٤٢، ١٥٠، ١٥٢، ١٥٣، ١٦٤ ـ ١٧٠، ١٨١، ٢٠٦، ٢٣٧، ٢٤٠، ٢٩٩
عهد الفرنجة: ٢٩٩
العهد المملوكي: ٦٤، ١١٣، ١١٩، ١٢٢، ١٢٣ (الحاشية ٣٩)، ١٢٥، ١٢٩، ١٣١
عوده، (الحاج) سليمان: ٢٢٠
عوض (عضو اللجنة القومية): ٢٧٢
عيد، توما: ٧٨
عيد، فضول: ٧٨
عيد، نقولا: ٧٨
عيسى، إبراهيم: ٢١٢
عيسى، خالد: ٢٣٢
عيسى، نور الدين: ٢٣٢
عيساوي، عبد ذياب: ١٩٢ ـ ١٩٣
عين التينة (قرية): ٢٨٩، ٢٩٢
عين الجن: ١٢٨
عين زاغة: ٢٤١
عين الزيتون (قرية): ٣ (الحاشية ٨)، ١٢٨، ٢١٢، ٢٢٠، ٢٣٣، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٦٥، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٥ ـ ٢٨٣، ٢٨٥ ـ ٢٨٧، ٢٩٣
ـ أنظر أيضاً: عين زيتيم
عين زيتيم (مستعمرة): ١٥١، ٢٣٧، ٢٦٤، ٢٦٨ ـ ٢٧١، ٢٨١، ٢٨٤
ـ أنظر أيضاً: عين الزيتون
عين العجلة (قرية): ١٣٢
عين فيت (قرية/ سورية): ٢٤١

عين قينيا (قرية/ سورية): ٢٤١
عين الملاحة: ٣١
عين الورد: ٢٨٣

(غ)

الغابة (قرية): ٢٤١
غار نبي الله يعقوب: ١٢٣
غاليسيا: ٣٧
غاليلي، يسرائيل: ٢٧٨
غباطية (قرية): ٦٤، ١٤٨
غرابة (قرية): ٢٤١
غرب أوروبا: ٢٧
غرفة التجارة والزراعة (صفد): ١١، ٣٣
غريري (عائلة): ٨٦
الغصين (عائلة): ٦٤ (الحاشية ٣٦)
الغصين، يعقوب: ١٥٧، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١٤، ٢١٧
غلمية (عائلة): ٢٤١، ٢٤٢
غنطوس، جبران: ٧٨، ١٧٢
غنيم (عائلة): ٨٦
غنيم، عارف توفيق: ١٩٤، ٢٦٢
غنيم، علي خليل: ١٩٤
غنيم، نايف توفيق: ١٩٤
الغوارنة: أنظر: عرب الغوارنة
الغوراني (عائلة): ٢٢٣
الغوري، إميل: ٢١٤
غيران، فيكتور: ١٥، ٢٢، ٢٣، ٢٦
غيلبار، جاد: ١٨
غينوسار، بنحاس: ٢٥٧

(ف)

الفار، صبحي: ٧٨
فارادي (الكابتن): ١٩١، ١٩٢، ٢٠٣، ٢٠٦
فارة (قرية): ٣ (الحاشية ٨)، ٦٤، ١٤٨، ٢٢٠، ٢٥١
الفاعور، (الأمير) فاعور محمود: ٦٦، ١٦٠، ١٦١، ٢٤١، ٢٤٢
فانوس، خالد: ٢٦١
فايس، يحيعام: ٢٥٧
فايل، بنحاس: ٨٢
فخر الدين المعني الثاني (الأمير): ٦٣
فرّاج، يعقوب: ٢١٧
فراضية (قرية): ٣٩، ٢١٢، ٢٢٢
فرحات (آل): ٢٤١
فرحة (عائلة): ٢٤١
فرعم (قرية): ٣ (الحاشية ٨)، ٢٠٣، ٢١٢، ٢٢٠، ٢٥١
فرمان الإصلاح الضريبي لعام ١٨٤٠: ٤
فرنسا: ٢٥، ٢٨، ٣٦، ٧١، ٧٩، ١٤٤، ١٩٨، ٣٠١
فرنسيس (عائلة): ٢٤١
فرهود، محمد مصطفى: ٢٣٢
فريد، شوكت: ١١١
فريدمان، يوسف: ١١
فسوطة (قرية): ٣ (الحاشية ٨)
«فلسطين» (صحيفة): ٩، ١٥٦
فندق رزق: ٢٧٢
فندق ساره: ١٠١
فندق مركازي: ٢٤٧

الفنيش، ساري: ٢٧٦ ـ ٢٨٠، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٣
فوج اليرموك: ٢٧٥ ـ ٢٨٤
فولني (الرحالة): ٢
فيداتسور، موشيه: ٤٧، ٥٠، ٨٢ ـ ٨٤، ١٠٩، ٢٣٣
فيصل (الأمير): ٥٨، ٦٠، ٦٦، ٧١، ١٦٥ ـ ١٧١، ١٨١، ٣٠١
ـ أنظر أيضاً: فيصل بن الحسين (الملك)
فيصل بن الحسين (الملك): ١٩٦
ـ أنظر أيضاً: فيصل (الأمير)
فينس، يحيئيل: ٣٠

(ق)

القاسم، عيسى: ١٧٢
القاضي (آل، عائلة): ٨، ٦٥، ١١٥، ١١٧، ١٢٠، ١٣٤ ـ ١٣٥
القاضي، (الشيخ) طه عبد الكريم: ١١٥
القاضي، (الشيخ/المفتي) عبد الكريم محمود: ٨، ١١٥
القاضي، (الشيخ) عبد الله: ٢١٢
القاضي، محمد طه: ١١٥
قانون الأراضي لسنة ١٨٥٨: ٦٤، ١٤٦، ٢٩٩
القانون العثماني المتعلق بالحكم المحلي: ٤٥، ٤٦
قانون المجالس البلدية (١٩٣٤): ٤٥، ٤٧، ٤٨
قانون نقل الأراضي في فلسطين: ٢٣٦
قانون الولايات: ١٢، ٢٩٩
قانون الولايات لعام ١٨٦٤: ٢ ـ ٥، ١٤٦
قانون الولايات المعدل لعام ١٨٧١: ٤، ٦
القاهرة: ٣٦
القاوقجي، فوزي: ٢٧٢، ٢٨٤، ٢٨٦
قباعة (قرية): ٣ (الحاشية ٨)
قبة الصخرة: ١٩٠
القبراوي، (الشيخ) صالح: ١٢٣
القبراوي، محمد: ٢٣٨
القدس: ٢٥، ٣٦، ٤٢، ٤٤، ٥٣، ٥٩، ٦٤ (الحاشية ٣٦)، ٦٥، ٧١ ـ ٧٣، ٨١، ٨٤، ٩٢، ١١٤، ١١٦، ١٢٥، ١٢٧، ١٣٧، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٣ ـ ١٧٨، ١٨٥ ـ ١٩١، ٢٠١، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٧، ٢١٨، ٢٣٥، ٢٣٨
ـ أنظر أيضاً: سنجق
قَدَس (قرية): ١٤٤، ٢٤١، ٢٥١
قدّورة (آل، عائلة): ٨، ٤٨، ٥٦، ٦٠، ٦٢ ـ ٦٩، ٧٤، ٧٥، ٧٧، ١٠٣، ١١٦ ـ ١١٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٧، ١٤٨، ١٥١، ١٧١، ١٧٣، ١٧٧، ١٧٩، ١٨٠، ١٩٥، ٢٠١، ٢٥٠، ٣٠٠
ـ أنظر أيضاً: الخالدي (عائلة/ صفد)
قدّورة، إبراهيم عبد المجيد: ١٠٤
قدّورة، أحمد الحاج يوسف: ٦٨
قدّورة، أحمد عبد الغني: ١٩٥
قدّورة، (الشيخ/المفتي) أسعد: ٥٨، ٦٥ ـ ٦٨، ٧٣، ٧٦ ـ ٧٨، ١١٦، ١١٧، ١٢٧، ١٦٩ ـ ١٧٩، ١٨١، ١٨٧، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٨، ٢٠٠، ٢٠٢ ـ

٢٠٥، ٢١٣ ـ ٢١٥، ٣٠١
ـ أنظر أيضاً: أسعد محمد يوسف
قدّورة، جمال حميد: ١٣٧، ٢٠٩، ٢١٨، ٢١٩، ٢٤٦
قدّورة، جمال عز الدين: ٦٦، ٦٨، ١٠٣، ١٩٩
قدّورة، حسيبة محمد الحاج يوسف: ٦٢
قدّورة، حكمت محمد: ٦٨، ١٤٨
قدّورة، خالد محمد يوسف: ٤٦، ٤٩، ٦٨، ٧٤
قدّورة، رشيد محمد: ٦٨
قدّورة، زكي: ٤٨ ـ ٥١، ٦٦، ٦٨، ٢٢٣، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٦١، ٢٦٢
قدّورة، سعيد محمد: ٦٨
قدّورة، شفيق محمد: ٦٨
قدّورة، شكري: ٢٣٨
قدّورة، صالح الحاج يوسف: ٦٨، ٩٢، ٩٥
قدّورة، صبري عز الدين: ٦٦، ٦٨، ٧٧، ١٠٣، ٢٠٩، ٢١٨، ٢٢٤
قدّورة، صلاح الدين عز الدين: ٤٦ ـ ٥٠، ٥٨، ٦٦، ٦٨، ٧٤، ١٦٨، ١٧١، ١٧٤، ١٧٥، ٣٠١
قدّورة، عبد الحميد محمد: ٦٨
قدّورة، عبد الحميد صالح: ٢٣٨
قدّورة، عبد الرحيم الحاج يوسف: ٦٨، ١٩٥
قدّورة، عبد الغني: ١٩٥
قدّورة، عبد القادر: ٦٨
قدّورة، عبد القادر محمد: ٦٨
قدّورة، عبد المجيد محمد: ٦٨، ١٠٤
قدّورة، عز الدين محمد: ٦٨
قدّورة، فايز خالد: ٦٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٧٨
قدّورة، فوزي: ١١١
قدّورة، محمد الحاج يوسف: ٩، ٦٥، ٦٨
قدّورة، محمد عبد الرحيم: ١٣٨
قدّورة، محمد عبد الغني: ١٩٥
قدّورة، (الحاج) ياسين آغا حسن: ٨، ٦٤، ٦٨
قدّورة، (الحاج) يوسف: ٩، ٦٤، ٦٥، ٦٨
قدّورة، يوسف محمد: ٦٨
قديتا (قرية): ٣ (الحاشية ٨)، ١٤٨، ٢٦٥
القديرية (قرية): ٦٤، ١٢٩، ١٤٨، ٢٢٠، ٢٨٧، ٢٩١
قريوات، ميخائيل: ٢٥٢
قصبة صفد: ٢١
القصير: أنظر: ناحية
قضاء جنين: ١٥٦
قضاء حاصبيا (لبنان): ٥٨، ٢٤١
قضاء حيفا: ٣، ١٤٤
قضاء الخليل: ١٥٦
قضاء دوما (سورية): ٥٨
قضاء الزبداني (سورية): ٥٨
قضاء صور (لبنان): ٣٠
قضاء طبرية: ٣، ٨١، ١٤٢ ـ ١٤٤، ٢٥٢
قضاء عكا: ٣، ٣٩، ٨٩، ٩١، ١٤٢، ١٤٣، ٢٥٢

قضاء العمرانية: ٥٨
قضاء نابلس: ١٤٣، ١٥٦
قضاء الناصرة: ٣، ٨١، ١٤٤، ١٥٦
القط، محمود: ٢٥٢
القطب: أنظر: شهاب الدين أحمد بن موسى الخفاجي الحلقي الأذرعي
قطنا (قرية/ سورية): ٢٩٤
قلعة جدّين: ٢١
قلعة صفد: ٢٢، ٢٧٢، ٢٧٥، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٠، ٢٩٤
قلعة عكا: ٧٢، ١٩٣
القليعة (قرية/ لبنان): ٢٤١
القنيطرة (سورية): ٩٠، ٢٤١
قوصي (عائلة): ٨٦
قوصي، سعدي سعيد: ١١١، ٢٤٩، ٢٥٠
قويدر، محمد عبد: ٢٥٢
قيطية (قرية): ٢١٢، ٢٢٠، ٢٤١، ٢٥١

(ك)

الكابري (قرية): ٣ (الحاشية ٨)
كالفارسكي، حاييم مرغليت: ١٥٦، ٢٠٥
كاملة، عبد الهادي: ٢٦٢
الكبرا (عائلة): ٨٦، ٩٣، ١٣٩
الكبرا، أحمد: ٢٥٢، ٢٦٢
الكبرا، رضا محيي الدين: ١١١
الكبرا، عبد الله: ١٧٢
كتائب الكوماندو اليهودية: ٢٤٨
ـ أنظر أيضاً: البلماح
الكتاب الأبيض (١٩٢٨): ١٨٤
الكتاب الأبيض (١٩٣٩): ٢٢٦، ٢٣٦
كتلة آل النشاشيبي: ٦٧
ـ أنظر أيضاً: المعسكر النشاشيبي
الكتلة الحسينية: ٦٠
ـ أنظر أيضاً: الحسينيون؛ المجلسيون المعسكر الحسيني
كراد البقارة (قرية): ١٤٨، ١٥٦، ٢٥١
كراد الخيط (قرية): ١٣٢، ١٣٤، ٢٥١
كراد الغنامة (قرية): ١٤٨، ١٥٦، ٢٥١
كرد علي، محمد: ١١٥
الكردي، محمد عثمان: ٨٧، ٢٠٣
الكردي، محمود عثمان: ١٩٤، ٢٢١، ٢٦٢
«الكرمل» (صحيفة): ١٩٨، ١٩٩
كعوش، (الشيخ) سعيد محمد العبد: ٢٤٤
كعوش، (الشيخ) محمد العبد: ١٥٥، ١٦٠، ٢١٢، ٢١٩، ٢٢٠
الكف الأخضر (تنظيم): ٨٧، ٢٠٣، ٢٠٤، ٣٠٢
كفار غلعادي (مستعمرة): ٢٦٤
كفر برعم (قرية): ٣ (الحاشية ٨)، ١٤٤، ٢٢٠
كفر سميع (قرية): ٣ (الحاشية ٨)، ٣٩، ١٣١، ١٣٢
كفر عنان (قرية): ٣٩
كلمان، موشيه: ٢٦٤ ـ ٢٦٦، ٢٦٨، ٢٧١، ٢٧٣، ٢٨٠ ـ ٢٨٢، ٢٨٥، ٢٨٨، ٢٩٠، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٦
ـ أنظر أيضاً: شخطر، مئيركا
الكلية الإسكتلندية: ٦٦، ١٩٧
الكلية الأميركية (بيروت): ١٩٧

- أنظر أيضاً: الجامعة الأميركية في بيروت
الكلية البروتستانتية (مالطا): ١٣، ١٥، ٢٢، ٢٦
كلية الحقوق (إستنبول): ٥٩
الكلية العسكرية (إستنبول): ٧١، ١٦٧
الكلية الملكية (إستنبول): ٥٧
كلينغر، إيليا: ٨٢
كلينغر، مردخاي: ٥١، ٨٣، ٨٤، ٩٧، ١٠٢، ٢٣٥
كم الماز، إحسان: ٢٦٤، ٢٧٦ - ٢٧٨، ٢٩٣، ٣٠٢
كنعاني: أنظر: بيلد، إلعاد
كنيس سام وعابر: ١٢٤
الكنيسة المارونية: ١٤٨
كنينغهام (الكاهن): ٣١
كهانا، زيندل: ٤٧، ٥٠، ٨٣، ٨٤
الكواكبي، [عبد الرحمن]: ١٣٧
الكوري (عائلة): ٩٢، ٢٢٣
كوندر، كلود: ١٩
كوهين (الضابط): ١٩٤
كوهين، سليم: ٢٨٩
كوهين، شموئيل: ٢٨٠ (الحاشية ٨٢)
كيتشنر، هربرت: ١٩
كيرن هيسود: أنظر: الصندوق التأسيسي
كيش (الكولونيل): ٢٠٥، ٢٠٧
الكيلاني، أحمد صالح: ١٩٤
الكيلاني، محمود: ٢٦١، ٢٦٣

(ل)

اللاذقية (سورية): أنظر: سنجق
لاييش، أهرون: ١٢٦
لبنان: ٩١، ١١٢، ١٤٢، ١٤٥، ١٥٠، ١٥٤، ١٥٧، ١٥٩، ١٦٤، ١٦٩، ٢١٤، ٢٢٠، ٢٢٥، ٢٣٢، ٢٤١، ٢٤٥، ٢٦٥، ٢٨٤، ٢٨٧، ٢٩٤
اللجان القومية: ١٠٧، ١٥٨، ٢١٦، ٢١٧، ٢٢٤، ٢٦١
لجنة الاقتصاد الوطني (صفد): ٢٥٣
- أنظر أيضاً: لجنة تنظيم الاقتصاد العربي
لجنة بيل: ٢٢٦
- أنظر أيضاً: اللجنة الملكية
لجنة تحسين القرية العربية في قضاء صفد والحولة: ١٥٩، ١٦٢، ١٦٣
لجنة تنظيم الاقتصاد العربي (صفد): ٢٥٣
- أنظر أيضاً: لجنة الاقتصاد الوطني (صفد)
اللجنة التنفيذية لمؤتمر الشباب العربي الفلسطيني: ٢٠٩، ٢١٧
اللجنة التنفيذية لنساء القدس: ٢٠٠
لجنة الجالية اليهودية في صفد: ٨٢ - ٨٤، ١٠١، ١٠٩، ١٨٨، ٢٠٥، ٢٣٣، ٢٧٠، ٢٧٤
لجنة الجهاد المركزية: ٢٢٤
«لجنة الجيرة»: ٢٤٤
لجنة شو: ١٩٠، ١٩١، ٢٠٢
لجنة الطائفة السفارادية (صفد): ٨٣
اللجنة العربية (صفد): ٦٥، ١٧١ - ١٧٣، ١٧٥، ١٨١، ٣٠١
اللجنة العربية العليا: ٢١٧، ٢١٨، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٦
اللجنة العربية المركزية لإعانة منكوبي

فلسطين: ٢٠٠
اللجنة القومية (صفد): ٥٨، ١٥٨، ١٦٠، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٧٢، ٢٧٦، ٢٧٧
اللجنة القومية اليهودية: ٨٢، ٨٣، ١٠٩، ١٨٤، ٢٣٥، ٢٣٦
- أنظر أيضاً: هغاعد هلئومي
اللجنة المحلية (صفد): ١٣٤
اللجنة الملكية: ٥١، ٥٣
- أنظر أيضاً: لجنة بيل
لجنة نيوكومب - بوليه: ١٤٥
لزازة (قرية): ٢٤١، ٢٥١
لمبرت (الكابتن): ٢٧١
لندن: ١٨٦، ٢٢٦
لواء الجليل: ٢٢٤، ٢٣٥
لواء حيفا: ١٩٣
لواء عجلون (الأردن): ٥٨، ١٧١
لوك، هاري: ١٨٥
لونتس، متتياهو: ٨٢
ليبار، شيرمان: ١٥
ليفي، ساره: ١٢٧
ليفي، يتسحاق: ١٨٥، ١٨٦
ليويك (القاضي): ١٩٤

(م)

مارتينو، هاريت: ٣١
ماردیني (عائلة): ٢٤١، ٢٤٢
ماروس (قرية): ٣ (الحاشية ٨)، ٧٩ - ٨١، ١٤٤، ٢١٢، ٢٢٠، ٢٤٠
- أنظر أيضاً: خربة ماروطية
ماسترمان (الطبيب): ١٩، ٢٠، ٢٣، ٣١، ٣٢
المالكية (قرية/لبنان): ١٤٤
مايبرغ، إيديل: ٤٦، ٤٩ - ٥١، ٨٣، ٨٤، ٢٣٥، ٢٤٧
مايبرغ، مئير: ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٦٧، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٤، ٢٨٤، ٢٩٢، ٢٩٥
متولاه (مستعمرة): ١٥٥، ٢٤٠
مجلس إدارة القضاء: ٤ - ١٢، ١٥، ٢٣، ٤٥، ٤٧، ٥٣، ٦٢، ٦٤، ٧٥، ٧٨، ١٦٤، ٢٩٩، ٣٠٠
مجلس إدارة اللواء: ٥
المجلس البلدي: ٦ - ٨، ١٠ - ١٢، ٤٥ - ٤٩، ٥١، ٥٢، ٥٧ - ٦٠، ٦٢، ٦٦، ٦٧، ٦٩، ٧٣، ٧٤، ٧٨، ٨٣ - ٨٥، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٨، ١٣٤، ١٤٦، ١٦٨، ١٧١ - ١٧٣، ١٨٩، ١٩١، ١٩٩، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢١٨، ٢٢٣، ٢٣٠، ٢٣٢ - ٢٣٥، ٢٤٧، ٢٥٥، ٢٦٣، ٢٨٨، ٢٩٩، ٣٠٠
مجلس دعاوى: ٦
المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى: ٥٣، ١١٨، ١١٩، ١٣٤، ١٧٦، ١٧٧، ١٨٤، ١٨٦، ٢٠١، ٢٢٤، ٢٣٧
مجلس الملك البريطاني: ١٩٦
المجلسيون: ١٥٦، ٣٠١
- أنظر أيضاً: الكتلة الحسينية؛ الحسينيون؛ المعسكر الحسيني
المحرقة اليهودية: ٢٨٣
محكمة البداية: ٥٢

- أنظر أيضاً: محكمة الصلح؛ المحكمة النظامية
المحكمة الشرعية: ٦، ٥٢، ٥٣، ٦٣، ١٠٢، ١١٤، ١١٦
محكمة الصلح: ٥٢، ٥٣
- أنظر أيضاً: محكمة البداية؛ المحكمة النظامية
المحكمة النظامية: ٦، ٧، ٩ - ١٢، ٥٢، ٧٣، ١٠٢، ٢٩٩
- أنظر أيضاً: محكمة البداية؛ محكمة الصلح
محمد بن عراق (الشيخ): ١٢٨
محمود، حميد نمر: ٢١٢
المحمود، علي: ٢١٢
محيي الدين (عائلة): ٨٦
محيي الدين، محمد علي: ١٩٥
مخلوف (الحاخام): ١١
المداحل (قرية): ٢٤١
مدرسة الإرسالية الإسكتلندية: ٦، ٧٨
مدرسة البنات: ٦
مدرسة الجامع الأحمر: ٦، ٦٩
المدرسة الحكومية: ٦٩
مدرسة الزاوية الابتدائية: ٦، ١٢٨، ٢٠١
المدرسة السلطانية (بيروت): ٢٠، ٦٠، ٧١، ١٦٧
مدرسة سمبل: أنظر: مدرسة الإرسالية الإسكتلندية
مدرسة صفد الأميرية: ٦٦
مدرسة صفد الثانوية الحكومية: ٦
مدرسة الطلائع: ٢٧٢
المدرسة المهنية الصناعية: ٢٧٢
مدرسة ووهلين: ٢٧
المدني، حسن: ١٩٥
«مرآة الشرق» (صحيفة): ٧٠، ١٧٠، ١٧٦، ١٨١
مراد (آل، عائلة): ١٠، ٥٦، ٥٧، ٦٩ - ٧٠، ١٠٣، ١٣٩، ١٤٨، ١٥٠، ١٥١، ١٧١، ١٧٩، ٢٤٢
مراد، حسن: ١٠، ٦٩
مراد، حسين: ١٠، ٦٩، ١٧٢، ٢١٢
مراد، سعيد محمود: ٤٦، ٦٩، ١٧١، ١٧٣، ١٩٩، ٢١٥، ٢٦٢
مراد، محمد: ١٠، ٦٩
مراد، محمد سعيد: ١١١
مراش، الياس: ١٠١
مراكش: ٢٨
مرج ابن عامر: ٢١
مرج الخيط: ١٣٢
مرجعيون (لبنان): ٩٠، ٢٤١
مرسى مطروح (مصر): ٢٧٢
مركبا (قرية/ لبنان): ٢٤١
مركز بوليس جبل كنعان: ٢٧٢، ٢٧٩، ٢٩٠
مريمان، بويد: ١٩٠
مزراحي، مناحم: ٢٦٣
مساده (مستعمرة): ٢٧٤
المستشفى التبشيري الإنكليزي: ١٩
المسجد الأحمر: ١٣٢، ١٣٤ - ١٣٦
- أنظر أيضاً: الجامع الأحمر الظاهري
المسجد الأقصى: ١٨٤ - ١٨٦، ١٩٠

- أنظر أيضاً: الحرم القدسي الشريف
المسجد الجوقنداري: ١١٩، ١٢١ - ١٢٢، ١٣٢، ١٣٤
- أنظر أيضاً: الجامع الجوقنداري؛ المسجد النحوي
مسجد حارة الأكراد: ١١٧
مسجد حارة الجورة: ٥٧
- أنظر أيضاً: الجامع الخفاجي؛ مسجد الخفاجي
مسجد الخفاجي: ٥٧، ١١٩، ١٢٢ - ١٢٣، ١٣٢
- أنظر أيضاً: الجامع الخفاجي؛ مسجد حارة الجورة
مسجد السرايا: ١١٩، ١٢٤
- أنظر أيضاً: جامع السرايا
مسجد السويقة: ١١٩، ١٢٢، ١٣٢
- أنظر أيضاً: جامع الشيخ عيسى؛ مسجد الشيخ عيسى
مسجد الشيخ عيسى: ١٢٢، ١٣٢، ١٣٣
- أنظر أيضاً: جامع الشيخ عيسى؛ مسجد السويقة
مسجد الغار: ١١٧، ١١٩، ١٢٣ - ١٢٤، ١٣٢ - ١٣٤
- أنظر أيضاً: جامع الشعرة الشريفة؛ جامع الغار
المسجد الكبير: ١٨٧
- أنظر أيضاً: جامع السوق؛ الجامع اليونسي الكبير؛ المسجد اليونسي
المسجد النحوي: ١٢٢
- أنظر أيضاً: الجامع الجوقنداري؛ المسجد الجوقنداري
المسجد اليونسي: ١١٩، ١٣١، ١٣٣ - ١٣٦، ١٨٧
- أنظر أيضاً: جامع السوق؛ الجامع اليونسي الكبير؛ المسجد الكبير
مشغرة (لبنان): أنظر: ناحية
مشمار هيردين (مستعمرة): ٣١، ٢٤٠
مصر: ٧، ٢١، ٥٧، ١٢٣، ١٣٧، ٢٧٢
مصطفى، حسين علي: ٢٢٠
المصطفى، علي: ١٧٢
مصنع إيشتم: ١٠٠
مصنع عوفرا: ١٠٠
مصنع كنعان: ١٠٠
مصنع منسوجات صفد: ١٠٠
المطلة (قرية): ٢٢٥
المظفر، (الشيخ) عبد القادر: ١٦٧
مظفر الدين موسى بن أرقطاي (أقطاي) (الأمير): ١٢٥
معتقل الصرفند: ٧٢
- أنظر أيضاً: سجن الصرفند
معتقل عوجا الحفير: ٧٢، ٢١٩
- أنظر أيضاً: سجن عوجا الحفير
المعجل، (الشيخ) خالد: ١٥١، ٢٢٠
معركة جب يوسف: ٢٢١
معركة جرن الحلاوة: ٢٢١
معركة خربة رخصون: ٢٢٢
معركة ستالينغراد: ٢٣٠
معركة صفد: ٢٥٧ - ٢٩٧
معركة العلمين: ٢٣٠
معركة عين الزيتون: ٢٨٢
معركة ميسلون: ١٦٩

معركة وادي الطواحين: ٢٢١
معركة اليرموك: ١٧١
معري صفد: أنظر: الخضراء، (الشيخ) سليم
المعسكر الحسيني: ٥٨، ٥٩، ٧٣، ١١٩، ١٦٠، ١٧٩، ٢٠٣، ٢٤٥
- أنظر أيضاً: الحسينيون؛ الكتلة الحسينية؛ المجلسيون
المعسكر النشاشيبي: ٦٧، ١٧٦
- أنظر أيضاً: كتلة آل النشاشيبي
معليا (قرية): ٣ (الحاشية ٨)، ٣٩
معهد الحقوق (القدس): ٦٠
مغر الخيط (قرية): ٣ (الحاشية ٨)، ١٢٩، ١٣٢، ١٧٢
المغرب: ٧٠
المغربي، (الشيخ) حمدي: ١٩٩، ٢١٢
المغربي، (الحاج) طاهر: ١٩٥
مغربي، محمد حسن: ٢٤١
المفتخرة (قرية): ١٤٨
المفتي (آل، عائلة): ٨، ٥٦، ٦٥، ١١٦، ١١٧، ١٢١، ١٤٠
- أنظر أيضاً: الحاج عيسى (آل، عائلة)
المفتي، أبو الفرج [ابن سليم]: ٦٢
المفتي، (الشيخ) سليم: ٨، ٦٢، ١١٦
المفتي، (الشيخ) مصطفى: ٦٢، ١١٦
مقامات الأولياء: ١٢٨ - ١٣٠
مكتب حاكم اللواء: ٤١
المكتب الحربي (إستنبول): ٦٠
مكمايكل، هارولد: ٢٢٥
الملاحة (قرية): ٢٢٠
المملكة المتحدة: ٢٢٦
- أنظر أيضاً: إنكلترا؛ بريطانيا
المنارة (قرية): ٢٤١
منصور، صبري: ١٩٥
المنصورة (قرية): ٢١٢، ٢٤١
منظمة الشباب العربي: ٢٥٤، ٢٥٥
- أنظر أيضاً: منظمة الفتوة؛ منظمة النجادة
المنظمة الصهيونية: ٢٧، ٣٧، ٨٤
منظمة الفتوة: ٢٥٤
- أنظر أيضاً: منظمة الشباب العربي؛ منظمة النجادة
منظمة الكشافة: ٢١٤، ٢١٥
منظمة النجادة: ١٥٢، ٢٤٦ - ٢٥٥، ٢٦١، ٣٠٢
- أنظر أيضاً: منظمة الشباب العربي؛ منظمة الفتوة
منور (عائلة): ٨٦، ١٧٩
منور، نصوح: ٨٧، ١١١، ١٣٧ - ١٤٠، ١٨٧، ٢٠٢، ٢٠٩، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٤، ٢٤٤، ٢٦١
المؤتمر الإسلامي للدفاع عن المسجد الأقصى والأماكن الإسلامية المقدسة (القدس، ١٩٢٨): ٥٩، ٦٥، ١٨٤
مؤتمر سانت جيمس (لندن، ١٩٣٩): ٢٢٦
- أنظر أيضاً: مؤتمر لندن؛ مؤتمر المائدة المستديرة
المؤتمر السوري العام (دمشق، ١٩١٩): ٥٩، ٦٦، ١٦٨، ١٧١
مؤتمر الشباب العربي الفلسطيني الأول (يافا، ١٩٣٢): ٢٤٣
المؤتمر الصهيوني السادس عشر (زوريخ، ١٩٢٩): ١٨٦

المؤتمر العربي الأول (باريس، ١٩١٣): ١٦٦
المؤتمر العربي الفلسطيني الأول (القدس، ١٩١٩): ١٧٣ - ١٧٥
المؤتمر العربي الفلسطيني الثاني (١٩٢٠): ١٧٥
المؤتمر العربي الفلسطيني الثالث (حيفا، ١٩٢٠): ١٧٢، ١٧٤، ١٧٥
المؤتمر العربي الفلسطيني الرابع (القدس، ١٩٢١): ٦٦، ١٧٢، ١٧٤، ١٧٥
المؤتمر العربي الفلسطيني الخامس (نابلس، ١٩٢٢): ٦٦، ١٧٥
المؤتمر العربي الفلسطيني السادس (يافا، ١٩٢٣): ٦٦، ١٧٤، ١٧٥
المؤتمر العربي الفلسطيني السابع (القدس، ١٩٢٨): ٥٩، ٦٦، ٧٢، ٧٧، ١٧٤، ١٧٥، ١٨٢
المؤتمر العربي القومي (القدس، ١٩٣١): ٧٢
مؤتمر علماء فلسطين الأول (١٩٣٥): ١٧٩
مؤتمر قرية عجور (١٩٣٠): ١٥٦
مؤتمر اللجان القومية (القدس، ١٩٣٦): ٢١٨، ٢١٩
مؤتمر لندن (١٩٣٩): ٢٢٦
- أنظر أيضاً: مؤتمر سانت جيمس؛ مؤتمر المائدة المستديرة
مؤتمر المائدة المستديرة (لندن، ١٩٣٩): ٢٢٦
- أنظر أيضاً: مؤتمر سانت جيمس؛ مؤتمر لندن
مؤتمر معارضي الحسينيين (القدس ١٩٢٦): ١٧٨
مؤتمر يافا (١٩٢٩): ١٥٦
موريس، بني: ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٩١
موسى (عضو المجلس البلدي): ١١
الموسى، (الحاج) صالح: ٢١٢
موسى الكبير: أنظر: الحاج حسين، موسى
الموصل (منطقة/العراق): ٧١
مونتفيوري، موزس: ١٣
- أنظر أيضاً: إحصاء مونتفيوري
الميثاق العام لشبان فلسطين: ١٥٧، ٢١٠
ميرون (قرية): ٣ (الحاشية ٨)، ١٩، ١٣٢، ١٤٨، ١٥٥، ١٦٠، ٢١٢، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٣٤، ٢٣٦ - ٢٣٨، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٥١، ٢٦٥، ٢٦٩، ٢٨٢، ٢٨٦، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٢، ٩٤
ميرون الجسر (قرية): ٣ (الحاشية ٨)
الميزاري، عبد الرحمن: ٢٢٠
ميس الجبل (قرية/لبنان): ٢٤١
الميعاري، أحمد: ٢١٢
ميكلاسيفتش (الوكيل القنصلي النمساوي): ٢١
ميناء عكا: ٢٩، ٣٣، ٨٩

(ن)

نابلس: ٧٤، ١٥٦، ١٦٧، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٧، ٢١٦
- أنظر أيضاً: سنجق؛ قضاء نابلس (منطقة): ٢٤، ١١٣
ناحية الجبل: ٣، ٣٩

ناحية الجيرة: ٣، ١٥٥
ناحية الشيخ مسكين: ٥٧ ـ ٥٨
ناحية القصير: ٥٧
ناحية مشغرة: ٥٧
النادي الثقافي المسيحي: ٧٦، ٧٨
النادي الرياضي الإسلامي: ١١٤، ١٣٦ ـ ١٣٨، ١٤٠، ٢١٠، ٢١٤، ٢١٥، ٢٢٣
ـ فرقة كشافة المثنى: ٢٢٣
نادي صلاح الدين الصفدي: ٢٣٢
النادي العربي (صفد): ٦٩، ١٦٧، ١٦٨، ١٧١، ١٧٢، ٢٣٢
ناصر، موسى: ١٦٢
الناصرة: ٣٩، ٦٥، ١١٤، ١١٧، ١٧٦، ١٧٨، ٢٠٤، ٢٤٩، ٢٥١، ٢٥٢
ـ أنظر أيضاً: قضاء
الناعمة (قرية): ٢١٢، ٢٤١، ٢٥١
نافع (عائلة): ٢٢
النبي يوشع (قرية): ١٤٤، ٢٨٠
نجمة الصبح (قرية): ١٧٠، ٢٦٦
ـ أنظر أيضاً: أيبلت هشحر
نحماني، يوسف: ٢٠٥
النحوي (آل، عائلة): ٧، ٥٦ ـ ٦١، ٦٥، ٦٧، ١٠٣، ١١٤ ـ ١١٥، ١١٧، ١٢٢، ١٢٣، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٨، ١٧٦، ١٧٧، ١٩٥، ٢١٨، ٢٢٧، ٢٤٦، ٣٠٠
ـ أنظر أيضاً: الحوراني (آل)؛ الخفاجي (آل)
النحوي، (الشيخ) أحمد: ٦٠، ٦١
النحوي، (الشيخ) أحمد حامد: ٦٠، ٦١، ١١٤، ١٢٢، ١٦٩، ١٧١ ـ ١٧٦، ٢٣٣
النحوي، (الشيخ) حامد: ٦١، ١١٤
النحوي، حامد أحمد: ٢٠٩
النحوي، (الشيخ) حسن: ٨، ١٠، ٦٠، ٦١
النحوي، (الشيخ) سعيد: ٧، ٥٧، ٦١
النحوي، عبد الرحمن: ٥٧، ٥٩ ـ ٦١، ٧٧، ١٠٣، ١٣٨ ـ ١٤٠، ١٦٨، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٧، ٢١٥، ٢١٨، ٢٢٤
النحوي، عبد السلام: ٥٧، ٦١
النحوي، (الشيخ/النائب) عبد الغني: ٧، ٥٧، ٦١
النحوي، عبد الغني سعيد: ٦٠، ٦١، ١٠٣، ١٣٤، ١٣٨، ١٩٣، ٢١٥، ٢١٨، ٢٢٤، ٢٦١، ٢٦٢
النحوي، (الشيخ) عبد الغني محمد: ٦١
النحوي، علي رضا: ٤٧ ـ ٥٠، ٥٧، ٥٨، ٦٠، ٦١، ٦٦، ٧٣، ١٣٩، ١٦٣، ١٦٦ ـ ١٦٨، ١٧١، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٨، ١٧٩، ١٨١، ١٨٧، ١٩٢، ٢٠٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٨، ٢٢٤، ٢٣١، ٢٣٨، ٣٠١
النحوي، (الشيخ/المفتي/النائب) محمد: ٦١
النحوي، (الشيخ/النائب) محمد: ٧، ٥٧، ٦١
النحوي، هاشم سعيد: ١٩٥
ندّاف، سعيد: ٧٨
ندّاف، يوسف: ٧٨
نُزل الجليل: ١٠١
النشاشيبي (آل): ٦٧، ٧٤، ١١٩، ١٦٠، ١٧٩، ١٨٠
النشاشيبي، راغب: ١٧٦، ٢١٧

النشاشيبي، فخري: ١٧٩
النشاشيبي، فهمي: ١٧٦
نصار، ساذج: ١٩٩
نصار، نجيب: ١٩٩
نفيسة، رشيد: ٢٥٠
النقابة العامة للعمال اليهود: أنظر: الهستدروت
النقب: ٢١٩
النقيب (عائلة): ٨٦، ٩٥، ١٣٩
النقيب، خالد أحمد: ٢٣٢
النقيب، محمود: ٢٦١
النقيب، مصطفى: ٥١، ٨٦، ٩٥، ١٣٨، ٢٦١، ٢٦٢
نكبة ١٩٤٨: ٣٧، ٢٩٩، ٣٠٣
ـ أنظر أيضاً: حرب ١٩٤٨
النمسا: ٢٦، ٣٦، ٣٧
نمور (عائلة): ٢٣
نهاريا (مستعمرة): ٢٦٥
نهر الدانوب: ٢٦

(هـ)

هارون، يونس: ٢١٢، ٢٢٠
الهاغاناه: ١٧٩، ١٨٨، ٢٤٦ ـ ٢٥٥، ٢٦٠، ٢٦٣، ٢٧٠ ـ ٢٧٢، ٢٧٤، ٢٧٨، ٢٧٩ (الحاشية ٧٨)، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٩، ٢٩٢، ٢٩٥، ٢٩٧، ٢٩٩
ـ جهاز الاستخبارات: ٥٩، ٦٢، ٦٤، ٦٧، ٦٩ ـ ٧١، ٧٣، ٧٤، ٧٦، ٧٧، ٩٥، ٩٩، ١٥٤، ١٥٩، ١٦٢، ١٦٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨٢، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٥، ٢١٠، ٢١٤، ٢١٥، ٢٢٢، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٤، ٢٤٢، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٥٥
الهستدروت: ١٠١، ١٠٨، ١٠٩، ١١١، ١١٢
هضبة الجولان (سورية): ٨٩
ـ أنظر أيضاً: الجولان
هفاعد هلئومي: ٨٢
ـ أنظر أيضاً: اللجنة القومية اليهودية
هكيرن هكييمت ليسرائيل: أنظر: الصندوق القومي اليهودي
همئيري، يحزقيئيل: ١٨٨، ٢٦٧، ٢٨٤، ٢٩٢
«هميليتس» (صحيفة): ٣٢
هندي (عائلة): ٨٦
هنغاريا: ٣٧
الهواري، محمد نمر: ٢٤٩
هوروفيتس، ناحوم: ٢٣٩، ٢٦٤
هونين (قرية): ١٤٣، ١٤٤، ٢٤١، ٢٥١
الهيئة العربية العليا: ١٦٣، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٤
هيرشبرغ، أبراهام شموئيل: ١٦، ٢٧
الهيكل: ١٨٣
هيلر، (الحاخام) زايده: ٢٤٨، ٢٦٧، ٢٧٣، ٢٨٤، ٢٩١

(و)

وادي الحمرة: ١٣٢
وادي صفد: ١٢٨، ١٣٢، ٢١٢
ـ أنظر أيضاً: وادي الليمون

وادي الطواحين: ٣١، ١٠٤، ١٢٩، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٦، ٢٧٩، ٢٨٣، ٢٩٤
وادي العمود: ١٣٣
وادي الليمون: ١٢٨، ٢٨٢
ـ أنظر أيضاً: وادي صفد
واسط (قرية): ١٦٠
واطسون، (الجنرال) غوردون: ٢٦٩، ٢٧٠
واكهوب، آرثر: ٢٢٥
الوحدة الإيرلندية (صفد): ٢٧١
وزارة الحرب البريطانية: ٤٠
وزارة الخارجية البريطانية: ٤٠
وسط أوروبا: ٢٧
الوطن القومي اليهودي: ١٦٩، ٢٢٩
وعد بلفور: ٧٧، ١٧٢، ١٧٣، ٢٢٩
الوقف الأسدي: ١١٧، ١٤٠
الوكالة اليهودية: ٨٢، ٩٨، ١٠٩، ١٩٠
الولايات المتحدة الأميركية: ٢٥٨
ـ أنظر أيضاً: أميركا
ولاية بيروت: ٣، ١٦، ٣٢، ٩٠
ولاية دمشق: ١
ولاية سوريا: ٣، ٩٠
ولاية الشام: ٣، ٧٩
ولاية صيدا: ١، ٣
ولسون، (الكاهن) جون: ٢٥

(ي)

يادين، يغئيل: ٢٧٨
اليازجي، [إبراهيم]: ١٦٥
ياسين، نايف: ٢٣٨
يافا: ١٠٢ (الحاشية ٤٨)، ١٣٧، ١٥٦، ١٧٤، ١٧٥، ١٨٦، ٢٠٩، ٢١٧، ٢٤٣، ٢٤٩
ياقوق (قرية): ٣٩
يرداة (قرية): ١٤٨
يزدي، توفيق: ٤٣، ٤٤
يسود همعلا (مستعمرة): ٣١، ١٧٠، ٢٤٠
ـ أنظر أيضاً: زبيد
يعقوب (النبي): ١٢٣
يعقوب، إبراهيم: ١٩٥
يفتاح (لواء عسكري): ٢٧٥ (الحاشية ٦٥)، ٢٨٧
«يقظة العرب» (كتاب): ١٦٥
يواكيم (الخوري): ١٧٢
اليوسف (عائلة): ١٥٣
يوسف (الكاهن): ١١ ـ ١٢
يوسف (النبي): ١٢٣
اليوسف، إبراهيم: ١٥٣، ١٥٤
اليوسف، حسين: ١٥٤
اليوسف، كامل الحسين: ١٤٢، ١٥٣ ـ ١٥٥، ١٥٧ ـ ١٦٣، ١٨٠، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٢٩، ٢٤٢، ٢٤٥، ٢٦٥، ٣٠٠
اليوسف، محمود الحسين: ١٦٣
اليوسف، (الحاج) يوسف: ١٥٤
اليونان: ١٠٤
اليشوف: ٨٢، ١٨٤، ١٨٥، ٢٦٥